

الحكمة البيضاء

في تهذيب الارجاس

تأليف

الحقّة العظیم والعلیّیّ الذیّ الحکیم المتألّه
محمد بن المرتضیّ المدنیّ بالمولیّ محسن الکاشانی

المطبعة ۱۹۱۱ هـ
قدس سره

مشتريه
مؤسسه الاعلیٰ للعلوم
بکتابخانه - لمستان



المَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

المَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

فِي هَذَيْنِ الْأَجْنَاءِ
تأليف

المحقق العظمى والمحدث الكبير الحكيم آية الله محمد بن المرتضى المدعو

بِأَمْرِ الْمُجَسِّدِ الْكَاشِفِ

المؤلف ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه على أكبر نقارى

الجزء الأول

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص ١٢٠ : ٧١٢٠

الطبعة الثانية
حقوق الطبع والتقليد محفوظة ومسجلة للناسر
١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

تقدمة

بسمه تعالى وله الحمد ، والصلاة على نبيه وآله .

كان في هواجس ضميري أن أعقد جرياً على ماتداول اليوم فصلاً في أوّل هذا الكتاب القيم الفخيم ، وأسبح في لجج هذا البحر اللّجّي ، وأبسط القول في أبحاثه الرجراجة بالحقائق ، غير أنني قصير الباع لم أهتد إلى ما يهيم بيانه سيلاً ، وبينما كنت أغدو وأروح في فجوة الخيال تجزّطبع الجزء الأوّل من الكتاب ، فأخذت كرايسه بيدي وساقني الحظّ السعيد إلى دار شيخنا الأكبر ، علم العلم الخفّاق ، رجل التحقيق والبحث والتنقيب ، سماحة الحجّة المجاهد مولانا الأمين صاحب كتاب « الغدير » الأغرّ ، فسألني عما بيدي فجرى ذكر الكتاب وأعربت عما في خلدي ، فقال : قد ركب الصعب المصعب ، وإنما يركب الصعب من لاذلول له ، ومن المستساغ أن نجنح في عرفان مبلغ الكتب من الصحة والسقم ، ومالها من القيمة في سوق الاعتبار إلى مقياس كلّي يوزن به كل كتاب وهو الفارق الوحيد بين « إحياء العلوم » وتهذيبه « المحجّة البيضاء » فارتجيت بيان ذلك ، فتصفّح المطلب وأملى عليّ ما هذا لفظه حرفياً :

إنّ سعادة الإنسان ، وحياته الروحيّة ، وقيّمته في سوق الاعتبار إنّما نطت باصول ودعائم ، ومعارف ومعالم متّخذة من الكتاب والسنة ، والدعوة النبويّة هي التي تتكفّل بتلكم الغايات ، وتوجّه البشر إلى الحياة السعيدة ، والإنسانيّة السامية ، والفوز مع الأبد ، والبعثة النبويّة الخاتمة بها تتمّ مكارم الأخلاق ، وتعرف مسالك السعادة ، وتحدو إلى سبل السلام ، ومهيح السعد الخالد ، ولا يتأتّى شيء من ذلك بالمزاعم ، ولا يتطرّق إليه بالوهم والخيال .

والناسك الجاهل كالعالم المتهتّك قاصم الظهر ، لا يهتدي إلى السعادة والشقاوة

سبيلاً ، حتى يولي وجهه شطر الحقيقة ، ينحو نحوها ، ولا تقرب عليه الخطوة ، بل تقع منه في مرمى سحيق ، ويخاف عليه الوبال ، وهو منقادٌ بأهوائه و ميوله وشهواته السائدة ، يخلق له الجهل مهية مزعومة تجاه الحقيقة الراهنة ، و يزحزحه عن مناهج السعد ، ولا يرمي برأيه الشواكل ، ولا يصيب وجوه الصواب ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فينهمك في غمرة الشقاء ، وتستعبده نفسه طيلة حياته إلى آخر نفس لفظه .

والعلم يهدي إلى الحق ، ويعبّد طريق الصدق ، ويتوطّد أصول السعد ، ويدلّ على الصراط الواضح ، ويدعو إلى المحبّة البيضاء ، ويحدو إلى المنهج القويم ، ويقود إلى جدد الصدق والعدل ، ويرى الناسك خاتمة الأمور ناصعة الجبين ، سافرة الوجه ، واضحة المعالم .

والطريق الوحيد إلى السعادة مع الخلود هو ما مهّمه النبي الأعظم ﷺ لاُمّته وعبّده بوصيته المتعاقبة المكرّرة حيناً بعد حين ، وآونة بعد أخرى من استغلافه كتاب الله وعثرته أهل بيته ، ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض . فمن اتبعهما فقد اهتدى وأدرك رشده ، ومن حاد عنهما فقد ضلّ وهلك .

وهذا هو الباب المفتوح بمصراعيه الذي منه يؤتى ، ليس إلا . وهذا هو باب مدينة العلم فحسب . فمن أراد المدينة فليأت الباب . فهناك الحقيقة والطريقة والحكمة والفقه والعرفان والرواية والدراية والعلم والأدب والفضيلة . وقد صدّق الخبرُ الخبر ، خبر أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، أنا دار الحكمة وعليّ بابها ، أنا دار العلم وعليّ بابها ، أنا مدينة الفقه وعليّ بابها ، أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه ، أنا ميزان الحكمة وعليّ لسانه ، وعليّ باب علمي ، ومبين لاُمّتي ما أرسلت به من بعدي ، إلى أمثالها الكثير الطيّب .

وحرصاً على صلاح المملأ الدّيني ، ورغبة في الصالح العام ، وشرها في نجح الأُمّة وتسييرها إلى ما يحمد عقباه كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يُعرب عن بعض ما أُوتي به أهل بيته الطاهر ولم يؤت به أحد من العالمين بقوله :

نعم : آل محمد هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، هم دعائم

الإسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق في نصابه ، واتراح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لأقل سماع ورواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

وبقوله : نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم وينايع الحكم ، ناصرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة ، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة .
وبقوله : نحن الشعار والأصحاب ، والخزنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا .
وبقوله : فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا .

وبقوله : هم موضع سرهم ، ولجأ أمرهم ، وعيبة علمهم ، وموئل حكمهم ، وكمهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحاء ظهري ، وأذهب ارتعاد فرائضه .
وبقوله : لا يقاس بال محمد ﷺ من هذه الأمة أحد ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين .
وبقوله : نحن أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وعنصر الرحمة ، ومعادن العلم والحكمة .

وبقوله : أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ؟ كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطي الهدى ، ويستجلى العمى ، إن الأئمة من قریش غرسوا في هذا البطن من هاشم .
وبقوله : فأين يتألم بكم ؟ وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم ؟ وهم أئمة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأزلوهم بأحسن منازل القرآن .

وبقوله : قد ركزت فيكم راية الإيمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلي ، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي ، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي ، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ، ولا يتغلغل إليه الفكر .
هذا غيض من فيض ، فالسعيد الصدق ، والآلهي الصادق ، والآخفي الناجع

الناصح الناجح ، والسالك العارف الصحيح ، والحكيم البصير الناقد النابه ، والناسك الصالح من أتبع آل الله ، واقتفى أثرهم ، وحذا حذوهم ، ولبس دعوتهم ، واتخذ بسيرتهم واقتدى بهديهم .

والحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، والعلم النافع ، والعرفان التام ، والخلق السجدة ، والمعالم والمعارف ، والظرائف والطرائف ، والغرر والدُّرر . والأَنْوار والأزهار ، والعدل والصدق ، والورع والتقى ، والحقُّ والحقيقة ، والأصول والفروع المتبعة ، والحكم والآثار ، والكلم الطيب ، والقول البليغ ، والمنطق السليم ، والصوب المستقيم ، والرأي الصائب ، والفكرة الناضجة ، كلها في مقال إنسان يغترف من بحار علوم آل الله ، ويقبض من تلكم الأنوار ، ويتخذ المعالم من معادنها ، ولا يتبع السبل ، و يقتفي آثار أولئك الأئمة ، ويرى السعادة والفوز والفلج في الاقتداء بهم ، والاستنارة برشد هم ، والمضي وراء ضوئهم .

فالمتكلم بغير هداهم أخبط من حاطب ليل يخبط خبط عشواء ، ويختلط الحابل بالنابل ، والمصلح بغير هديهم متطلب في الماء جذوة نار ، والعارف الناسك بغير مناسكهم يتيه في واد السدر ، والسائر إلى الله بغير سيرتهم يضل عن رشده ، ويقوده الهوى السائد ، ويستحوذ عليه الشيطان ، ويجر عليه الويلات ، ويدخله إلى حضيض التعاسة ، ومأزق الشقاء والدمار ، ويسفه إلى العار والشنار .

خذ مثلاً يلمسك الحقيقة باليد كتاب « إحياء العلوم » للغزالي ، وتهذيبه « المحجة البيضاء » لمولانا الفيض القاشاني .

ونحن لانمضي إلا على ضوء الحقيقة ، ونقبع موازين القسط ، ولا نصغي حق ذي فضل ، ويهملنا جداً النزوع إلى حكم الأدب ، أدب العلم والدين ، أدب الحجاج ، أدب الكتاب ، أدب المقال ، ولسنا نمن يبخس الناس أشياء هم ، ولانستسيغ الوقعة في عالم من الأمة المسلمة ، والتقول والاجترار عليه والغربة به ، ولا يروقنا الكلام في مؤلف بما يمس كرامته ، أو يحط شيئاً من مكانته ، بل تكبر رجال العلم والفضيلة كأننا من كان ، من أي عنصر ، من أي شعب ، من أي مذهب ، من أي بيئة ، ونعطي كل ذي قدر حقه ،

ولكلّ منهم مقام معلوم ، غير أنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع ، والتمويه على الحقائق ، والصفح عنها ، والسكوت عن ردّ الباطل ، والغضّ عن لفت نظر الملأ الديني إلى الواقع لا يرتضيه الدّين والعقل والمنطق والاعتبار الصحيح ، ولا مندوحة لنا عن الإصحاح بالحقّ ، والإجهار بالصواب ، وإمالة الستر عن وجه الشّبه ، فنقول :

أمّا « إحياء العلوم » فإنّه مهما كان مؤلفه متضلّعاً من الفقه و العلم و العرفان والحكمة و البيان والفكرة و الرواية و الأخلاق تراه قد اقتحم مزاعم حرجة ، أخرجته المآزق ، واستشككت عليه المواقف ، و أعضل به البحث ، وتعايا عليه المخرج كما أعيا الداء الطّبيب ، تجده يعلّي أسس الحقّ على شفا جرف هار ، ويدعم دعواه المجردة بتافه القول ، ويرميّه على عواهنه ، ويتمسك بالسّفور والبقر وبيّنات غير ، فجاء كتابه عيبة السقطات ، و سقط السفسطات ، مشحوناً بالخرافات ، بين دفتيه ترهات ، و مله غصونه تافهات ، وقد أفرّد الحافظ ابن الجوزي في الردّ عليه كتاباً أسماه « إعلام الأحياء بأغلاط الأحياء » ، و فصل القول في الردّ عليه في الجزء التاسع من « المنتظم » وفي « تلبيس إبليس » ص ٣٥٧ وذكرنا جملة ممّا أورد عليه في الجزء الحادي عشر من كتابنا الغدير .

أقول - و أنا مصحّح الكتاب - : فمن الضروري أن نورد ههنا بعض ما أشار إليه شيخنا الأميني من عشرات أبي حامد الغزالي في إحيائه ثمّ نرجع إلى بقيّة ما أملاه . قال في كتاب رياضة النفس من الأحياء : كان بعض الشيوخ في ابتداء إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرّجل .

أقول : هل مساع لهذا العمل الفادح عند العقل والطبيعة و الاعتبار ؟ وهذا كتاب الله العزيز يخاطب نبيّه الأقدس بقوله : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » ونحن نحيل الحكم في هذا التره و فيما يليه من قصص خرافة إلى العقل السليم ، و الشريعة السهلة السمحة ، و الطبيعة المطّردة ، وقبل كلّها إلى سنّة الله التي لا تبدل لها .

وقال أيضاً في الكتاب : عالج بعضهم حبّ المال بأن باع جميع ماله و رمى به في البحر .

وقال في كتاب ترتيب الأوراد : إنّ إبراهيم التيميّ يمكث أربعة أشهر لم يطعم

و لم يشرب و ذلك لرؤيا رآها ، و نقل قصتها .
 و قال أيضاً : إنَّ كهمس بن منهل يختم القرآن في كلِّ شهر تسعين مرةً ، و ما لم يفهمه رجع و قرأه مرةً أخرى .

و قال أيضاً : كان كرزبن وبرة مقيماً بمكة فكان يطوف في كلِّ يوم سبعين أسبوعاً ، و في كلِّ ليلة سبعين أسبوعاً ، و كان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و الليلة مرتين .
 فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ، و يكون في كلِّ أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة ، و ختمتان للقرآن و عشرة فراسخ .

و قال في كتاب التوحيد و التوكل : قال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد ، فسرت بأن وصلت ، ثمَّ فكَّرت في نفسي أني سكنت و اتسكنت على غيره و آليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن اعمل إليها ، فحفرت لنفسي في الرمل حفرة و وارت جسدي فيها إلى صدري فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً : يا أهل المرحلة إنَّ لله تعالى ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فألحقوه ، فجاء جماعة فأخرجوني إلى القرية .

و قال أيضاً : قال أبو حمزة الخراساني : حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر ، فنازعني نفسي أن أستغيث ، فقلت : لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتَّى مرَّ برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر : تعال حتَّى نسدَّ رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحدٌ ، فأتوا بقصب و بارية و طمَّوا رأس البئر فهممت أن أصيح ، فقلت في نفسي : إلى من أصيح ؟ هو أقرب منهما و سكنت ، فبينما أنا بعد ساعة إذا أنا بشيء جاء و كشف عن رأس البئر وأدلى رحله و كأنه يقول : تعلق بي في هممة له كنت أعرف ذلك ، فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع .

و قال أيضاً : فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد و لم يكن له معلوم ، فقال له الإمام : لو اكتسبت لكان أفضل لك ، فلم يجبه حتَّى أعاد عليه ثلاثاً ، فقال في الرابعة : يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كلَّ يوم رغيفين ، فقال : إن كان صادقاً في ضمانه فعكوفك في المسجد خيرٌ لك ، فقال : يا هذا لو لم تكن إماماً تقف بين يدي الله

و بين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيراً لك ، إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق .

و قال : قال إمام المسجد لبعض المصلّين : من أين تأكل ؟ فقال : يا شيخ اصبر حتى أُعيد الصلاة التي صلّيتها خلفك ثم أُجيبك .

و قال في باب أعمال المتوكّلين : أعلى درجات التوكّل هو أن يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه و تقويته على الصبر أسبوعاً و ما فوق ، أو تيسير حشيش له أو قوت ، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر له شيء .

و قال أيضاً : كان بشر يعمل بالمغازل فتركها ، و ذلك لأن البعادي كاتبه قال : بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت إن أخذ الله سمعك و بصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده و تركها .

و قال أيضاً : قال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره : رأيت الخضر - عليه السلام - ورضي بصحبتني و لكنني فارقت خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلّي .

و قال أيضاً : الاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين و هو بالعلماء أقبح لأن شرطهم الفناة ، و العالم الفانع يأتيه رزقه و رزق جماعة كثيرة كما و معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس و يأكل من كسبه ، فذلك له وجه لاثق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم و العمل و لم يكن له سير بالباطن ، فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرّب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنّه تفرّغ لله عزّ و جلّ ، و إعانة للمعطي على نيل الثواب .

و قال في كتاب الزهد : أرباب الأحوال قد تغلبهم حالة يقتضي أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة إلى حالهم فإن مثل هذه الأعمال بالنيّات ، و ذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا إسحاق النوري يمدّ يده و يسأل الناس في بعض المواضع ، قال : فاستعظمت ذلك واستقبحت له فأتميت الجنيّد فأخبرته بذلك فقال : لا يعظم هذا عليك ، فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم و إنما سألهم ليثيبهم في الآخرة

فيوجرون من حيث لا يضرهم .

و اشترط في صحة التوكل إذا كان الإنسان منفرداً أن يصيب يقيناً بالموت إن لم يأت رزقه ، علماً بأن رزقه الموت والجوع ، وقال : وهذا وإن كان نقصاناً في الدنيا فهو زيادة له في الآخرة ، فيرى أنه سيق إليه من خير الرازقين له وهو رزق الآخرة ، وأن هذا هو المرض الذي يموت به ، فيكون راضياً بذلك و أنه كذا قضى وقدّر فهذا يتم التوكل .
وقال : كان أبو تراب النخشي نظر إلى صوفي مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام ، فقال له : لا يصلح لك التصوف ألزم السوق . أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر على الطعام أكثر من ثلاثة أيام .

وقال : قال أبو علي الروذباري : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام : أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فإذن بدنه عياله و توكله فيما يضرّ يبدنه كتوكله في عياله ، وقال : قد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعاً عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً وملازمة البلاد والأمصا أو البوادي التي لا تخلوا عن حشيش وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس لم يعدوا تلك أسباباً لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل .

أقول : هذه أقاويل إسان خبيطة الشيطان من المس فقد فتندها مولانا الفيض - رحمه الله - كما يأتي في بابها .

وقال في كتاب الزهد : الاضطراب إن انضم إليه الزهد و تصوّر ذلك فهو من أقصى درجات الزهد .

و عدّ الزهد في ما يضطرّ إليه الإنسان إذا حصل له والكف عنه و عدم تناوله في حالة الاضطراب مع ماله من الاحتياج المبرم إلى ذلك الشيء من أعلى درجات الزهد ، وردّ عليه شيخنا الفيض وقال : الاضطراب المنضمّ إليه الزهد إن تصوّر فليس من الخصال المحمودة بل ولا من شيم العقلاء فضلاً عن أن يكون من أقصى درجات الزهد ، فإن الجائع المضطرّ إلى الخبز ، الفاقد له لو آتاه الله الخبز عفواً صفواً فتأذّى به فهرب من أخذه

عدّ من المجانين .

و قال في كتاب المراقبة والمحاسبة : إن رجلاً من العباد كلّم امرأة فلم يزل حتّى وضع يده على فخذه ، ثمّ ندم فوضع يده على النار حتّى يبت .
وقال أيضاً : كان في بني إسرائيل رجلٌ يتعبّد في صومعته فمكث كذلك زماناً طويلاً فأشرف ذات يوم ، فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمّ بها ، فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساقه ، فقال : ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم ، فلمّا أراد أن يعيد رجله إلى صومعته قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي ، لا يكون والله ذلك أبداً ، فتركها معلّقة من الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتّى تقطعت فسقطت ، فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره .

ونقل في الكتاب أيضاً عن الجنيد أنّه قال : سمعت ابن الكريبي يقول : أصابتني ليلة جنابة فاحتجّت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً أو قصيراً فحدّثتني نفسي بالتأخير حتّى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت : و اعجابه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له عليّ حقٌّ فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخّر ، آليت أن لا أغتسل إلّا في مرقعتي هذه ، وآليت أن لا أترعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس .

وقال أيضاً : يحكى عن تميم الداري أنّه نام ليلة لم يقم فيها فيتهجد ، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع .

وقال أيضاً : أنكر وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فنثف شعرات على صدره حتّى عظم ألمه ، ثم جعل يقول لنفسه : ويحك ! إنّما أريد بك الخير .

وقال أيضاً : إنّ عمر كان يضرب قدميه بالدرّة كلّ ليلة و يقول : ماذا عملت اليوم .
ونقل عن مجمع أنّه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا .

وقال في كتاب معاتبة النفس : إنّ صفوان بن سليم إذا جاء الشتاء اضطجع على

السطح ليضر به البرد ، و إذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام .
وقال أيضاً : إن عطاء السلمي مكث أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت
منه نظرة فخر مغشياً عليه فأصابه فتق في بطنه .

وقال في كتاب مراقبة النفس : قال أبو عبد الله بن خفيف : خرجت من مصر أريد
الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري الزاهد : إن في صور شاباً
و كهلاً قد اجتمعاً على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما ؛ فدخلت
صور وأنا جائع عطشان وفي وسطى خرقه وليس على كتفي شيء ، فدخلت المسجد فإذا
بشخصين قاعد بن مستقبلتي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني ، فسلمت ثانية وثالثة فلم
أسمع الجواب ، فقلت : نشدتكما بالله إلا ردتما علي السلام ، فرجع الشاب رأسه
من مرقعته فنظر إليّ وقال : يا ابن خفيف ! الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا القليل فخذ
من القليل الكثير ، يا ابن خفيف ! ما أقل شغلك حتى تنفرغ إلى لقائنا - إلى أن قال :-
فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلاً شيئاً ولا شرباً إلى
آخر ما قال .

و قال في كتاب قواعد العقائد : إنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق
مالاً يطيقونه .

و قال أيضاً : إنه يجوز على الله إيلام الخلق و تعذيبهم من غير جرم سابق .
وقال : في كتاب المحبة قيل لأبي يزيد البسطامي مرة : حدثنا عن مشاهدتك
من الله تعالى ؛ فصاح ثم قال : ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك ، قيل : فحدثنا
بأشدّ مجاهدتك لنفسك في الله تعالى ، فقال : وهذا أيضاً لا يجوز أن أطلعكم عليه . قيل :
فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : نعم ، دعوت نفسي إلى الله فجمحت عليّ
فنزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . - ثم قال :-
و يحكى عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء
إلى طلوع الفجر ، مستوفزاً على صدور قدميه ، رافعاً أخمصيه مع حقيبته عن الأرض ، ضارباً بدقنه
على صدره ، شاخصاً بعينه لا يطرف ، قال : ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال : اللهم إن

قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك ، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك ، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك ، حتى عديت سبعاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ، ثم التفت فرآني فقال : يحيى ! قلت : نعم يا سيدي ، فقال : مذمتي أنت ههنا ؟ قلت : منذ حين ، فسكت ، فقلت : يا سيدي حدثني بشيء فقال : أحدئك بما يصلح لك ، أدخلني في الفلك الأسفل ، فدورني في الملكوت السفلى ، وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه فقال : سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك ؟ فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك إياه ، فقال : أنت عبيدي حقاً ، تعبدني لأجلي صدقاً ، لا أعلن بك ولا فعلن - فذكر أشياء - قال يحيى : فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت : يا سيدي لم لا سألتك المعرفة به ، وقد قال لك ملك الملوك : سلني ما شئت ، قال : فصاح بي صيحة وقال : اسكت وبلك ، غرت عليه مني حتى لأحِبُّ أن يعرفه سواه .

أقول : و تأتي قصة خرافية أخرى له في كلام ابن الجوزي فيما ردَّ على الغزالي . وذكر في كتاب التفكير باب سكرات الموت أقاويل الصحابة والتابعين وطائفة من الصوفية عند موتهم ، وبكاء بعضهم حينذاك ، وضحك بعضهم ، ونسب إلى بعضهم السرور والابتهاج والطرب والاستبشار عند الموت وحال النزع مع أنه ذكر في باب وفاة النبي ﷺ أنه اشتدَّ في النزع كربه ، وظهر أئيمه ، وترادف قلعه ، وارتفع حنينه ، وتغير لونه ، وعرق جبينه ، واضطرب في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حزنه ، وانقلب لشدة حاله من شاهد منظره . رأى أن ذلك لاستيلاء الخوف عليه ، وقال : له بمهله ملك الموت ساعة وما أخره لحظة .

و ذكر قبله بصحيفة أن ملك الموت لقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فردَّ عليه السلام فقال : إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال : هات ، فسارمه وقال : أنا ملك الموت ، فقال : أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته عليّ فوالله ما كان في الأرض غائب أحب

إليّ أن ألقاه منك فقال ملك الموت : افض حاجتك التي خرجت لها ، فقال : مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى ، قال : فاختر على أيّ حال شئت أن أقبض روحك ؟ فقال : تقدر على ذلك ؟ فقال : نعم إنني أمرت بذلك ، قال : فدعني حتى أتوضأ و أصلي ثم أقبض روحي و أنا ساجدٌ ، فقبض روحه و هو ساجد .

أقول : هلموا معي أيّها المسلمون نسائل هذا المستخوذ عليه الشيطان عن حطّه نبيّ الاسلام عن ذروة القداسة و العظمة إلى أن نزّله عن درجة صحابته و تابعيه و طائفة من الصوفيّة هل هكذا كان نبيّنا نبيّ العظمة ، فمن أين حقّ لنا القول بأنّه أفضل خلق الله قد اختاره من بريّته واصطفاه ممّن خلق ، والله يعلم ما خلق ؟ نعوذ بالله من تسطير القول بلا تعقل .

ولا مندوحة لنا في المقام عن ذكر نصّ محاكم شيخنا الأمينيّ في «الغدير» ج ١١ ص ١٦٣ إلى ١٦٦ و ما أرفقه من كلامه قال :

قال ابن الجوزي في المنتظم ج ٩ ص ١٦٩ : أخذ في تصنيف كتاب الأحياء في القدس ثم أتمّه بدمشق إلّا أنّه وضعه على مذهب الصوفيّة وترك فيه قانون الفقه مثل أنّه : ذكر في محوالباء ومجاهدة النفس : أن رجلاً أراد محوالباه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره ، ثمّ لبس ثيابه فوقها ، ثمّ خرج يمشي على محلّ حتّى لحقوه فأخذوها منه و سمّي سارق الحمام . و ذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين فبيح ، لأنّ الفقه يحكم ببيع هذا فإنّه متى كان للحمام حافظ وسرق سارق قطع ، ثمّ لا يحلّ لمسلم أن يتعرّض بأسرياً ثمّ الناس به في حقّه .

و ذكر أن رجلاً اشترى لحماً فرأى نفسه تستحي من حمله إلى بيته فعلقه في عنقه ومشى .

وهذا في غاية القبح ، ومثله كثير ليس هذا موضعه ، و قد جمعت أغلاط الكتاب وسمّيته [إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء] و أشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمّى بتلبيس إبليس .

مثل ما ذكر في كتاب النكاح : أن عائشة قالت للنبي ﷺ : أنت الذي تزعم

أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ و هذا محالٌ - إلى أن قال - :

و ذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة و ما لا يصحُّ غير قليل ، و سبب ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف ، و إنما نقل نقل حاطب ليل . و كان قد صنف للمستظهر كتاباً في الرد على الباطنية ، و ذكر في آخر مواظب الخلفاء .

فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك بعث إلى أبي حازم : ابعث إليّ من إفطارك فبعث إليه نخالة مقلوبة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل ، ثم أفطر عليها وجامع زوجته ، فجاءت بعبد العزيز ، فلما بلغ ولد له عمر بن عبد العزيز ، وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ابن عم سليمان وهو الذي ولّاه ، فقد جعله ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً أصلاً . الخ .

و قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٥٢ : قد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء قال : كان بعض الشيوخ في بدايه إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع ، قال : و عالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذا خاف من تفرقة على الناس رعونة الجود ورياء البذل . قال : و كان بعضهم يستأجر من يشتبه على ملا من الناس ليعو نفسه الحلم . قال : و كان آخر ركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً . ثم قال :

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها ؟ و كيف ينكرها وقد أتى بهافي معرض التعليم ؟ و قال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدي فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه و صرفه في الخير ، و فرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه . و إن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد و يكلفه السؤال و المواظبة على ذلك . و إن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء و تنظيفه و كنس المواضع القذرة و ملازمة المطبخ و مواضع الدخان . و إن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم ، و إن رأى عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز ، و ليلة على الخبز دون الماء و يمنعه اللحم رأساً . فقال :

قلت : وإني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة؟ وكيف يحلّ القيام على الرأس طول الليل فيتنعكس الدم إلى وجهه و يورثه ذلك مرضاً شديداً؟ وكيف يحلّ رمي المال في البحر؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال ، وهل يحلّ سبّ مسلم بلاسبب؟ وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك؟ وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه؟ وذاك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج ، وكيف يحلّ السؤال لمن يقدر أن يكتسب؟ فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف؟ . وقال : وحكى أبو حامد : أن أبا تراب النخشي قال لمريد له : لورأت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة . فقال : قلت : وهذا فوق الجنون بدرجات .

هذه جملة من كلمات ابن الجوزي حول إحياء العلوم ، ومن أمعن النظر في أبحاث هذا الكتاب يجده أشنع مما قاله ابن الجوزي ، وحسبك ما جاء به من حلّة الغناء والملاهي و سماع صوت المغنّية الأجنبية و الرقص واللّعب بالدق و الحراب و نسبة كل ذلك إلى نبيّ القداسة رسول الله ﷺ فقال : بعد سرد جملة من الموضوعات تدعيماً لرأيه السخيف : فيدلّ هذا على أن صوت النساء غير محرّم تحريم صوت المزامير ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة ، فهذه المفاييس و النصوص تدلّ على إباحة الغناء ، و الرقص ، والضرب بالدق ، واللّعب بالدق والحراب ، و النظر إلى رقص الحبشيّة و الزنوج في أوقات السرور كلّها قياساً على يوم العيد فإنّه وقت سرور و في معناه يوم العرس ، و الوليمة ، و العقيقة ، و الختان ، و يوم القدوم من السفرو سائر أسباب الفرح ، و هو كل ما يجوز به الفرح شرعاً ، و يجوز الفرح بزيارة الإخوان و لقائهم و اجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضاً مظنة السماع . ثم ذكر سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهييجاً للمشق و تسليّة للنفس . وفصل القول في ذلك بما لا طائل تحته ، و خلط الحابل بالنابل و جمع فيه بين الفقه المزيف و بين السلوك بلا فقاهاة .

و من طامّات كتاب الإحياء ، أو من شواهد جهل مؤلفه المبير ومبلغه من الدين والورع ورأيه الساقط في اللّعن قال في ج ٣ ص ١٢١ : و على الجملة ففي لعن الأشخاص

خطر فليجتنب ، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره ، فإن قيل : هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به ؟ قلنا : هذا لم يثبت أصلاً ، فلا يجوز أن يقال : إنه قتله ، أو أمر به مالم يثبت فضلاً عن اللعنة ، لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق . ثم ذكر أحاديث في النهي عن لعن الأموات فقال :

فإن قيل : فهل يجوز أن يقال : قاتل الحسين لعنه الله ، أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا : العوَاب أن يقال : قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله . لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة ، فإن وحشيّاً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ، ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر ، فإذا لم يقبّد بالتوبة و أطلق كان فيه خطر ، وليس في السكوت خطر فهو أولى . اهـ .

فهل معي أيها القارئ الكريم إلى هذه التافهات المودوعة في غضون « إحياء العلوم » هل يراها النبي الأعظم ﷺ شيئاً حسناً ، وحلف بذلك ^(١) ؟ وهل سرّ دفاع الرجل عن إبليس اللعين أو عن جروحه يزيد الطاغية الذي أبكى عيون آل الله وعبود صلحاء أمة محمد ﷺ في ربحاته إلى الأبد ؟

وهل يحقّ لمسلم صحيح ينزّه عن النزعة الأموية الممقومة ، ويطّلع على فقه الإسلام وطقوسه ، ويعلم تاريخ الأمة ، ويعرف نفسيات أبناء بيت أمية الساقط ، ولا يجهل أولاً يتجاهل بما أمت به يد يزيد الطاغية الأثيمة ، وما نطق به ذلك الفاحش المتفحش وما أحدثه في الإسلام من الفحشاء والمنكر ، وما ثبت عنه من أفعاله وتروكه ، وما صدر عنه من بوائق وجرائم وجرائح أن يدافع عنه بمثل ما أتى به هذا المتصوّف الثرثار البعيد عن العلوم الدينية وحياتها ؟ وهو لا يبالي بما يقول ، ولا يكثر طغية ما خطته يمناء الخاطئة ، والله من ورائه حسيب ، وهو نعم الحكم العدل ، والنبي الأعظم ، ووصيه الصديق ، والشهيد السبط المفدى هم خصماء الرجل يوم يحشر للحساب مع يزيد الخموور والفجور .. ومن أحبّ حجراً حشره الله معه - وسيذوق وبال مقاله ويرى جزاء محاماته : انتهى ما نقلناه من كتاب الغدير .

(١) إشارة إلى ما يأتي من قصة أبي الحسن المعروف بابن حرزم في الصفحة الآتية .

*) (عود الى بدء)

هنا نعود إلى بقية ما أملاه شيخنا الأميني . قال :

و من أمعن النظر في كثير من أبحاث الكتاب يعطي الحق لشيوخنا المولى الفيض في حذفه منه أبواباً و كتباً و فصولاً برمتها ، و صفحة عنها ، و تهذيب الكتاب منها ، و عدم الخوض و بسط الكلام في تفنيدها ، محتجاً بأنها وليدة الأهواء الضالة ، و نسيجة الآراء المضلة ، لا يذهب إليها إلا من صُفد بسلاسل البدع و النزعات الكاسدة الفاسدة المدلهمة ، يحق للمسلم الصحيح أن يسكت عنها ، و لا يدنو منها ، و لا يحوم حولها ، و نعماً فعل ، فإتقها تعمي القلوب ، و لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . و لا يفرئك من يلهج بالثناء على « إحياء العلوم » جهلاً بما فيه ، أو ذهولاً عن معرفته ، أو ابتهاجاً لما فيه من الحكايات التي يستروح بها ، أو نزوعاً إلى حكم العاطفة ، أو غرضاً و غمضاً عن حكم العقل و الشرع و المنطق و الاعتبار ، أو تشويهاً لسمعة الاسلام المقدس بتلك المحبوكات على نول الخيال ، و بث ما فيه من الآراء و المعتقدات التي تضاد الكتاب الكريم و السنة الثابتة . قل لي : بأي كتاب أم بأية سنة يصح ما نشرته يد الافك و الاختلاق و قصص الخرافة في الذب عن كتاب سود صحيفة تاريخ مؤلفه و أبقى عليه عاراً مع الأبد ، و أثنى عليه لسان الوضع و الافتعال مما ذكره الإمام أبو الحسن المعروف بابن حرزم و كان مطاعاً في بلاد المغرب إقبته لما وقف على « إحياء العلوم » للغزالي أمر بإحراقه . وقال : هذا بدعة مخالف للسنة فأمر بإحضار ما في تلك البلاد من نسخ الإحياء ، فجمعوا و أجمعوا على إحراقها يوم الجمعة ، و كان إجماعهم يوم الخميس فلما كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن في المنام كأنه دخل من باب الجامع ، و رأى في ركن المسجد نوراً ، و إذا بالنبي ﷺ و أبي بكر و عمر جلوس و الإمام الغزالي قائم و يده « الإحياء » و قال : يا رسول الله هذا خصمي ، ثم جثا على ركبتيه و زحف عليها إلى أن وصل إلى النبي ﷺ فناولوه « كتاب الإحياء » و قال : يا رسول الله انظر فيه فإن كان فيه بدعة مخالفة لسنتك كما زعم ثبت إلى الله ، و إن كان شيئاً تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفي من خصمي ، فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقة ورقة

إلى آخره ، ثم قال : و الله إن هذا شيء حسن ، ثم ناوله أبا بكر - رضي الله عنه - فنظر فيه كذلك ، ثم قال : نعم و الذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسن ، ثم ناوله عمر - رضي الله عنه - فنظر فيه كذلك ، ثم قال كما قال أبو بكر - رضي الله عنه - فأمر رسول الله ﷺ بتجريد أبي الحسن و ضربه حد المفتري ، فجرد و ضرب ، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط ، و قال : يا رسول الله إنما فعل ذلك اجتهداً في سنتك و تعظيماً ، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك ، فلمّا استيقظ أبو الحسن من منامه و أصبح أعلم أصحابه بما جرى و مكث قريباً من الشهر متألماً من الضرب ، ثم سكن عنه الألم و مكث إلى أن مات ، و أثر السياط على ظهره و صار ينظر كتاب « الإحياء » و يعظمه و ينتحله أصلاً أصيلاً .

وفي لفظ اليافعي قال : و بقيت متوجعاً لذلك خمساً و عشرين ليلة ثم رأيت النبي ﷺ جاء و مسح عليّ و توّ بني فشفيت و نظرت في « الإحياء » ففهمته غير فهم الأول ، و ذكره السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١٣٢ : و قال : هذه حكاية صحيحة حكها جماعة من ثقات مشيختنا عن الشيخ العارف وليّ الله سيدي ياقوت الشاذلي عن شيخنا السيّد الكبير وليّ الله أبي العباس المرسي ، عن شيخة الشيخ الكبير وليّ الله أبي الحسن الشاذلي قدس الله تعالى أسرارهم .

و ذكره المولى أحمد طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٠٩ و اليافعي في مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٣٢ :

و قال السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١١٣ : كان في زماننا شخص يكره الغزالي و يذمه و يستعيبه في الديار المصرية فرأى النبي ﷺ في المنام و أبا بكر و عمر - رضي الله عنهما - بجانبه و الغزالي جالس بين يديه و هو يقول : يا رسول الله هذا يتكلم فيّ و إن النبي ﷺ قال : هاتوا السياط ، و أمر به ف ضرب لأجل الغزالي ، و قام هذا الرجل من النوم و أثر السياط على ظهره ، و لم يزل كان يبكي و يحكيه للناس ، و سنحكي منام أبي الحسن ابن حرزم المغربي المتعلّق بكتاب « الإحياء » و هو نظير هذا . انتهى

هذه الشناشن الأفتة ، و العقليّات الطائشة ، و التافهات المزخرقة ، و الأباطيل الممقوتة ، و الآراء السخيفة ، و الأفكار الضئيلة ، و الطريقة النائية عن الحقيقة .
و هذا الفقه المزيف ، و العلم المردود ، و العرفان الذميم ، و النسخ المزور على نول الزور ، و الحكم البات الباطل ، و الزهد البارد المزهود عنه ، و النسك الفارغ الخلق البالي .

كل هذه معرفة الاستبداد بالرأي ، و الصفيح عن الوسيلة المأمور باتخاذها في كتاب الله العزيز ، و عن وصية الرسول الأمين ﷺ المتكرّره ، و البعد عن آل الله و عن علومهم و حكمهم ، و هي ذنب التقاعس عن الاقتداء بهديهم ، و الأخذ منهم ، و نتاج الجموح و عدم العناية بشأنهم ، و الاخبات إليهم و الإصاخة إلى قولهم ، و جناية النزوع إلى حكم العاطفة .

هذا يحمل القول في « الإحياء » و أمّا تهذيبه « المحجّة البيضاء » و ما أدراك ما المحجّة البيضاء ، فقد وافق الاسم المسمّى ، و هو كتاب مكتنز بالفوائد ، ممتلئ من النوارد و الكلام اللطيف ، مفعم برقيق المعاني و سديد القول ، يطفح بطرائف الحديث ، و طوارف القرائح ، و مستطرفات الخواطر ، و غرر النوادر ، و درر الحكم و الآثار ، تفتح منه أبواب من العلوم الراسخة ، تدلّ على وضوح الطريق ، و ترشد إلى مهيّج السبل عند مفترقها ، و تهدي إلى سواء السبيل .

يُترأى للباحث في طي تلكم الصحائف المكرّمة طريقة معبّدة ، و حقيقة راهنة ، و فقه مستدلّ ، و حكمة بالغة ، و موعظة حسنة ، و حجة داحضة ، و رواية مع الدراية ، و نواميس من الدين ناصغة ، و دعوى مدعومة بالبرهنة .

يُترأى لكل من طالع ذلك السفر القيم نسك معقول ، و زهد غير مفتعل ، و عرفان غير منسوج ، و منهج لاجب ، و قول سديد ، و برهان قوي ، و دليل رصيف ، و رأي حصيف ، و بيان منين ، و مقال بليغ ، و كلام وزين ، و مسلك جدّد ، و من سلك الجدّد أمن العثار . و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام : من سلك الطريق الواضح ورد الماء ، و من خالف وقع في التيه .

يُترائي من المحجة البيضاء لكل من سلكها أبحاث ضافية من عظات وعبر ،
وبيّنات من صحيح الأثر ، و دروس عالية مما بهم السائر إلى الله عرفانه من المنجيات
والمهلكات .

يُترائي لمن أطل عليها واستطلعها إثارة من العلم الناجع ، وقد أتمه المؤلف
من مآثمه ، وأخذه من لسان الصدق والعدل ، من لسان كتاب الله الناطق ، والسنة
المأثورة عن أئمة بيت الوحي والرسالة والإمامة ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد
لسنة الله تحويلاً .

فخطت تلك الصحائف البيضاء يُمنى إيمان راسخ في العلم ، و هذا بتهدى ولاء إنسان
صادق في ولائه ، و نمقته يراعة حبر براها العلم الصحيح ، ونحتها من تخبر السير إلى
الله واختبره ، وعرف من أين تؤكل الكتف .

فما قلّده أنامل الفضيلة و الكرامة جيد هذا الإنسان معلّم الأخلاق من سمط
اللّثالي ، أو ما خطّه يراع العلم في صحيفة سفره مما يذكر ويُحمد ، و يقرء وينتفع به ،
أو ما سُجّل في ديوانه من معروف و قول حسن جميل ، أو ما حوته طيّات كتبه من سديد
الرأي ، و لطيف الكلام ، و جزيل المعاني ، و جودة السرد ، إلى حقائق و دقائق و رقائق
كلّها من بركة آل الله و الاغتراف من بحار فضلهم .

وما أزاحه عن جميع ما في «الإحياء» من الزلّة والعثرة إلاّ الأخذ من العترة الهادية .
وما نحاه عن كلّ تلكم السقطة والهفوة إلاّ التمسك بالعروة الوثقى و جبل
الله المتين .

و ما صانه عن مدافس التره و الشبه إلاّ الإصاغة إلى داعية الحق .
و ما دلّه على رشدّه إلاّ السير و راه هدي أهل البيت الطاهر ، و هذا هو الفارق
الوحيد بين الكتّابين : «الإحياء» و «تهذيبه» . و كذلك بين كلّ كتاب و كتاب ، و صحيفة
وصحيفة ، و مقال ومقال ، و الحمد لله أولاً و آخرأ .

انتهى ما أملاه شيخنا الأجلّ اسوتنا و قدوتنا في المذهب مولانا الأميني حيّاه الله
و يّاه .

المؤلف

محمد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود ، المدعو "بالمولى محسن القاشاني ، المعروف بالفيض أحد نوابغ العلم في القرن الحادي عشر ، كان نشؤه في بلدة قم المشرفة ، فانتقل إلى قاشان ، ثم ارتحل إلى شیراز بعد ما سمع بورود السيد ماجد بن علي " البحراني (١) تلك البلدة لئلاخذ من منهل علومه ، ومن المولى صدرالدين الشيرازي وتخرج عليهما وتزوج ابنة المولى الصدر المعظم ، ثم غادرها إلى قاشان (٢) و كان هنالك مرجعاً فذاً لايد له إلى أن توفي بها سنة ١٠٩١ هـ وهو ابن أربع وثمانين (٣) ، و دفن هناك و قبره مشهور يزار .

جمل الثناء عليه

إطباق العلماء على فضله و تقدّمه و براعته في العلوم يغنيننا عن سرد جمل الثناء عليه و تسطير الكلم في إطرائه .

قال المحدث المتبحر الشيخ الحر العاملي : " محمد بن المرتضى المدعو " بمحسن الكاشاني كان فاضلاً ، عالماً ، ماهراً ، حكيماً ، متكّماً . محدثاً ، فقيهاً ، محققاً ، شاعراً ، أدبياً ، حسن التصنيف من المعاصرين ، له كتب - ثم عدّ بعضاً من كتبها ثم قال : - قد ذكره السيد علي " بن ميرزا أحمد في السلافة و أثنى عليه ثناءً بليغاً (٤) .

و قال الرجالي الكبير محمد بن علي " الأردبيلي : " محسن بن المرتضى - رحمه الله -

(١) هو السيد ماجد بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد ابو علي الحسيني البحراني من أجل فضلاء البحرين وادبائها كان أوحده زمانه في العلوم وأحفظ أهل عصره و هو أول من نشر الحديث في دار العلم شیراز المحروسة . قال الشيخ سليمان الماحوزي في الفصل الذي ألحقه بالبلغة في ذكر علماء البحرين : السيد العلامة الفهامة - الي أن قال - تلمذ عليه أعيان العلماء مثل مولانا العلامة محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي . راجع ترجمته أمل الامل ص ٤٩٣ سلافة العصر ص ٥٠٠ ، خلاصة الاثر ج ٣ ص ٣٠٧ للمولى محمد المحبي . مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٢) راجع لؤلؤة البحرين ص ١٣٢ .

(٣) المستدرك ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٤) أمل الامل ص ٥٠٧ من طبعه الملحق بمنهج المقال .

العلامة المحقق المدقق جليل القدر ، عظيم الشأن ، رفيع المنزلة فاضل كامل ، أدب متبحر في جميع العلوم ^(١) .

و قال السيد نعمة الله الجزائري الشوشري كان أستاذنا المحقق المولى محمد محسن القاشاني صاحب الوافي وغيره مما يقرب ماثني كتاب ورسالة ^(٢) .

و قال الشيخ يوسف البحراني : المحدث القاشاني كان فاضلاً ، محدثاً ، أخبارياً صلباً ^(٣) .

و قال السيد محمد شفيع الحسيني في الروضة البهية في ترجمته : إنه صرف عمره الشريف في ترويض الآثار المروية ، و العلوم الإلهية ، و كلماته في كل باب في غاية التهذيب والمتانة وله مصنفات كثيرة .

و أثنى عليه صاحب الروضات بقوله : أمره في الفضل و الفهم و النبالة في الفروع و الأصول و كثرة التأليف مع جودة التعبير و الترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد ^(٤) .

و قال المحدث النوري : من مشايخ العلامة المجلسي العالم الفاضل المتبحر المحدث العارف الحكيم المولى محسن بن الشام مرتضى بن الشام محمود المشتهر بالفيض الكاشاني ^(٥) .

و قال المحدث القمّي بعد عنوانه نحواً مما مر : أمره في الفضل و الأدب ، و طول الباع و كثرة الاطلاع ، و جودة التعبير ، و حسن التحرير ، و الإحاطة بمراتب المعقول و المنقول أشهر من أن يخفى ^(٦) .

و قال العلامة الأميني في الغدير ج ١١ ص ٣٦٢ في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف : هو ابن المحقق الفيض علم الفقه ، و رواية الحديث ، و منار الفلسفة ، و معدن العرفان ، و طود الأخلاق ، و عباب العلوم و المعارف ، هو ابن ذلك الغدّ الذي قلّ ما أنتج شكل

(١) جامع الرواة ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) كذا في زهر الربيع ص ١٦٤ طبع طهران حسب ارقمناه

(٣) لؤلؤة البحرين ص ١٣٣ .

(٤) الروضات ص ٥١٦ .

(٥) خاتمة المستدرک ص ٤٢٠ . (٦) الكنى واللقاب .

الدَّهر بمثيله ، وعقمت الأيام عن أن تأتي بمشبهه .
و أوردته البحّانة ، الأستاذ (مرتضى المدرّسي جهاردهي) المدرّس في دار المعلمين
العالية بجامعة طهران في كتابه المسمّى بطبقات المفسّرين و أطراء وعظمه و بجّله
بكلام يعجبني ذكره قال :

كان الفيض - رحمه الله - من كبار علماء الإماميّة الذين كانت لهم عناية بالغة
بالقرآن و الحديث ، له مسلك خاصّ في التفسير جمع بين الطريقة و الشريعة .
ألّف في الحقائق القرآنيّة التي أسست على أصول الفطرة ، والحكمة العالية التي
تنطبق على نوااميس الطبيعة ، والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة و العقل تفسيريّه :
الصابي ، و الأصفي .

ونقل في كتابه « المحجّة البيضاء » الذي ألّفه في تهذيب إحياء العلوم أخباراً كثيرة
عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في علم الأخلاق و علم النفس و أدبها بوجه رائق ، والحقّ
أنّه تفسير للقرآن و شرح لأحداث الإماميّة ، وهو يبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليلياً عن
عقائد الغزالي وآرائه ثمّ شرع في تقدّمها وتهذيبها معتمداً في كلّ ذلك على الكتاب و السنة .
واستشهد في آرائه في جميع تأليفه بالقرآن و الحديث الصادر عن أهل بيت الوحي .
وإذا قسنا بينه و بين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم و الأخبار الصادرة
عن منبع الوحي نرى تقدّمه الباهر على الغزالي مع ما كان له من الشهرة العالمية واشتهار
الفيض في جامعة الشيعة فحسب .

ولو أنّ الدعايات المبنوثة حول الغزالي في العالم بنّت حول الفيض لظهر عبقرية
و علم المحقّقون من أعلام الغرب مبلغ عظمتهم العلميّة و توجّهوا نحو آرائه القيّمة و عقائده
الحقّة في علم التفسير و الحديث من ناحية الأخلاق و علم النفس و أدبها . انتهى

﴿ مشايخه و الراوون عنه ﴾

روى عن جمع من الفطاحل و جماعة من الأعلام منهم :

- ١ - الشيخ البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي .
- ٢ - المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثمّ النجفي ثمّ القمي .

- ٣ - المولى خليل الغازي القزويني شارح الكافي .
- ٤ - الشيخ محمد بن الشيخ الحسن بن الشهيد الثاني .
- ٥ - المولى محمد صالح شارح الكافي .
- ٦ - السيد الجليل النزيل السيد ماجد بن السيد هاشم الحسيني البحراني .
- ٧ - الحكيم المتأله الفاضل محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بمولى صدرا .
- ٨ - أبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود .
- و يروي عنه جماعة من الأعاظم منهم .
- ١ - العلامة المجلسي .. محمد باقر بن محمد تقي صاحب بحار الأنوار .
- ٢ - السيد نعمه الله الجزائري الشوشتری .
- ٣ - القاضي سعيد القمي .
- ٤ - ولده الزكي المعروف بعلم الهدى .

﴿ تأليفه القيمة وآثاره الثمينة ﴾

- قال الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني بعد ترجمته و الثناء عليه : له تصانيف أفرد لها فهرساً عليحدة ونحن ننقل ذلك عنه ملخصاً (١).
- ١ - الصافي في تفسير القرآن يقرب من سبعين ألف بيت ، فرغ من تأليفه في سنة خمس وسبعين بعد الألف (٢) .
 - ٢ - الأصفى منتخب منه ، أحد وعشرين ألف بيت تقريباً .
 - ٣ - الوا في خمسة عشر جزءاً كل منها كتاب برأسه ، يقرب مجموعه من مائة وخمسين ألف بيت ، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة ثمان وستين بعد الألف .
 - ٤ - الشافي ، وهو منتخب من الوا في ، في جزأين جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق ، وجزء هومن قبيل الشرائع والأحكام ، في كل منها اثنا عشر كتاباً ، يقرب من ستة وعشرين ألف بيت ، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين و ثمانين بعد الألف .

(١) راجع لؤلؤة البحرين ص ١٢٥ .

(٢) طبع مرارة عدة بطهران .

- ٥ - النوادر ، في جمع الأحاديث الغير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت [طبع أخيراً بطهران بعناية مدير مكتبة «الشمس»].
- ٦ - معتصم الشيعة ، في أحكام الشريعة ، قد خرج منه كتاب الصلاة ومقدماتها ، مجلد يقرب من أربعة عشر ألف بيت ، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وأربعين بعد ألف.
- ٧ - النخبة ، يشتمل على خلاصة أبواب الفقه في ثلاثة آلاف بيت وثلاثمائة تقريباً في سنة خمسين بعد ألف .
- ٨ - التطهير ، وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق يقرب من خمس مائة بيت .
- ٩ - علم اليقين في أصول الدين ، أربعة عشر ألف بيت وخمس مائة تقريباً ، في سنة اثنتين وأربعين بعد ألف .
- ١٠ - المعارف ، وهو ملخص من كتاب علم اليقين ولبابه ، في ستة آلاف بيت تقريباً في سنة ست وثلاثين بعد ألف .
- ١١ - أصول المعارف ، وهو ملخص مهمات عين اليقين ، يقرب من أربعة آلاف بيت ، وقد صنف في سنة تسع وثمانين بعد ألف .
- ١٢ - المحجة البيضاء ، في إحياء الأحياء ، ومجموعه ثلاثة وسبعون ألف بيت تقريباً ، وقع الفراغ منه في سنة ست وأربعين بعد ألف . [أقول : كأنه مصحف والصحيح مهذيب الأحياء كما في الأصل] .
- ١٣ - الحقائق في أسرار الدين ، ملخص كتاب المحجة ولبابه في سبعة آلاف بيت في سنة تسعين وألف .
- ١٤ - قرّة العيون ، ثلاثة آلاف وخمس مائة بيت في سنة ثمان وثلاثين وألف .
- ١٥ - الكلمات المكنونة في بيان التوحيد ، في ثمان مائة بيت ، صنف في سنة ألف وتسعين .
- ١٦ - جلاء العيون في بيان أذكار القلب ، في مائتي بيت .
- ١٧ - شريح العالم ، في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكييفيته وحركات الأفلak والعناصر وأنواع البسائط والمركبات ، في ثلاثة آلاف بيت .
- ١٨ - أنوار الحكمة ، وهو مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكمية اختصت

- به ، تقرب من ستة آلاف بيت ، في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف .
- ١٩ - اللباب ، و هو لباب القول في الإشارة إلى كيفية علم الله سبحانه بالأشياء ما تتي بيت .
- ٢٠ - اللب ، و هو لبّ القول في معنى حدوث العالم ، في ثلاث مائة وسبعين بيت .
- ٢١ - ميزان القيامة ، ذكر فيه تحقيق القول في كيفية ميزان يوم القيامة ، يقرب من ست مائة بيت في سنة أربعين بعد الألف .
- ٢٢ - مرآة الآخرة ، تنكشف فيه حقيقة الجنة والنار ووجودهما الآن ومحلهما من الدنيا ، في تسع مائة بيت ، وقد صنّف في أربع وأربعين بعد الألف .
- ٢٣ - ضياء القلب ، في تحقيق حقيقة أحكام الخمسة التي تحكم على الإنسان في باطنه ، يقرب من خمس مائة بيت ، في سنة سبع وخمسين بعد الألف .
- ٢٤ - تنوير المذاهب ، و هو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي ، الموسوم بالمواهب ، يقرب من ثلاثة آلاف بيت .
- ٢٥ - شرح الصحيفة السجادية ، شرح منها ما لعلّه يحتاج إلى الشرح بإيجاز واختصار ، يقرب من ثلاثة آلاف بيت وثلاث مائة .
- ٢٦ - سفينة النجاة في أن مأخذ الأحكام الشرعية ، ليس إلا محكمات الكتاب والسنة ، يقرب من ألف وخمس مائة بيت وقد صنّف في سنة ثمان وخمسين بعد الألف .
- ٢٧ - الرسالة الموسومة بالحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين يقرب من مائتين وخمسين بيتاً ، وقد صنّف سنة ثمان وستين بعد الألف .
- ٢٨ - الأصول الأصلية ، يشتمل على عشرة أصول مستفادة من الكتاب و السنة يقرب من الألف وثمان بيت ، في سنة أربعة وأربعين بعد الألف .
- ٢٩ - تسهيل السيل في الحجة في انتخاب كشف المحجّة ، للسيّد بن طاووس العلوي ، يقرب من تسع مائة بيت ، في سنة أربعين بعد الألف .
- ٣٠ - نقد الأصول الفقهية يشتمل على خلاصة علم أصول الفقه ، صنّف في عنفوان الشباب و هو أوّل تصنيف له ، يقرب من ألفين وثلاث مائة بيت .

- ٣١ - اصول العقائد في تحقيق الاصول الخمسة الدينية ، يقرب من ثمان مائة بيت ، في سنة ست وثلاثين بعد الألف .
- ٣٢ - منهاج النجاة ، في بيان العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم ، و يقرب من ألفي بيت صنّف سنة اثنتين و أربعين بعد الألف .
- ٣٣ - خلاصة الأذكار يقرب من ألفي بيت و ثلاث مائة بيت ، و قد صنّف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف .
- ٣٤ - ذريعة الفراغة في جميع الأدعية المتضمنة للمناجاة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام ، يقرب من خمس مائة آلاف بيت ، و قد صنّف في سنة نيّف وخمسين بعد الألف .
- ٣٥ - مختصر الأوراد ، يشتمل على الأذكار والدعوات المتكررة في اليوم و الليلة والاسبوع والسنة ، يقرب على خمسمائة آلاف وخمسمائة بيت ، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستين و ألف .
- ٣٦ - أهم ما يعمل ، يشتمل على مهمّات ماورد في الشريعة المطهرة من العمل بها ، يقرب من خمسمائة بيت .
- ٣٧ - الخطب يشتمل على مائة خطبة و نيّف لجمعات السنة والعديد ، يقرب من أربعة آلاف بيت ، و قد تمّ جمعه في سنة سبع وستين بعد الألف .
- ٣٨ - شهاب الثاقب في تحقيق عينية وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة ، صنّف في سنة سبع وخمسين و ألف .
- ٣٩ - أبواب الجنان ، في بيان وجوب صلاة الجمعة و شرائطها و آدابها و أحكامها بالفارسية لعامة الناس في خمسمائة بيت ، و صنّف في سنة خمس وخمسين و ألف .
- ٤٠ - ترجمة الصلاة ، يترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسية في أربعمائة وخمسين بيتاً تقريباً ، صنّف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف .
- ٤١ - مفاتيح الخير ، ممّا يتعلّق بفقه الصلاة ولو احقها بالفارسية ، يقرب من مائتين وخمسين بيتاً .
- ٤٢ - ترجمة الطهارة وفقها وما يتعلّق بها بالفارسية في مائتين وثمانين بيتاً .

- ٤٣ - أذكار الطهارة ، من الأذكار المتعلقة بها ، في خمسين بيتاً .
- ٤٤ - ترجمة الزكاة بالفارسية ، في مائتين وستين بيتاً .
- ٤٥ - ترجمة الصيام ، و هو مثل ترجمة الزكاة ، يقرب من ثلاث مائة بيت .
- ٤٦ - ترجمة العقائد بالفارسية .
- ٤٧ - الرسالة الموسومة بالسائح الغيبي في تحقيق معنى الإيمان والكفر ومراعاتيهما .
- ٤٨ - الرسالة الموسومة براه صواب يذكر فيها بالفارسية سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب و انبعاثهم على تدوين الأصولين ، و تحقيق معنى الإجماع في خمسمائة بيت صنّف في سنة نيّف وأربعين وألف .
- ٤٩ - الرسالة الموسومة بشرائط الإيمان و هو منتخب من رأه صواب .
- ٥٠ - كتاب ترجمة الشريعة بالفارسية ، فيه معنى الشريعة و فائدتها و كيفية سلوكها و بيان أقسام كلّ من الحسنات والسيئات .
- ٥١ - الأذكار المهمة ، مختصر من خلاصة الأذكار فارسيّ في ثلاث مائة وأربعين بيتاً .
- ٥٢ - الرفع والدفع ، في رفع الآفات و دفع البليّات بالقرآن و الدّعاء و العوذ والرقى والدّواء ، فارسيّ في أربعمائة وعشرين بيتاً .
- ٥٣ - الرسالة الموسومة بآئينة شاهي ، وهو منتخب من ضياء القلب ، فارسيّ ، تقرب من ثلاث مائة بيت ، في سنة ستّ وستين وألف .
- ٥٤ - الرسالة الموسومة بوصف الخيل ، و ذكر ماورد من اتّخاذ الخيل و معرفتها وعلاماتها من الأئمة المعصومين عليهم السلام ، فارسيّة ، تقرب من مائتي بيت ، قد صنّف في سنة سبع و ستين و ألف .
- ٥٥ - الرسالة الموسومة بزاد السالك ، يذكر فيها كيفية سلوك طريق الحقّ و شروطه و آدابه [طبع بعناية الأستاذ الشريف السيّد جلال الدين المعروف بمحدث] .
- ٥٦ - الرسالة الموسومة بالنخبة الصغرى تشتمل على لباب فقه الطهارة و الصلاة والصيام ، في لفظه متعلقات النخبة الصغرى وفيها تفصيل ما أجهلته و تبين ما أجهلته .
- ٥٧ - الرسالة الموسومة بالضوابط الخمس في أحكام الشكّ و السهو والنسيان في الصلاة .

- ٥٨ - الرسالة الموسومة بحرمان الأموات تشتمل على أمهات المسائل الشرعية المتعلقة بالجنائز .
- ٥٩ - رسالة في بيان أخذ الأجرة على العبادات و التغاير الدينية ، تقرب من مائة وخمسين بيتاً .
- ٦٠ - رسالة في تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج و ما يتعلق بذلك إلى مائة و ثمانين بيتاً .
- ٦١ - الرسالة الموسومة بغنية الأنام في معرفة الأيَّام و الساعات ، ممّا هو مستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام .
- ٦٢ - الرسالة الموسومة بمعيار الساعات ، و هو غريبة من الغنية ، إلّا أنّها بالفارسية .
- ٦٣ - الرسالة الموسومة بالأحجار الشداد و السيوف الحداد في إبطال الجواهر الافراد .
- ٦٤ - الرسالة الموسومة بالمحاكمة ، تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقية في الدين .
- ٦٥ - الرسالة الموسومة برفع الفتنة في بيان حقيقة العلم و العلماء ، وشيء من معنى الزهد و العبادة وأصحابها .
- ٦٦ - فهرست العلوم شرحت فيها أنواعها وأصنافها .
- ٦٧ - رسالة في أجوبة مكتوبات و سؤالهنّ منتزعات من كتب العلماء و أهل المعرفة وأشعارهم .
- ٦٨ - الرسالة الموسومة بشرح الصور تشتمل على مجمل ماضى من الحالات والنوائب في أيام عمري من طعني وإقامتي واستفادتي وإفادتي ومكلامي ومقاماتي وخمولي وشهرتي وخلوتي وصحبتي ومفارقة إخواني المحبوبين و مخالطة أصحابي المكرمين ، وهي نقشة من نفثاتي ، وقد صنفت في خمس وستين و ألف .
- أقول : إلى هنا منقول من لؤلؤة البحرين النسخة المطبوعة ولا يخفى ما فيه من الاشتباه والتصحيف والسقط والخلط .

- و ذكر العالم المتبحر الخبير الشيخ محمد علي المدرّس التبريزي في ريحانة الأدب ج ٣ ص ٢٤٢ له كتب أخرى وهي :
- ٦٩ - آبزلال ، مثنوي ، يخاطب به نفسه في شطروريته الأعلّى في شطر آخر ، فارسي .
- ٧٠ - الأربعون حديثاً في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٧١ - ألفت نامه في ترغيب المؤمنين إلى الأئمة والاتحاد ، فارسيّة .
- ٧٢ - الأمالى .
- ٧٣ - رسالة الانصاف في طريق العلم بأسرار الدين .
- ٧٤ - انموذج أشعار أهل العرفان يحوي سبعين غزلاً في التوحيد ، فارسي .
- ٧٥ - بشارة الشيعة .
- ٧٦ - كتاب التوحيد .
- ٧٧ - ثناء المعصومين .
- ٧٨ - الجبر والاختيار .
- ٧٩ - الكلمات المخزونة مختصر من الكلمات المكنونة .
- ٨٠ - حاشية على رواشح السماوية لميرالدّاماد .
- ٨١ - حاشية على صحيفة السجّادية .
- ٨٢ - ديوان شعره [طبع أخيراً في طهران بعناية مدير مكتبة « الشمس »] .
- ٨٣ - شوق الجمال وشوق العشق وشوق المهدي كلّها من منظوماته .
- ٨٤ - فهرست مصنفاته [كما عرفت سابقاً] .
- ٨٥ - كلزار قدس [طبع مع ديوانه] .
- ٨٦ - المصفى في تفسير القرآن [أقول : ولم يثبت وفيه كلام] .
- ٨٧ - مثنويات يسمي تسنيم و سلسبيل و ندبة العارف و ندبة المستغيث إلى غير ذلك .
- ٨٨ - مفاتيح الشرايع في الفقه . ٨٩ - عين اليقين .
- قال في اللؤلؤة : و قد انتقل من بلدة كاشان إلى شيراز للحصول على يد السيد
ماجد البحراني والمولى صدر الدين الشيرازي .

حكى السيد السعيد السيد نعمة الله الجزائري الشوشري - رحمه الله - قال :
كان أستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي وغيره مما يقارب مائتي كتاب
ورسالة ، وكان نشؤه في بلدة قم فسمع بقدوم الشيخ الأجل المحقق المندقق الإمام
الهمام السيد ماجد البحراني الصادقي إلى شيراز ، فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم منه ،
فتردد والده في الرخصة له ثم بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة فلما فتح القرآن
جاءت الآية « فلو لانفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقوها في الدين ولينذروا قومهم إذا
رجعوا إليهم لعلمهم يحذرون » ولا آية أصرح وأنص وأدل على هذا المطلب مثلها ، ثم
تفأل بعد بالديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت الآيات هكذا :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى	و سافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة	و علم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل ومحنة	وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من معاشه	بدار هوان بين واثق وحاسد

وهذه أيضاً أنسب بالمطلوب ولا سيما قوله : « وصحبة ماجد » فسافر إلى شيراز وأخذ
عنه العلوم الشرعية وقرأ العلوم العقلية على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازي
وتزوج بابنته .
علي أكبر الغفاري

(تذكرة)

قوبل هذا المجلد على ثلاث نسخ نفيسة ثمينة :

- ١ - نسخة مصححة جداً موشحة بالحواشي والتعليق للسيد الشريف المحقق
السيد محمد علي الروضاني دامت فيوضاته ، إليك صورتها الفتوغرافية تحت رقم ١ .
- ٢ - نسخة مصححة لخزانة كتب الجبر العلم النسابة ، سماحة آية الله ، السيد
شهاب الدين النجفي المرعشي دام ظله العالي ، راجع صورتها الفتوغرافية تحت رقم ٢ .
- ٣ - نسخة نفيسة لمكتبة الأستاذ مرتضى المدرسي چهار دهي ، وإليك صورتها
الفتوغرافية تحت رقم ٣ .

و سنورد خصوصيات تلك النسخ كلها في المجلد الآخر إن شاء الله .

لعلهم يحفظوا ما جعل في كتاب الرزاق
لقد قدما في الفقه فخر في التوجه
الامور في فضل ما يتوجه اليه بكل شرف
عبر من اضرع في ما به من الفاضل
الترجمة من الرزاق ما جعل
من الناس

نظري في هذا المقام غير واضح
والله اعلم بالصواب
في هذا الحديث ان اذن الفقير
على امر وهو الصواب
في هذا الحديث ان اذن الفقير
على امر وهو الصواب
في هذا الحديث ان اذن الفقير
على امر وهو الصواب

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

واستعملهم الطغيان فاصبح كل واحد منهم بما حوّل من صفاته يعرف منكراً والمكرم من فاضل
 علم الدين منذراً وناو الهدى في اقطار الارض منطلياً ولقد خيلوا الى الخلق الاعم الفترى جلوده بسبع
 بها القفا على عضل الخصام عند تهاوش الطعام او جلد يتدرع برطاب الجباهات الى الغلبة والافحام
 او يصح من حرفه ويسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للعوام عجيبة
 الحرام وشبكة الظلم فاما علم طريق الآخرة وادرج عليه السلف الصالح ما سماه الله سبحانه في كتابه فتها وحكمة
 على واضحا ووفيرا وهذا يدور شدا فقد اصبح من بين الخلق مغلوبا وصار غنيا منقيا فالهنا لان هذا السلف
 الدين ملأ وخطباء له اذ ابتلا لا شغل به في هذا الكتاب فيما احيا العلوم الدين وكشفها عن ما في الائمة
 المتقدمين واصطاحا هي العلوم النافعة عند التبيين والسلف الصالحين اقول ولهذا السبب يصيب مع كثرة
 من الامور اشتغلت به في كتابه واحيا احيائه احيا العلوم الدين بمجوه اخرى وكشفها عن ما في الائمة
 بهدلية ارفع واعلى يستعين بالبحر الصبا في تهنيد الاحياء وان شئت قلت واحيا الاحياء وقربت بال
 الى اقدس بها نفع سالساكين وجعله الى الطريق ذكر اليوم الدين ووقفوا للعوام واشركوا في اجر ما افر
 الصالحين غنمهم امين قال ابو حامد رحمه الله ولقد استند على اربعة اركان ومع الصلوات ومع
 وروح النجيات وصلة الجلة بكتاب العلم لانه نهاية المهمل لاكتشاف اعين العلم الذي يقبده الله عز وجل الايات
 طلبه على لسان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ قال طلب العلم فزنته على كل مسلم ومسلمة واقرن به العلم
 النافع من الضار اذ قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يرفع راسه من العلم الا يرفع راسه من الضار والعلو
 السراب واقناعهم من العلوم بالقصر عن اللباب فاما ربيع الصلوات فبشتم على من كتب كتاب العلم كتابا
 فوعد الصلوات كتابا لغيره العلم لغيره كتابا لغيره العلم لغيره كتابا لغيره العلم لغيره كتابا لغيره

الح

هَذَا كِتَابُ مَجْمُوعِ الْبَصَائِفِ فِي جَاءِ الْأَحْيَاءِ مِنْ بَصَائِفِ مَوْلَانَا
 مُحَمَّدٍ عَمَّنْ الْكَاتِبُ غُلَامُ بَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُنْجِ الْعِبَادَاتِ

أحمد الله تعالى وأحمد أئمة الكثرة وأئمة المتواليين وإن كان دون حق جلالة حمد الحامدين وأصطفى
 على رسوله وأوصينا رسولنا نبيا صلوة تستغرق مع سيد المرسلين أئمة المعصومين
 سيدي الزينيين واستخيره بحاجته ثانيا فيما انبعث له عرني من تحرير كتاب في تهذيب إحياء
 علوم الدين من تصانيف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله سره فإنه وإن اشتهر في
 الأقطار اشتهار الشمس في رابعة النهار واشتغل من العلوم الدينية المهمة النافعة في الآخرة على ما
 يكن التوصل به إلى الفوز بالعبادات الفاضلة مع حسن البيان والتحريض وبجودة الترتيب والتقرير الآن إياها
 حادثة لما كان حين تصنيفه حاشي المذهب لم يشيع بعده وإنما رزقه الله هذه المساعدة في أوّل عمره كما
 أظهر في كتابه ليس في سائر العامين وشهد به ابن جوزي الخليل كان قد فاته بيان ركن عظيم من الأديان
 وهو معرفة الأئمة المعصومين الذين جاشت الوصية بهمك بهم وبالقراء من سيد الانس و
 الخلق صلوات الله عليهم وعديهم وكان كثير من طلابه خصوصا في فن إحياء آت منها مبتدئا على
 أصول حياتية فاستدعى مبتدعات لاهل اليهود الكاسد وكان أكثر الأخبار المروية فيه سندة

﴿ مصادر التعليق والتصحيح في هذا المجلد ﴾

- ١ - الاتقان للسيوطي .
- ٢ - الاحتجاج للطبرسي .
- ٣ - احياء علوم الدين للفرالي .
- ٤ - الاختصاص للشيخ المفيد الطبعة الاولى .
- ٥ - الارشاد > ط ١٣٧٧ .
- ٦ - ارشاد الساري للقسطلاني .
- ٧ - الاستبصار للشيخ الطوسي ط النجف .
- ٨ - الاستغاثة لاحد بن موسى القمي .
- ٩ - الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الاصابة .
- ١٠ - اسد الغابة لابن أثير الجزري .
- ١١ - أسرار الصلاة للشهيد الثاني .
- ١٢ - الاصابة لابن حجر العسقلاني ط ١٣٥٩ .
- ١٣ - اعتقادات الصدوق .
- ١٤ - اعلام النوري بأعلام الهدى للطبرسي ط ١٣٧٩ .
- ١٥ - الامالي للشيخ الصدوق .
- ١٦ - الامالي للشيخ الطوسي .
- ١٧ - الامالي للشيخ المفيد .
- ١٨ - الامامة والسياسة لابن قتيبة ط ١٣٧٧ .
- ١٩ - الانساب للبلاذري .
- ٢٠ - بحار الانوار للمجلسي .
- ٢١ - بصائر الدوحات للصفار الطبع الحجري
- ٢٢ - البيان والتمريف لابن حمزة الحسيني ط الحلبي .
- ٢٣ - التاج الجامع الاصول .
- ٢٤ - تاريخ الخطيب طبع مصر .
- ٢٥ - تاريخ الخلفاء للسيوطي .
- ٢٦ - تاريخ النعمي .
- ٢٧ - تحف العقول لابن شعبة ط ١٣٧٦ .
- ٢٨ - التذكرة لسبط ابن جوزي الطبع الحجري
- ٢٩ - الترغيب والترهيب للمنذرى ط ١٣٧٣
- ٣٠ - تفسير ابن كثير .
- ٣١ - تفسير علي بن ابراهيم القمي ط ١٣١٣ .
- ٣٢ - التفسير الكبير لفخر الدين الرازي .
- ٣٣ - التوحيد للصدوق ط ١٣٢١ .
- ٣٤ - تفسير الانوار للبيضاوي .
- ٣٥ - التهذيب للشيخ الطوسي ط ١٣١٧ .
- ٣٦ - تيسير الوصول لابن الديبع الدمشقي .
- ٣٧ - ثواب الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
- ٣٨ - جامع الاخبار .
- ٣٩ - جامع الرواة للاردبيلي .
- ٤٠ - الجامع الصغير للسيوطي .
- ٤١ - الجعفریات والاشعثيات الطبع الحجري .
- ٤٢ - حلية الاولياء لابي نعيم .

- ٤٣ - الخصال للصدوق الطبعة الاولى .
 ٤٤ - الخصائص للنسائي طبع النجف .
 ٤٥ - الدر المنثور للسيوطي .
 ٤٦ - رجال النجاشي .
 ٤٧ - الرسالة النهمية (طلب الرضا عليه السلام) .
 ٤٨ - الرسالة المهرجية لابن سينا .
 ٤٩ - روضات الجنات للخوانساري الطبعة الثانية .
 ٥٠ - روضة الواعظين للفتال النيشابوري .
 ٥١ - السرائر لابن ادريس .
 ٥٢ - سر العالمين .
 ٥٣ - سفينة البحار للمحدث القمي .
 ٥٤ - السنن الكبرى لابي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
 ٥٥ - السنن لابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .
 ٥٦ - السنن لابي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني .
 ٥٧ - السنن لابي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الدارمي .
 ٥٨ - السنن لسليمان بن الاشعث السجستاني .
 ٥٩ - السيرة النبوية لابن هشام .
 ٦٠ - الشافي للسيد الشريف المرتضى .
 ٦١ - شرح احياء العلوم للزيندي .
 ٦٢ - شرح التجريد للقوشجي .
 ٦٣ - شرح النهج لابن أبي الحديد .
 ٦٤ - شرح النهج لابن ميثم البحراني .
 ٦٥ - الصحاح للجوهري .
 ٦٦ - الصحيح لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري .
 ٦٧ - الصحيح لابن عيسى محمد بن عيسى الترمذي الطبعة الاولى .
 ٦٨ - الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري طبع محمد علي صبيح .
 ٦٩ - صحيفة الرضا عليه السلام .
 ٧٠ - الصواعق المعركة للبهيتي .
 ٧١ - طبقات لابن سعد طبع ليدن .
 ٧٢ - الطرائف لابن طاووس .
 ٧٣ - عدة الداعي لابن فهد الحلبي .
 ٧٤ - عقاب الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
 ٧٥ - غل الشرايع للصدوق ط ١٣١١ .
 ٧٦ - علم اليقين للمؤلف (الفيض) .
 ٧٧ - عيون اخبار الرضا عليه السلام للصدوق .
 ٧٨ - عيون الاخبار لابن القتيبة .
 ٧٩ - الغدير للعلامة الاميني طبع طهران .
 ٨٠ - الغيبة للنعماني .
 ٨١ - الفقيه (من لا يحضره الفقيه) ط ١٣٧٦ .
 ٨٢ - الفهرست للشيخ الطوسي .
 ٨٣ - قاموس المحيط للفيروز آبادي .
 ٨٤ - قرب الاسناد للعبدي طبع الحجري .
 ٨٥ - الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه للسيد جواد المصطفوي .
 ٨٦ - الكافي للكليني طبع الحروفى الحديث .
 ٨٧ - الكافي الشاف للمقلاني بهامش الكشف .

- ٨٨ - الكشف للزمخشري .
 ٨٩ - كشف المحجة لثمرة المهجة لابن طاووس .
 ٩٠ - كمال الدين للشيخ الصدوق .
 ٩١ - كنز العمال لعلي متقي .
 ٩٢ - كنز الفوائد للكرجكي .
 ٩٣ - كنوز الحقائق لعبد الرؤوف المناوي .
 ٩٤ - الكنى والالقب للمحدث القمي .
 ٩٥ - المجازات النبوية للشريف الرضي .
 ٩٦ - مجمع البيان للطبرسي .
 ٩٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثي .
 ٩٨ - المحاسن لاحمد بن محمد بن خالد البرقي .
 ٩٩ - المختصر (مختصر بيان العلم) لاحمد عمر المحمدي البيروني طبع مصر .
 ١٠٠ - مرآة العقول للمجلسي .
 ١٠١ - مرصع الاطلاع لعبد المؤمن البغدادي .
 ١٠٢ - مروج الذهب للمسعودي الطبعة الثالثة .
 ١٠٣ - المستدرک لابن البيع الحاكم النيشابوري .
 ١٠٤ - مستدرک الوسائل للنوري .
 ١٠٥ - المسند لابي عوانة .
 ١٠٦ - المسند لابي عبدالله احمد بن حنبل .
 ١٠٧ - المسند لابي داود الطيالسي .
 ١٠٨ - مشكاة المصابيح لولي الدين محمد ابن عبدالله الخطيب التبريزي .
 ١٠٩ - مصابيح السنة لابي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي .
 ١١٠ - مصباح الشريعة .
 ١١١ - مصباح المنير للفيومي .
 ١١٢ - معالم التنزيل للبغوي .
 ١١٣ - معاني الاخبار للصدوق ط ١٣٧٩ .
 ١١٤ - المعارف للدينوري .
 ١١٥ - المغنى عن الاسفار للعراقي برمز (م) .
 ١١٦ - مفتاح الفلاح للشيخ البهائي طبع مصر .
 ١١٧ - مفردات القرآن للراغب .
 ١١٨ - مقائيس اللغة لاحمد بن فارس .
 ١١٩ - مكارم الاخلاق للطبرسي ط ١٣٧٦ .
 ١٢٠ - منتخب كنز العمال بهامش المسند .
 ١٢١ - منية الريد للشهيد الثاني .
 ١٢٢ - الموضوعات لمولى علي القاري .
 ١٢٣ - النوادر في جمع الاحاديث للفيض .
 ١٢٤ - النهاية لابن الاثير الجوزي .
 ١٢٥ - نهج البلاغة .
 ١٢٦ - نيل الاوطار للشوكاني .
 ١٢٧ - وسائل الشيعة للشيخ العرناي .
 ١٢٨ - الوافي لمولانا الفيض .
 ١٢٩ - الهداية للصدوق .

هذه المصادر التي نقلت عنها بلا واسطة وفي غير هذه من المصادر المنقولة عنها

مع الواسطة وهي كثيرة كما هو المشاهد في الكتاب .

~~~~~



المَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

فِي هَذَيْنِ الْأَجْنَاءِ

تأليف

المحقق الأعظم والمحدث الكبير الحكيم آية الله محمد بن المفضل المصطفى المدعو

بِأَمْرِ الْمُحَسِّنِ الْكَاشِفِ

المؤلف ١٠٩١ هـ

صحة وثقة على أكبر نقاشي

جداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكرك ، وطريقاً من طرق  
الاعتراف بوحدايته ، وسبباً لمزيد فضله و نعمه ، ومحجّة بيضاء  
لطالبه فضله وإحسانه .

و صلاة على رسولك الأعظم ، والهادي إلى صراطك  
الأقوم وعلى آله أئمة الهدى ، ومصابيح الدّجى .

## مقدمة المؤلف

### بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى أولاً حمداً كثيراً دائماً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين <sup>(١)</sup> ، وأصلي على رسوله وأوصياء رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد المرسلين و عترته المعصومين سائر النسيين ، وأستخيره سبحانه ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في تهذيب إحياء علوم الدين من تصانيف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي - قدس الله سره - فإنه وإن اشتهر في الأقطار اشتهار الشمس في رائعة النهار ، و اشتمل من العلوم الدينية المهمة النافعة في الآخرة على ما يمكن التوصل به إلى الفوز بالدراجات الفاخرة ، مع حسن البيان والتحرير ، وجودة الترتيب والتقرير إلا أن أبا حامد لما كان حين تصنيفه عامي المذهب ولم يتشيع بعد ، وإنما رزقه الله هذه السعادة في أواخر عمره - كما أظهره في كتابه المسمى بسر العالمين وشهده ابن الجوزي الحنبلي - <sup>(٢)</sup> كان قد فاته بيان ركن عظيم من الإيمان ، وهو معرفة الأئمة المعصومين الذين جاءت الوصية بالتمسك بهم و بالقرآن من سيد الانس والجان - صلوات الله عليهم - . و كان كثير من مطالبه خصوصاً ما في فن العبادات منها مبتتياً على أصول عامية فاسدة ، و مبتدعات لأهل الأهواء كاسدة .

و كان أكثر الأخبار المروية فيه مسندة عن المشهورين بالكذب و الافتراء على الله و رسوله ﷺ ممن لا وثوق بأقوالهم مع وجود ما يطابق العقل منها و الدين في

---

(١) تضائل أى صغر و ضعف ، وسقطت الكلمة من بعض النسخ .

(٢) أى شهد بأن كتاب سر العالمين له ، والظاهر المراد سبط ابن الجوزي حيث صرح في

التذكرة ص ٣٦ بأن كتاب سر العالمين للغزالي .

أحاديثنا المروية عن أهل العصمة والطهارة وأهل بيت الوحي والسفارة - صلوات الله عليهم أجمعين - ببيان أحسن وطريق أثمن .

و كان فيه من الحكايات العجيبة و القصص الغريبة المروية عن الصوفية ما لا يتلقاه أكثر العقلاء بالقبول لبعدها عن ظواهر العقول مع قلة فائدتها و نزارة عائدتها <sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأمور التي كان يشمئز عنها قلوب أهل الحق من الفرقة الناجية الإمامية و ينبو <sup>(٢)</sup> بسببها عن مطالعته والانتفاع به طباغ أكثرهم .

ف رأيت أن أهدّ به تهذيباً يزيل عنه ما فيه من الوصمة و العيب ، و أبني مطالبه كلها على أصول أصيلة محكمة لا يتطرق إليها شكّ و لا ريب ، و أضيف إليها في بعض الأبواب ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم في ذلك الباب من الأسرار و الحكم المختصة بهم عليهم السلام و أختصر بعض مباحثه بنظم فرائده و حذف زوائده لكي يزيد فيه رغبة متناوليّه ، و أفضّل أبوابه الطويلة بفصول قصيرة <sup>(٣)</sup> لتلا يملّ متعاطيه من دون تصرّف في ترتيب أبوابه و فصوله بتأخير ما قدّم أو تقديم ما أخر ، و لا في تقرير ألفاظه و عباراته مهما تيسر ، لأنها كانت في غاية الجودة و الأحكام ، و نهاية المتانة و الإبرام ، و مثل هذا الكتاب مما لا بدّ منه للأنام ، ينتفع بتذكرة الخواصّ و العوامّ ، لاسيّما في هذه الأعصار و الأيام التي عمّت فيها الجهالة ، و فشت الضلالة ، و صار الأمر كما قاله أبو حامد - رحمه الله - في زمانه : « إنّ الداء عمّ الجعّم الغفير ، بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر و الجهل بأنّ الأمر إدّ <sup>(٤)</sup> ، و الخطب جدّ ، و الآخرة مقبلة ، و الدنيا مدبرة ، و الأجل قريب ، و السفر بعيد ، و الزّاد طفيف <sup>(٥)</sup> ، و الخطر عظيم ، و الطريق سدّ ، و ما سوى الخالص لوجه الله من العلم و العمل عند الناقد البصير ردّ ، و سلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل و لافيق صعب ، متعب ، مكذّب ،

(١) أي قلة ثمرتها .

(٢) في النهاية > نباعنه بصره ينبو أي تجافى ولم ينظر إليه ، ونبابه منزله إذا لم يوافقه ، ونبأ حد السيف إذا لم يقطع كانه حفرهم ولم يرفع بهم رأساً .

(٣) في بعض النسخ [بفصول فيه] .

(٤) الاد - بالكسر و الشد - : الامر الفظيع . (٥) الطفيف : القليل .

فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل عنهم الزمان <sup>(١)</sup> ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، فأصبح كل واحد منهم بما جل حفظه مشغولاً ، فصار يرى المعروف منكراً و المنكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندوساً ، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا [علم] فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام <sup>(٢)</sup> أو جدل يتندرّع به طالب المباحة إلى الغلبة والإفحام <sup>(٣)</sup> ، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للعوام ومجلبة للحرام ، وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سمّاه الله سبحانه في كتابه فقهاً ، وحكمة ، وعلماً ، وضياء ، ونوراً ، وهداية ، ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويّاً ، وصار نسياً منسياً .

قال <sup>(٤)</sup> : « ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً ، وخطباً مدلهماً <sup>(٥)</sup> رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً ، إحياء لعلوم الدين ، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدين ، وإيضاحاً لماهي <sup>(٦)</sup> العلوم النافعة عند النيّين ، والسلف الصالحين » .

أقول : ولهذا السبب بعينه مع ما ذكرت من الأمور اشتغلت بتهذيب كتابه وإحياء إحيائه ، إحياء لعلوم الدين بحياة أخرى ، وكشفاً عن مناهج أئمة الدين بهداية أرفع وأعلى ، وسميته بالمحجة البيضاء في تهذيب الأحياء وإن شئت قلت : في إحياء الأحياء و تقرّبت بذلك إلى الله سبحانه ، نفع الله به السالكين وجعله لي ذخراً ليوم الدين

(١) شغل البلد أى خلا من الناس (الصحيح) .

(٢) التهاوش : التواثب ، في القاموس «تهارشت الكلاب بعضها بعضاً تواثبت» .  
والطغام : اوغاد الناس وسفلتهم .

(٣) «يتندرّع» من الدريرة وفي بعض النسخ بالبدال وتدرع و ادرع : لبس الدرع .  
و أفعمه : أسكته بالحجة في خصومة .

(٤) يعنى قال صاحب الأحياء .

(٥) أى مظلماً . (٦) كذا وفي أكثر نسخ الأحياء وشرح الزبيدي أيضاً [لنهاي] .

ووفقني للعمل به وأشر كني في أجر سائر العاملين بمنته وكرمه أمين .  
 قال أبو حامد - رحمه الله - : « وقد أسست على أربعة أرباع : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات ، وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه نهاية المهم<sup>(١)</sup> لا كشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الأعيان بطلبه على لسان رسول الله ﷺ إذ قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة<sup>(٢)</sup> » ، وأميز فيه العلم النافع عن الضار إذ قال : « نعوذ بالله من علم لا ينفع<sup>(٣)</sup> » ، وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانغدادهم بالامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر من اللباب .  
 فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب العلم ، كتاب قواعد العقائد ، كتاب أسرار الطهارة ، كتاب أسرار الصلاة ، كتاب أسرار الزكاة ، كتاب أسرار الصيام ، كتاب أسرار الحج ، كتاب آداب تلاوة القرآن ، كتاب الأذكار والدعوات ، كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل ، كتاب آداب النكاح ، كتاب أحكام الكسب ، كتاب الحلال والحرام ، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، كتاب العزلة ، كتاب آداب السفر ، كتاب آداب السماع والوجد ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

أقول : وأنا أضع بدل كتاب آداب السماع والوجد فيما بعد كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة كتاب آداب الشيعة وأخلاق الإمامة لأن السماع والوجد ليسا من مذهب أهل البيت ﷺ .

(١) في الاحياء [ غاية المهم ] .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٠ بدون « ومسلمة » ومعا في مصباح الشريعة باب ٦٠ و أيضاً في البحار ج ١ ص ١٧٧ من غوالي اللثالي ، وهكذا أيضاً في مقدمة المعالم وليست في نسخ الاحياء .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٥٠ ، والنسائي في سننه أيضاً وفيه « أعوذ بك من علم لا ينفع » في حديث طويل ج ٨ ص ٢٦٤ . وهكذا في مستدرک الحاكم : ج ١ ص ١٠٤ وفي مصباح الشريعة باب ٦٠ كما في المتن .

قال : « وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب ، كتاب رياضة النفس ، كتاب كسر الشهوتين : <sup>(١)</sup> شهوة البطن وشهوة الفرج ، كتاب آفات اللسان ، كتاب ذم الغضب <sup>(٢)</sup> و الحقد و الحسد ، كتاب ذم الدنيا ، كتاب ذم المال و البخل ، كتاب ذم الجاه و الرياء ، كتاب ذم الكبر والعجب ، كتاب ذم الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب التوبة ، كتاب الصبر و الشكر ، كتاب الخوف و الرجاء ، كتاب الفقر و الزهد ، كتاب التوحيد والتوكل ، كتاب المحبة و الانس و الشوق و الرضا ، كتاب النية و الصدق و الإخلاص ، كتاب المراقبة و المحاسبة ، كتاب التفكر ، كتاب ذكر الموت و ما بعده .

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها و دقائق سننها و أسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه و أكثر ذلك مما أهمل في فنّ الفقيّهات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات التجارية بين الخلق و أغوارها ، و دقائق سننها ، و خفايا الورع في مجاريها ، وهي مما لا يستغني متدين عنها .

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بأخطئه <sup>(٣)</sup> ، و تزكية النفس عنه و تطهير القلب منه ، و أذكر في كل واحد من تلك الأخلق حذم و حقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ؛ ثم الآفات التي عليها يترتب ؛ ثم العلامات التي بها تتعرف ؛ ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص ، كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات و الأخبار و الآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود و خصلة مرغوب فيها من خصال المقرّين و الصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، و أذكر في كل خصلة

(١) في الاحياء [كتاب آفات الشهوتين] .

(٢) في الاحياء [كتاب آفات الغضب] . (٣) أخطئه : أبعد و أذهب .

حدّها وحقيقتها وسببها التي بها تجتلب<sup>(١)</sup>، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرّف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب، مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنّف في مثل هذه المعاني كتب كثيرة<sup>(٢)</sup> ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأوّل حلّ ما عقدوه، وكشف ما استروه، وتفصيل ما أجمالوه؛ الثاني ترتيب ما بدّروه، ونظم ما فرقوه؛ الثالث إيجاز ما طوّّروه، وضبط ما قرّروه؛ الرابع حذف ما كرّروه<sup>(٣)</sup>؛ الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام<sup>(٤)</sup> ولم يتعرّض لها في كتاب أصلاً إذ الكلّ وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرّد كلّ واحد من السالكين بالتنبّه لأمر خفيّ بزيادة تخصّص<sup>(٥)</sup> ويغفل عنه رقائده، أو لا يغفل أحدهم عن التنبّه له ولكن يسهو عن إيراد في الكتب، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف، فهذه خواصّ هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم.

وإنما حملتي على تأسيس الكتاب على أربعة أرباع أمران: أحدهما - وهو الباعث الأصليّ - أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهم كالضروريّ<sup>(٦)</sup> لأنّ العلم الذي يتوجّه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم المكاشفة؛ وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط؛ وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لارخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين<sup>(٧)</sup>، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن

(١) في الاحياء [ الذي به تجتلب ] .

(٢) في الاحياء [ ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً كثيرة ] .

(٣) زاد في الاحياء [ واثبات ما حرّوه ] .

(٤) اعتاص اعتياصاً الامر عليه اشتد وامتنع والثالث عليه، فلم يهتد الى الصواب .

(٥) في الاحياء [ بأمر يخصه ] .

(٦) في الاحياء [ كالضرورة ] .

(٧) طمح بصره الى شيء أى ارتفع، وفي الدعاء «طموح الامال قد غابت الالديك»

اي الامال المرتفعة غابت الالديك .



لم يتكلم الأنبياء - صلوات الله عليهم - مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه ، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال ، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال « والعلماء ورثة الأنبياء »<sup>(١)</sup> ، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسسي والاقتداء ؛ ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر - أعني العلم بأعمال الجوارح - وإلى علم باطن - أعني العلم بأعمال القلوب - و الجاري على الجوارح إما عبادة أو عادة ، و الوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم<sup>(٢)</sup> فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام .

الباعث الثاني أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه للتدبر<sup>(٣)</sup> به إلى المباهة ، والاستظهار بجاهه و منزلته في المناقشات وهو مرتب على أربعة أرباع - والمتزيتي بزي المحبوب محبوب - فلم أبعد أن يكون تصوير هذا الكتاب بصورة الفقه تليقاً في استدراج القلوب ولهذا تلتطف بعض من رام استمالة قلوب بعض الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة ، والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد ، فثمره هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبداً ، فأين منها الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة إلى الفساد<sup>(٤)</sup> في أقرب الآمال<sup>(٥)</sup> . فنسأل الله سبحانه التوفيق والإرشاد والسداد إنه الكريم الجواد .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢ وأخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٨٥ ، و ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٢٣ وهو جزء من حديث أبي الدرداء .

(٢) في الاحياء هنا زيادة [ فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن ، و الشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة و عبادة و الشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم الى مذموم و محمود ] .

(٣) اي التوسل : تفعل من الذرية . و في الاحياء [ المتدبر به الى المباهة ] .

(٤) في الاحياء [ بالضرورة للفساد ] . (٥) جمع أمد أى الوقت .

## ﴿ كتاب العلم ﴾

و هو الكتاب الأول من ربيع العبادات من الملحجة البيضاء في تهذيب الإحياء .

### ﴿ وفيه سبعة أبواب ﴾

- الباب الأول - في فضل العلم والتعليم والتعلم .
- الباب الثاني - في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان حد الفقه ، والكلام من علم الدين ، وبيان علم الآخرة ، وعلم الدنيا .
- الباب الثالث - فيما يعدّه العامة من علوم الدين و ليس منها ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره .
- الباب الرابع - في سبب إقبال الخلق على المناظرة ، وشروطها ، وآدابها ، وآفاتهما .
- الباب الخامس - في آداب المعلم و المتعلم .
- الباب السادس - في آفات العلم و العلماء ، و العلامات الفارقة بين علماء الدنيا و الآخرة .

الباب السابع - في العقل وفضيلته وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

### الباب الاول

في فضل العلم و التعليم والتعلم و شواهد من النقل والعقل

### ﴿ فصل ﴾

« أمّا شواهد من القرآن فقوله عزّ وجلّ : «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط»<sup>(١)</sup> فانظر كيف بدأ بنفسه تعالى ، وثنّى بملائكته ، وثلث بأهل العلم ، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلالاً ونبلاً .

قال الله عزّ وجلّ : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»<sup>(٢)</sup> .

(١) آل عمران : ١٨ .

(٢) المجادلة : ١١ .

قال ابن عباس : « للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » .

و قال عز وجل : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »<sup>(١)</sup> وقال عز وجل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »<sup>(٢)</sup> .

و قال عز وجل : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب »<sup>(٣)</sup> .

و قال عز وجل : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به »<sup>(٤)</sup> ، تنبيهاً على أنه اقتدر عليه بقوة العلم .

و قال تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير »<sup>(٥)</sup> ، يبين أن عظم قدر الآخرة يُعلم بالعلم .

و قال عز وجل : « وملك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون »<sup>(٦)</sup> .

و قال تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »<sup>(٧)</sup> ، رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء

في كشف حكم الله ، وقيل في قوله عز وجل : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم »<sup>(٨)</sup> ، يعني العلم و « ريشاً » يعني اليقين و « لباس التقوى » يعني الحياء .

و قال عز وجل : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم »<sup>(٩)</sup> .

و قال عز وجل : « فلنقصن عليهم بعلم »<sup>(١٠)</sup> .

و قال تعالى : « بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم »<sup>(١١)</sup> .

و قال تعالى : « خلق الإنسان علمه البيان »<sup>(١٢)</sup> ، وإنما ذكر ذلك في معرض

الامتنان .

(٢) الفاطر : ٢٨ .

(٤) النمل : ٤٠ .

(٦) العنكبوت : ٤٣ .

(٨) الاعراف : ٢٦ .

(١٠) الاعراف : ٧ .

(١٢) الرحمن : ٣ .

(١) الزمر : ٩ .

(٣) الرعد : ٤٣ .

(٥) القصص : ٨٠ .

(٧) النساء : ٨٣ .

(٩) الاعراف : ٥٢ .

(١١) العنكبوت : ٤٩ .

وقال عز وجل في فضيلة التعلم : « فلو لانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين <sup>(١)</sup> » .

وقال : « فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاعلمون <sup>(٢)</sup> » .

وفي فضيلة التعليم : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم <sup>(٣)</sup> » والمراد هو التعليم والإرشاد .

وقال عز وجل : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه <sup>(٤)</sup> » وهو إيجاب للتعليم .

وقال عز وجل : « وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون <sup>(٥)</sup> » وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة : « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه <sup>(٦)</sup> » .

وقال النبي ﷺ « ما أتى الله سبحانه عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه <sup>(٧)</sup> » .

وقال عز وجل : « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً <sup>(٨)</sup> » .

وقال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة <sup>(٩)</sup> » .

وقال تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة <sup>(١٠)</sup> » .

أقول : هذا ما ذكره أبو حامد من الآيات .

### ﴿ فصل ﴾

وقال بعض علمائنا - رحمهم الله - <sup>(١١)</sup> : اعلم أن الله سبحانه جعل العلم هو

(١) التوبة : ١٢٢ . (٢) النحل : ٤٣ .

(٣) التوبة : ١٢٢ . (٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) البقرة : ١٤٦ . (٦) البقرة : ٢٨٣ .

(٧) أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود .

(٨) فصلت : ٣٣ . (٩) النحل : ١٢٥ .

(١٠) الجمعة : ٢ .

(١١) يعنى به الشهيد - رحمه الله - في كتابه منية المريد ص ٣ من طبعه الملحق

بروض الجنان .

السبب الكلّي "لخلق هذا العالم العلوي والسفلي" طراً . وكفى بذلك جلالة وفخراً ، قال الله تعالى في محكم الكتاب تذكرة و تبصرة لأولي الألباب : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و أن الله قد أحاط بكل شيء علماً<sup>(١)</sup> » وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم لاسيما علم التوحيد الذي هو أساس كل علم ومدار كل معرفة ، وجعل الله سبحانه العلم أعلى وأشرف ، وأول منة امتن بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من ظلم العدم إلى ضياء الوجود فقال سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه محمد ﷺ : « اقرء باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرء وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم<sup>(٢)</sup> » فتأمل كيف افتتح كتابه الكريم المجيد - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - بنعمة الإيجاد ، ثم أردفها بنعمة العلم ، فلو كان منة منة أو توجد نعمة بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصه الله تعالى بذلك وصدّ به نور الهداية وطريق الدلالة على الصراط المستقيم الآخذ بحجزة البراعة ودقائق المعاني وحقائق البلاغة ، وقد قيل في وجه التناسب بين الآي المذكورة في صدر هذه السورة التي قد اشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق و في بعضها تعليمه ما لم يعلم ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته : إنه تعالى ذكر أول حال الإنسان وهو كونه علقه مع أنها أخس الأشياء وآخر حاله وهو صيرورته عالماً وهو أجل المراتب ، كأنه تعالى قال : كنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة وهذا إنمائيتم لو كان العلم أشرف المراتب إذ لو كان غيره أشرف لكان ذكر ذلك الشيء في هذا المقام أولى .

ووجه آخر أنه تعالى قال : « وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم » وقد تقرر في أصول الفقه « أن ترتب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علّة » وهذا يدل على أن الله سبحانه اختص بوصف الأكرمية لأنه علم الإنسان

(١) الطلاق : ١٢ .

(٢) العلق : ١ - الى - ٥ .

العلم فلو كان شيء أفضل من العلم وأنفس لكان اقترانه بالأكرمية المؤداة بأفعل التفضيل أولى وبنى الله سبحانه قبول الحق والأخذ به على التذكّر به، والتذكّر على الخشية وحصر الخشية في العلماء فقال: «سيدّ كرم يخشى»، «وإنما يخشى الله من عباده العلماء» وسمى الله تعالى العلم بالحكمة وعظم أمر الحكمة فقال: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»<sup>(١)</sup> وحاصل ما فسّره في الحكمة مواظب القرآن والعلم والفهم والنبوة في قوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة»، «وآمين» الحكم صيباً<sup>(٢)</sup>، «قد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة»<sup>(٣)</sup> والكل يرجع إلى العلم ورجع العالمين على من سواهم فقال سبحانه وتعالى: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب».

و قرن في كتابه العزيز بين عشرة: بين الخبيث والطيب «قل لا يستوي الخبيث والطيب»<sup>(٤)</sup>، وبين الأعمى والبصير، والظلمة والنور، والظلّ والحور، والحياة والموت، وإذا تأملت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً إلى العلم، وقرن سبحانه أولى العلم بنفسه وملائكته فقال: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم» و زاد في إكرامهم على ذلك أي الاقتران المذكور بقوله: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»<sup>(٥)</sup>، وبقوله تعالى: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» وقال تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الدّرجات لأربعة أصناف للمؤمنين من أهل بدر «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - لهم درجات عند ربهم»<sup>(٦)</sup> وللمجاهدين «و فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة»<sup>(٧)</sup> ولمن عمل الصالحات «من يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدّرجات العلى»<sup>(٨)</sup> وللعلماء في قوله تعالى: «يرفع الله الذين

(١) البقرة: ٢٦٩ .

(٢) مريم: ١٢ .

(٣) النساء: ٥٤ .

(٤) المائدة: ١٠٠ .

(٥) آل عمران: ٧ .

(٦) الانفال: ٢ .

(٧) النساء: ٩٥ وفيه «فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» .

(٨) طه: ٧٥ .

آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، ففضل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل العلماء على جميع الأصناف بدرجات ، فوجب كون العلماء أفضل الناس ، وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب : الأول الإيمان « والرأسخون في العلم يقولون آمنا » ؛ الثاني التوحيد « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » الثالث البكاء والحزن « إن الذين أوتوا العلم - إلى قوله - : ويخرون للأذقان يبكون <sup>(١)</sup> » الرابع الخشوع « إن الذين أوتوا العلم من قبله - الآية - ، الخامس الخشية « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم <sup>(٢)</sup> » وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .  
فهذه نبذة من فضائل التي نبه الله تعالى عليها في كتابه الكريم .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد - رحمه الله - : « وأما الأخبار قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده <sup>(٤)</sup> » .  
وقال ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء <sup>(٥)</sup> » ، ومعلوم أنه لارتبة فوق رتبة النبوة فلاشرف فوق شرف الورثة لتلك الرتبة .  
وقال ﷺ : « يستغفر للعالم ما في السماوات والأرض <sup>(٦)</sup> » ، وأي منصب يزيد

(١) الاسراء : ١٠٧ . (٢) طه : ١١٤ .

(٣) العنكبوت : ٤٩ .

(٤) أخرجه شطره الاول ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٢٠ ، و البغوى في المصاييح ج ١ ص ٢٠ . ومع شطره الثاني الطبراني في مسنده الكبير كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢١ ، والبهز اذ ايضاً كما في الترغيب ج ١ ص ٩٢ . ونقله العلامة المجلسي في البحار عن غوالي اللثالي .  
(٥) الكافي ج ١ ص ٣٢ ، وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٢٣ ، وأبو داود ج ٢ ص ٢٨٥ والترمذي في حديث طويل من أبي الدرداء في أبواب العلم .  
(٦) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٤ ، و الصدوق في الامالي ص ٣٧ وفيها « من في السماء و الارض » ، و أخرجه أبو داود في سننه كما في المتن ج ٢ ص ٢٨٥ .

على منصب من يشغل ملائكة السموات و الأرض بالاستغفار له و هو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له .

و قال عليه السلام : « إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً و ترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك <sup>(١)</sup> » و قد نبّه بهذا على ثمرته في الدنيا و معلوم أن الآخرة خير و أبهى .  
و قال عليه السلام : « خصلتان لا تكونان في منافق : حسن سمع و فقه في الدين <sup>(٢)</sup> »  
ولا تشكّن في الحديث لنفاق بعض قهّاء الزّمان فأنّه ما أراد به الفقه الذي ظننته ، و سيأتي بيان معنى الفقه ، و أدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الأولى و هذه المعرفة إذا صدقت و غلبت عليه برى بها من النفاق و الرياء .

و قال عليه السلام : « أفضل الناس العالم الذي إن احتيج إليه نفع و إن استغني عنه أغنى نفسه <sup>(٣)</sup> » .

و قال عليه السلام : « الإيمان عريان و لباسه التقوى ، وزينته الحياء ، و ثمرته العلم <sup>(٤)</sup> » .  
و قال عليه السلام : « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم و الجهاد ، أمّا أهل العلم فدلّوا الناس على ما جاءت به الرّسل ، و أمّا أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل <sup>(٥)</sup> » .

و قال عليه السلام : « موت قبيلة أيسر من موت عالم <sup>(٦)</sup> » .

و قال عليه السلام : « الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة فخيرهم في الجاهلية

(١) جزء من مواعظ لقمان و فيه « تجلس المسكين مجالس الملوك » كنز الفوائد للكرجكي ص ٢١٤ .

(٢) رواه الشيخ في أماليه ص ٢٢ و الصدوق في الخصال ، و الراوندي في نوادره ، و البغوي في المصابيح ج ١ ص ٢٢ . و أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، و رزين أيضاً كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ١٥١ و مشكاة المصابيح ص ٣٦ .

(٤) أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء . (م)

(٥) أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس . (م)

(٦) أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء . (م)



خيارهم في الإسلام إذا فقهوا (١) .

و قال عنه : «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدعاء الشهداء (٢) .

و قال عنه : «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤد بها إليهم كنت له شافعاً وشهيداً يوم القيامة (٣) .

و قال عنه : «من حل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً (٤) .

و قال عنه : «من تفقه في دين الله كفاه الله همه و رزقه من حيث لا يحتسب (٥) .

و قال عنه : «أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني علمي أحب كل علم (٦) .

و قال عنه : «العالم أمين الله سبحانه في الأرض (٧) .

و قال عنه : «صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء و الفقهاء (٨) .

و قال عنه : «إذا أتى عليّ يوم لأزداد فيه علماً يقرّ بني إلى الله تعالى فلا يوركلي

(١) أخرجه أحمد في مسنده تحت رقم ٧٤٨٧ . والبغوي في المصابيح ج ١ ص ٢٠ .

(٢) رواه الصدوق في الفقيه ص ٥٨٤ وفي الامالي أيضاً ، والشيخ في أماليه كما في البصار

ج ٢ ص ١٤ و ١٦ . ورواه القتال في روضة الواعظين ص ١٣ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم من ابن عمر (م) و في مشكاة المصابيح ص ٣٦

عن أبي الدرداء وأخرجه الشيرازي أيضاً في الالقاب عن أبي الدرداء كما في البيان

والتعريف ج ٢ ص ٢١٥ .

(٤) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٩ . وأخرجه ابن عبد البر من حديث

أنس وابن عدى أيضاً في الكامل كما في الجامع الصغير للسيوطي .

(٥) رواه الخطيب من حديث عبد الله بن جزء . (م)

(٦) قال الحافظ السقلاني في الكافي الشاف: ذكره ابن عبد البر في كتاب العلم بلا اسناد .

(٧) أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ كما في الجامع الصغير .

(٨) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس . (م) والقتال في روضة

الواعظين ص ٩ . وأخرجه ابن شعبة الحراني في تحف العقول مرسلًا ص ٥٠ .

في طلوع شمس ذلك اليوم<sup>(١)</sup> .

وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي<sup>(٢)</sup> » فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حطّ رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن نوع علم بالعبادة التي يواظب عليها و لولاه لم تكن عبادة .

وقال عليه السلام : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب<sup>(٣)</sup> . »  
وقال عليه السلام : « يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء<sup>(٤)</sup> ، فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة .

وقال عليه السلام : « ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ، و لقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد و عماد هذا الدين الفقه<sup>(٥)</sup> . »

وقال عليه السلام : « خير دينكم أيسره ، وأفضل العبادة الفقه<sup>(٦)</sup> . »

وقال عليه السلام : « فضل المؤمن العالم على العابد سبعين درجة<sup>(٧)</sup> . »

وقال عليه السلام : « إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه ، قليل خطبأؤه ، قليل سائلوه ، كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم ، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه

(١) أخرجه الطبراني في الاوسط وابن عبد البر في العلم كما في مجمع الزوائد ج ١

ص ١٣٦ وغيره .

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم

عن أبي امامة .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه ج ٢ ص ٢٨٥ ، والصدوق في الامالي ص ٣٧ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٤٢٠٩ ، والحميري في قرب الاسناد ص ٣١ .

(٥) رواه الدارقطني والبيهقي وأخرجه الطبراني في الاوسط كما في الترغيب ج ١

ص ١٠٢ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٢١ .

(٦) روى الطبراني شطره الاول في الاوسط والآخر في معاجيه الثلاثة . (م)

(٧) أخرجه ابن عدى من حديث أبي هريرة ولا يبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن

ابن عوف كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٢ .

كثير خطباؤه ، قليل معطوه ، كثير سائلوه ، العلم فيه خيرٌ من العمل» (١) .  
 وقال عليه السلام : بين العالم والعابد مائة درجة ، بين كل درجتين حضرة الجواد المضمّر سبعين سنة (٢) ؛ وقيل : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال عليه السلام : العلم بالله سبحانه ؛ فقيل : أي الأعمال نريد ؟ فقال : العلم بالله سبحانه ؛ فقيل : نسأل عن العمل ، وتجب عن العلم ؟ فقال عليه السلام : إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل (٣) .  
 وقال عليه السلام : «يبعث الله عز وجل العباد يوم القيامة ، ثم يبعث العلماء فيقول : يا معشر العلماء إنني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم» (٤) .

### ﴿ فصل ﴾

أقول : قال بعض علمائنا - رحمهم الله - (٥) : وأما السنة فهي في ذلك كثيرة تنبو عن الحصر .  
 فمنها قول النبي عليه السلام : « من يرد الله به خيراً يقبضه في الدين » (٦) .

- (١) أخرجه الطبراني من حديث حماد بن حكيم عن عمه و قيل : عن أبيه كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٧ وابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٨ .  
 (٢) رواه الديلمي في الفردوس ، وقال الحافظ العسقلاني : أخرجه أبو يعلى وابن عدى و ابن عبد البر في العلم كما في الكشف ج ٤ ص ٣٩٣ ، وفي الصحاح الحضر - بالضم - : العدو ، وأحضر الفرس أحضاراً و احتضر أى عدا واستحضرته : أعديته ، وفرس محضير أى كثير العدو . و رواه أيضاً الاصبهاني . الترغيب ج ١ ص ١٠٢ .  
 (٣) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس كما في المختصر ص ٢٣ ، والديلمي في الفردوس كما ذكره عبد الرؤوف المناوى في كنوز الحقائق باب القاف .  
 (٤) رواه الطبراني في الكبير كما في الترغيب ج ١ ص ١٥١ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٦ .  
 (٥) يعنى به الشهيد - رحمه الله - فى منية المريد .  
 (٦) أخرجه البخارى ج ١ ص ٢٨ ، و ابن ماجه تحت رقم ٢٢٠ . وفى سنن الترمذى الحديث الاول من ابواب العلم ج ١٠ ص ١١٣ وقد مر .

وقال **عنه** : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .  
 وقال **عنه** : « من طلب علماً فأدر كه كتب الله تعالى له كفلين من الأجر ، ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفولاً من الأجر » (١) .

وقال **عنه** : « من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله تعالى من النار فليتنظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده مامن متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ، وبنى الله بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ، ويمسي ويصبح مغفوراً له ، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار » (٢) .

وقال **عنه** : « من طلب العلم فهو كالصائم نهاره ، القائم ليله ، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهباً فأفقفه في سبيل الله تعالى » (٣) .  
 وقال **عنه** : « من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة » (٤) .

وقال **عنه** : « فضل العالم على العابد سبعون درجة ، بين كل درجتين حضرة الفرس سبعين عاماً ، وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها ، والعابد مقبل على عبادته » (٥) .

وقال **عنه** : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في الماء يصلون على »

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في الترغيب ج ١ ص ٩٦ ، وابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٢٣ والدارمي في السنن ج ١ ص ٩٧ من حديث وائلة بن الاسقع ، وفي مشكاة المصابيح ص ٣٦ عنه أيضاً وفيها موضع « كتب الله له » « كان له » .

(٢) ما عثرت عليه الا في منية المريد ص ٥ .

(٣) > > > >

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ج ١ ص ١٠٠ ، وابن السنن في رياضة المتعلمين كما في المغنى .

(٥) رواه الطبراني في الاوسط كما في الترغيب ج ١ ص ١٠٢ وفيه زيادة . وابن

فتال في الروضة ص ١٦ .

معلم الناس الخير، (١).

وقال عليه السلام: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»، (٢).

وقال عليه السلام: «من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به باطلاً إلى حقٍّ وضالاً إلى هدى كان عمله كعبادة أربعين عاماً»، (٣).

وقال عليه السلام لعلي عليه السلام: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم»، (٤).

وقال عليه السلام لمعاذ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من الدنيا وما فيها» (٥). وروي ذلك أنه قاله لعلي عليه السلام أيضاً.

وقال عليه السلام: «رحم الله خلفائي، قليل: ومن خلفاءك يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله» (٦).

وقال عليه السلام: «إن مثل ما بعثني ربي من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً وكان منها طائفة طيبة، فقبلت الماء فأبثت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أخازات» (٧).

(١) أخرجه الترمذي في باب فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم ج ١ ص ١٥٧. و البغوي في مصابيح السنة ج ١ ص ٢٢. وأخرج صدره عبد الحميد بن مكحول كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(٢) أخرجه الترمذي في فضل طلب العلم من أبواب العلم ج ١ ص ١١٦ وتقله عبد الرؤوف المناوي في كنوز الحقائق و السيوطي في الجامع الصغير عنه، وأخرجه الدارمي كما في مشكاة المصابيح ج ١ ص ٣٤.

(٣) رواه الشيخ في أماليه كما في البحار ج ١ ص ١٨٢.

(٤) أخرجه أبوداود في سننه ج ٢ ص ٢٨٩. والمسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٢٢ وقوله عليه السلام: «حمر النعم» قال النووي: هي ابل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه.

(٥) أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء، وابن عبد البر عن الحسن البصري (م) وفي كنوز الحقائق عن الطبراني نحوه.

(٦) رواه الطبراني في الاوسط كما في الترغيب ج ١ ص ١٠١ و الصدوق في الفقيه ص ٥٩١ وفي المجالس كما في البحار ج ٢ ص ١٤٤.

(٧) كذا وفي صحيح البخاري [اجادب] وصححه الاصيلي، وفي ارشاد الساري باعجام الجيم والذال.

أَمَسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ ، وَ شَرَبُوا مِنْهَا وَ سَقَوْا وَ زَرَعُوا وَ أَصَابَتْ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانُ <sup>(١)</sup> لَأَتَمْسَكَ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا ، وَ ذَلِكَ مِثْلُ مَنْ قَفِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَ نَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَ لَمْ يَقْبَلْ هَدًى اللَّهُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ ، <sup>(٢)</sup> .

و قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا حَسَدَ - يَعْنِي لَا غِبْطَةَ - إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » <sup>(٣)</sup> .

و قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ دَعَا إِلَى هَدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » <sup>(٤)</sup> .

و قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » <sup>(٥)</sup> .

و قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « خَيْرٌ مَا يَخْلُفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ : وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ، وَ صَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا ، وَ عِلْمٌ يَعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ » <sup>(٦)</sup> .

و قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعَالَمِ رَضًى بِمَا يَصْنَعُ » <sup>(٧)</sup> .

(١) بكسر القاف جمع قاع و هي ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال و الاكام .

(٢) أخرجه البخارى ج ١ ص ٣٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٠٨ هـ . و أخرجه البخارى و مسلم و النسائى عن

ابن مسعود كما فى الدر المنثور ج ١ ص ٣٥٠ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه أبواب العلم ج ١٠ ص ١٤٨ ، و رواه مسلم كما فى الترغيب

ج ١ ص ١٢٠ . و أخرجه الدارمى ج ١ ص ١٢٧ .

(٥) أخرجه البغوى فى المصابيح ج ١ ص ٢٠ و ابن عبد البر كما فى المختصر

ص ١٤ من حديث أبى هريرة .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٤١ .

(٧) رواه الدارمى فى سننه ج ١ ص ٩٧ عن ابن مسعود وهو جزء من حديث أبى

الدرداء ، رواه الترمذى و ابن ماجه و أبى داود وغيرهم .

- وقال **عَلِيٌّ** : « اطلبوا العلم ولو بالصين » <sup>(١)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « من غدا في طلب العلم أنزلت عليه الملائكة ، وبورك في معيشته ولم ينقص من رزقه » <sup>(٢)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله تعالى له طريقاً إلى الجنة » <sup>(٣)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « نوم مع علم خيرٌ من صلاة مع جهل » <sup>(٤)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « فقيه واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد » <sup>(٥)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « إنَّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر ، فإذا طمست أو شك أن تضلَّ الهداة » <sup>(٦)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « أيُّما ناش نشأ في العلم والعبادة حتَّى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً » <sup>(٧)</sup> .
- وقال **عَلِيٌّ** : « يقول الله عزَّ وجلَّ للعلماء يوم القيامة : إنِّي لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلَّا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أُبالي » <sup>(٨)</sup> .

(١) الجامع الصغير باب الطاء عن البيهقي في شعب الايمان و العقيلي والطبراني في الكبير و الديلمي في الفردوس و ابن عدى في الكامل . و ابن قتال في روضة الواعظين ص ١٦ . والخطيب في تاريخه ج ٩ ص ٣٤٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٢٣ من حديث أبي سعيد الخدري .

- (٣) أخرجه ابوداود في سننه ج ٢ ص ٢٨٥ . واحمد في المسند تحت رقم ٧٤٢١ .
- (٤) الجامع الصغير باب النون عن أبي نعيم في الحلية . وفيه « على جهل » .
- (٥) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٢٢ .
- (٦) رواه الطبراني في الكبير كما في الترغيب ج ١ ص ١٠٠ . وفي روضة الواعظين ص ١٥ وفي منتخب كنز العمال هامش المسند ج ٤ ص ٣٢ عن أنس بأدنى تغيير .
- (٧) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٥ .
- (٨) اي لا أكثرت و لا يهمني أمركم ، والحديث رواه الطبراني في مسنده الكبير كما في الترغيب ج ١ ص ١٠١ و الدر المنثور ج ١ ص ٣٥٠ ، و روضة الواعظين ص ١٢ .

- وقال عليه السلام : « ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم » (١) .
- وقال عليه السلام : « ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر » (٢) .
- وقال عليه السلام : « ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيد الله بها هدى ويردّه من ردى » (٣) .
- وقال عليه السلام : « من أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه » (٤) .
- وقال عليه السلام : « العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولاخير في سائر الناس » (٥) .
- وقال عليه السلام : « قليل العلم خير من كثير العبادة » (٦) .
- وقال عليه السلام : « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان له أجر معتمر تامّ العمرة ، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كتب له أجر حاجّ تامّ الحجة » (٧) .
- وقال عليه السلام : « اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبباً ولا تكن الخامس فتهلك » (٨) .
- وقال عليه السلام : « إذا مررتكم في رياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله وما »
- 
- (١) الجامع الصغير باب الميم عن الطبراني رواه في الاوسط . وأخرج الدارمي نحوه في السنن ج ١ ص ١٣٩ .
- (٢) رواه الطبراني في الكبير . كما في الترغيب ج ١ ص ١١٠ ، والجامع الصغير باب الميم .
- (٣) أخرجه البيهقي في شعب الایمان كما في الجامع الصغير باب الميم . وابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٣١ .
- (٤) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٤٣ .
- (٥) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٩ . والصفار في بصائر الدرجات الجزء الاول .
- (٦) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب القاف وفيه « قليل الفقه » .
- (٧) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٩١ .
- (٨) الجامع الصغير باب الالف عن الطبراني في الاوسط وفي البعاز ج ١ ص ١٩٥ عن الغوالي وروضة الواعظين . وأخرجه ابن عبد البر كما في المختصر ص ٢٦ .



رياض الجنة؟ قال : خلق الذكر، فإن الله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون خلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم،<sup>(١)</sup> قال بعض العلماء : خلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف يشترى و يبيع و يصلي و يصوم و ينكح و يطلق و أشباه ذلك .  
أقول : وسيأتي في هذا الحديث كلام آخر إن شاء الله تعالى .

قال : وخرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقّهون ومجلس يدعون الله تعالى و يسألونه فقال : « كلا المجلسين إلى خير ، أمّا هؤلاء فيدعون الله تعالى وأمّا هؤلاء فيتعلمون و يفتقّون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، للتعليم أرسلت ثمّ قعد معهم »<sup>(٢)</sup> .  
و عن صفوان بن عسال - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ﷺ و هو في المسجد متكئ على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله إني جئت أطلب العلم ، فقال : مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفّه الملائكة بأجنحتها ، ثمّ يركب بعضهم بعضاً حتّى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب ،<sup>(٣)</sup> .

و عن كثير بن قيس قال : كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأثامه رجل فقال : يا أبا الدرداء إني أئمتك من المدينة - مدينة الرسول ﷺ - لحديث بلغني عنك أنك تحدّثت عن رسول الله ﷺ قال : فما جاء بك تجارة؟ قال : لا ، قال : ولا جاء بك غيره قال : لا ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلّك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم »<sup>(٤)</sup> ، وإن العالم

(١) روى شطره الاول الصدوق - رحمه الله - في المعاني ص ٣٢١ وسيأتي .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٢٥ من حديث عبد الله بن

عمر بأدنى تغيير في اللفظ .

(٣) صفوان بن عسال - بهملتين - المرادى قال البغوى : سكن الكوفة وقال

ابن ابى حاتم : كوفي له صحبة مشهور روى عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث . وقال ابن سكن : حديث صفوان بن عسال في المسح على الخفين و فضل العلم والتوبة مشهور رواه أكثر من ثلاثين من الأئمة عن عاصم (الاصابة) . أقول : وحديثه هذا أخرجه ابن عبد البر كما في المختصر ص ٢٠ . ورواه احمد في المسند ج ٤ ص ٢٤٠ . والطبراني وابن حبان في صحيحه

كما في الترغيب ج ١ ص ٩٥ والحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٠٠ و الدارمى ج ١ ص ١٠١ .

(٤) في بعض نسخ الحديث « رضى به » .

يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، قال : نعم <sup>(١)</sup> .  
 وأسند بعض العلماء <sup>(٢)</sup> إلى أبي يحيى بن زكريا بن يحيى الساجي أنه قال :  
 كنّا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا في المشي و كان معنا رجلٌ ماجن <sup>(٣)</sup> فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة - كالمستهزء - فما زال عن مكانه حتى جفت رجلاه .

و أسند أيضاً إلى أبي داود السجستاني أنه قال : كان في أصحاب الحديث رجل خليع <sup>(٤)</sup> إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع بأجنحتها لطالب العلم ، فجعل في رجله مسمارين من حديد و قال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الأكلة في رجله .

وذكر أبو عبدالله محمد بن إسماعيل التميمي هذه الحكاية في شرح مسلم و قال : فشلت رجلاه وسائر أعضائه .

## ﴿ فصل ﴾

و من <sup>(٥)</sup> طريق الخاصة ما روينا بالاسناد الصحيح إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و عليهم أجمعين أنه قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم في مظانّه ، و اقتبسوه من أهله ، فإنّ تعلّمه لله حسنة ، و طلبه عبادة ، و المذاكرة به تسبيح ، و العمل به جهاد ، و تعليمه من لا يعلمه صدقة ، و

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٨٥ . وابن ماجه تحت رقم ٢٢٣ . وفي روضة

الواعظين ص ١٢ ، و قنبر .

(٢) نقله أيضاً من منية المريد .

(٣) أي الذي لاهيه له .

(٤) أي المخلوع .

(٥) منقول من النية أيضاً .

بذله لأهله قرينة إلى الله تعالى لأنه معالم الحلال والحرام ، و منار سبيل الجنة ، و المونس في الوحشة ، والصاحب في الغربة والوحدة ، و المحدث في الخلوة ، و الدليل على السراء والضراء ، و السلاح على الأعداء ، و الزين عند الأخلاء ، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة ، تقتص آثارهم ، و يقتدى بفعالهم ، و ينتهى إلى آرائهم ، ترغب الملائكة في خلقتهم ، و بأجنتها تمسحهم ، و في صلواتها تبارك عليهم ، و يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر و هوامه ، و سباع البر و أنعامه ، إن العلم حياة القلوب من الجهل ، و ضياء الأبصار من الظلمة ، و قوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ، و مجالس الأبرار ، و الدرجات العلى في الآخرة و الأولى ، الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام ، به يطاع الرب و يُعبد ، و به توصل الأرحام و يعرف الحلال و الحرام ، العلم إمام و العمل تابعه ، يلهمه السعداء ، و يحرمه الأشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظّه (١) .

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قال : «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم و العمل به ، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم ، و العلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه » (٢) .

وعنه عليه السلام العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، و إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدّها إلا خلف منه ، (٣) .

وعنه عليه السلام قال : «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه ، و كفى بالجهل ذمّاً أن يبرء منه من هو فيه » (٤) .

وعنه عليه السلام : أنه قال لكميل بن زياد : «يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك

(١) البحار ج ١ ص ١٦٦ و ١٧١ نقله من أمالي الصدوق والشيخ ، وأخرجه ابن عبد البر

في العلم كما في المختصر ص ٢٧ . وفي بعض النسخ [تقتبس آثارهم] مكان «تقتص آثارهم» .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٠ .

(٣) روى الصغار نحوه في البصائر .

(٤) ما عثرت عليه الا في منية المريد ص ٦ .

وأنت تحرس المال ، و العلم حاكم و المال محكوم عليه ، و المال ينقصه النقطة ، و العلم يزكو على الإغفاق ،<sup>(١)</sup>

وعنه عليه السلام أيضاً «العلم أفضل من المال بسبعة : الأول أنه ميراث الأنبياء و المال ميراث الفراعنة ، الثاني أن العلم لا ينقص بالنقطة و المال ينقص بها ، الثالث يحتاج المال إلى الحافظ و العلم يحفظ صاحبه ، الرابع العلم يدخل في الكفن و يبقى المال ؛ الخامس المال يحصل للمؤمن و الكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن خاصة ؛ السادس جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم في أمور دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال ؛ السابع العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط و المال يمنعه ،<sup>(٢)</sup>

وعنه عليه السلام «قيمة كل امرء ما يعلمه» - و في لفظ آخر ما يحسنه -<sup>(٣)</sup>

و نحن زين العابدين عليه السلام «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهبج و خوض اللجج»<sup>(٤)</sup> ، إن الله تعالى أوحى إلى داوود أن أمقت عبادي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وأن أحبّ عبادي عندي التقي الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القائل عن الحكماء ،<sup>(٥)</sup>

وعن الباقر عليه السلام قال : «من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ، و لا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ، و من علّم باب ضلالة كان عليه مثل أوزار من عمل به ، و لا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»<sup>(٦)</sup>

وعنه عليه السلام «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»<sup>(٧)</sup>

(١) رواه الصدوق في الخصال ج ١ ص ٨٧ . و ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٢٩ . و ابن شعبة في التحف ص ١٧٠ مرسل .

(٢) ما عثرت عليه الا في المنية .

(٣) نهج البلاغة أبواب الحكم تحت رقم ٨١ .

(٤) المهبج جمع مهبجة وهي الدم ، أو دم القلب خاصة ، اي بما يتضمن اراقة دماهم ، و اللجج جمع لجة وهي معظم الماء .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٥ . وفيه «القابل عن الحكماء» .

(٦) الكافي ج ١ ص ٣٥ . (٧) الكافي ج ١ ص ٣٣ .

وعنه عليه السلام «انَّ الَّذِي يَعْلَمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلَ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حِمْلَةِ الْعِلْمِ وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمْوهُ الْعُلَمَاءُ» (١) .  
وعنه عليه السلام «مِلْجَسٌ أَجْلَسَهُ إِلَى مَنْ أَثِقَ بِهِ أَوْثَقَ فِي نَفْسِي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ» (٢) .  
وعن الصادق عليه السلام «مَنْ عَلَّمَ خَيْرًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ ، قُلْتُ : فَإِنْ عَلَّمَهُ غَيْرُهُ (٣) يَجْرِي ذَلِكَ لَهُ ؟ قَالَ : إِنْ عَلَّمَهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ جَرَى لَهُ ، قُلْتُ : فَإِنْ مَاتَ ؟ قَالَ : وَإِنْ مَاتَ» (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « تَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ » (٥) وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : «لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (٦) .  
وعنه عليه السلام قال : «عَلَيْكُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا أَعْرَابًا (٧) فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٨) وَلَمْ يَرْكُزْ لَهُ عَمَلًا» (٩) .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٥ وفيه «مثل أجر» .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٩ .

(٣) أى علمه المتعلم ثالثاً . وقوله : «يجرى ذلك له» أى يجرى للاول أجر تعليم الثاني كما يجرى له أجر عمله ، و«علمه الناس كلهم» يعنى بوسائط ، و«ان مات» أى مات ذلك المعلم .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٥ .

(٥) منسوب الى الاعراب ولا واحد له ، والمراد الذين يسكنون البادية ولا يتعلمون الاحكام الشرعية .

(٦) النبوة : ١٢٢ . والخبر رواه الكليني - رحمه الله - فى الكافي ج ١ ص ٣١ .

(٧) أى لا تكونوا كالأعراب جاهلين بالدين ، غير متعلمين ، غافلين عن أحكامه ، معرضين عنها وعن تعلمها .

(٨) كناية عن سخطه وغضبه عليه وعدم الاعتداد به وسلب رحمته وفضله واحسانه و اكرامه عنه وحرمانه عن مقام القرب .

(٩) الكافي ج ١ ص ٣١ .

وعنه عليه السلام «لوددت أن أصعابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا» (١).  
 وعنه عليه السلام «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً  
 وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا  
 علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف  
 الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» (٢).  
 وعنه عليه السلام «إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين» (٣).  
 وقال معاوية بن عمار للمصادق عليه السلام : «رجل راوية لحديثكم يثبت ذلك في الناس  
 ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ورجل عابد» (٤) من شيعتكم ليست له هذه الرواية  
 أيهما أفضل؟ قال : «الراوية لحديثنا، يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».  
 وعنه عليه السلام قال : «ما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس - لعنه الله - من  
 موت فقيه» (٥).

وعنه عليه السلام «إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء» (٦).  
 وعن الكاظم عليه السلام قال : «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض (٧)  
 التي كان يعبد الله تعالى عليها وأبواب السماء التي كان يصعد منها أعماله، و ثلم في  
 الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» (٨).  
 وعنه عليه السلام قال : «دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل  
 فقال : من هذا؟ قيل : علامة، فقال : وما العلامة؟ فقالوا : أعلم الناس بأنسب العرب

(١) الكافي ج ١ ص ٣١ ، والسيوط جمع سوط وهو ما يجلد به .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٢ والبصائر ص ٣.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٢ وقدمر .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٣ « و لعل عابداً » .

(٥) الكافي ج ١ ص ٣٨ .

(٦) الكافي ج ١ ص ٣٨ .

(٧) بقاع جمع بقعة وهي القطعة من الارض

(٨) الكافي ج ١ ص ٣٨ .

و وقائعها و أيام الجاهلية و الأشعار العربية ، قال : فقال النبي ﷺ : ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه ، ثم قال النبي ﷺ : إنما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، ما خلاهن فهو فضل <sup>(١)</sup> .

## ﴿ فصل ﴾

قال <sup>(٢)</sup> : و من تفسير العسكري عليه السلام في قوله تعالى : « و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله - إلى قوله - و اليتامي » <sup>(٣)</sup> ، قال الإمام عليه السلام : و أما قوله : « و اليتامي » فإن رسول الله ﷺ قال : حث الله تعالى على بر اليتامي لا يقطعهم عن آبائهم ، فمن صانهم صانه الله تعالى ، و من أكرمهم أكرمه الله تعالى ، و من مسح يده برأس يتيم رفقا به جعل الله تعالى له في الجنة بكل شجرة مرت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا و ما فيها و فيها ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين و هم فيها خالدون .

وقال عليه السلام : « و أشد من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا و هذا الجاهل بشريعتنا ، المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه و أرشده و علمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدّثني بذلك أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ . »

وقال علي عليه السلام : « من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي جبونا به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور ، يضيء لأهل جميع تلك العرصات ، وعليه حلة لا يقوم <sup>(٤)</sup> لأقل سلك منها الدنيا بحذاقها ، ثم ينادي مناد من عند الله تعالى يا عباد الله هذا عالم من بعض تلامذة آل محمد ﷺ ، ألا فمن أخرج في الدنيا عن حيرة جهله فليتشبّه بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢ .

(٢) يعنى الشهيد الثاني - رحمه الله - فى المنية .

(٣) البقرة : ٨٣ . (٤) أى لا يقاوم ولا يعادل .

إلى نزهة الجنان<sup>(١)</sup> فيخرج من كان علمه في الدنيا خيراً ، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة .

قال: «وحضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام فقالت : إن لي والدته ضعيفة ، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، وقد بعثتني إليك أسألك ؟ فأجابتها عن ذلك ، فثقت فأجابت ، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشت فأجابت ، ثم خجلت من الكثرة وقالت : لأشق عليك يا بنت رسول الله ، قالت فاطمة عليها السلام : هاتي سلمي عما بدا لك أرايت من أكثرى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكرام مائة ألف ديناراً يشقل عليه ذلك ؟ فقالت : لا ، فقالت : أكرمت أنا الكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش أو لؤوا فأحرى ألا يشقل عليّ ، سمعت أبي عليه السلام يقول : « إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور ، ثم ينادي مناد في السماء من ربنا عز وجل : أيها الكافلون لا يتام آل محمد الناعشون لهم<sup>(٢)</sup> عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأتام الذين كفلتهموهم ونعشتهموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر علمه ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم - يعني في الأيتام - من يخلع عليه مائة ألف حلّة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم ، ثم إن الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم ، وتضعفوها ، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم ، وكذلك من بمرتبتهم ممن خلع عليهم على مرتبتهم » .

وقالت فاطمة : « يا أمة الله إن سلكتك تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف مرة و ما فضل ما طلعت عليه الشمس فإنه مشوب بالتنقيص والكدر<sup>(٣)</sup> .

(١) في المنقول منه في البحار « نزه الجنان » وفي تفسير البرهان « روض الجنان »

و في بعض نسخه « ذروة الجنان » .

(٢) نعشه أى رفعه .

(٣) ينقص الله عليه العيش تنقيصاً أى كدره .



وقال الحسن بن علي عليه السلام : «فضل كافل يتيم آل محمد ، المنقطع عن مواليه ، الناشب في تيه الجهل <sup>(١)</sup> يخرج به من جهله ، و يوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهي ».

وقال الحسين عليه السلام : «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده بهداه قال الله عز وجل : يا أيها العبد الكريم المواسي إني أولى بهذا الكرم منك ، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه إياه ألف ألف قصر وضموها إليها ما يليق بها من سائر النعم ».

وقال علي بن الحسين عليه السلام : «أوحى الله عز وجل إلى موسى حبسني إلى خلقي وحبس خلقي إلي ، قال : يارب كيف أفعل ؟ قال : ذكرهم آلائي و نعمائي ليحبسوني فلئن ترد آبقا عن بابي ، أوضلاً عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها و قيام ليلها ، قال موسى عليه السلام : ومن هذا العبد آبق منك ؟ قال : العاصي المتمرّد ، قال : فمن الضال عن فرائضك ؟ قال : الجاهل بإمام زمانه تعرّفه ، والغائب منه بعد ما عرفه ، الجاهل بشريعة دينه تعرّفه شريعته ، وما يعبد به ربه ، ويتوصل به إلى مرضاته ».

قال علي عليه السلام : «فأبشر و امعاشر علماء شيعتنا بالشواب الأ عظم و الجزاء الأوفر ».

وقال محمد بن علي عليه السلام : «العالم كمن معه شمعة تضئ للناس ، فكل من أبصر بشمعة دعاله بخير ، كذلك العالم معه شمعة يزيل بها ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضأت له فخرج بها من حيرة ، أو نجى بها من جهل فهو من عتقائه من النار ، والله تعالى يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف فنظار على غير الوجه الذي أمر الله عز وجل به ، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله تعالى ، ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة ».

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : «علماء شيعتنا رابطون بالشر الذي يلي إبليس و غفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا و عن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الرّوم و الترك و الخزر

(١) نشب الشيء في الشيء - بالكسر - نشوباً أى علق فيه . (المصباح) .

ألف مرة . لأنه يدفع عن أديان محبينا و ذلك يدفع عن أبدانهم .  
وقال موسى بن جعفر عليه السلام : « فيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا ، والتعليم عن علومنا بتعليمه ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإيمانه لينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد و ألف ألف عابدة » .

و قال علي بن موسى عليه السلام : يقال للعابد يوم القيامة : نعم الرجل كنت ، همته ذات نفسك و كفت الناس مؤوتك فادخل الجنة ، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ، ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى ، وحصل لهم رضوان الله تعالى و يقال للفقيه : يا أيها الكافل لا يتام آل محمد ، الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم ، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك ، فيقف فيدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً . حتى قال عشراً . وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عنه أخذ عنه وعمته أخذ عنه أخذ عنه إلى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق ما بين المنزلتين » .

و قال محمد بن علي عليه السلام : « من تكفل بأيتام آل محمد عليهم السلام المنقطعين عن إمامهم المنتهيين في جهلهم ، الأسراء في أيدي شياطينهم ، و في أيدي النواصب من أعدائنا ، فاستنقذهم منهم ، وأخرجهم من حيرتهم ، وقهر الشياطين برداً وساسمهم ، وقهر الناصبين بحجج ربهم و دليل أئمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي و الحجب على السماء ، و فضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء » .

و قال علي بن محمد عليه السلام : « لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه ، والذابين عن دينه بحجج الله تعالى ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس - لعنه الله - ومردته ، ومن فحاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله تعالى ولكنهم الذين يمسكون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكاكها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل » .

و قال الحسن بن علي عليه السلام : تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل

ولا يتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم ، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء ، قد ابنت تلك الأنوار في عرصات القيامة ، و دورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة ، فشعاع تيجانهم ينبعث فيها كلها ، فلا يبقى هناك يتيم قد كفله و من ظلمة الجهل أنقذوه و من حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم رفعتهم إلى العلو يحاذي بهم فوق الجنان ، ثم ينزلونهم على منازلهم المعدة في جوار أساتيدهم و معلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون ، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا أعميت عيناه و صمّت أذناه ، وأخرس لسانه ، ويحول عليه أشد من لهب النيران فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدفعوهم إلى سواء الجحيم<sup>(١)</sup>.

فهذه نبذة مما ورد في فضائل العلم من الحديث اقتصرنا عليها إشاراً للاختصار .

### ﴿ فصل ﴾

قال<sup>(٢)</sup> : ومن الحكمة القديمة : قال لقمان لابنه : « يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإن تكن عالماً ينفعك علمك و إن تكن جاهلاً علّموك ولعلّ الله تعالى أن يظلمهم برحمة فتعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم فإن تكن عالماً لا ينفعك علمك و إن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعلّ الله أن يظلمهم بعقوبة فتعمّك معهم<sup>(٣)</sup> .

وفي التوراة « قال الله تعالى لموسى عليه السلام : عظم الحكمة فاني لأجعل الحكمة في قلب أحد إلا وأردت أن أغفر له فتعلّمها ، ثم اعمل بها ، ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة » .

وفي الزبور « قل لأخبار بني إسرائيل ورهبانهم : حادثوا من الناس الأتقياء ، فإن لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء ، فإن لم تجدوا فيهم عالماً فحادثوا العقلاء ، فإن التقى و العلم والعقل ثلاث مراتب ماجعلت واحدة منهن في خلقي وأنا أريد هلاكه » .

(١) منية المريد ص ٩ من تفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .

(٢) يعني الشهيد - رحمه الله - في المنية .

(٣) نقله ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٥٤ وفي الكافي ج ١ ص ٣٩ .

قيل: وإنما قدّم التقى لأن التقى لا يوجد بدون العلم كما تقدّم من أن الجنة لا تحصل إلا بالخشية ، والخشية لا تحصل إلا بالعلم ولذلك قدّم العلم على العقل ، لأنّ العالم لابد أن يكون عاقلاً .

وفي الإنجيل « قال الله تعالى في السورة السابعة عشر منه : «ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال إلى النار ، اطلبوا العلم وتعلّموه ، فإنّ العلم إن لم يسعدكم لم يشقكم ، وإن لم يرفعكم لم يضعكم ، وإن لم يغنكم لم يفقركم ، وإن لم ينفعكم لم يضركم ، ولا تقولوا : نخاف أن نعلم ولا نعمل ، ولكن قولوا : نرجوا أن نعلم ونعمل ، والعلم يشفع لصاحبه وحقّ على الله تعالى ألا يخزيه ، إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة : يا معشر العلماء ما ظننكم بربكم ؟ فيقولون : ظننّا أن ترحمنا وتغفر لنا ، فيقول الله تعالى : قد فعلت إنّي استودعتكم حكمتي لا لشرّ أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي إلى جنّتي برحمتي » .

وقال مقاتل بن سليمان : « وجدت في الإنجيل أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام : عظم العلماء وأعرف فضلهم فإنّي فضلتهم على جميع خلقي إلا النبيّين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب ، وكفضل الآخرة على الدنيا ، وكفضلي على كل شيء » .  
ومن كلام المسيح عليه السلام « من علم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء » .

### ﴿ فصل ﴾

قال: أبو حامد - رحمه الله - : دوام الآثار - وذكر مبدأ بما نقلناه عن بعض علمائنا في الأخبار ، وأسند النبويّ منه إلى جماعة من الصحابة وكذلك فعل في الآثار التي أوردها في فضيلتي التعلّم والتعليم وذكر في الأخبار التي أوردها فيهما بعض ما ذكرناه من الأخبار من طريق الخاصة .

ومما ذكره في الآثار: قال أبو الأسود الدئليّ : ليس شيء أعزّ من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك .

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : خير سليمان بن داود بين العلم والملوك والمال

فاختار العلم فأعطى المال والملك معه .

**وقال** بعض العلماء : ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم ، وأي شيء فاته من أدرك العلم .

**وقال** ابن عباس : تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحياؤها .

وقيل لبعض الحكماء : أي الأشياء يقتنى ؟ قال : الأشياء التي إذا غرقت سفينةك سبحت معك - يعني العلم - .

قيل : أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت .

**وقال** بعض الحكماء : إنني لأرحم رجلاً كرهتني لرجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم ولا يطلب العلم .

أقول : وقال بعض علمائنا - رحمهم الله - ومن الآثار عن أبي ذر - رضي الله عنه - : باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً .

وقال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً » .

**وقال** وهب بن منبه : يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دينياً ، والعز وإن كان مهيناً ، والقرب وإن كان قصياً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والنبل وإن كان حقيراً ، والمهابة وإن كان وضعياً ، والسلامة وإن كان سقيماً .

**وقال** بعض العارفين : أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت كذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت .

**وقال** آخر : من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه فله سبع كرامات : ينال فضل المتعلمين ، ويحبس عنه الذنوب ما دام عنده ، وتنزل الرحمة عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم ، وإذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه فحصل له منها نصيب ، وما دام في الاستماع يكتب له طاعة ، وإذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة إلى حضرة الله لقوله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم » ويرى إعزاز المسلمين للعالم وإذلالهم للفساق فيرد قلبه عن الفسق . وتميل

طبيعته إلى العلم و لهذا أمر ﷺ بمجالسة الصالحين .

و قال أيضاً : من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله تعالى ثمانية أشياء : من جلس مع الأغنياء زاده الله تعالى حبّ الدنيا و الرّغبة فيها ، و مع الفقراء حصل له الشكر و الرضا بقسم الله تعالى ، و مع السلطان زاده الله تعالى القوة و الكبر ، و مع النساء زاده الله تعالى الجهل و الشهوة ، و مع الصبيان ازداد من الجرأة على الذنوب و تسويف التوبة ، و مع الصالحين ازداد رغبة في الطاعات ، و مع العلماء ازداد من العلم ؛ علّم الله تعالى سبعة نفر سبعة أشياء آدم الأسماء كلّها ، و الخضر علم الفراسة ، و يوسف علم التعبير ، و داود صنعة الدّروع ، و سليمان منطق الطير ، و عيسى التوراة و الإنجيل لقوله تعالى : « وعلّمه الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل <sup>(١)</sup> » ، و محمداً ﷺ علم الشرع و التوحيد « و علّمك الكتاب و الحكمة <sup>(٢)</sup> » .

فعلم آدم ﷺ كان سبباً في سجود الملائكة له و الرفعة عليهم ، و علم الخضر كان سبباً لوجود موسى ﷺ تلميذاً له ، و يوشع ﷺ و تدلّله له كما يستفاد من الآيات الواردة في القصّة ، و علم يوسف ﷺ كان سبباً لوجدان الأهل و المملكة و الاجتباء ، و علم داود ﷺ كان سبباً للرئاسة و الدّرجة ، و علم سليمان ﷺ كان سبباً لوجدان لقيس و الغلبة ، و علم عيسى ﷺ كان سبباً لزوال التهمة عن أمّه ، و علم محمداً ﷺ كان سبباً في الشفاعة .

طريق الجنّة في أيدي أربعة : العالم ، و الزاهد ، و العابد ، و المجاهد ، فإذا صدق العالم في دعواه رزق الحكمة ، و الزاهد يرزق الأمن ، و العابد الخوف و المجاهد الثناء . قال بعض المحقّقين <sup>(٣)</sup> : العلماء ثلاثة : عالم بالله غير عالم بأمر الله فهو عبد استولت المعرفة الإلهية على قلبه ، فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلال و الكبرياء ، فلا يتفرّغ

(١) آل عمران : ٤٨ .

(٢) كذا و ليست الآية هكذا في المصحف ولعل المراد الآية التي كانت في سورة النساء :

١١٣ « و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم - الآية - » .

(٣) الظاهر المراد به شقيق البلخي كما هو ظاهر كلام فخر الدين الرازي في تفسيره

عند تفسير آية ٣٠ من سورة البقرة .

لتعلم علم الأحكام إلا ما لا بد منه ، وعالم بأمر الله غير عالم بالله فهو الذي عرف المحال والحرام ودقائق الأحكام لكنه لا يعرف أسرار جلال الله تعالى ، وعالم بالله وبأمر الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات ، فهو تارة مع الله بالحب له ، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة ، فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه لا يعرف الله تعالى ، وإذا خلا بربه مشغلاً بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق ، فهذا سبيل المرسلين والصدّيقين ، وهو المراد بقوله ﷺ : « سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء » .

فالمراد بقوله ﷺ : « سائل العلماء ، العلماء بأمر الله غير العالمين بالله ، فأمر بمساءلتهم عند الحاجة إلى الاستفتاء ، وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله فأمر بمخالطتهم ، وأما الكبراء فهم العالمون بهما <sup>(١)</sup> ، فأمر بمجالستهم لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة .

ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات فللعالم بأمر الله الذّكر باللسان دون القلب ، والخوف من الخلق دون الرب ، والاستحياء من الناس في الظاهر ، ولا يستحيي من الله تعالى في السر ؛ والعالم بالله تعالى ذاكر خائف مستحيي ، أما الذكر فذكر القلب لا اللسان ، والخوف خوف الرّجاء لا المعصية ، والحياء حياء ما يخطر على القلب لحياء الظاهر ؛ والعالم بالله وبأمره له ستة أشياء الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة أخرى : كونه جالساً على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وكونه معلماً للقسمين ، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الأ ولان إليه وهو مستغن عنهما ، فمثل العالم بالله وبأمر الله تعالى كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص ، ومثل العالم بالله تعالى فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص أخرى ، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيئ لغيره .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد - رحمه الله - : « وأما الشواهد العقلية : اعلم أن المقصود من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن (١) أي بالله و بأحكامه .

أن يعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال ، ولقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيمٌ أم لا ، و هو بعد لم يفهم معنى الحكمة و حقيقتها ، فالفضيلة مأخوذة من الفضل و هو الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر و اختصّ أحدهما بمزيد يقال : فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل و يزيد عليه بقوة الكرّ و الفرّ و شدة العدو و حسن الصورة ، فلو فرض حمارٌ اختصّ بسلعة زائدة<sup>(١)</sup> لم نقل : إنه أفضل من الفرس لأنّ تلك زيادة في الجسم و نقصان في المعنى ، و ليس من الكمال في شيء و الحيوان مطلوب لمعناه و صفاته لا بجسمه ، و إذا فهمت هذا لم يخف عليك أن للعلم فضيلة في ذاته ، إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات ، بل شدة العدو فضيلة في الفرس و ليست فضيلة على الإطلاق ، و العلم فضيلة في ذاته و على الإطلاق من غير إضافة ، فإنه وصف كمال الله سبحانه و به شرف الملائكة و الأنبياء ، بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . و اعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لذاته ، و إلى ما يطلب لغيره ، و إلى ما يطلب لذاته و لغيره ، و ما يطلب لذاته أشرف و أفضل ممّا يطلب لغيره ، و ما يطلب لذاته و لغيره أشرف ممّا يطلب لذاته فحسب ، و المطلوب لغيره كالدرهم و الدنانير فإنهما حيران لا منفعة فيهما و لولا أن الله عزّ و جلّ يسرّ قضاء الحاجات بهما لكنا و الحصى بمنزلة واحدة ، و أمّا الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ، و الذي يطلب لذاته و لغيره فكسالة البدن فإن سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث إنه سلامة عن الألم ، و مطلوبة للمشي بها ، و التوصل إلى المآرب و الحاجات ، و بهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت له لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته و وجدته وسيلة إلى دار الآخرة و سعادتها ، و ذريعة إلى القرب من الله تعالى ، و لا يتوصل إليه إلا به ، و أعظم الأشياء رتبة في حقّ الآدمي السعادة الأبدية ، و أفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ، و لا يتوصل إليها إلا بالعلم و العمل ، و لا يتوصل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم

(١) السلمة - بالكسر - خراج في البدن كالقعدة أو زياده فيه .



بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا ؟ وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ، والالتحاق بأفق الملائكة و مقارنة الملاء الأعلى ، هذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فالعز والوقار ، ونفوذ الحكم على الملوك ، ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك <sup>(١)</sup> و أجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزية علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان بشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها ، هذه فضيلة العلم مطلقاً .

ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتفاوت لا محالة فضايلها بتفاوتها أما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل و كان تعليمه إفادة للأفضل ؛ و بيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ، ومنزلاً لمن اتخذها مستقراً ووطناً ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال آدميين ، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام :

أحدها أصول لا قوام للعالم دونها ، وهي أربعة : الزراعة وهي للمطعم ، والحياكة وهي للملبس ، والبناء وهي للمسكن ، والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

الثاني ما هي مهيسة لهذه الصناعات و خادمة لها كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بأعداد آلاتها و كالحلابة والغزل فإنها تخدم الحياكة بأعداد محملها . الثالث ما هو متممة للأصول و مزيينة لها كالطحن و الخبز للزراعة و كالتقصيرة و الغياطة للحياكة و ذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إليه فإنها ثلاثة أضرب : إما أصول كالقلب و الكبد و الدماغ ، وإما خادمة لها كالعدة و العروق و الشرائين و الأعصاب و الأوردة ، وإما مكملة لها و مزيينة كالأظفار و الأصابع و الحاجبين ؛ و أشرف هذه الصناعات أصولها ، و أشرف أصولها

(١) النبي : القليل الفطنة ، الجاهل .

السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بهما لا يستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات ؛ و السياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنعجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى - وهي العلياء - سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهريهم و باطنيهم ؛ الثانية الخلفاء والملوك والسلطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ، ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم ؛ الثالثة سياسة العلماء بالله سبحانه وتعالى و بدينه الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع ؛ الرابعة سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط . وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم ، و إنما قلنا : إن هذا أفضل من سائر الحرف و الصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوسل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل ، و اللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ؛ وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب و الآخر جلد الميتة و ليس يخفى أن العلوم الدينية و هي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل و صفاء الذكاء ، و العقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه إذ به قبل الإنسان أمانة الله عز وجل و به يصل إلى جوار الله سبحانه ، و أما عموم النفع فلا يستريب فيه أحد فإن نفعه و ثمرته سعادة الآخرة ، و أما شرف المحل فكيف يخفى و المعلم متصرف في قلوب البشر و نفوسهم ، و أشرف موجود على الأرض جنس الإنسان ، و أشرف جزء من جوهر الإنسان قلبه ، و المعلم مشغول بتكميله و تحليلته و تطهيره و سياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه عبادة الله عز وجل و من وجه خلافة الله عز وجل ، و هو أجل خلافة ، إذ بالمقاصد تفتقر الأحكام ، فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص

صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ، ثم هو مأذون له في الاتفاق على كل من هو محتاج إليه فأية رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله عز وجل زلفى وسياقتهم إلى الجنة المأوى .

### ﴿ فصل ﴾

أقول : ومن الشواهد العقلية على شرف العلم و نفاسته أن اللذة والابتهاج والسرور ليست إلا بالأدراك ولا شك أن اللذات العقلية أقوى وأشد من اللذات الخيالية والخيالية أقوى وأتم من الحسية ، بل لا نسبة للذات العقلية إلى الحسية وذلك لأن العقل يدرك الشيء على ما هو عليه مجرّداً عما هو غريب له من القشور والملبوسات فينال حاقاً جوهره ولبّ ذاته ، وأمّا الحس فلا يدرك إلا المخلوط بغيره ، والمشوب بما سواه ، فلا يحس باللون مالم يحس معه بالطول والعرض والأين وبأشياء أخرى غريبة عن حقيقة اللون ، وأيضاً فإن إدراك العقل بطابق المدرك ولا يتفاوت والحس يرى الشيء الواحد عظيماً في القرب ، صغيراً في البعد ، وكلّما صار أبعد يرام أصغر إلى أن يصير بسبب البعد كنقطة ثم تبطل رؤيته وكلّما صار أقرب كان أعظم إلى أن يصير بسبب القرب كنصف العالم ثم تبطل رؤيته ، وأيضاً العقل الذي يراعي القوانين العقلية المنطقية و يتطهر من المعاصي والأدناس ولا يزاحمه الوهم والوسواس فهو معصوم من الغلط والخطأ ، وأمّا الحس فهو يغلط في الإدراك كثيراً حيث يرى الشمس مقداراً أترجة ومقدار جرمها مائة وستون مثلاً لمقدار جرم الأرض<sup>(١)</sup> وأيضاً فإن مدركات العقل الأمور الكلية الأزلية والذوات النورية التي يستحيل تغييرها وذات الحق الأول الذي يصدر منه كل كمال وجمال وبهاء في العالم وتفاصيل المعقولات لا تكاد تنتهي لأن أجناس الموجودات وأنواعها غير متناهية وكذا المناسبات الواقعة بينها وهي تقوى العقل وتزيده نوراً كلما كثرت ، وأمّا مدركات الحس فهي الأجسام وأعراضها المستحيلة الزائلة المحصورة في أجناس قليلة وهي تفسد الحس إذا قويت لذته ، فإن لذّة العين مثلاً في الضوء وألمها في الظلمة

(١) على ما عليه القدماء .

والضوء القوي يفسدها ، وكذا الصوت القوي يفسد السمع ويمنعه من إدراك الخفي بعده وأيضاً فإن الأمر كما قيل : [إن] ألدّ اللذات الحسيّة هو المنكوحات والمطعومات وأما وتجري مجراها والتمكّن من غلبة ما رآو في أمر خسيس كالشطرنج والترد قديع من له مطعوم ومنكوح فيرفضه لما يعتاضه من لذّة الغلبة الوهميّة وقديع عرض مطعوم ومنكوح في صعبة حشمة فينفضّ اليد عنهما مراعاة للحشمة فيكون مراعاة الحشمة آثراً وألذّ لا محالة هناك من المطعوم والمشروب وإذ اعرض الكرام من الناس الالتذاذ بما نعام يصيبون موضعه آثروهم على الالتذاذ بمشتهى حيواني متنافس فيه وآثروا فيه غيرهم على أنفسهم مسرعين إلى الإي نعام به وكذلك ، فإنّ كبير النفس يستصغر الجوع والعطش عند المحافظة على ماء الوجه و يستحقّ هول الموت ومفاجات العطب عند مناجزة الأقران والمبارزين وربما اقتحم الواحد منهم على عدد دهم ممتطئاً<sup>(١)</sup> ظهر الخطر لما يتوقّعه من لذّة الحمد ولو بعد الموت كأنّ تلك تصل إليه وهو ميت ، فقد بان أنّ اللذات الباطنة مستعملية على اللذات الحسيّة وليس ذلك في العاقل فقط بل وفي العجم من الحيوانات ، فإنّ من كلاب الصيد ما تقتنص على الجوع ثمّ يمسكه على صاحبه وربما حمله إليه ، والراضعة من الحيوانات تؤثر ما ولدته على نفسها وربما خاطرت بحماية عليه أعظم من مخاطرتها في ذات حمايتها نفسها فاذا كانت اللذات الباطنة أعظم من الظاهرة وإن لم تكن عقليّة فما قولك في العقليّة فطوي لعقول شريفة تمثّلت فيها جليلة الحقّ الأوّل قدر ما يمكنها أن تنال منه بيئاته الذي يخصّه ثمّ يتمثّل فيها الوجود كلّ على ما هو عليه مجرّداً عن الشوائب مبتدئاً فيه بعد الحقّ سبحانه بالجواهر العقليّة الجبروتيّة ، ثمّ الروحانيّة الملكوتيّة والأجرام السماويّة ، ثمّ ما بعد ذلك تمثّلاً لا يمايز الذات ، قال بعض العلماء : لو علم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربوا بالسيوف ، وللاّخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله ، إنّ معرفة الله تعالى آس من كلّ وحشة ،

(١) الدهم : العدد الكثير ، و امتطىء الدابة : ركبها .

وصاحب من كل وحدة ، ونورٌ من كل ظلمة ، وقوةٌ من كل ضعف ، وشفاءٌ من كل سقم ، ثم قال : قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير<sup>(١)</sup> وتضييق عليهم الأرض ، يرحبها فما يردُّهم عما هم عليه<sup>(٢)</sup> شيءٌ مما هم فيه من [البلاء] غير ترة وتروا<sup>(٣)</sup> من فعل ذلك بهم ولا أذى بما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فسلوا ربكم درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم تدر كوا سعيهم<sup>(٤)</sup> .

## ﴿الباب الثاني﴾

« في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، و بيان أن موقع الفقه والكلام من علم الدين إلى أي حد هو ، وتفصيل علم الآخرة .

### ﴿بيان العلم الذي هو فرض عين﴾

قال **العلامة** : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وقال **العلامة** : « اطلبوا العلم ولو بالعين » . واختلف الناس في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم وتحزُّبوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا تطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق تزَّال الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون : هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته ، وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحلُّ وعنوا به ما يحتاج إليه الأحاديث والوقائع النادرة ، وقال المفسِّرون

(١) مناشير : جمع منشار : آلة ذات اسنان ينشر به الخشب .

(٢) أى عن الطاعة أو دينهم الحق ، والرحب : السعة .

(٣) أى مكروه أو جناية أصابوا منهم ، قال فى القاموس : وترا الرجل : أفزعه و

أدركه بكروهه ، و وتره ماله تقصه آياه . وفى النهاية الترة : النقص و قيل : التبعة والهاء فيه عوض الواو المحذوفة .

(٤) رواه الكليني - رحمه الله - فى الكافى ج ٨ ص ٢٤٧ تحت رقم ٣٤٧ .

والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها ، وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم أي علمنا ، فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله و مقامه من الله عز وجل وقال بعضهم : هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان ، وقال بعضهم : هو علم الباطن و ذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك ، وصرفوا اللفظ عن عمومه و قال أبو طالب المكي : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام و هو قوله وَاللَّهُ : « بني الإسلام على خمس » لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها و بكيفية الوجوب .

والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سذكروه وهو أن العلم كما قد مناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علمين : علم معاملة و علم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة ، والمعاملة الذي كلف العبد البالغ العاقل بها ثلاثة أقسام : اعتقاد ، وفعل ، وترك . فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأقول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . أقول : ويضيف إليه مجمل الاعتقاد بما يجب لله من الكمال وما يمتنع عليه من النقصان والإزعاج بالإمامة للإمام والتصديق بما جاء به النبي وَاللَّهُ من أحوال الدنيا والآخرة مما ثبت عنه تواتراً .

قال : وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزءاً من غير اختلاج ريب و اضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث و برهان إذا اكتفى رسول الله وَاللَّهُ من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت و كان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم ذلك على الإجمال و ليس يلزمه أمر و راء هذا في الوقت بدليل أنه لومات عقيب ذلك كان مطيعاً لله تعالى غير عام و إنما يجب غير ذلك بعرض يعرض و ليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الإفكاك عنها .

و تلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد ، أمّا في

الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة وإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل خرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال: الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال: وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلاة فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال، فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال وإنما يلزمه عند تمام الحول من وقت إسلامه، فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخلت أشهر الحج أو شهر لو توجه فيه إلى مكة لوصل إليها في الموسم وكان مستطيعاً لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه واجباته دون نوافله، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل، فلا يكون فرض عين وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين، وأما الترك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك مختلف بحال الشخص، إذ لا يجب على الأكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكين فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملاس له فيجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير أو جالساً في غضب أو ناظراً إلى غير محرم فيجب تعريفه ذلك، وما ليس ملاساً له ولكنّه بصدد التعرض له على القرب كالأكل فيجب تعليمه ذلك حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمات الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك، فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد تفاصيل الصفات الثبوتية والسلبية ففدعات

على الإسلام إجماعاً ، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يسان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق خشية سبق الباطل قلبه فإنه لو أُلقي عليه الباطل لوجب إزالته من قلبه ، وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد الذي هو فيه معاملة الربا وجب عليه تعلّم الحذر من الربا ، فهذا هو العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ، فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه ، فقد علم الذي هو فرض عين .

وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو [و] من ملّة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدّى له ، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلّم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبّع ، وإعجاب المرء بنفسه - الحديث - (١)» ولا ينفك عنها بشرٌ وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والحسد وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها ، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ، ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل إلى ملّة أخرى (٢) إلا إيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتّى يؤمن به ويصدق وهو من تنمّة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم معنى الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله عز وجل ورسوله عليه السلام فله الجنة ومن عصاهما فله النار ، فإذا تنبّهت لهذا التدرّج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في الخصال ج ١ ص ٤٢ من حديث أنس

عن النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) في الأحياء « قد انتقل عن ملّة الى ملّة أخرى » .



و ليلته لا يغلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته تجدد عليه لوازمه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر و يلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه **وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** إنما أراد بالعلم - المعروف بالألف واللام - في قوله **وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** : «طلب العلم فريضة» علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريب و وقت وجوبه .

### ❖ بيان العلم الذي هو فرض كفاية ❖

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم و العلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية و غير شرعية و أعنى بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم - و لا يرشد العقل إليها مثل الحساب و الهندسة و لا التجربة مثل الطب و لا السماع مثل اللغة .

و العلوم التي ليست شرعية تنقسم إلى ما هو محمود و إلى ما هو مذموم و إلى ما هو مباح ، فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب و الحساب ، و ذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية و إلى ما هو فضيلة و ليس بفريضة ، و أمّا فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان على الصحة و كالحساب فإنه ضروري في المعاملات و قسمة الوصايا و الموارث و غيرها و هذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد ، و إذا قام بها واحد كفى و سقط الفرض عن الآخرين و لا يتعجب من قولنا أن الطب و الحساب من فروض الكفايات ، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالزراعة و الحياكة و السياسة بل الحجامة فإنه لو خلا البلد عن الحجّام لتسارع الهلاك إليهم و خرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، و أرشد إلى استعماله ، و أعد الأسباب لتعاطيه ، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله .

وأمّا ما يعدّ فضيلة فكالتمعن في دقائق الحساب و حقائق الطب ، و غير ذلك ممّا يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه .

و أمّا المذموم منه فعلم السحر و الطلسمات و علم الشعبة و التلبيسات .

وأما المباح منه فعلم الأُشعار التي لاسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه .  
وأما العلوم الشرعية وهي مقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس  
بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة ، فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة أما المحمودة  
فلها أصول وفروع ومقدمات وتمامات فهي أربعة أضرب :

الضرب الأول الأصول وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ  
وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة ، والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو  
أصل في الدرجة الثانية وكذلك الأثر فإنه يدل أيضاً على السنة .  
أقول : الصواب على أصولنا أن يقال بدل آثار الصحابة آثار أهل البيت أعني  
الأئمة المعصومين - صلوات الله عليهم - فإن آثار الصحابة كلهم ليست حجة عندنا  
وإنما الحجة في قول المعصوم عليه السلام فحسب كما ثبت في محله .

قال : « الضرب الثاني الفروع : هو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها  
بل بمعان تنبّهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما  
فهم من قوله ﷺ : « لا يقضي القاضي وهو غضبان »<sup>(١)</sup> ، إنه لا يقضي إذا كان حاقناً أو  
جائماً أو متألماً بمرض أو عطشان أو ذاتوقان أو شبق<sup>(٢)</sup> وما أشبهه مما يشغله عن  
الإحتياط في إمضاء ما هو بصدده من أمور القضاء وفصل الخصومات .

أقول : هذا قياس غير صحيح عندنا والصواب على أصولنا أن يمثل بقوله عز  
وجل : « ولا تقل لهما أف »<sup>(٣)</sup> ، فإنه يفهم منه المنع من الضرب والشتم أيضاً بطريق أولى .  
قال : « وهذا على ضربين أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقهاء  
والتكفّل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا ، والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم أحوال  
القلب وأخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله عز وجل وما هو مكروه ،

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي كتاب القضاء باب أدب الحكم .

(٢) تاق يتوق توقاً وتوقناً إليه اشتاق وإلى الغاية : اسرع وحينه بالدموع : و  
تاق منه اشفق ، وذاشبق أي ذا شهوة فاسدة شديدة .

(٣) الاسراء : ٢٣ .

و هو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني ربيعي المهلكات والمنجيات ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول .  
الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلات لعلوم كتاب الله سبحانه وسنة رسول الله ﷺ وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن لزوم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ، ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً إذ لو تصوّر استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً .  
الضرب الرابع المتممات وذلك إما في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضاً على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به ، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والخامس والعام ، والنص والظاهر ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً ؛ وأما المتممات في الأخبار والآثار فالعلم بالرجال وأسماهم ، وأسامي الصحابة وصفاتهم ، والعلم بالعدالة في الرواة ، والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي ، والعلم بأعمارهم لتمييز المرسل عن المسند ، وكذلك ما يتعلق به ، فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات .

### ﴿ فصل ﴾

أقول : أما ما ذكره أبو حامد - رحمه الله - من أن العلم بمعاني القرآن وتفسيره إنما الاعتماد فيه على النقل فصحيح ولكنه أراد بالنقل ما يروى عن الصحابة والتابعين الذين كانوا يفسرون القرآن في الأكثر بآرائهم ، الذين لا يجوز الاعتماد على أقوالهم ودياناتهم ، وأما ما ذكره من أن العلم المتعلق بأحكام القرآن والسنة من الناسخ

والمفسوخ، والعام والخاص، وغير ذلك إنما يعرف من العلم المسمى بأصول الفقه فليس كذلك بل الحق أن الواجب في كلا العلمين أن يؤخذ من أهله وليس أهله إلا الذين أوصى النبي ﷺ بالتمسك بهم بعده بقوله: «إنني تارك فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (١)، ومعنى عدم الافتراق أن علم القرآن عندهم فمن تمسك بهم تمسك بهما وهم أولوا الأمر الذين قال الله فيهم: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (٢)، وقال سبحانه فيهم: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» (٣)، ومنشأ هذا الخطأ والاشتباه (٤) أنه لما غلب على أراذل العرب و منافقيهم حب الرئاسة، واشتعل في نفوسهم نائرة الحسد و النفاسة، وبذنوا ما أوصاهم به رسول الله ﷺ - في يوم الغدير وغيره - وراء ظهورهم، وخذلوا وصيته ثم الأوصياء من بعد وصيته، الذين كانوا هم أئمة الحق، وألسنة الصدق، وشجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، وخزائن أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، الأئمة على الحقائق، والخلفاء على الخلائق، أولي الأمر الذين أمروا بطاعتهم، وأولي الأرحام الذين أمروا بصلتهم، وذوي القربى الذين أمروا بمودتهم، وأهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم، والموالي الذين أمروا بمولاتهم ومتابعتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والراسخين في العلم الذين عندهم علم القرآن كله تأويلاً وتفسيراً، أحد السببين اللذين من تعلق بهما فازت قداحه، وثاني الثقلين اللذين من تمسك بهما أسفر عن حمد السرى صباحه (٥) الذين مثلهم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجي، ومن تخلف عنه غرق، الذين إذا نطقوا

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ من حديث أبي سعيد الخدري

و ج ٤ ص ٣٦٧ و ٣٧١ و ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩ بأدنى تغيير في الالفاظ .

(٢) النساء : ٨٣ .

(٣) النساء : ٥٨ . (٤) أي الذي وقع في كلام أبي حامد و أضرا به .

(٥) السرى : السير في الليل وفي المثل المعروف «عند الصباح يحيد القوم السرى» .

نطقوا بالصواب ، و أتوا بالحكمة ، وفصل الخطاب ، و عرفوا كيف تؤتى البيوت من الأبواب ، فلمّا خذلهم الأوثان استتبهم أمرهم على الآخرين و ذلك لأنّه لمّا جرى في الصحابة ما جرى و خدع بهم عامّة الورى أعرض الناس عن الثقلين و تاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شزيمة من المؤمنين ، فمكثوا بذلك سنين ، و عمهوا في غمرتهم حتّى حين ، و كان العلم مكتوماً و أهله مظلوماً ، لاسيّلا لهم إلى إبرازه إلا بتعميته و الغازه ، ثمّ خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية ، ولا ناصبين العداوة ، [و] لم يدروا ما صنعوا ، و عمن أخذوا ، فعمدوا إلى طائفة ممارين من أهل الأهواء <sup>(١)</sup> ، و قوم مرّائين من الجاهلاء وزعموا أنّهم من العلماء ، فكانوا يفتونهم بالآراء و ذلك لأنّ جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله ﷺ في الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام ليست إلا أربعة آلاف على ما قالوه <sup>(٢)</sup> ولم يكفهم ذلك ، فإذا نزلت حادثة ولم يكن لهم فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم فيها بالرأي من أصول وضعوها و قواعد أسسوها استناداً إلى رواية كانت من إختلاق أئمتهم ، و افتراء رؤسائهم ، و كانوا وضعوها لترويج أهوائهم قالوا : « إن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين وجهه إلى اليمن : بم تقضي ؟ قال : بالكتاب ، قال : فما لم يكن في الكتاب ؟ قال : فبالسنة ، قال : فما لم يكن في السنة ؟ قال : اجتهدت رأيي ، قال : الحمد لله الذي فقّه رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> ، وهذه الرواية كذبها القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم <sup>(٤)</sup> » ، وقوله عزّ وجلّ : « إن يتَّبِعُونَ إِلَّا الظنَّ <sup>(٥)</sup> » ، و « إنَّ الظنَّ لا يغني من الحقّ شيئاً <sup>(٦)</sup> » ، وقوله تعالى : « و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون <sup>(٧)</sup> » ، وقوله جلّ اسمه : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم <sup>(٨)</sup> » ، وقوله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ

(١) أى مجادلين او مشككين من اهل الاهواء الفاسدة .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٤ ص ٥٩ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٢٦ .

(٤) الاسراء : ٣٦ . (٥) الانعام : ١١٦ .

(٦) يونس : ٣٦ . (٧) البقرة : ١٦٩ .

(٨) المائدة : ٤٩ .

لتحكم بين الناس بما أراك الله<sup>(١)</sup> ، ولم يقل : بما رأيت فلو كان الدين بالرأي لكان رأى النبي ﷺ أولى من رأي من ليس بمعصوم ، ومن الخطأ<sup>(٢)</sup> أقرب إليه من الإصابة ، فإن التشريع لا يجوز إلا بالوحي<sup>(٣)</sup> « إن هو إلا وحي يوحى<sup>(٣)</sup> » ونحن مأمورون بحكم الحديث النبوي ﷺ أن نضرب بالحديث ضرب الحائط إذا كان مخالفاً للكتاب ، وبالجمله غمضوا العينين ، ورفضوا الثقلين ، وأحدثوا في العقائد بدعاً ، وتحزّبوا فيها شيعاً ، و اخترعوا في الأحكام أشياء حكموا فيها بالآراء ، وفرّعوا تفرعات دقيقة لا يحتاج إلى شيء منها ، حكموا فيها بالأهواء حتّى بدا بينهم بتخالفهم العداوة والبغضاء وزادوا ونقصوا في التكليف ، وصنّفوا فيها تصانيف حتّى كثر الاختلاف وخيف على بيضة الإسلام من شيوع القول بالجزاف ، فمنعتهم ملوكهم من الاجتهاد على السعة و حصروا المجتهد في الأربعة ، واعتمد جمهورهم في الأصول على قول رجل يقال له : أبو الحسن الأشعري وكان يقول بالجبر ، وبالصفات الزائدة ، وإثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك ، ثم لم يف الناس بذلك ولم يمتنعوا من منع أولئك بل اتسعوا في أهوائهم وأكثروا من آرائهم قرناً بعد قرن حتّى آل الأمر إلى ما آل وكان فيهم وبين أظهرهم الأئمة الحقّ الذين أقامهم الله مقام رسوله ﷺ واحداً بعد واحد .

و كان في وصيّة رسول الله ﷺ رؤساؤهم في حجة الوداع بمشهد من سبعة ألف عدد قوم موسى عليه السلام حين خلف فيهم هارون و ذهب إلى ميقات ربّه فاتّخذوا العجل من بعده أن قال لهم في جملة أقواله في خطبته بغدير خمّ : « معاشر الناس أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عزّ وجلّ فإن طال عليكم أمد فقصرتم أو نسيتم فعليّ وليّكم ومبيّن لكم ، الذي نصبه الله عزّ وجلّ بعدي ومن خلقه الله منّي ومنه يخبركم بما تسألون منه و يبيّن لكم ما لا تعلمون ، ألا إنّ الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها وأعرّفهما فأمر بالحلال وأنهاى عن الحرام في مقام واحد ، فأمرت أن آخذ البيعة عليكم و الصفة لكم بقبول ما جئت به عن الله في عليّ أمير المؤمنين و الأئمة من بعده ، الذين هم منّي

(١) النساء : ١٠٥ . (٢) عطف على « من ليس بمعصوم » و بيان له .

(٣) النجم : ٤ .

ومنه أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحقّ، معاشر الناس كلّ حلال دللتكم عليه وكلّ حرام نهيتكم عنه، فإنّي لم أرجع عن ذلك ولم أبدّل، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه - الحديث بطوله (١) - وفيه أشياء أخر من هذا القبيل فكتموا وبدّلوه وغيّروه فضلّوا وأضلّوا، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك بما روه عنه في كتبهم أنّه قال: «ليردنّ الناس من أصحابي عليّ الحوض حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني» (٢) فأقول: أصحابي - وفي رواية أصحابي أصحابي - فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (٣).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يامعشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا إياكم وأصحاب الرأي فانّهم أعداء السنن، تفلّت منهم الأحاديث أن يحفظوها وأعيّتهم السنّة أن يعوها فاتخذوا عباد الله خولاً، وماله دولاً، فذلت لهم الرقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب، ونازعوا الحقّ وأهله، وتمثّلوا بالأئمة الصادقين، وهم من الكفار [الجهال] الملاحين، فسئلوا عما لا يعلمون فأنفوا أن يسترفوا بأنّهم لا يعلمون فعارضوا الدين بأرائهم وضلّوا فأضلّوا، أمّا لو كان الدّين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما (٤)».

ولمّا فات علماء العامّة وصوفيّتهم ما فات من معرفة الإمام والعلم بمسائل الحلال والحرام والفرائض والأحكام كما ينبغي استغرقوا في بحر البدع والضلالة وتمادوا في بقاء الحيرة والجهالة فربما يروى عن أحدهم أنّه كان يفرط في إمتاع نفسه بما لا عائدة فيه إليه وربما يفرط فيما هو فرض عليه، ولهذا تركنا ذكر أكثر ما نقله أبو حامد عنهم في هذا الكتاب من أقوالهم وأفعالهم فيما يحتاج فيه إلى السماع إذ لا فائدة فيه ولا انتفاع.

- 
- (١) قطعة من خطبة النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع نقله جماعة منهم أبو علي محمد بن أحمد بن علي الفتال النيسابوري في الروضة ص ١١٩. (٢) والاختلاج: الانصراف.
- (٣) الجزء الثامن من صحيح البخاري باب الحوض من كتاب الدعوات ص ١٤٩.
- (٤) أورده المجلسي - رحمه الله - في البحار كتاب العلم باب ١٤ من تفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام.

قال مولانا الكاظم عليه السلام في قول الله تعالى : « ومن أضلُّ ممَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله » <sup>(١)</sup> « يعني من اتَّخَذَ دينه رأية بغير إمام من أئمة الهدى » <sup>(٢)</sup>.

وقال مولانا الباقر عليه السلام : كلُّ من دان بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضالٌّ متحيِّر والله شانيء لأعماله - الحديث - <sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام : « قال الله تعالى : لأعذبَنَّ كلَّ رعيَّةٍ في الإسلام دانت بولاية كلِّ إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعيَّة في أعمالها برَّةً تقيَّةً ولأعفونَنَّ عن كلِّ رعيَّةٍ في الإسلام دانت بولايه كلِّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعيَّة في أنفسها ظالمةً مسيئةً » <sup>(٤)</sup>.

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : فلم ألحقت الفقه بعلم الدُّنيا و ألحقت الفقهاء بعلماء الدُّنيا ؟ فاعلم أن الله عزَّ وجلَّ أخرج آدم عليه السلام من التراب و أخرج ذريته من سلالة من طين و من ماء دافق ، فأخرجهم من الأَصْلَابِ إلى الأرحام و منها إلى الدُّنيا ثمَّ إلى القبر ثمَّ إلى العرض ثمَّ إلى الجنَّة أو إلى النار فهذا مبدؤهم و هذه غايتهم ، و هذه منازلهم ، و خلق الدُّنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للترؤد فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات و تعطَّل الفقهاء ولكنَّهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم و احتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة و بطريق التوسُّط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ، فكان الفقيه هو معلِّم السلطان و مرشده إلى طريق سياسة الخلق و ضبطهم لينتظم باستقامتهم أُمورهم في الدُّنيا و لعمرى هو متعلِّق أيضاً بالدين و لكن لا بنفسه بل بواسطة الدُّنيا فإنَّ الدُّنيا مزرعة الآخرة ولا يتمُّ الدين إلَّا بالدُّنيا ، والمملك والدين توأمان ، والدين

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٧٤ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٧٥ و « شانيء » أى مبغض .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٧٦ .



أصل و السلطان حارس و ما لأصل له فمنهم و ما لاحارس له فضايح ، و لا يتم الملك و الضبط إلا بالسلطان و طريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه ، و كما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من أمور الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرة (١) تحرس من العرب في الطريق و لكن الحج شيء و سلوك الطريق إلى الحج شيء ثان ، و القيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ، و معرفة طريق الحراسة و حيلها وقوانينها شيء رابع ، و حاصل فن الفقه معرفة طريق الحراسة و السياسة و يدل على ذلك ما روي مسنداً «لا يفتي الناس إلا ثلاثة : أميراً و مأموراً و متكلفاً» (٢) ، فالأمر هو الإمام و قد كانوا هم المفتون ، و المأمور نائبه ، و المتكلف غيرهما و هو الذي يتقصد تلك العهدة من غير حاجة و قد كان السلف يحترزون عن الفتوى إذا سئلوا حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه و كانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن و طريق الآخرة ، و في بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من يتقصد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه و المال .

فإن قلت : هذا إن استقام لك في أحكام الحدود و الجراحات و الغرامات و فصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربيع العبادات من الصيام و الصلاة و لا فيما يشتمل عليه ربيع المعاملات من بيان الحلال و الحرام .

فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام ، و الصلاة ، و الحلال و الحرام . فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة و إذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهي في غيرها أظهر أمّا الإسلام فيتكلم فيه الفقيه فيما يصح منه و ما يفسد و في شروطه ، و ليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان أمّا القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ وأرباب السيوف و السلطنة عنه حيث قال : «هلا شقت عن قلبه» (٣) ، في الذي قتل من تكلم بكلمة

(١) أي الدليل معرب بذرة . (٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧٥٣ وفيه «لا يقص» .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي كما في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٠ .

الإسلام معتدراً بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة « الإسلام تحت ظلال السيوف » مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن شبهة ، ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشفق من صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته ، واليد ممتدة إلى ماله ، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبة ومال و ذلك في الدنيا ولذلك قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ <sup>(١)</sup> » جعل أثر ذلك في الدِّمِّ والمَالِ ؛ وأما الآخرة فلا ينفع فيها الأقوال بل ينفع فيها أنوار القلوب وأسرارها وأخلاقها وليس ذلك من فنّ الفقيه وإن خاض فيه الفقيه كان كما لو خاض في الكلام أو الطب و كان خارجاً من فنّه ، وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كثير نفع كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر و انقطع به عنه القتل أو التعزير ، وأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة و به ينفع العمل الظاهر لا يتعرّض له الفقيه ولو تعرّض له لكان خارجاً عن فنّه .

أقول: فإن قلت : الفقيه يجعل النية شرطاً في صحة الصلاة و يحكم بطلانها إذا خلت عنها والنية أمر قلبي فقد تجاوز نظره في الصلاة من الدنيا إلى الآخرة ، قلت : النية في الحقيقة ما يبعث المكلّف على الفعل و يحمله على الإتيان به كما يأتي تحقيقه في ربيع المنجيات وذلك أمر لا يخلو عنه فاعل ذو شعور يصدر عنه فعل فلا يصح أن يتعلّق به التكليف لخروجه عن الاختيار ولهذا قال بعض علمائنا : لو كلف الله بإيقاع العبادات من دون نية لكان مكلفاً بما لا يطلق ، وإنما يتعلّق التكليف بعوارضها وخصوصياتها من الإخلاص والرياء ونحوهما مما يبحث عنه في علم الأخلاق وهو من

(١) أخرجه إبدوداود في سننه كتاب الجهاد ج ٢ ص ٤١ وفي التاج الجامع للاصول

ج ٤ ص ٣٢٥ عن البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وظيفة علماء الآخرة وأطباء القلوب وليس من وظيفة الفقيه من حيث هو فقيه في شيء وإن تعرض له الفقيه كان خارجاً عن فنه وكان على سبيل التطفل .

و أمّا قول أبي حامد : « إلا عند التكبير » فلعله أشار به إلى صرف وجه القلب إلى الله سبحانه عند افتتاح الصلاة مخطراً بباله أنه إنما يصلي لله وهو الذي عبر عنه في أخبارنا بالتوجه وعند الفقهاء بالنية ، أو أشار به إلى استشعار عظمة الله عند تكبيرة الافتتاح ، وأمّا ما تكلفه جماعة من الفقهاء من إيجاب استشعار العبادة مع خصوصياتها والأمور الباعثة عليها مقارناً لأولها على النحو المخصوص فذلك أمر لم يرد به كتاب ولا سنة ولا وقع عنه ولا عما يتفرّع عليه من المسائل المشككة على الناس الموقعة لهم في الوسواس سؤال عن السلف قطّ بل هو من قبيل اسكتوا عما سكت الله عنه .

قال أبو حامد : « و أمّا الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى أنه إذا امتنع أحد فأخذها السلطان قهراً حكم أنه برئت ذمته وقد حكى أن أبا يوسف <sup>(١)</sup> كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لإسقاط الزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة فقال : ذلك من فقهه و صدق ، فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرت في الآخرة أعظم من كلّ جناية ومثل هذا العلم هو الضار ، و أمّا الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي لا يخرج به الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر ، الثانية ورع الصالحين وهو التوقّي من الشبهات التي يتقابل فيه الاحتمالات .

قال <sup>(٢)</sup> : « دعى ما يريبك إلى ما لا يريبك » <sup>(٣)</sup> . وقال <sup>(٤)</sup> : « الأهم حواز القلوب » <sup>(٥)</sup> ، الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى

(١) هو بقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى الكوفى كان تلميذ أبى حنيفة ومن أتباعه وقيل انه اول من لقب بقاضى القضاة ذكر ابن خلكان حكايات فى أحواله وقضائه ، توفي سنة ١٨٢ ( الكنى و الالقاب للمحدث القمى ) .

(٢) أخرجه احمد فى المسند ج ١ ص ٢٠٠ عن الحسن بن على عن النبى صلى الله عليه وآله .

(٣) رواه احمد من حديث ابن مسعود ، وقال الجزرى فى النهاية : الاثم حواز ←

الحرام . قال عليه السلام : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس <sup>(١)</sup> » ، وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الإيجار إلى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدّي إلى مفارقة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عمّا سوى الله سبحانه خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قربة عند الله تعالى وإن كان يعلم ويتحقق أنّه لا يفضي إلى حرام ، فهذه الدرجات كلّها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاء وما يقدح في العدالة ، والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة <sup>(٢)</sup> .

قال عليه السلام لوابصة : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك <sup>(٣)</sup> » ، والفقيه لا يتكلّم في حازات القلوب و كيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط ، فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفّل كما يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر .

### ﴿ فصل ﴾

« فإن قيل : فقد سوّيت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلّق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلّق به أيضاً <sup>[١]</sup> صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين .

القلوب هي الامور التي تحزبها أي تؤثر كما يؤثر الحز في الشيء وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطمأنينة البها وهي بتشديد الزاى جمع حاز ، يقال : اذا أصاب مرفق البعير طرف كركرته قطعه وأدماه قيل به حاز ، ورواه شمر « الاثم حواز القلوب » - بتشديد الواو - أي يحوزها ويملكها ويغلب عليها ويروى « الاثم حزاز القلوب » بزائين الاولى مشددة وهي فعال من الحز . انتهى .

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه كما فى المغنى .

(٢) كذا فى جميع النسخ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ج ٤ ص ٢٢٨ من حديث وابصة بن معبد الاسدى .

فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وذلك أن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : الأول أنه علم شرعي أي مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع ، الثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض ، وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأفلون ، الثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ، ومصدر الأعمال ومنشأها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم ، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب ، وأما الصحة والمرض فمنشأهما صفات في المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه : وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم الآخرة .

**أقول :** ما ذكره أبو حامد من أول الفصل إلى آخره ليس على ما ينبغي وليس معنى علم الفقه ما زعمه بل هو علم شريف الهي نبوي مستفاد من الوحي ليساق به العباد إلى الله عز وجل وبه يترقى العبد إلى كل مقام سنّي ، فإن تحصيل الأخلاق المحمودة لا يتيسر إلا بأعمال الجوارح على وفق الشريعة الغراء من غير بدعة ، وتحصيل علوم المكاشفة لا يتيسر إلا بتهديب الأخلاق وتنوير القلب بنور الشرع وضوء العقل ، وذلك لا يتيسر إلا بالعلم بما يقرب إلى الله عز وجل من الطاعات المأخوذة من الوحي ليتأني بها العبد على وجهها ، والعلم بما يبعد عن الله عز وجل من المعاصي ليجتنب عنها ، والمتكفل بهذين العلمين إنما هو علم الفقه ، فهو أقدم العلوم وأهمها ، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنه تلك القرآن فكيف لا يكون من علم الآخرة ما هذا شأنه فكان أبا حامد لم يفرّق بين الخلافة النبوية الحقّة التي يعتبر فيها رعاية قلوب الرعية من الإمام الداعي وإصلاحها وبين السلطنة المتغلّبة الجائرة التي لا يعتبر فيها ذلك فصار ذلك منشأ خطائه ، وبالجملة يجب على كل مكلف أن يحصل من علم الفقه ما يحتاج إليه بنفسه بفرض العين وما يحتاج إليه غيره بفرض الكفاية سواء فيه العبادات والمعاملات من غير فرق ؛ وأما فقهاء العامة فليس يصلح فقهم أن يعدّ من العلم حتّى يقال إنه من

علوم الدنيا أو الآخرة لأنه مخلوط ببدع وجهالات و أهواء مختلعة مضلات كما سنشير إلى بعضها في مواضعه إن شاء الله .

روى علي بن إبراهيم - رحمه الله - « في تفسير قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون »<sup>(١)</sup> ، أنها نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا أمر الله عز وجل ، هل رأيتم شاعراً قط يتبعه أحد وإنما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فيتبعهم الناس على ذلك ، قال : « ألم تر أنهم في كل واديهمون ، يعني يناظرون بالباطيل و يجادلون بالحجج المضلين و في كل مذهب يذهبون يعني بهم المغيرين دين الله » و إنهم يقولون « ما لا يفعلون » يعني يعطون الناس ولا يتعظون ، و ينهون عن المنكر ولا ينتهون ، و يأمرون بالمعروف ولا يعملون ، قال : وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم<sup>(٢)</sup> .

و روى شيخنا الصدوق - رحمه الله - في معاني الأخبار<sup>(٣)</sup> « عن الباقر عليه السلام في هذه الآية : هل رأيت شاعراً يتبعه أحد ، إنهم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا و أضلوا » . و عن الصادق عليه السلام : « هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا و أضلوا » .

و مما يدل على شرف علم الفقه و شدة الإهتمام به ما روينا من طريق الخاصة بإسنادنا الصحيح عن معاوية بن وهب « قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن آية الكذاب بأن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب فإذا سألته عن حرام الله تعالى و حلاله لم يكن عنده شيء »<sup>(٤)</sup> .

(١) الشعراء : ٢٢٢ . والخبر في ذيل الآية في التفسير ص ٤٧٥ .

(٢) ورواه العياشي كما في المجمع ذيل الآية .

(٣) باب النوادر في خاتمة الكتاب ص ٣٨٥ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٤٠ و قال المؤلف - رحمه الله - في بيانه : ذلك لان العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه لا يحصل لاحد الا بالتقوى وتهذيب السر عن رذائل الاخلاق . قال الله تعالى : « اتقوا الله و يعلمكم الله » ولا يحصل التقوى الا بالاعتقاد على الحلال والاجتناب عن الحرام ولا يتيسر ذلك الا بالعلم بالحلال والحرام فمن أخبر عن شيء من حقائق الاشياء ولم يكن عنده معرفة بالحلال والحرام فهو لا محالة كذاب يدعى ما ليس عنده .

## ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : فصل لي علم الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه إن لم يمكن استقصاء تفاصيله ، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة : القسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله ، وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم : بدعة أو كبر ، وقيل : من كان محبباً للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقرئين أعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف عن ذلك النور أمور كان يسمع من قبل أسمائها ويتوهم لها معاني مجملية غير متبصرة ، فيتضح له ذلك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه ، وبصفاته الثامات ، وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، ومعرفة معنى الوحي ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معادات الشيطان للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحي إليهم ، والمعرفة بملكوت السماوات والأرض ، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين ملة الملك وملة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ، ومعنى قوله عز وجل : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً »<sup>(١)</sup> ، ومعنى قوله عز وجل : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون »<sup>(٢)</sup> ، ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملائكة الأعلى ومقاربة الملائكة والنبیین ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضاً

(١) الاسراء : ١٤ .

(٢) العنكبوت : ٦٤ .

كما يرى الكوكب الدري في جو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات :  
 فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة و أن الذي أعدّه الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، و أنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء .

و بعضهم يرى أن بعضها أمثلة و بعضها يوافق حقائقها المفهومة من أفعالها . و كذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته . و بعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل .

و بعضهم يقول : حدّ معرفة الله تعالى ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه سبحانه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم مرید ، فنعني بعلم المكشوفة أن يرتفع الغطاء حتّى يتضح له جليّة الحق في هذه الأمور إيضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه و هذا ممكن في جوهر الإنسان إلا أن مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا ، و إنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصفيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه ، و عن معرفة صفاته و أفعاله ، و إنما تصفيتها و تطهيرها بالكف عن الشهوات و الاقتداء بالأنبياء ﷺ في جميع أحوالهم فبقدر ما يتجلّى من القلب و يحاذي به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعه و بالعلم و التعلم ، و هذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله سبحانه عليه منها بشيء إلا مع أهله ، و هو المشار إليه على سبيل المذاكرة ، و بطريق الأسرار و هذا العلم الخفي هو الذي أراده النبي ﷺ بقوله : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجعله إلا أهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمّله إلا أهل الاعتراف بالله ، فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً فإن الله تعالى لم يحقره إذ آتاه إياه (١) » .

أقول : و من طريق الخاصة ما روينا عن إسنادنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(١) شطره الآخر في البحار ج ٢ ص ٤٤ من كنز الفوائد للكرامكي .



« إنَّ من أحبَّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن ، و تجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه - إلى أن قال : - قد خلع سراويل الشهوات ، و تخلَّى من الهموم إلَّاهمّاً واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ، و مشاركة أهل النهوى ، و صار من مفاتيح أبواب الهدى ، و مغاليق أبواب الردى ، قد أبصر طريقه ، و سلك سبيله ، و عرف مناره ، و قطع غماره ، و استمسك من العرى بأوثقها ، و من الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » (١) .

وفي كلام آخر له عليه السلام : « قد أحيا قلبه ، وأمات نفسه ، حتّى دقّ جليله ، ولطف غليظه ، و برق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق ، و سلك به ، السبيل و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة ، و دار الإقامة ، و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمان و الراحة ، بما استعمل قلبه وأرضى ربّه » (٢) .

و قال عليه السلام : « اندمجت على مكنون علم لو بحث به لا ضطر بتم اضطراب الأرضية في الطويّ البعيدة » (٣) .

و قال عليه السلام : « تعلّمت من رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم ففتح لي بكلّ باب

(١) النهج البلاغة خطبة : ٨٤ . و قوله : « و قطع غماره » بالكسر جمع غمر - بالفتح - و هو معظم الماء والبحر ، ولعل المراد بقطع الغمار خروجه عن فتن الدنيا و مضلاتها بسفن النجاة والهدايات خاصة ، ولعل المراد بأوثق العرى الايمان و بأمتن الحبال اتباع أوامر المولى سبحانه ومتابعة سبيل الهدى .

(٢) النهج خطبة : ٢١٨ . و قوله : « تدافعته الابواب » يمكن أن يكون الابواب عبارة عن اسباب القرب من الطاعات و ترك اللذات فان كل واحد منها باب من أبواب الجنة فينتقل منها حتى ينتهى الى باب الجنة التى هى قرار الامن والراحة . و يمكن ان يكون الابواب عبارة عن اللذات والمطالب النفسانية التى يريد الانسان أن يدخلها بمقتضى طبعه فيكون تدافعها كناية عن منعها اياه للدخول اى منع التأييد الالهى اياه عن دخول كل ما تريده النفس من تلك الابواب حتى ينتهى الى باب السلامة فيدخله و هو الدخول فى دار الإقامة اى جنته الخلد .

(٣) النهج خطبة : ٥ . و اندمج الشيء اذا دخل فى شيء واستحكم فيه . و باح سرّاً أظهره . و الرشاء - بالكسر والمد - : الجبل جمعه أرشية . و الطوى : البئر المطوية .

ألف باب (١).

وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال عليه السلام : «مالك والحقيقة ؟ قال : أو لست صاحب سر ؟ قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ، ثم أجابه عما سئل» (٧).

وروى كميل أنه عليه السلام أخذ يتيدي وأخرجني إلى الجبان فلمّا أصحرت نفّس الصمداء ، ثم قال لي : يا كميل بن زياد إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة : فعالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمج رعا عتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ربح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق - إلى أن قال : - هاهنا ههنا لعلماء جمّا ، وأشار إلى صدره - لو أصبت له حملة ؟ بلى أصبت لقنّا (٣) غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ، و مستظهِراً بنعم الله على عباده و بحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه (٤) ينقدح الشك في قلبه لأوّل عارض من شبهة ، ألا لاذا ولا ذاك (٥) ، أو منهوماً باللذّة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادّخار ، ليسا من رعاة الدّين في شيء ، أقرب شيء شبهاً بهما الأتعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامله ، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً ، ثلاث تبطل حجج الله وبيّناته وكم ذا ؟ و أين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً والأعظمون قدراً ، بهم يحفظ الله حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظراً بهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم ؛ و هجم بهم

(١) الحديث معروف دراجع البحار ج ٩ من الطبع الحجري ص ٤٧٥ و ج ٧ ص ٢٨٢

و ج ٦ باب وصايا النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) رجال النيسابوري كما في الروضات في ترجمة كميل .

(٣) اي سريع الفهم .

(٤) الضمير راجع الى العلم والاحياء : الاطراف وذلك لعدم علمه بالبرهان والحجة .

(٥) «لاذا» اشارة الى المتقاد و «لاذاك» اشارة الى اللقن ويجوز أن يكون

المعنى لا هذا المتقاد محمود عند الله ناج ولا ذاك اللقن .

العلم على حقيقة البصيرة ، و باسروا روح اليقين ، و استلانوا ما استوعره المترفون<sup>(١)</sup> وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه ، و الدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رويتهم<sup>(٢)</sup> .

و عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال : « والله لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله و لقد آخا رسول الله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ؛ قال : « و إنما صار سلمان من العلماء لأنه امرء منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء<sup>(٣)</sup> » .

أراد عليه السلام أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لأهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد .

و في حديث النبوي صلى الله عليه وآله أيضاً « سلمان منا أهل البيت<sup>(٤)</sup> » .  
و فيه أيضاً « لو علم أبوذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره » و في رواية لقتله<sup>(٥)</sup> .

و عن زين العابدين عليه السلام في أبيات منسوبة إليه .  
إنني لأكتم من علمي جواهره \* كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا  
و قد تقدّم في هذا أبو حسن \* إلى الحسين و وصي قبله الحسن  
يارب جواهر علم لو أبوح به \* لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا  
و لا ستحل رجال مسلمون دمي \* يرون أفيح ما يأتونه حسنا  
و عن ابنه الباقر عليه السلام : « الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين » .

(١) أي ما استصعبوه من خشونة المطعم وجشوبة المضجع والملبس ومصاربة الصيام والسهرة ؛ وما استوحش منه الجاهلون هو الامور المذكورة .

(٢) النهج ابواب الحكم رقم ١٤٧ .

(٣) رواه الصغار في البصائر ص ٨ . والكليني في الكافي ج ١ ص ٤٠١ .

(٤) الغبير معروف راجع سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٦ .

(٥) المجلد السادس من البحار - ط (الكمباني) - ص ٧٥٤ .

أقول : و تصديق ذلك قول الله عز وجل : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » (١) .  
وعن ابنه الصادق عليه السلام : « إن أمرنا سرٌّ مستور في سرٍّ مفتح بالميثاق من هتكه أذله الله » (٢) .

وقال عليه السلام : « إن أمرنا سرٌّ مستور في سرٍّ مستور وسرٌّ مستسر وسرٌّ لا يفيد إلا سرٌّ وسرٌّ على سرٍّ وسرٌّ مفتح بسرٍّ » (٣) .

وقال عليه السلام : « هو الحق وحق الحق و هو الظاهر ، و باطن الظاهر ، و باطن الباطن ، و هو السر وسر السر وسر المستسر وسر مفتح بالسر » (٤) .

وقال عليه السلام : مشيراً إلى كتمان هذا السر : « التقيّة ديني ودين آبائي ، فمن لا تقيّة له لا دين له » (٥) .

وقال عليه السلام : خالطوا الناس بما يعرفون و دعوهم ممّا ينكرون و لا تحمّلوا على أنفسكم و علينا إن أمرنا صعبٌ مستعصِبٌ لا يحتمله إلا ملكٌ مقربٌ أو نبيٌ مرسلٌ أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان » (٦) .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أمّا ما يحمد منها فكالبصر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ، ومعرفة المنّة لله في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى

(١) الفرقان : ٤٤ .

(٢) و(٣) و(٤) رواه الصفار في بصائر الدرجات ص ٩ .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٢١٩ بآدني اختلاف .

(٦) رواه الصفار في البصائر ص ٩ .

يقوي وما زال حتى يعود من علم الآخرة وأما ما يذم فغفوف الفقر ، و سخط المقدور<sup>(١)</sup> والغلّ والحقد والحسد والغشّ و طلب العلوّ و حبّ الثناء و حبّ طول البقاء في الدنيا للتمتّع<sup>(٢)</sup> والكبر والرياء والغضب والأثرة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ<sup>(٣)</sup> والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحقّ والخوض فيما لا يعني و حبّ كثرة الكلام والصلف<sup>(٤)</sup> والتزيّن للمخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها ذلّ وضعف الانتصار للحقّ واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السرّ والأمن من مكر الله - سبحانه - في سلب ما أعطى والاعتكاف على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والفسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فوائدها والأوس بالمخلوقين والوحشة لفرأقهم والخفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرّحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش و منابت الأعمال المحظورة<sup>(٥)</sup> وأضدادها هي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة<sup>(٦)</sup> وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة ، كما أنّ المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ، فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى إصلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى

(١) كذا والظاهر « المقدور » بصيغة التفعيل .

(٢) قيده بالتمتع لان حب طول البقاء لا رادة الطاعة ليس بمنموم .

(٣) البذخ - محرّكة - : الكبر ، بذخ - كفرح - وبذخ : تكبر .

(٤) الصلف - بالتحريك - : التكلم بما يكرهه صاحبه و التمدح بما ليس عندك

و مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً .

(٥) الاعمال المحظورة اي المنوعة التي في ارتكابها خطر .

(٦) الظاهر « من » بدل « هو » كما في ماسبق .

إصلاح الآخرة ، و لو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سأله عن اللعان و الظهار والسبق والرمي يسرد (١) عليك مجلدات من التعريفات الدقيقة التي ينقضي الدهر ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم يخل البلد ممن يقوم بها و يكفيه مؤونة التعب فيها فلا يزال يتعب في ذلك ليلاً و نهاراً وفي حفظه و درسه ، و يغفل عما همهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال : اشتغلت به لأنّه علم الدين و فرض الكفاية و يلبس على نفسه و على غيره في تعلمه ، و الفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فروض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات . هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبس العلماء السوء بالله المستعان و إليه اللياذ (٢) في أن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان ، و قد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب . و قد قيل : علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملوك .

أقول : و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام (٣) « قال : العلم أصل كل حال سنيّ و منتهى كل منزلة رفيعة ، لذلك قال النبي ﷺ : « العلم فريضة على كل مسلم » أي علم التقوى و اليقين . و قال علي عليه السلام : « اطلبوا العلم و لو بالصين » و هو علم معرفة النفس و فيه معرفة الرب عزّ وجلّ .

قال النبي ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . ثمّ عليك من العلم بما لا يصحّ العمل إلا به و هو الإخلاص . قال النبي ﷺ : « نعوذ بالله من علم لا ينفع » و هو العلم الذي يضادّ العمل بالإخلاص و اعلم أن قليل العلم يحتاج إلى كثير العمل لأنّ علم ساعة يلزم صاحبه

(١) السرد : جودة سياق الحديث .

(٢) اللياذ : الملجاء وفي الاحياء « الملاذ » .

(٣) من ههنا الى آخر الفصل في المصباح باب ٦٥ ص ٤٣ .

استعماله طول دهره .

قال عيسى عليه السلام : « رأيت حجراً عليه مكتوب اقلبني فقلبتّه فاذا على باطنه من لا يعمل بما علم فشؤم عليه طلب ما لا يعلم و مردود عليه ما علم » .  
وعنه عليه السلام : « الخشية ميزان العلم ، و العلم شعاع المعرفة و قلب الايمان ، و من حرم الخشية لا يكون عالماً و إن شقّ الشعر في متشابهات العلم قال الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » و آفة العلماء ثمانية أشياء الطمع و البخل و الرياء و العصبية و حب المدح و الخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته و التكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ ، و قلة الحياء من الله ، و الافتخار و ترك العمل بما علموا » ،  
قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله » .

قال النبي صلى الله عليه وآله : « لا تجلسوا عند كلّ داع مدّع يدعوكم من اليقين إلى الشك ، و من الإخلاص إلى الرياء و من التواضع إلى الكبر ، و من النصيحة إلى العداوة ، و من الزهد إلى الرغبة ، و تقرّبوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع ، و من الرياء إلى الإخلاص ، و من الشك إلى اليقين ، و من الرغبة إلى الزهد ، و من العداوة إلى النصيحة ، ولا يصلح لموعظة الخلق إلّا من خاف هذه الآفات بصدقه و أشرف على عيوب الكلام و عرف الصحيح من السقيم و علل الخواطر و فتن النفس والهوى .  
قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « كن كالطبيب الرفيق الشفيق الذي يضع الدواء بحيث ينفع <sup>(١)</sup> » .

## ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : لم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة ولم تبين أنّهما مذمومان أو محمودان ؟

فاعلم أنّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن

(١) في بعض النسخ [ يدع الداء ] وهو تصحيف .

و الأخبار مشتملة عليه و ما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة و هي من البدع كما سيأتي بيانه و إما مشاغبة <sup>(١)</sup> بالتعلق بمنافضات الفرق و تطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات و هذيانات تزديها الطباع وتمججها الأسماع <sup>(٢)</sup> و بعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين و لم يكن شيء من ذلك مألوفاً في العصر الأول و كان الخوض فيه بالكليّة من البدع ولكن تغيير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى [حكم] القرآن و السنّة و انبعث جماعة لفقوا لها شياً ، و رتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك الملحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفاية و هو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدّعوة إلى البدعة و ذلك إلى حدّ محدود معروف ، سنذكره في الباب الذي يلي هذا .

و أمّا الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء الأول الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق و لا نمنع منهما إلّا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة ، فإن أكثر الممارسين لها قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنها لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خوفاً من الوقوع في النهر و كما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع أن القوي يندب إلى مخالطتهم ، الثاني المنطق و هو بحث عن وجه الدليل و شروطه و وجه الحدّ و شروطه و هما داخلان في علم الكلام ؛ الثالث الإلهيات و هو بحث عن ذات الله سبحانه و صفاته و هو أيضاً داخل في الكلام ، و الفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر و بعضها بدعة ، و كما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين و أهل البحث و النظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة ، الرابع الطبيعيات و بعضها مخالف للشرع و الدين الحق فهو جهل و ليس بعلم حتّى يورد في أقسام العلوم ،

(١) شاغبة : شاره و أكثر الشغب معه و الشغب : اللفظ المؤدى الى الشر ، و تشاغب الرجل ، يماصى يقال : طلبت منه كذا فتشاغب .

(٢) الأزرار : التهاون بالشئ . و يقال في الثل : « هذا كلام تمجج الاسماع » اى تقذفه و تستكرهه .



و بعضها بحث عن صفات الأجسام و خواصّها و كيفيّة استحالتها و تغييرها و هو شيه  
بنظر الأطباء إلّا أنّ الطيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض  
و يصحّ و هم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغيّر و تتحرّك ولكن للطيب فضل  
عليه و هو أنّه محتاج إليه و أمّا علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها .

**أقول :** أجزاء علم الفلسفة غير منحصرة فيما ذكره أبو حامد - رحمه الله -  
ولا الأمر فيه كما قاله ، بل هو علم شريف جامع لجميع العلوم العقلية الحقيقية التي  
لا تتغيّر بتغيّر الأزمان ولا تتبدّل بتبدّل الأديان وتسمّى في عرفهم بالحكمة ويفسر بأنّه  
العلم بحقائق الأشياء على ماهي عليه بقدر الطاقة البشرية و هو شامل لكثير من المسائل  
التي عدّها أبو حامد من علم المكشفة و لا أكثر ما ذكره في علم المعاملة حتّى علم  
الشرائع على وجه كلّّي و يندرج تحته أيضاً علما الهيئة والتشريح اللذين قيل : من  
لم يعرفهما فهو عنيّن في معرفة الله عزّ وجلّ و علم الطبّ و النجوم و الخطابة و الشعر  
و غيرها من العلوم الدنيوية و الآخروية ، وأكثره مأخوذ من الوحي النازل على الأنبياء  
عليهم السلام و بعضه مستفاد من الإلهامات الواردة على القلوب المنورة و النفوس المرتاضة  
لأولي الخلوات و المجاهدات إلّا أنّ الفلاسفة لم يبلغوا في شيء من علومهم مبلغ الأنبياء  
بل كانوا قاصرين في أكثرها خصوصاً فيما يتعلّق منها بالمكشفة فإنّه بقي لهم من العلم  
بالله و اليوم الآخر أمور كثيرة ، أتمّها لهم الرّسل - صلوات الله عليهم - و ذلك لأنّ  
نظراً لأنبياءهم أوسع و أحد و معرفتهم بالغة إلى جزئيات الأمور و تعيين الأعمال  
المقرّبة إلى الله تعالى كما هي بالغة إلى كليّاتها و لهم قدرة النزول في المعارف بالله  
إلى العامّي الضعيف الرأّي بما يصلح بعقله <sup>(١)</sup> من ذلك و إلى الكبير العقل الصحيح  
النظر بما يصلح بعقله ، و هم أعلم خلق الله فيما غاب عنهم و همّتهم في معرفة حقائق  
أُمور النشأة الآخرة أكثر منها في معرفة أُمور هذه النشأة بل لا يخوضون من الغاية إلّا  
فيما هو وسيلة إلى الباقية و لهذا لما سئل نبيّنا صلى الله عليه وآله عن التشكّلات البدنية و الهلالية  
للقمر أمر بالاعراض عن الجواب إلى أمر آخر تنبيهاً على أنّ هذا السؤال ليس بهمهم

(١) في بعض النسخ [تعقله] وفي بعضها [لعقله] وهنا و ما يأتي .





في شأن علماء العامة من ذلك لعدم ثبوته ولا دلالة لاكثره على فضيلة واذكر بدله في موضع آخر مما اتفق عليه أهل الإسلام من فضائل أهل البيت عليهم السلام ما يعلم أن الذين ينتحلون التشيع ويدعون محبتهم عليهم السلام لكاذبون وقد روى في الكافي <sup>(١)</sup> عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال لي : يا جابر أيكفي من اتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أئمة عشائريهم في الأشياء قال جابر : فقلت : يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة فقال : يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً فلو قال : إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً فاتقوا الله واعلموا ما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه تعالى أتقاهم وأعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تعالى إلا بالطاعة ، ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تمنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع .

و في حديث آخر إن شيعة علي عليه السلام الحكماء العلماء ، الذبل الشفاء ، تعرف الرهبانية في وجوههم - إلى غير ذلك - وسيأتي تمام الكلام في هذا الباب في كتاب آداب الشيعة وأخلاق الإمامة من ربيع العبادات إن شاء الله تعالى .

### ﴿ الباب الثالث ﴾

«فيما يعد العلماء العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذمومة وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها .

### ❖ ( بيان علة ذم العلم المذموم ) ❖

و لعلك تقول : العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به و هو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً ؟  
فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤدياً إلى ضرر إما بصاحبه وإما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات و هو حق إذ شهد القرآن له و أنه سبب يتوصل به إلى التفريق بين الزوجين و قد سحر رسول الله ﷺ و مرض بسببه حتى أخبره جبرئيل ﷺ بذلك<sup>(١)</sup> و أخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر و هو نوع علم يستفاد من العلم بخواص الجواهر و بأموحسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور و يترصد له وقت مخصوص في المطالع و يقترب به كلمات يتلفظ بها من الكفر و الفحش المخالف للشرع و يتوصل بها إلى الاستعانة بالشياطين و يحصل من مجموع ذلك أحوال غريبة في الشخص المسحور و معرفة هذه الأسباب من حيث أنها معرفة ليست مذمومة و لكنها لا تصلح إلا للإضرار بالخلق و الوسيلة إلى الشر شر ، فكان ذلك هو السبب في كونه مذموماً بل من أتبع ولياً من أولياء الله ليقتله و قد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه و ذكر موضعه له إرشاد و إفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر .

الثاني أن يكون مضرّاً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان قسم حسابي و قد نطق القرآن بأن مسير الكواكب محسوب إذ قال عز وجل : « الشمس والقمر بحسبان »<sup>(٢)</sup> و قال عز وجل : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »<sup>(٣)</sup> و قسم الأحكام و حاصله يرجع إلى الاستدلال

(١) عدم تأثير السحر في الانبياء عليهم السلام مشهور عند الشيعة الإمامية وذلك لانه شيطاني ولا سبيل له على الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى : « ان عبادي ليس لك

عليهم سلطان » . (٢) الرحمن : ٥ .

(٣) يس : ٣٩ .





و لتلك الرياح أسباب خفية هولا يطلع عليها ، فتارة يصيب في تخمينه و تارة يخطئ  
و لهذه العلة يمنع القوي عن النجوم أيضاً .

**أقول :** و مما يؤيد ما ذكره ما روّاه عن الصادق عليه السلام أنه قال في هذا العلم :  
« إن كثيره لا يدرك و قليله لا ينتفع به <sup>(١)</sup> » .

و قال أيضاً : « لا يعلمه إلا أهل بيت من العرب و أهل بيت بالهند <sup>(٢)</sup> » .

**قال أبو حامد :** « و الثالث أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول  
لا يعني و تضيق العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة و ذلك غاية الخسران ،  
فقد مر رسول الله ﷺ برجل و الناس مجتمعون عليه فقال : « ما هذا ؟ فقالوا : رجل  
علامة فقال : بما ذا ؟ قالوا : بالشعر و أنساب العرب ، فقال : علم لا ينفع و جهل لا يضر ،  
و قال ﷺ : إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة <sup>(٣)</sup> » .

فالخوض <sup>(٤)</sup> إذاً في النجوم و ما يشبهها اقتحام خطر و خوض في جهالة من غير  
فائدة فإن ما قدّر كائن و الاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فإن الحاجة إليه ماسة  
و أكثر أدلته مما يطلع عليها ، و بخلاف التعبير و إن كان تخميناً لأنه جزء من ستة  
و أربعين جزء من النبوة و لا خطر فيه » .

**أقول :** و قد ذكر بعض علمائنا <sup>(٥)</sup> وجهاً آخر للزجر عنه و هو أن الأحكام  
النجمية إخبارات عن أمور ستكون و هي تشبه الإطلاع على الأمور الغيبية و أكثر  
الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يميزون بينها و بين علم الغيب و الإخبار به

(١) الكافي ج ٨ ص ١٩٥ في حديث طويل عن عبد الرحمن بن سيابة .

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٣١ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٢ . بزيادة و رواه الصدوق في الامالي كما في البحار ج ١

ص ٢١١ منه و من السرائر ، وأخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٠٧ .

(٤) من كلام أبي حامد .

(٥) اراد به كمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم البحراني ذكره في شرح خطبة ٧٧

من كتاب نهج البلاغة .



فكان تعلم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات إذ الإخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة بارئهم ويسلكهم في صوم صدق قوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » (١) ، « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » (٢) وقوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس بما تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » (٣) ، فالمنجم إذاً حكم لنفسه بأنه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى أن نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأي أرض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن .

وهذا هو الوجه أيضاً لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه السابق .

قال أبو حامد : « السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه به فإنه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ لا يطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها ولم يستقلوا بها ، ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنياء - صلوات الله عليهم - والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض في ذلك لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ، ولا ينكر كون بعض العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلاوات اللطيفة بالطفل الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكي أن بعض الناس شكوا إلى طبيب عقم زوجته وأنها لا تلد فجس الطبيب بنبضها وقال : لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفاً عظيماً وتنقص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرنقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدّة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب فقال

(١) النمل : ٦٥ .

(٢) الانعام : ٥٩ .

(٣) لقمان : ٣٤ .





وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشدَّ تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال : هو الأَفْق ، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوّة الاحاطة بحقارة الدُّنيا ، وشدة التطلّع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلّك على ذلك قول الله تبارك وتعالى : « ليتقّسوها في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم <sup>(١)</sup> » ، وما به الإنذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفرّيعات الطلاق واللّعان والسّلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرّد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجرّد دين له قال الله تعالى : « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها » <sup>(٢)</sup> وأراد به معانيه الإيمان دون الفتاوي ، ولعمري الفقه والفهم في اللّغة إسمان لمعنى واحد وإنّما يتكلّم في عادة الاستعمال قديماً وحديثاً ، وقال تعالى : « لأنتم أشدُّ رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قومٌ لا يفقهون » <sup>(٣)</sup> فأحال قلّة خوفهم من الله عزّ وجلّ واستعظامهم سطوة الخلق على قلّة الفقه فانظر أكان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوي والأقضية أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم ؟ .

وقد قال عليه السلام : « علماء حكماء فقهاء » <sup>(٤)</sup> للذين وفدوا عليه وقال عليه السلام : « ألا أنبئكم بالفقيه كلّ الفقيه ؟ قالوا : بلى ، قال عليه السلام : « من لم يقنّط الناس من رحمة الله - سبحانه - ولم يؤمنهم من مكر الله عزّ وجلّ - ولم يؤيسهم من روح الله - عزّ وجلّ - ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه » <sup>(٥)</sup> .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) الاعراف : ١٧٩ .

(٣) الحشر : ١٣ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٤٨ وقال العراقي : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف .

(٥) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٢٠ عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله ، وفي سنن الدارمي ج ١ ص ٨٩ باسناده عن يحيى بن عباد عن علي عليه السلام أيضاً وفي تيسير الوصول ج ٤ ص ١٦٢ عن علي عليه السلام وقال أخرجه رزين .

وقال **عبد الله بن المبارك** : « لا يفقه العبد كلَّ الفقه حتَّى يمقت النَّاس في ذات الله عزَّ وجلَّ ، وحتَّى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة » (١) .  
و روي أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء مع قوله **عبد الله بن المبارك** ثمَّ يقبل هلى نفسه فيكون لها أشدَّ مقتاً (٢) .

وقال بعض السلف : إنَّما الفقيه الزاهد في الدُّنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربِّه (٣) الورع الكاف نفسه عن أهراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم . و لم يقل في جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوي ، ولست أقول : إنَّ اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوي في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع ، و كان إطلاقهم له على علم الآخرة و أحكام القلب أكثر فثار من هذا التخصيص تلبس بعض الناس على التجرد له و الإعراض عن علم الآخرة و أحكام القلب و وجدوا على ذلك معيناً من الطبع ، فإنَّ علم الباطن غامضٌ و العمل به عسير و التوصل به إلى طلب الولاية و القضاء و الجاه و المال متعذّر فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الهرع .

### ﴿ فصل ﴾

اللفظ الثاني العلم و قد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى و بآياته و أفعاله في عباده و خلقه و قد تصرّفوا فيه بالتخصيص حتَّى شهروه في الأكثر بمن يشغل

(١) أخرجه ابن عبد البر في العلم من حديث شداد بن أوس كما في المختصر ص ١٢١ و منتخب كنز العمال بها مش السنديج ٤ ص ٣٦ عن الخطيب في المتفق و المفق من شداد بن أوس . و قال العراقي : في سند الحديث صدقة بن عبدالله و هو ضعيف عندهم مجمع على ضعفه وهذا حديث لا يصح مرفوعاً و إنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء ، فمن أبي قلابة عنه قال : « لن تفقه كل الفقه - الخبر - » .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٢١ .

(٣) إلى هنا أخرجه الدارمي في سننه ج ١ ص ٨٩ بأسناده عن الحسن البصري .





في جمع المال و الجاه و استكثار الأسباب و متوجّه بالكليّة إليها ، فمتى وجّه وجهه للذي فطر السماوات والأرض ؟ وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحّد هو الذي لا يرى إلّا الواحد و لا يتوجّه وجهه إلّا إليه و هو امتثال قوله عزّ وجلّ : « قل الله ثمّ ذرهم » (١) و ليس المراد به القول باللسان إنّما اللسان ترجمان يصدق مرّة و يكذب الأخرى و إنّما موقع نظر الله عزّ وجلّ [ هو ] المترجم عنه [ و ] هو القلب فهو معدن التوحيد و منبعه .

### ﴿ فصل ﴾

اللفظ الرابع الذكر و التذكير وقد قال الله تعالى : « فذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين » (٢) وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر و التذكير أخبار كثيرة كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » (٣) و في الحديث : « إنّ لله عزّ وجلّ ملائكة سيّاحين في الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلّموا إلى بغيتكم ، فيأتونهم و يحفون بهم و يستمعون ألا فاذكروا الله و ذكروا أنفسكم » (٤) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص و الأشعار و الشطّح و الطّامات ، أمّا القصص فهي بدعة و قد ورد نهي السلف عن الجلوس إلى القصص و قالوا : لم يكن ذلك في زمان رسول الله ﷺ و لا في زمان الخلفاء حتّى ظهرت الفتنة فظهرت القصص و أخرج عليّ عليه السلام القصص من مسجد البصرة و لما سمع كلام حسن البصريّ لم يخرجّه إذ كان يتكلّم في علم الآخرة و التذكير بالموت و التنبيه على عيوب

(١) الانعام : ٩١ .

(٢) الذاريات : ٥٥ .

(٣) مرعن معاني الاخبار و أخرجه الترمذی ايضاً كما قاله العراقي وأخرجه أيضاً البغوي في المصابيح كتاب الدعوات باب ذكر الله عزّ وجلّ ج ١ ص ١٤٩ .

(٤) قال العراقي : الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله : « في الهواء » و للترمذی « سيّاحين في الارض و قال مسلم سيّارة » .



النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويزكر بآلاء الله سبحانه و نعمائه و تقصير العبد في شكره و يعرف حقارة الدنيا و عيوبها و تصرّفها و قلّة عهدها و خطر الآخرة و أهوالها .

**أقول :** إن صحّ ما ذكره أبو حامد من عدم إخراجهِ عليه السلام الحسن من المسجد فلعلّ الوجه فيه اتقاء شرّه و ذلك لأنّه كان منافقاً مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام كان يمنع الناس في مواظمه من امتثال أمر أمير المؤمنين عليه السلام و القتال معه على أن أكثر ما يتكلّم به الحسن ممّا يعظ به في مواظمه و يأتي به في مجالسه في معرض الإفادة كان من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه كان يجلس في مجالس خطبه و مواظمه و كان يكتبها ويحفظها ثمّ يسردها على الناس و يريها كأنّه من كلام نفسه حتّى قال علماء العامة : إنّ كلام الحسن يشبه كلام الأنبياء و إنّما كان من كلامه من كان يفتخر به الأنبياء فقد روّينا عن أبي يحيى الواسطي أنّه قال : لما افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع الناس عليه و فيهم الحسن البصريّ و معه الألواح فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته : ما تصنع ؟ قال : نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما إنّ لكلّ قوم سامريّاً و هذا سامريّ هذه الأمة إلّا أنّه لا يقول : لا مساس ولكنّه يقول : لا قتال . رواه الشيخ الطبرسيّ في كتاب احتجاجه (١) .

**قال أبو حامد :** « فهذا هو التذكير المحمود شرعاً الذي ورد الحثّ عليه في حديث أبي نذر حيث قال : حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة و حضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، و حضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة و قيل : يارسول الله و من قراءة القرآن ؟ فقال عليه السلام : و هل ينفع قراءة القرآن إلّا بالعلم » (٢) .  
« قد اتخذ المخرّفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم و نقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم و زهّلوا عن طريق الذكر المحمود و اشتغلوا بالقصص التي

(١) ص ٩٢ من طبع النجف .

(٢) جامع الاخبار الفصل العشرون .

يتطرق إليها الاختلاف و الزيادة و النقصان و تخرج عن القصص الواردة في القرآن و تزيد عليه فإن من القصص ما ينفع سماعه و منها ما يضر سماعه و إن كان صدقاً ، و من فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب و النافع بالضرار فلهذا نهى عنه ، و لذلك قيل : ما أحوج الناس إلى قاص صادق فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأُمور دينهم و كان [ القاص صادقاً ] صحيح الرواية فلا بأس به و ليحذر الكذب و حكاية أحوال تؤمي إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات و متداركة بحسنات تغطي عليها فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته و هفواته و يمهّد لنفسه عذراً فيه و يحتج بأنه حكى كيت و كيت عن بعض المشايخ و بعض الأكابر و كلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله فقد عصي من هو أكبر منّي و يفيد ذلك جرأة على الله عزّ و جلّ من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة [و] إلى ما يشتمل عليه القرآن و صحّ في الكتب الصحيحة من الأخبار .

أقول : و أمّا على أصولنا الأصيلة فيمتنع صدور الهفوة و المساهلة عن الأنبياء صلوات الله عليهم و كذا الأئمة عليهم السلام و لو على سبيل الندرة و أمّا ما يستفاد من القرآن من ذلك فمؤّل كما يأتي بيانه في محله فنسبة الهفوة إليهم عليهم السلام كذب على أيّ حال فالمحذورين عند التحقيق يرجعان إلى واحد .

قال : « و من الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات و يزعم أن قصده فيه دعوة الخلق إلى الحق و هذا من نزغات الشيطان <sup>(١)</sup> فإن في الصدق لمنذوحة عن الكذب ، و فيما ذكره الله سبحانه و رسوله ﷺ غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف و قد كره تكلف السجع وعدّ ذلك من التصنع و قد قال النبي ﷺ لعبد الله ابن رواحة في سجع بين ثلاث كلمات : « إياك و السجع يا ابن رواحة » <sup>(٢)</sup> فكان السجع

(١) نزغات الشيطان و ساوسه و ما يعمل به الانسان على المعاصي .

(٢) قال العراقي في المفتي : لم أجده هكذا و لاحمد و ابى يعلى و ابن السني و ابى نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك و السجع ←

المحنور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهلّ ومثل ذلك يطلّ، فقال النبي ﷺ : أسجع كسجع الكهّان» (١).

. أقول : ومن طريق الخاصة في هذا الباب ما رواه الصدوق - رحمه الله - في إعتقاداته « قال : وذكر القصاصون عند الصادق عليه السلام فقال : لعنهم الله يشنعون علينا ، و سئل الصادق عليه السلام عن القصاص أيجل الاستماع لهم ؟ فقال : لا ، وقال عليه السلام : من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبدا الله وإن كان عن إبليس فقد عبده إبليس ؛ وسئل الصادق عليه السلام عن قوله عز وجل : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » (٢) قال : هم القصاص ؛ وقال النبي ﷺ : من أنى ذا بدعة فوقره فقد سعى في هدم الإسلام انتهى كلام الصدوق .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : وأما الأشعار فتكثر في المواعظ مذموم قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وقال عز وجل : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ » . وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال و ألم الفراق ، والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات و قلوبهم غير منفكة من الالتفات إلى الصور الجميلة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها ، فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون (٣) ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس ، فقد قال النبي ﷺ : « فان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه كانوا لا يسجعون ، ولا ين حبان واجتنب السجع و في البخاري نحوه من قول ابن عباس .

(١) في الاحياء « كسجع الاعراب » و في صحيح مسلم ج ٥ ص ١١١ من حديث مغيرة هكذا ، و روى الكليني في الكافي ج ٧ باب دية الجنين تحت رقم ٣ نحوه .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ . (٣) زعق - كنسج - : صاح .

﴿الْحَمْدُ﴾ : «إِنَّ من الشعر لحكمة» (١) ولوحى المجلس الخواص الذين وقع الإطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى و لم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرب معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كلما يسمعه على ما يستولى على قلبه و لذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم ، و ماتم أهل مجلسه عشرين ، و حضر جماعة باب دار ابن سالم فقبل له : تمكلم فقد حضر أصحابك فقال : ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس - أي أصحابي هم الخواص - .

### ﴿ فصل ﴾

و أما الشطح فتعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه و الوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد و ارتفاع الحجاب و المشاهدة بالرؤية و المشافهة بالخطاب فيقولون : قيل لنا كذا و قلنا كذا و يتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لا إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، و يستشهدون بقوله : أنا الحق ؛ و بما يحكون عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : سبحاني سبحاني . وهذا فن من الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم و أظهروا مثل هذه الدعاوي ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة عن الأعمال مع تزكية النفس بدرك المعامات و الأحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة و مهما أنكر ذلك عليهم لم يعجزوا أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم و الجدل ، و العلم حجاب و الجدل عمل النفس و هذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا مما قد استطار في بعض البلاد شرره و عظم ضرره و من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله سبحانه من إحياء عشرة ، و أما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه و إن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز و جل في كلامه يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول :

(١) أخرجه الترمذى فى ابواب الادب باب ماجاء ان من الشعر لحكمة من سننه ج ١٠

« إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاهبدي » فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية ؛ والصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لهاظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة و ليس ورائها طائل ، و ذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله و تشوش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه و هذا هو الأكثر و إما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها و إيرادها بعبارة تدل على ضميمه لقلة ممارسته للعلم و عدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب و يدهش العقول و يحير الأذهان أو يحمل هلى أن يفهم منها معاني غير ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . و قد قال عليه السلام : « ما حدث أحدكم قوماً بحدث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » (١) .

وقال عليه السلام : « كلموا الناس بما يعرفون و دعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله و رسوله » (٢) ، و هذا فيما يفهمه صاحبه و لا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره . و قال عيسى عليه السلام : « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها » (٣) ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء » (٤) .  
- و في لفظ آخر - « من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ، إن للحكمة حقاً و إن لها أهلاً ، فأعط كل ذي حق حقه » .

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ج ١ ص ٩ بلفظ آخر و في الاحياء « لا يفهمونه » .

(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ٤٣ و في كنوز الحقائق باب الكاف منه بلفظ « حدثوا الناس » و رواه النعماني في الغيبة كما في البحار ج ٢ ص ٧٧ .

(٣) رواه الصدوق في المعاني و الملل كما في البحار ج ٢ ص ٦٦ .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٥٥ ، و الدارمي ج ١ ص ١٠٦ .

باختلاف يسير في اللفظ .

## ﴿ فصل ﴾

و أمّا الطامّات فيدّخلها ما ذكرناه في الشطح و أمر آخر يخصّها ، و هو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام شيء كدأب الباطنية في التأويلات و هذا أيضاً حرامٌ و ضرره عظيمٌ فإنّ الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه ينقل عن صاحب الشرع و من غير ضرورة تدعوا إليه من دليل العقل افتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ و يسقط به منفعة كلام الله عزّ وجلّ و كلام رسول الله ﷺ فإنّ ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به و الباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر و يمكن تنزيله على وجوه شتى ، و هذا أيضاً من البدع الشائعة العظیم ضررها وإتّما قصد أصحابها بها الإغراب لأنّ النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذّة له ، و بهذا الطريق يتوصّل الباطنية إلى هدم جميع الشرائع بتأويل ظواهرها و تنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهر المصنّف في الردّ على الباطنية و مثل تأويلات أهل الطامّات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّّه طغى »<sup>(١)</sup> أنّه أشار إلى قلبه و قال : هو المراد بفرعون الطاغى على كلّ إنسان ؛ و في قوله تعالى : « ألق عصاك »<sup>(٢)</sup> ، أي كلّ ما تتوكأ عليه و تعتمد ممّا سوى الله تعالى فينبغي أن تلقه ؛ و في قوله ﷻ : « تسحّروا فإنّ في السحور بركة »<sup>(٣)</sup> ، أراد به الاستغفار بالأسحار ، و أمثال ذلك حتّى يحرفون القرآن من أوّله إلى آخره عن ظاهره و عن تفسيره المنقول عن العلماء و بعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتّنازل فرعون على القلب فإنّ فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده و دعوة موسى له كأبي لهب و أبي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الملائكة و الشياطين وما لم يدرك بالحس حتّى

(١) طه : ٢٤ .

(٢) الاعراف : ١١٧ .

(٣) أخرجه البخارى في الصحيح ج ٣ ص ٣٦ وابن ماجه تحت رقم ١٦٩٢ و مسلم

يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل التفسير على الاستغفار فإنه كان رسول الله ﷺ يتناول الطعام ويقول : «مسحروا فإن في السحور بركة» و«هلموا إلى الغداء المبارك»<sup>(١)</sup> فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس وكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ، ولا يظهر لقول رسول الله ﷺ : «من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار»<sup>(٢)</sup> معنى إلا هذه النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجيز شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموعة من النبي ﷺ فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال النبي ﷺ لابن عباس : «اللهم فقه في الدين ، وعلمه التأويل»<sup>(٣)</sup> ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة من الألفاظ ويزعم أنه يقصد به دعوة الخلق إلى الحق بضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن رسول الله ﷺ وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ : «من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار» بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم<sup>(٤)</sup> لأنها مبطللة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة إلى المذمومة وكل ذلك من تلبيس العلماء السوء بتبديل الأسامي فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم

(١) أخرجه النسائي ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) أخرجه الترمذي وابن جرير الطبري كما نقله أبو الفداء اسماعيل بن كثير

القرشي في مقدمة تفسيره ص ٢ .

(٣) مفردات الراغب ٢٥٢ والاتقان في طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٨٧ .

(٤) من طم الماء إذا غمر ، وطم الشيء إذا كثر حتى علا .

المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة  
باتباع من يسمى حكيماً<sup>(١)</sup> في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ .

## ﴿ فصل ﴾

اللفظ الخامس الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب و الشاعر والمنجم  
حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية<sup>(٢)</sup> في شوارع الطرق و الحكمة  
هي التي اتنى الله عزّ وجلّ عليها فقال عزّ من قائل : « و من يؤت الحكمة فقد أوتي  
خيراً كثيراً »<sup>(٣)</sup> ، وقال ﷺ : « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا  
[ و ما فيها ] »<sup>(٤)</sup> ، فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه و إلى ماذا نقل و قس به بقية  
الألفاظ و احترز عن الاختراعات بتلبيسات علماء سوء فإن شرّهم أعظم على الدّين من شرّ  
الشیطان إذ الشيطان بواسطتهم يتذرّع إلى انتزاع الدّين من قلوب الخلق فلماذا لماسئل  
رسول الله ﷺ عن شرّ الخلق أبى و قال : « اللّهم غفرأ<sup>(٥)</sup> » ، حتى كرّر عليه ثم قال :  
هم علماء سوء فقد عرفت العلم المحمود و المذموم و مثار الالتباس و إليك الخيرة في أن  
تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى<sup>(٦)</sup> بحبل الغرور و تتشبه بالخلف ، فكلّ ما  
ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس و ما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدع محدث و قد  
صحّ قول رسول الله ﷺ : « بدء الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدء فطوبى للغرباء  
فقيل : و من الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنّتي و الذين

(١) في الاحياء > باتباع من يسمى حكيماً فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب

و الشاعر والمنجم في هذا العصر و ذلك الخ »

(٢) سواد الناس عوامهم . ( الصحاح )

(٣) البقرة : ٢٦٩ .

(٤) تقدم نحوه .

(٥) راجع مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٥ ، وأخرجه البزار في المسند الكبير كما في

الترغيب ج ١ ص ١٢٦ .

(٦) تدلى من الشجرة تعلق به .



يحيون ما أماتوه من سنتي» (١). وفي خبر آخر «هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم». وفي حديث آخر «الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم».

وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قيل: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه (٢).

### ❦ ( بيان القدر المحمود من العلوم المحموده ) ❦

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام، قسم هو مذموم قليله وكثيره، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فإن منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل كالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم، فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولادنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلاً وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة وإضاعة النفاس مذمومة، ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن أنه يحصل به من قضاء الوتر في الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل منه.

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله سبحانه وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة علي الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقذور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم المتحومون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء ﷺ والأولياء والراستخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله عز وجل في حقهم وهذا

(١) اخرج صدره ابن ماجه تحت رقم ٣٩٨٧ . وج ١ ص ٩٠ بلفظ آخر وابن عبد البر

تمامه في العلم كما في المختصر ص ١٧٤ والترمذي ج ١٠ ص ٩٦ .

(٢) من كلام سفيان الثوري كما في الاحياء .

هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب و يعين على التنبيه له التعلّم و مشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أوّل الأمر و يعين عليه في الآخرة المجاهدة و الرياضة و تصفية القلب و تفرّغه عن علائق الدنيا و التشبّه فيه بأنبياء الله و أوليائه عليهم السلام ليتّضح منه لكلّ ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد و لكن لاغنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لامحالة لامفتاح لها سواها .

وأما العلوم التي لا يحمد منها إلّا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فإنّ في كلّ علم منها اقتصاداً هو الأقلّ ، و اقتصاداً هو الوسط ، و استقصاء هو وراء الاقتصاد لأمّر دله إلى آخر العمر ، فكن أحد رجلين إمّا مشغولاً بنفسك و إمّا متفرّغاً إلى غيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشغل إلّا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك و هو ما يتعلّق منه بالأعمال الظاهرة من تعلّم الطهارة و الصوم و الصلاة ، و إنّما الأهمّ الذي أهمله الكلّ علم صفات القلب و ما يحمد منها و ما يذمّ إذ لا ينفعك بشرّ عن الصفات المذمومة من الحرص و الحسد و الرياء و الكبر و العجب و أخواتها و جميع ذلك مهلكات و إهمالها مع الاشتغال <sup>(١)</sup> بالأعمال الظاهرة يضا هي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب و الدمايل و التهاون بإخراج المادّة بالفصد و الحجامة و الإسهال و حشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما تشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن و علماء الآخرة لا يشيرون إلّا بتطهير الباطن و قطع مواد الشرّ بإفساد منابتها و قلع مغارسها و هي في القلب و إنّما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح و استصعاب أعمال القلوب كما يفرع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرّة المقرّة البشعة فلا يزال يتعب في الطلاء و يزيد في الموادّ و يتضاعف به الأمراض فإن كنت مريد الآخرة و طالباً للنجاة و هارباً من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة و علاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ، ثمّ ينجرّ ذلك بك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربيع المنجيات لامحالة

(١) في الاحياء « و إهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال » .

نَّ القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش ينبت فيها ناف الزروع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لاسيما في الخلق من قد قام بها ، فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة دخلت الأفاعي والعقارب داخل ثيابها و همّت بقتله و هو يطلب مذبة<sup>(١)</sup> يدفع بها باب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيهِ ممّا يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همّهنّ ، وإن تفرّغت من نفسك وتطهّرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم و باطنه و صار ذلك نافعاً لك وعادة متيسرة فيك و ما أبعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات و راع التدريج فيها تده بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير و سائر علوم القرآن ، الناسخ و المنسوخ و المفصول و الموصول و المحكم و المتشابه و كذلك في السنة ثم تغل بالفروع و هو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه و هكذا ، بقية العلوم على ما يتسع له العمر و يساعد فيه الوقت ، و لاستغرق عمرك في فنّ حد طالباً للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير ، و هذه العلوم آلات و مقدّمات ليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، و كل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب يستكثر منه فاقصر من شايع علم اللغة على ما يفهم به كلام العرب و ينطق به ، و من يبه على غريب القرآن و غريب الحديث ، ودع التعمق فيه و اقتصر من النحو على ما ملق بالكتاب و السنة .

**أقول :** أراد بعلم المذهب العلم بمذاهب أئمّتهم الضالّين المضلّين من الشافعي أبي حنيفة و مالك و أحمد و غيرهم الذين كانوا يفتون في المسائل الدينية بأرائهم أهوائهم ، و أراد بعلم الخلاف علم وجوه اختلافاتهم و توجيه آرائهم ، و بأصول الفقه أصول التي وضعوها لبناء الآراء عليها ثم اختلفوا فيها ، و بالجملة ليس شيء منها يصلح أن يسمى علماً بل هي بدع و ضلالة و على قواعد الإمامية - رحمهم الله - يجب أخذ علوم الدينيّة كلّها عن أهل البيت عليهم السلام إمّا بالمشافهة و النصّ عنهم أو بالاستنباط ، أخبارهم و آثارهم عليهم السلام واستعمال الروية فيها مع القدرة على ذلك و تحصيل شرائطه المقررة

(١) المذبة - بالكسر - : ما يندب به الذباب .

و مقدّماته المعتمدة ، وإنما يجب تحصيل العلوم الآليّة من النحو و الصرف و اللّغة و غيرها على التقدير الثاني دون الأوّل غالباً و من لم يمكنه الوصول إليهم و لم يكن له سبيل إلى الاستنباط المذكور إما لعجزه عنه أو عن تحصيل شرائطه جاز له تقليد عالم متديّن يحسن اعتقاده فيه من الذين يستنبطون و إن اختلفوا أخذ بقول الأعلّم والأورع و إن اشتهى الأمر عليه فهو بالخيار و يحتاط في العمل ما استطاع وفي حديث أهل البيت (عليهم السلام) في باب اختلاف الرواية عنهم « بآتيهما أخذت من باب التسليم و سعت » (١) .

### ﴿ الباب الرابع ﴾

في بيان سبب إقبال الخلق على المناظرة و ذكر شروطها وآدابها و آفاتهما - و قد تصرّفت في عنوان هذا الباب وفي تقرير كلام أبي حامد تصرّفاً ما .

#### ﴿ بيان سبب إقبال الخلق على المناظرة ﴾

اعلم أنّه لما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام لم يعلموا شيئاً اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء و إلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في جميع مجاري أحكامهم إلى طلبهم لتولية القضاء والحكومات ، فرأى أهل تلك الأعصار عزّ العلماء و إقبال الولاة و الحكماء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العزّ و درك الجاه من قبل الولاة فأكبّوا على الفتاري و عرضوا أنفسهم على الولاة و تصرّفوا إليهم و طلبوا الولايات و الصلوات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، و المنجح لم يخل عن ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبيين و بعد أن كانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلّا من وفقه الله في كلّ عصر من علماء دينه ثمّ ظهر بعدهم من الصدور و الأمراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد و مالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكبّ الناس إلى علم الكلام وأكثروا فيها التصانيف ، و رتبوا فيها طرق المجادلات ، و استخرجوا فنون المناقضات في المقالات ، و زعموا أنّ غرضهم الذّبح عن دين الله ، و النضال عن السنّة و قمع البدعة ،

ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما تولد من فتح بابه التبعيضات والخصومات الناشئة من اللدادر، المفضية إلى تخريب البلاد و مالت نفسه إلى المناظرة في الفقه و بيان الأولى من مذاهب المجتهدين ، فترك الناس الكلام و فنون العلم و أقبلوا على المسائل الخلافية و زعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع و تقرير علل المذاهب و تمهيد أصول الفتاوي و أكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ، و رتبوا فيها أنواع المجادلات و هم مستمرّون عليه إلى الآن و ليس يدري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الأعصار ، فهذا هو الباعث على الإكباب على المناظرة في الخلافات ، و لو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى علم آخر من العلوم ملأوا أيضاً و لم يسكتوا عن التعلل و الاعتذار بأن ما اشتغلوا به علم الدين و أن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

### ❖ ( بيان شروط المناظرة و آدابها ) ❖

اعلم أن المناظرة في أحكام الدين من الدين و لكن لها شروط و محل و وقت ، فمن اشتغل بها على وجهها و قام بشروطها فقد قام بحدودها و اقتدى بالسلف فيها فأنهم تناظروا و ما تناظروا إلا لله و لطلب ما هو حق عند الله ، و لمن يناظر لله و في الله علامات بها يتبين الشروط و الآداب .

الأول أن يقصد بها إصابة الحق و طلب ظهوره كيف اتفق ، لا ظهور صوابه و غزارة علمه و صحة نظره ، فإن ذلك مرأى منه بالنهاي الأكيد و من آيات هذا القصد ألا يوقعها إلا مع رجاء التأثير فأمّا إذا علم عدم قبول المناظرة للحق و أنه لا يرجع عن رأيه و إن تبين له خطاؤه فمناظرته غير جائزة لترتب الآفات الآتية عليها و عدم حصول الغاية المطلوبة منها .

الثاني أن لا يكون ثمة ما هو أهم من المناظرة فإن المناظرة إذا وقعت على وجهها الشرعي و كانت في واجب فهي من فروض الكفايات ، فإذا كان ثمة واجب عيني أو كفائي هو أهم منه لم يكن الاشتغال بها سائغاً ، و من جملة الفروض التي لا قائم بها في هذا الزمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و قد يكون المناظر في مجلس مناظرته مصاحباً لعدة مناكير كما لا يخفى على من سبر الأحوال و الأفعال المفروضة و المحرمة

ثم هو يناظر فيما لا يتفق أو يتفق نادراً من الدقائق العلمية و الفروع الشرعية بل يجري منه و من غيره في مجلس المناظرة من الإباحاش و الإفحاش و الإيذاء و التقصير فيما يجب رعايته من النصيحة للمسلمين و المحبة و المودة ما يعصي به القائل و المستمع ولا يلتفت قلبه إلى شيء من ذلك ثم يزعم أنه يناظر لله تعالى .

الثالث أن يكون المناظر في الدين مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب أحد حتى إذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل إليه ، فأما من لا يجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلده فأى فائدة له في المناظرة و هو لا يقدر على تركه إن ظهر ضعفه ؟ ثم على تقدير أن يباحث مجتهداً و يظهر له ضعف دليله ما ذا يضرب المجتهد فإن فرضه الأخذ بما يترجح عنده و إن كان في نفسه ضعيفاً كما اتفق ذلك لسائر المجتهدين ، فإنهم يتمسكون بأدلة ثم يظهر لهم أو لغيرهم أنها في غاية الضعف فيتغير فتواهم لذلك حتى في المصنف الواحد بل في الورقة الواحدة .

الرابع أن يناظر في واقعة مهمة أو في مسألة قريبة من الوقوع و أن يهتم بمثل ذلك ، و المهم أن يعين الحق و لا يطول الكلام زياده على ما يحتاج إليه في تحقيق الحق و لا يقترب بأن المناظرة في تلك المسائل النادرة توجب رياضة الفكر و ملكة الاستدلال و التحقيق كما يتفق ذلك كثيراً لقاصدي حفظ النفوس من إظهار المعرفة فيتناظرون في التعريفات و ما يشتمل عليه من النقوض و التزييفات و نحو ذلك ، و لو اختبر حالهم حق اختبار لوجد مقصد هم على غير ذلك الاعتبار .

الخامس أن يكون المناظرة في الخلوة أحب إليه منها في المحفل و الصدور ، فإن الخلوة أجمع لهم و أخرى لصفاء الفكر و درك الحق في حضور الخلق ما يجر إدواعي الرياء و العرص على الإفحام ولو بالباطل و قد يتفق لأصحاب المقاصد الفاسدة الكسل عن الجواب عن المسألة في الخلوة و تنافسهم في المسألة في المحافل و احتيالهم على الاستيثار بها في المجامع .

السادس أن يكون في طلب الحق كمنشذالة يكون شاكراً متى وجدها ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو يد غيره فيرى رفيقه معيناً لا خصماً و يشكره إذا عرفه الخطأ

وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالة فنبهه غيره على ضالته في طريق آخر ، والحق ضالة المؤمن يطلبه كذلك ، فحقه إذا ظهر الحق على لسان خصمه أن يفرح به ويشكره لا أنه يضجل ويسود وجهه ويزيل لونه ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جهده .

السابع أن لا يمنع معينه من الانتقال من دليل إلى دليل ومن سؤال إلى سؤال بل يمكنه من إيراد ما يحضره ويخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابة الحق فإن وجدته في جملته أو استلزامه وإن كان غافلاً عن اللزوم فليقبله وليحمد الله تعالى فإن الغرض إصابة الحق وإن كان في كلام متهافت إذا حصل منه المطلوب ، فأما قوله : « هذا لا يلزمني فقد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك » و نحو ذلك من أراجيف المناظرين فهو محض العناد والخروج عن نهج السداد وكثيراً ما ترى المناظرات في المحافل تنقضي بمحض المجادلات حتى يطلب المعترض الدليل ويمنع المدعي وهو عالم به وينقضي المجلس على ذلك الإنكار والإصرار على العناد ، وذلك عين الفساد والخيانة للشرع المطهر والدخول في ذم من كتم علمه .

الثامن أن يناظر مع من هو مستقل بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحق والغالب أنهم يحتزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفاً من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويح الباطل عليهم و وراء هذه الشروط والآداب شروط أخر وآداب دقيقة لكن فيما ذكرنا يهديك إلى معرفة المناظرة لله ومن يناظر الله أو لعله .

واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى إهلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو مضحكة للشيطان<sup>(١)</sup> وعبرة للمحصّلين ولذلك شتم الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي تعدّها ونذكر تفصيلها .

(١) في الاحياء « فهو ضحكة للشيطان » .

## ﴿ بيان آفات المناظرة ﴾

( وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق )

اعلم أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف عند الناس وقصد المباهاة والممارات واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والرياء والحسد والمنافسة وتمزكية النفس وحبّ الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنى والقذف والقتل والسرقة ، وكما أن الذي خسر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فيسكره فكذلك من غلب عليه حبّ الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وتهيّج فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق سيأتي أدلة منعتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيّجه المناظرة .

فمنها الحسد وقال رسول الله ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يُغلب ، وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره ، فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحبّ زوال النعمة عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه إليه ، والحسد نار محرقة فمن ابتلى به فهو في العذاب الأليم في الدنيا وللعذاب الآخرة أشدّ وأعظم ولذلك قال ابن عباس - رحمه الله - : خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايبون كما تتغايب الثيوس في الزريبة» (٢) .

ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « من تكبر وضعه

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢١٠ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٩٤ والزريبة : حضيرة



الله و من تواضع رفعه الله ، (١) .

و قال حكاية عن الله عز وجل : « العظمة إزاري و الكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته » (٢) و لا ينفك المناظر عن التكبر على الأمثال و الأقران و الترفع إلى فوق قدره حتى أنهم ليقاثلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع و الانخفاض و القرب من و سادة الصدر و البعد منها و التقدم في الدخول عند مضائق الطرق و ربما يتعلل الغبي و المكار الخداع منهم بأنه يبغي صيانة نفسه و غر العلم و أن المؤمن منهي عن إذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله عز وجل عليه و سائر أنبيائه عليهم السلام بالذل و عن التكبر الممقوت عند الله عز وجل و عز الدين تعريفاً للاسم و إضلالاً للخلق به كما فعل في اسم الحكمة و العلم و غيرها .

و منها الحق فلا يكاد المناظر يخلو عنه و قد قال عليه السلام : « المؤمن ليس بحقود » (٣) و ورد في ذم الحق ما لا يخفى و لا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضر حقداً على من يحرّك رأسه على كلام خصمه و يتوقف في كلامه و لا يقابله بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحق و تربيته في النفس ، و غاية تماسكه الإخفاء بالنفاق و يترشح منه إلى الظاهر لاحالة في غالب الأمر كيف ينفك عنه و لا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه و استحسان جميع أحواله في إيراد و إصداره ، ثم لو صدر من خصمه أدنى تشبيب فيه (٤) أو قلة مبالاة بكلامه انفرس في صدره حقداً لا يقلعه يد الدهر إلى آخر العمر .

و منها الغيبة و قد شبهها الله عز وجل بأكل الميتة و لا يزال المناظر مثابراً (٥) على أكل الميتة فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه و مذمته و غاية محفظه أن يصدق

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بزيادة كما في مشكاة المصابيح ص ٤٣٤ . و

روى الكليني نحوه في الكافي ج ٢ ص ١٢١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٥ . و فيه « ألقيته في النار » « مكان قصمته » .

(٣) ما عثرت بلفظه في أصل . و مضمونه مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام في

الكافي باب المؤمن وعلاماته وصفاته ج ٢ ص ٢٢٦ . (٤) كذا ولى الإحياء «سبب فيه» .

(٥) المثابرة : العرس على الفعل أو القول و ملازمتها . ( النهاية ) .

فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة وأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه من التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة .

ومنها تزكية النفس قال الله عز وجل : « فلانزكوا أنفسكم »<sup>(١)</sup> وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه ، ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ، ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله : « لست ممن ينهى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفلس في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث » وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف<sup>(٢)</sup> وتارة للحاجة إلى ترويح كلامه ومعلوم أن الصلف والبذخ<sup>(٣)</sup> منموم شرعاً وعقلاً .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال الله عز وجل : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً »<sup>(٤)</sup> والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى أنه ليخبر بورود مناظر إلى البلد فيطلب من يخبره ببواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعد ذلك ذخيرة لنفسه في إفصاحه وتخجيله إذا مست إلى ذلك حاجة حتى أنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعماء يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكاً ويستحسن منه ذلك ويعد من لطائف التشبيب<sup>(٥)</sup> ولا يمتنع عن الإفصاح إن كان متبجحاً<sup>(٦)</sup> بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن أقوام من أكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم .

(١) النجم : ٣٢ .

(٢) الصلف - ككتف - : التكلم بما يكرهه صاحبه والتمدح بما ليس عندك أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ويقال له بالفارسية : لاف زدن .

(٣) البذخ : التكبر والتفاخر .

(٤) الحجرات : ١٢ .

(٥) كذا وفي الأحياء « لطائف التشبيب » وشب قصيدته بقلانة زينها وحسنها والمادة التشبيب في مبتدأ قصائد المدح ثم سعى ابتداء كل أمر تشبيهاً وإن لم يكن في ذكر الشباب .

(٦) التبجح - بتقديم المعجزة على المهمل - البهاة والافتخار .

و منها الفرح بمساءة الناس و الغم بما يسرهم و من لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن أخلاق المؤمنين ، و كل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسر له المحالة ما يسوء أقرانه و أشكاله الذين يساومونه في الفضل و يكون التباغض بينهم كما بين الضرائر و كما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبته من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً فيردُّ لونه و يضطرب عليه فكره و كأنه شاهد شيطناً [مارداً] أو سبعاً ضارياً ، فأين الاستيناس و الاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء و ما نقل عنهم من المؤاخاة و التناصر و التساهم في السراء و الضراء حتى قيل : العلم بين أهل العقل رحم متصل ، فناهيك بالشيء شرّاً أن يلزمك أخلاق المنافقين و يبرئك عن أخلاق المؤمنين و المتقين ، ومنها النفاق و لا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمته و هم مضطرون إليه فإنهم يلقون الخصوم و محبيهم و أشياعهم و لا يجدون بداً من التودد باللسان و إظهار الشوق و الاعتداد بمكانهم و أحوالهم و يعلم المخاطب و المخاطب و كل من يسمع ذلك منهم أن ذلك كذب و زور و نفاق و فجور ، و أنهم متوادون باللسنة متباغضون بالقلوب - نعوذ بالله من ذلك - فقد قال رسول الله ﷺ : « إذا تعلم الناس العلم و تركوا العمل و تحابوا باللسن و تباغضوا بالقلوب و تقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم و أعمى أبصارهم » (١) و قد صحَّ ذلك بمشاهدة الحال .

ومنها الاستكبار عن الحق و كراهته و الحرص على الممارات فيه حتى أن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه و مهما ظهر تشمّر لجحده و إنكاره بأقصى جهده و بذل غاية إمكانه في المخادعة و المكر و الحيلة لدفعه ، ثم تصير الممارات فيه طبيعة فلا يسمع كلاماً إلا و ينبعث من طبعه داعية إلى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن و ألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض و المراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل فقال ﷺ : « من ترك المراء و هو مبطل بنى الله له بيتاً في ربه الجنة و من ترك المراء و هو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة » (٢) و قد سوى الله سبحانه بين من افتري على الله عز وجل كذباً و بين

(١) أخرجه الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف كما في المغنى .

(٢) أخرجه أبوداود و ابن ماجه و الترمذى كما في الترغيب ج ١ ص ١٣٠ .

من كذب بالحق<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه»<sup>(٢)</sup> وقال: «فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه»<sup>(٣)</sup>.

و منها الرياء وهو ملاحظة الخلق و الجهد في استعماله قلوبهم و صرف وجوههم إليه و الرياء هو الداء العضال الذي يدعوا إلى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء ، و المناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق و إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤذي إلى الضرب و اللكم و تمزيق الثياب و الأخذ باللحي و سب الوالدين و شتم الأستادين و القذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين و إنما الأكابر و العقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أوظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلد و أسباب معيشتة ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ، ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها و تفصيل آحادها مثل الأنفة و الغضب و البغضاء و الطمع و حب المال و الجاه للتمكّن من الغلبة و المباهاة و الأشر و البطر و تعظيم الأغنياء و السلاطين و التردد إليهم و الأخذ من حرامهم و التجمّل بالخيول و المراكب و الثياب المحظورة ، و استحقار الناس بالفخر و الخيلاء ، و الخوض فيما لا يعني ، و كثرة الكلام و خروج الخشية و الحرمة<sup>(٣)</sup> من القلب و استيلاء الغفلة عليه حتّى لا يدري المصلّي منهم في صلاته ما الذي يقرؤه و من الذي يناجيه و لا يحس بالخشوع من قلبه ، و استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنّها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة و تسجيع اللفظ و حفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى و المناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم و لهم درجات شتى و لا ينفك أعظمهم

(١) العنكبوت : ٦٨ .

(٢) الزمر : ٣٢ .

(٣) في الاحياء « و الرحمة » .

ديناً و أكثرهم عقلاً عن جعل من مواد هذه الأخلاق و إنما غايته إخفاؤها و مجاهدة النفس بها .

أقول و مما ورد من طريق الخاصة في منممة المناظرة و الخصومة في الدين ما رواه شيخنا الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه - رحمه الله - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «من طلب الدين بالجدل تزندق» (١) .

و روي أن رجلاً قال للحسين بن علي عليه السلام : اجلس حتى نقناظر في الدين قال : «يا هذا أنا بصير بديني مكشوف علي هداي فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه مالي و للممارسة» (٢) .

و بإسناد الصدوق عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام : «قال : قال لي : يا أبا عبيدة إياك و أصحاب الخصومات و الكذابين علينا فانهم تركوا ما أمروا بعلمه و تكلفوا ما لم يؤمروا بعلمه حتى تكلفوا علم السماء ، يا أبا عبيدة خالفوا الناس بأخلاقهم و زابلوهم بأعمالهم ، إنما لانعد الرجل فقيهاً عاقلاً حتى يعرف لحن القول ، ثم قرأ هذه الآية «ولتعرفنهم في لحن القول» (٣) .

و بإسناده عنه عليه السلام «الخصومة تمحق الدين و تحبط العمل و تورث الشك» (٤) .  
و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام لا يخاصم إلا شاك أو من لا ورع له» (٥) .  
و في رواية إلا من ضاق بما في صدره» (٦) .  
و بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال لعلي بن يقطين : «مر أصحابك أن

(١) كتاب الاعتقادات ص ٧٤ الملحق بشرح باب حادى عشر .

(٢) مصباح الشريعة باب ٤٨ .

(٣) سورة محمد : ٣٠ والخبر فى توحيد الصدوق ص ٤٧٦ باب النهى عن الكلام

والجدال و المراء فى الله .

(٤) المصدر ص ٤٧٦ .

(٥) المصدر ص ٤٧٨ .

(٦) المصدر ص ٤٧٩ .

يكفّوا من ألسنتهم و يدعوا الخصومة في الدين و يجتهدوا في عبادة الله عزّ وجلّ»<sup>(١)</sup> .  
و بإسناده عن محمد بن عيسى قال : قرأت في كتاب عليّ بن هلال<sup>(٢)</sup> أنّه سئل عن  
الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - أنهم نهوا عن الكلام في الدين فتأوّل مواليك المتكلّمون  
بأنّه إنّما نهى من لا يحسن أن يتكلّم فيه فأما من يحسن أن يتكلّم فلم ينهه فهل ذلك  
كما تأوّلوا أولاً؟ فكتب عليه السلام المحسن و غير المحسن لا يتكلّم فيه فإنّ إثمه أكبر من  
نفعه<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من الأخبار و هي كثيرة .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « و اعلم أنّ هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير و الوعظ أيضاً  
إذا كان قصده طلب القبول و إقامة الجاه و نيل الثروة و العزّ و هي لازمة أيضاً للمشتغل  
بعلم المذهب و الفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء و ولاية الأوقاف و التقدّم على الأقران  
و بالجملة هي لازمة لكلّ من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة ، فالعلم لا يهمل العالم بل  
يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ، و لذلك قال عليه السلام : «أشدّ الناس عذاباً يوم  
القيامة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه»<sup>(٤)</sup> فلقد ضرّ مع أنّه لم ينفعه وليته نجى منه رأساً  
برأس و هيئات فخطر العلم عظيم و طالبه طالب آلة الملك المؤبد و النعيم السرمدي فلا ينفك  
عن الملك أو الهلك ، وهو كطلب الملك في الدنيا فإن لم يتفق الإصابة لم يطمع في سلامة  
الأرذال بل لا بدّ من لزوم أفصح الأحوال .

فإن قلت : في الرخصة في المناظرة فائدة و هي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا  
حب الرئاسة لاندست العلوم . فقد صدقت فيما ذكرته من وجه و لكنّه غير مفيد إذ لولا  
الوعد بالكرة و الصولجان و اللّعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب و ذلك لا يبدلُ

(١) المصدر ص ٤٧٨ .

(٢) في المصدر [ على بن بلال ] و الظاهر من جامع الرواة هو الصحيح .

(٣) التوحيد ص ٤٧٧ .

(٤) أخرجه ابن عدى في الكامل و الطبراني في الصغير و البيهقي في شعب الإيمان كما  
في الجامع الصغير باب الالف و أخرجه أيضاً ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٨٤ .

على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرئاسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرئاسة ناج بل هو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم »<sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »<sup>(٢)</sup> .

فطالب الرئاسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الأمر حال علماء السلف ولكنه يضمّر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحرق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه ؛ فأمّا إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها ، فبالعلماء ثلاثة : إمّا مهلك نفسه وغيره وهم المصرتّ حون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ، وإمّا مسعد نفسه وغيره وهم الداعون إلى الله عز وجل المعرضون عن الدنيا ظاهراً وباطناً ، وإمّا مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن أن الله سبحانه يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل ، وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع المهلكات ما ينفي عنك الريبة في ذلك إن شاء الله تعالى .

### ﴿ الباب الخامس ﴾

« في آداب المتعلّم والمعلّم - أمّا المتعلّم فأدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل : الأولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومنعها من الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله عز وجل فكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلّا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف »<sup>(١)</sup>

(١) الجامع الصغير باب الالف عن ابن حبان والنسائي ومسنّد أحمد ومسنّد كبير الطبراني .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٠٩ من حديث أبي هريرة .

قال النبي ﷺ: « بني الدين على النظافة »<sup>(١)</sup> وهو كذلك ظاهراً و باطناً ، وقال الله عز وجل: « إنما المشركون نجس »<sup>(٢)</sup> تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه و خبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المال و لذلك قال رسول الله ﷺ: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »<sup>(٣)</sup> و القلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم وجل استقراهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخوانها كلاب نابحة فأبى تدخله الملائكة و هو مشحون بالكلاب و نور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب إلا بواسطة الملائكة ، قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً »<sup>(٤)</sup> و هكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما يتولاها الملائكة الموكلون بها و هم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المنموهات فلا يلاحظون إلا طيباً ولا يعمرن بماعندهم من خزائن رحمة الله سبحانه إلا طاهراً ، و لست أقول : المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب أنه الغضب والصفات المنموهة ، ولكنني أقول : هو تنبيه عليه و فرق بين التعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ، ففارق الباطنية بهذه الدققة ، فإن هذا طريق الاعتبار و هو مسلك العلماء والأبرار ، إذ معنى الاعتبار أن يعبر مما ذكر إلى غيره و لا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضاً عرضة للمصائب و كون الدنيا بصدور الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه و من نفسه إلى أمل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضاً من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه و من الكلب الذي ذم لصفته لصورته وهو لما فيه من سبيعية و نجاسة إلى روح الكليية و هي السبيعية

(١) ما عثرت عليه بهذا اللفظ في أي أصل .

(٢) التوبة : ٢٨ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٨ ، و رواه الصدوق في الفقيه ج ١ ص ١٥٩

تحت رقم ٧٤٤ . (٤) الشورى : ٥١ .



و اعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكالب عليها و الحرص على التميزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور و الصور في هذا العالم غالبية على المعاني و المعاني باطنة فيها و في الآخرة تتبع الصور المعاني و تغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية ، فيحشر المعزق لأعراض الناس كلباً ضارياً ، و الشره إلى أموالهم ذنباً عادياً ، و المتكبر عليهم في صورة نمر ، و طالب الرئاسة في صورة أسد ، وقد وردت بذلك الأخبار و شهد به الاعتبار عند ذوي البصائر و الأَبصار .

فإن قلت : كم من طالب ردي الأُخلاق حصل العلوم . فبهيات ما أبعدك عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول شيئاً مع علمه بكونه سمّاً إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلغونه بالسنتهم مرة و يردّدونه بقلوبهم أخرى و ليس ذلك من العلم في شيء ، قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلوب .

أقول : و قد ورد عن أئمتنا عليهم السلام مثل ذلك .

قال أبو حامد : و قال بعضهم : إن العلم الخشية قال الله عز وجل : و إنما يخشى الله من عباده العلماء ، <sup>(١)</sup> و كأن هذا إشارة إلى أخص ثمرات العلم و لذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم : تعلّمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله . أن العلم أبى و امتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته و إنما حصل لنا حديثه و ألفاظه .

فإن قلت : إنني أرى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الأصول و الفروع وعدّوا من جملة الفحول و أخلاقهم زميمة لم يتطهروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم و عرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً و إنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله سبحانه ، و قد سبق إلى هذا إشارة و سيأتيك فيه مزيد بيان و إيضاح .

الثانية أن يقلل علاقته من أشغال الدنيا ويبعد عن الوطن والأهل فإن العلائق شاغلة وصارفة و«ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»<sup>(١)</sup> ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيتك كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فانتشفت الأرض بعضه واختلطت الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرعة.

الثالثة أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلتقى إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويزعن لنصحه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته.

قال الشعبي: «صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشافعي: «و ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم»<sup>(٣)</sup> فلا ينبغي للطالب أن يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم أن يستنكف من الاستفادة إلا من المرموقين<sup>(٤)</sup> المشهورين وهو عين حماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب

(١) الاحزاب: ٤.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٦٤.

(٣) في البحار نقلاً - عن كتاب عدة الداعي - باب حق العالم من المجلد الأول، وفيه «الملق» وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان بأسناد ضعيف عن معاذ كما في الجامع الصغير وفيه «ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا العسد إلا في طلب العلم» فينبغي للمؤمن حسد القبطة في العلم والتملق أي كثرة التودد مع المعلم ليستخرج ما عنده من الحقائق أو لينصح المعلم في التعليم.

(٤) رmqته أرمقه رmqاً: نظرت إليه. (الصحيح).

مهرباً من سبع خاري يفترسه لم يفرّق بين أن يرشده إلى المهرب مشهوراً أو خاملاً، وضراوة سباع النار بالجهال بالله عزّ وجلّ أشدّ من ضراوة كلّ سبع ، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ، و يتقلّد المنّة لمن ساقها إليه كائناً من كان ، ولذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالي \* كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلّا بالتواضع و إلقاء السمع ، قال الله عزّ وجلّ : « إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (١) و معنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهماً ، ثمّ لا يغنيه القدرة على الفهم حتّى يلقي السمع و هو شهيد حاضر القلب يستقبل كلّ ما ألقى إليه بحسن الإصغاء و الضراعة و الشكر و الفرح و قبول المنّة لله تعالى ، فليكن المتعلّم لمعلّمه كأرض دمنة نالت مطراً غزيراً (٢) فشربت بجميع أجزائها و أذعنت بالكليّة لقبوله ، و مهما أشار عليه المعلّم بطريق في التعلّم فليقلّده و ليدع رأيه فإنّ خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه ، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنّه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوّته إلى حدّ يحتمل صدمة العلاج فيتعجّب منه من لاخبرة له ، وقد نبّه الله عزّ وجلّ بقصّة الخضر و موسى صلوات الله عليهما حيث قال الخضر : « إنك لن تستطيع معي صبراً » \* وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » (٣) ثمّ شرط عليه السكوت و التسليم فقال : « فإن اتّبعنني فلا تسألنني عن شيء حتّى أحدث لك منه ذكراً » ثمّ لم يصبر و لم يزل في مرادته إلى أن كان ذلك سبب فراق ما بينهما .

و بالجملة كلّ متعلّم استبقى لنفسه رأياً واختياراً وراء اختيار المعلّم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

فإن قلت : قدّ قال الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٤) فالسؤال مأمورٌ به ، فاعلم أنّه كذلك ولكن فيما يأذن المعلّم في السؤال عنه فإنّ السؤال

(١) سورة ( ن ) : ٣٧ .

(٢) أرض دمنة أى سهلة لينّة . و الغزير : الكثير .

(٣) الكهف : ٦٧ و ٦٨ .

(٤) النحل : ٤٣ .

عما لم تبلغ رتبك إلى فهمه مذموم و لذلك منع الخضر موسى عليه السلام أن يسأل أي دع السؤال قبل أوائه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهله و بأوان الكشف و ما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقبي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه .

و قد قال علي عليه السلام : « إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تمنعته في الجواب ، و لا تلج عليه إذا كسل ، و لا تأخذ بثوبه إذا نهض ، و لا تفس له سرًا ، و لا تغتابن عنده أحداً ، و لا تطلبن عشرته ، و إن زل قبلت معذرتة ، و عليك أن توقره و تعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، و لا تجلس أمامه ، و إن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته » (١) .

**الرابعة** أن يحترز الخائف في العلم في مبدء الأمر عن الإصغاء إلى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من الآخرة ، فإن ذلك يدهش عقله ، و يحير ذهنه ، و يقتل رأيه ، و يؤسسه عن الإدراك و الاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريقة الواحدة الحميدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه ، و إن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد وإنما عادته نقل المذاهب و ما قيل فيها فليحترز منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده و لا يصلح الأعمى لقود العميان و إرشادهم ، و من هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة و تيه الجهل ، و منع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار ، و ندب القوي إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ، و لذلك يمنع العاجز عن التهجّم على صف الكفار و يندب الشجاع إلى ذلك ، و من الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز و لم يدرك أن وظائف الأقوياء تخالف و وظائف الضعفاء و لذلك قال بعضهم : من رآني في البداية صار صديقاً و من رآني في النهاية صار زنديقاً ، إذ النهاية ترد الأهمال إلى الباطن و تسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراعى إلى الناظر أنها بطالة و كسل و إهمال و هيئات فذلك مراعاة للقلب في عين الشهود و الحضور و ملازمة للذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام و بمثل (١) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٦٥ ، و روى نحوه الشيخ

المفيد في الارشاد ص ١١١ .

هذا جواز للنبي ﷺ ما لا يجوز لغيره حتى أبيع له تسع نسوة إذ كان له ﷺ من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نساءه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلب رضاهن ، فما أفلح من قاس الملائكة بالجد أدین .

الخامسة أن لا يدع طالب العلم فتناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعها إلا و ينظر فيه نظراً يطلع منه على مقصد ذلك العلم وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه فاستوفاه و تطرّف من البقية فإن العلوم متعاونة و بعضها مرتبط بالبعض و يستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فإن الناس أعداء ما جهلوا ، قال الله تعالى : « و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » <sup>(١)</sup> و قال الشاعر :

و من يك ذا فم مرّ مريض \* يجد مرّاً به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها ، إما سالكة بالبعد إلى الله تعالى ، وإما معينة على السلوك نوعاً من الإعانة ، و لها منازل مرتبة في القرب و البعد من المقصود ، و القوام بها حفظة كحفظة الرباطات و الثغور ، و لكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إن قصد به وجه الله تعالى جلّ جلاله .

السادسة أن لا يأخذ فرقة <sup>(٢)</sup> من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي القربة فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء و يصرف جهام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم و هو علم الآخرة ، أعني قسمة المعاملة و المكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة ، و غاية المكاشفة معرفة الله تعالى ، و لست أعني به الاعتقاد الذي تلقّنه العامي و رائة أو تلقّفاً ، ولا طريق تحرير الكلام و المجادلة في تحصيل ذلك عن مراوغات الخصوم <sup>(٣)</sup>

(١) الاحقاف : ١١ .

(٢) في بعض نسخ الاحياء « أن لا يخوض في فن » .

(٣) راوغة مراوغة : صارعه و خادعه ، راوغة على الامر : راوده ، راوغة القوم :

طلب بعضهم بعضاً على وجه المكر .

كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث ، وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم ثم الأولياء ثم الذين يلونهم ، وقد روي أنه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة وفيها « إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ؛ وفي يد الآخر « كنت قبل أن أعرف الله سبحانه أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلاشرب » .

**السابعة** أن يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وأن ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقفة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين و علم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب و علم الطب فإن الحساب أشرف لوثاقفة أدلته وقوته وإذا نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين وبهذا يتبين أن أشرف العلوم العلم بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ، فأياك وأن ترغب إلا فيه وتحرم إلا عليه .

**الثامنة** أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله عز وجل والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقرئين ، ولا يقصد به الرئاسة والمال وممارسة السفهاء ومباهات الأقران ، وإذا كان هذا مقصده طلب لامحالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ، ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقدارة إلى سائر العلوم أغني علم الفتاوي و علم النحو و اللغة المتعلقين بالكتاب و السنة وغيرهما مما أوردناه في المقدمات و المتممات من ضروب العلم التي هي فرض كفاية ؛ ولا يفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالثغور والمراطين لها والغزاة المجاهدون في سبيل الله عز وجل ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ولا ينفك واحد منهم عن

الأجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء . قال الله عز وجل : « يرفع الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (١) وقال عز وجل : « هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ » (٢) و الفضيلة نسبية واستحقاقنا للمصيرفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم للآل و ليا ، ثم للعلماء الراسخين ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم ، و بالجملة « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره » و من قصد الله عز وجل بالعلم أي علم كان نفعه و رفعه لامحالة .

التاسعة أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيلا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهتمك ولا يهتمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا و نعيم الآخرة كما نطق به القرآن و شهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبداً و لا يباد و عند ذلك تصير الدنيا منزلاً و البدن مركباً و الأعمال سعيّاً إلى المقصد و لا مقصد إلا لقاء الله عز وجل ففيه التعميم كله و إن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الواصلون و هم الأفلحون ، و العلوم بالاضافة إلى سعادة لقاء الله عز وجل و النظر إلى وجهه الكريم أغني النظر الذي طلبه الأنبياء صلوات الله عليهم و فهموه دون ما يسبق إلى أفهام العوام و المتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال و هو أن العبد الذي علق عتقه و تمكنه من الملك على الحج و قيل له : إن حججت و تمت وصلت إلى الملك و العتق جميعاً و إن ابتدأت بطريق الحج و الاستعداد له و عاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق و الخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك ، فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول تهئية الأسباب بشراء الراحلة و خرز الراوية (٣) و إعداد الزاد ، الثاني السلوك و مفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل ، و الثالث الاشتغال بأعمال الحج و كذا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الإحرام و طواف

(١) المجادلة : ١١ .

(٢) آل عمران : ١٦٣ .

(٣) في بعض النسخ [ حرز الراوية ] .

الوداع استحقّ التعرّض للملك والسلطنة وله في كلّ مقام منازل من أوّل إعداد الأسباب إلى آخره ، و من أوّل سلوك البوادي إلى آخره ، و من أوّل أركان الحجّ إلى آخرها ، وليس قرب من ابتداء أركان الحجّ من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه .

فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة و شراء الناقة و هو علم الطبّ و الفقه و ما يتعلّق بمصالح البدن في الدنيا ، و قسم يجري مجرى سلوك البوادي و قطع العقبات و هو تطهير الباطن عن كدورات الصفات بطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأولون و الآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك للطريق و تحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق و منازلها ، و كما لا يغني علم المنازل و طرق البوادي دون سلوكها فكذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ، لكنّ المباشرة دون العلم غير ممكن ، و قسم ثالث يجري مجرى نفس الحجّ و أركانه و هو العلم بالله عزّ وجلّ و صفاته و أفعاله و ملائكته و جميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة و ههنا النجاة و الفوز بالسعادة ، فالنجاة حاصلة لكلّ سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد و هو السلامة و أمّا الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون فهم المقرّبون و المنتعمون في جوار الله عزّ وجلّ بالروح و الريحان و جنّة نعيم ، و أمّا الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة و السلامة كما قال الله تعالى : « فأما إن كان من المقرّبين فروح و ريحان و جنّة نعيم » و أمّا إن كان من أصحاب اليمين \* فسلام لك من أصحاب اليمين<sup>(١)</sup> و كلّ من لم يتوجّه إلى المقصد ولم ينتهز له أو انتهز إلى جهته لأعلى قصد الامتثال و العبورية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال و من الضالّين فله « نزل من حميم » \* و تصليّة جحيم<sup>(٢)</sup> .

### ❖ ( بيان وظائف المرشد المعلم ) ❖

اعلم أنّ للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال

(١) الواقعة : ٩٠ و ٩١ .

(٢) الواقعة : ٩٢ و ٩٣ و فيها « نزل من حميم » .



حال استفادة فيكون مكتسباً ، و حال إدّخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال ، و حال إنفاق على نفسه فيكون به منتفعاً ، و حال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب و اكتساب ، و حال تحصيل يغني عن السؤال ، و حال استبصار و هو التفكير في المحصل و التمتع به ، و حال تبصير و هو أشرف الأحوال فمن علم و عمل وعلم فذلك الذي يدعاً عظيماً في ملكوت السماوات فإنه كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة و كالمسك الذي يطيب غيره و هو طيب و الذي يعلم و لا يعمل به كالدفر الذي يفيد غيره و هو خال عن العلم ، و كالمسن الذي يشحذ غيره و هو لا يقطع ، و الأبرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، و ذبالة المصباح تضيئ لغيرها وهي تحترق ، وفي مثله قيل :

و ما هو إلا ذبالة وقدت \* تضيئ للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً و خطراً جسيماً فليحفظ آداباً و وظائفه .  
الوظيفة الأولى الشفقة على المتعلمين و أن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » <sup>(١)</sup> فإن قصد إقناهم من نار الآخرة و ذلك أهم من إقنا الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، و لذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر و الحياة الفانية و المعلم سبب الحياة الباقية و لو لا المعلم لانساق ما حصل من جهة الوالد إلى الهلاك الدائم ، و إنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لأعلى قصد الدنيا ، فأمّا التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك - نعوز بالله منه - ، و كما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا و يتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ، و لا يكون إلا كذلك إن كان مقصودهم الآخرة ، و لا يكون إلا التحاسد و التباغض

(١) أخرجه الدارمي ج ١ ص ١٧٢ بلفظه عن أبي هريرة ، و ابوداود في سننه ج ١ ص ٢ عن سلمان وفيه « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيط يمينه » . وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه و ابن حبان في صحيحه و أحمد في مسنده و النسائي عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير باب الألف و مشكاة المصابيح ج ١ ص ٤٢ .

إن كان مقصدهم الدنيا ، فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله عز وجل وسالكون إليه الطريق ، والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق و الترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب ، فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى و الترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا ، فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم و العادلون إلى طلب الرئاسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله عز وجل : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (١) وداخلون في مقتضى قوله عز وجل : « الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » (٢) .

الثانية أن يقتدي بصاحب الشرع ﷺ فلا يطلب على إفاضة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكوراً بل يعلم لوجه الله تعالى و طلباً للتقرب إليه ، فلا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنّة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هدّوا قلوبهم لأن يتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك أرضاً لتزرع فيها لنفسك زراعة فممنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض إذ تقلّده منة منه وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله عز وجل ، و لولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله سبحانه قال الله تعالى : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا » (٣) فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيئتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً وذلك هو الانتكاس على أم الرأس (٤) و مثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم ، و على الجملة فالفضل والمنة للمعلم و انظر كيف انتهى أمر الذين يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله عز وجل بما هم فيه من علم الفقه و الكلام و التدريس فيهما و في غيرهما ، فإنهم يبذلون المال و الجاه و يتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات و لو تركوا ذلك

(١) العنبريات : ١٠ .

(٢) الزخرف : ٦٧ .

(٣) الانعام : ٩٠ .

(٤) انتكس المريض وقع على رأسه .

لتركوا ولم يختلف إليهم أحدٌ ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه و يعادي مدوه وينتهض جهاراً له في حاجاته و مستخراً بين يديه في أوطاره فإن قصر في حقّه ثار عليه و صار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ و نصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتّى ترى ضروب الاغترارات .

الثالثة أن لا يدّخر من نصح المتعلم شيئاً ، و ذلك بأن يمنعه من التصدّي لرتبة قبل استحقاقها و التشاغل بعلم خفيّ قبل الفراغ من الجليّ ، ثمّ ينبّهه على أن مطلب العلوم القرب من الله عزّ وجلّ دون الرئاسة و المباهات و المنافسة و يقرّر ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر ممّا يفسده فإن علم من باطنه أنّه لا يطلب العلم إلّا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فإن كان من علوم الدنيا المتعلّقة بالدين فيمنعه من ذلك لأنّه ليس من العلوم التي قيل فيها : تعلّمنا العالم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلّا لله ، و إن كان من علوم الآخرة ولكن قصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنّه يتشمرّ له طمعاً <sup>(١)</sup> في الوعظ و الاستتباع ولكن يتنبّه في أثناء الأمر أو آخره لما يعرف من الأمور المخوفة من الله سبحانه ، المحقّرة للدنيا ، المعظمة للآخرة و ذلك يوشك أن يردّ إلى الصواب بالآخرة حتّى يتعظ بما يعظ به غيره و يجري حبّ القبول و الجاء مجرى الحبّ الذي ينشروحول الفخّ ليقتنص به الطير وقد فعل الله عزّ وجلّ ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها . إلى بقاء النسل ، و خلق أيضاً حبّ الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم ، و هذا متوقّع في علم التفسير و الحديث و معرفة أخلاق النفس و كيفة تهذيبها و نحو ذلك ، فأما مجادلات المتكلمين و معرفة التفرعات و نحوها فلا يزيد التجرّد لها مع الإعراض عن غيرها إلّا قسوة في القلب و غفلة عن الله سبحانه و تمادياً في الضلال و طلباً للجاه إلّا من تداركه الله برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا يبرهان على هذا كالتجربة و المشاهدة ، فانظر واعتبر و استبصر لتشاهد تحقيق ذلك في البلاد و العباد ، والله المستعان .

(١) في بعض نسخ الاحياء > فانه يشمر له طمعاً > .

وقد روئي بعض العلماء حزينا ف قيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متسجراً لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلّم جعل عاملاً أو قاضياً أو قهرماناً .

الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلّم من سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصريح و بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار قال رسول الله ﷺ وهو مرشد كلّ معلّم : « لو منع الناس عن فتّ البعر لفتّوه وقالوا : ما نهينا عنه إلّا وفيه شيء » و ينبّهك على هذا قصّة آدم وحواء عليهما السلام و ما نهيا عنه فما ذكرت القصّة معك لتكون سمرّاً بل لتتنبّه بها على سبيل العبرة و لأنّ التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة و الأذهان الزكيّة إلى استنباط معاني ذلك فيفيد فرح التفتّن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم أنّ ذلك ممّا لا يعزب عن فتنة .

الخامسة أنّ المتكفّل ببعض العلوم لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلّم العلوم التي رائه كمعلّم اللّغة إذ عاداته تقبيح الفقه و معلّم الفقه عاداته تقبيح الحديث و التفسير وأنّ ذلك نقل محض و سماع مجرّد و هو شأن العجايز و لا نظر للعقل فيه ، و معلّم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : هو فرع و كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفات الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلّمين ينبغي أن يجتنّب بل المتكفّل بعلم واحد ينبغي أن يوسّع على المتعلّم طريق التعلّم في غيره و إن كان متكفّلاً بعلوم فينبغي أن يراعي التدرّج في ترقية المتعلّم من رتبة إلى رتبة .

السادسة أن يقتصر بالمتعلّم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداءً في ذلك بسيد البشر ﷺ حيث قال : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلّم الناس على قدر عقولهم » (١) .

وقال ﷺ : « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا يبلغه عقولهم إلّا كان فتنة على

(١) قال العراقي : الحديث روياه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة « انزلوا الناس منازلهم » انتهى و أخرج شرطه الاخير الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٣ والصدوق في الامالي ص ٢٥٠ .

بعضهم ، (١) .

وقال علي عليه السلام وأشار إلى صدره : «إن ههنا علوماً بحّة ، لو وجدت لها حملة» (٢) وصدق علي عليه السلام قلوب الأبرار قبور الأسرار ، فلا ينبغي أن يفشي العالم كلّمه يعلمه إلى كل أحد ، هذا إذا كان يفهمه المتعلّم ولم يكن أهلاً للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام : « لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير ، فإن الحكمة خير من الجواهر و من كرهاها فهو شرٌّ من الخنزير » (٣) ، فلذلك قيل : كل لكل عبد بمعيّار عقله ، وزن له بميزان عمله (٤) حتّى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإلّكار لتفاوت المعيار ، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت قول رسول الله ﷺ : « من كنتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » (٥) فقال : اترك اللّجام و اذهب فإن جاء من يفقه و كنتمته فليجمني ، وفي قول الله عزّ وجلّ : « ولا تؤثّقوا السفهاء أموالكم » (٦) تنبيه على أن حفظ العلم ممّن يفسده ويضرّه أولى و ليس الظلم في إعطاء غير المستحقّ بأقلّ من الظلم في منع المستحقّ كما قيل :

و من منح الجهّال علماً أضاعه \* و من منع المستوجِبين فقد ظلم

السابعة أن المتعلّم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجليّ اللّائق به و لا يذكر له أن وراء هذا مدقّقاً و هو يدّخره عنه فإنّ ذلك يفتر رغبته في الجليّ و يشوّش قلبه و يؤهم إليه البخل به عنه إن يظنّ كلُّ أحد أنّه أهل لكلّ علم دقيق فما من أحد إلّا و هو راض عن الله عزّ وجلّ في كمال عقله و أشدّهم حماقة و أضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله و بهذا يعلم أن من تقيّد من العوام بقيد الشرع و رسخت في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه و من غير تأويل و حسنت مع ذلك سيرته و لم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوّش عليه اعتقاده ، بل ينبغي أن يخلّى و حرفته فإنّه لو

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح ص ٩ .

(٢) مر بلفظ آخر في حديث كميل بن زياد .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم بنحو أبسط كما في المختصر ص ٥٦ .

(٤) في الاحياء > بميزان فهمه < .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٦٤ . (٦) النساء : ٥ .

ذكر له تأويلات الظواهر انحلّ عنه قيد العوام ولم يتيسّر تقييده بقيد الخواصّ فيرتفع السدّ الذي بينه وبين المعاصي ، و ينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغي أن يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعة التي هو بصدها ويملاً قلبه من الرغبة والرغبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليه شبهة فإنّه ربّما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلّها فيشقى ويهلك .

و بالجملة فلا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنّه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواصّ .

الثامنة أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لأنّ العلم يدرك بالبصائر والعمل بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل بالعلم منع الرشد وكلّ من تناول شيئاً وقال للناس : لا تناولوه فإنّه سمّ مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لو لا أنّه أطيب الأشياء وألذّها لما كان يستأثر به ، ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين والعود من الظلّ وكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى الظلّ والعود أعوج ولذلك قيل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله \* عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم » <sup>(١)</sup> ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر إذ يزلّ بزّلته عالم كثير يقتدون به « ومن سنّ سيئة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها » <sup>(٢)</sup> ولذلك قال عليّ عليه السلام : « قسم ظهري رجالان عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالجاهل يفرّ الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه » <sup>(٣)</sup> .

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم : ٢٠٣ .

(٣) غوالي اللثالي كما في كتاب النوادر في جمع الاحاديث للمؤلف ص ١٨ .

و روى مضمونه الصدوق - رحمه الله - بنحو أبسط في الخصال باب الاثنين .

## ﴿ الباب السادس ﴾

في آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء ، قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنّهم أشدُّ الخلق عذاباً يوم القيامة ، فمن المهمّات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، قال النبي ﷺ : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » (١) .

و يروى عنه ﷺ أنه قال : « لا يكون المرء عالماً حتّى يكون بعلمه عاملاً » (٢) و قال ﷺ : « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجلّ على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع » (٣) .

وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان عبّاد جهّال وعلماء فسّاق » (٤) .

وقال ﷺ : « لا تتعلّموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (٥) .

و قال ﷺ : « من كتم علماً عنده ألجم بلجام من نار » (٦) .

وقال ﷺ : « لا تأمن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، فويل : وما ذاك ؟ فقال : أئمة مضلون » (٧) .

(١) أخرجه الطبراني في الصغير و ابن عدى في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان كما في الجامع الصغير باب الالف .

(٢) قال العراقي : أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفاً .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم بتقديم وتأخير كما في المختصر ص ٩٠ والدارمي

ج ١ ص ١٠٢ . (٤) أخرجه الحاكم من حديث أنس كما في المغني .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٥٩٠ والدارمي في مسنده ج ١ ص ١٠٤ عن مكحول .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٠٢ .

(٧) أخرجه احمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٥ من حديث أبي ذر بادني اختلاف في اللفظ .

و قال عليه السلام : « من ازداد علماً و لم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً » (١) .  
و قال عيسى عليه السلام : « إلى متى تصفون الطريق للمدلجين و أنتم مقيمون مع  
المتحيرين » (٢) .

فهذا و غيره من الأخبار يدل على عظم خطر العلم و أن العالم إما متعرض  
لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وأنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة .  
**أقول** ومن طريق الخاصة ما رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي (٣) بإسناده عن سليم  
ابن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام  
له : العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج ، و عالم تارك لعلمه فهذا هالك وإن  
أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه ، و إن أشد أهل النار ندامة و حسرة  
رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له و قبل منه فأطاع الله و أدخله الله الجنة و أدخل  
الداعي النار بتركه علمه و اتباعه الهوى و طول الأمل ، أما اتباع الهوى فيصد عن  
الحق و أما طول الأمل ينسي الآخرة .

و بإسناده عنه قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
منهومان (٤) لا يشبعان : طالب علم و طالب دنيا ، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له  
سلم و من تناولها من غير حلها هلك إلا أن يتوب أو يرجع ، و من أخذ العلم من أهله  
و عمل بعلمه نجى و من أراد به الدنيا فهي حطه (٥) .

و بإسناده عن محمد بن خالد رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب  
به على المنبر : أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ، إن العالم العامل  
بغيره كالجاهل الجائر الذي لا يستفيق عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجّة عليه أعظم  
و الحسرة أودم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس عن علي عليه السلام كما في الجامع الصغير باب الميم

وفيه « و لم يزد في الدنيا زهداً » مكان « هدى » .

(٢) لم نجده في أي أصل . (٣) في المجلد الأول ص ٤٤ تحت رقم ١ .

(٤) أي خريصان . (٥) المجلد الأول ص ٤٦ تحت رقم ١ .



و كلاهما حائر بائر ، لا ترتابوا فتشكّوا ولا تشكّوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا ، وإنّ من الحق أن تفقهوا ، ومن الفقه أن لا تغتروا ، وأن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه ، وأغشكم لنفسه أعصاكم لربّه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر ومن يعص الله يخيب ويندم « (١) .

و بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال : « جاء رجل إليه فسأله عن مسائل فأجاب ، ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مكتوب في الأجل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون و لما تعملوا بما علمتم ، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلّا كفرأ و لم يزد من الله إلّا بعداً » (٢) .

و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوء مقعده من النار إن الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها » (٣) .

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل و من عمل علم ، و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه » (٤) .

و عنه عليه السلام قال : « إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما ينزل المطر عن الصفا » (٥) .

و عنه عليه السلام قال : « من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب و من أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة » (٦) .

و عنه عليه السلام قال : « إذا رأيتم العالم محباً لديّاه فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبّ للشيء يحوط ما أحب » (٧) .

(١) المجلد الاول ص ٤٥ تحت رقم ٦ .

(٢) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٤ .

(٣) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ٦ .

(٤) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٢ .

(٥) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٣ و الصفا : الحجر الاملس .

(٦) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٢ .

(٧) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٤ وأخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر

وقال عليه السلام : « أوحى الله إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريرين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلالة مناجاتي عن قلوبهم » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « طلبية العلم ثلاثة فأعرفهم بأعيانهم » (٣) و صفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء و صنف يطلبه للاستطالة والخطأ ، و صنف يطلبه للفقه والعقل ، فصاحب الجهل والمراء مؤذن ممار متعرض للمغال في أندية الرجال (٤) بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع (٥) فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه (٦) و صاحب الاستطالة والختل ذو خيب و ملق (٧) يستبطل على مثله من أشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه ، فهو لحاوائهم هاضم ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره ، و صاحب الفقه والعقل ذوكآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حنسنده (٨) يعمل و يخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه ، عارفاً بأهل

(١) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٤ ، و أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩٢ .

(٢) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٥ .

(٣) اى باقسامهم . (٤) الاندية: المجلس .

(٥) تسربل اى لبس السربال و فى الامالى « بالتخشع » و التخشع تكلف الخشوع و « تخلصى » اى خلى جداً .

(٦) العيزوم ما استدار بالظهر والبطن او ضلع الفؤاد او ما اكتشف بالحلوقوم من جانب الصدر ، والخيشوم : اقصى الانف و هما كنايةتان اما عن اذلاله أو كنايةتان عن قطع حياته و الثانى أقرب . (٧) الخب - بالكسر - : الخدعة .

(٨) كآبة - بالتعريك والمد والتسكين - : سوء الحال والانكسار من شدة العجز ، و قوله عليه السلام : « تحنك فى برنسه » اى تعتمد للعبادة و توجه اليها و صار فى ناحيتها و تجنب الناس و صار فى ناحية منهم ، و تبرنس الرجل اذا لبس البرنس . و « قام الليل فى حنسنده » اى فى ظلامه ، والحنس - بكسر الحاء - الظلمة .

زمانه ، مستوحشاً من أوثق إخوانه ، فشدَّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه<sup>(١)</sup> .  
وعنه عليه السلام قال : يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد<sup>(٢)</sup> .  
وعنه عليه السلام قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : ويل للعلماء السوء كيف تلظي عليهم النار<sup>(٣)</sup> .

و روى الصدوق في كتاب الخصال<sup>(٤)</sup> بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن من العلماء من يحب أن يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار ، ومن العلماء من إذا وعظ أنف و إذا وعظ عنف<sup>(٥)</sup> فذاك في الدرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين ضعاً فذلك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابة والسلطين فإن ردَّ عليه من قوله أو قصر<sup>(٦)</sup> في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه<sup>(٧)</sup> و يكثر به حديثه فذلك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول : سلوني و لعلَّه لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلفين فذاك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ العلم مروءة وعقلاً<sup>(٨)</sup> فذاك في الدرك السابع من النار .

(١) المجلد الاول ص ٤٩ تحت رقم ٥ .

(٢) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ١ .

(٣) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ٢ .

(٤) ابواب السبعة .

(٥) « من اذا وعظ » - على المجهول - أنف أي استكبر عن قبول الوعظ . « و اذا وعظ » - على المعلوم - عنف أي جاوز الحد ، والعنف ضد الرفق .

(٦) « أو قصر » - على المجهول من باب التفعيل - أي ان وقع التقصير من احدني شيء من أمره كأكرامه و الاحسان اليه غضب .

(٧) « ليغزر » أي ليكثر .

(٨) أي يطلب العلم و يبذله ليعده الناس من اهل المروءة والعقل ( قاله العلامة المجلسي - رحمه الله - في البحار ج ٢ ص ١٠٩ ) .

## ﴿فصل﴾

قال أبو حامد: «وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأَنَّهُ عصى عن علم و لذلك قال الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (١) لأنَّهم جحدوا بعد العلم، وجعل اليهود شرًّا من النصارى مع أنَّهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا: إِنَّهُ ثالث ثلاثة (٢)، ولكنَّهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال تعالى: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (٣)، وقال عزَّ وجلَّ: «فلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ» (٤) وقال تعالى في قصَّة بلعم بن باعورا: «واتل عليهم نبأ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا - حتَّى قال تعالى -: فمِثْلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ» (٥) وذلك للعالم الفاجر فإنَّ بلعم كان أُوتِي كتاب الله عزَّ وجلَّ فأُخْلِدَ إِلَى الشَّهَوَاتِ فَشَبَّهَهُ بِالْكَلْبِ أَبِي سِوَاءٍ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ أَوْ لَمْ يُوْتِ فَهُوَ يَلْهَثُ إِلَى الشَّهَوَاتِ .

و قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء ولاهي تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثل علماء السوء كمثل قناة الحشّ ظاهرها جسٌّ وباطنها فتن» (٦)، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى، فهذه الأخبار والآثار تبيِّن أنَّ العالم الَّذِي هو من أبناء الدنيا أخصُّ حالاً وأشدُّ عذاباً من الجاهل وأنَّ الفائزين المقرَّبين هم علماء الآخرة و لهم علامات فمعناها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإنَّ أقلَّ درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخسستها وكدورتها، وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها و صفاء نعيمها و جلالة ملكها، ويعلم أنَّهما متضادَّتان، وأنَّهما كالضربين مهمما أرضيت إحدیهما أسخطت الأخرى، وأنَّهما ككفتي

(١) النساء: ١٤٤ .

(٢) هو قول النسطورية والملكانية منهم القائلين بالاقانيم الثلاثة .

(٣) البقرة: ١٤١ . (٤) البقرة: ٨٣ .

(٥) الاعراف: ١٧٥ . و اللهث فى اللغة اخراج الكلب لسانه من فيه .

(٦) الحش - بالفتح - : الكنيف و موضع قضاء الحاجة . ( النهاية )

ميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، و أنهما كالمشرق و المغرب متى قربت من إحديهما بعدت من الأخرى ، و أنهما كقندين أحدهما مملوء و الآخر فارغ فبقدر ما تصبته منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فإن من لا يعلم حقارة الدنيا و كدوراتها و امتزاج لذتها بألمها ثم أنصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل ، فإن المشاهدة و التجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ؟ و من لا يعلم عظم أمر الآخرة و دوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ؟ و من لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة و أن الجمع بينهما طمع في غير مطعم فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ و من علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان ، و قد أهلكته شهوته ، و غلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من أحزاب العلماء من هذه درجته ؟ .

و في أخبار داود عليه السلام « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهواته على محبتي أن أحرّمه لذني مناجاتي ، يا داود لا تسألن عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أو أهلك قطع الطريق على عبادي » (١) .

« يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ، يا داود من رد إليّ هارباً كتبته جهيداً ، و من كتبته جهيداً لم أعذبه أبداً » (٢) .

ولذلك قيل : عقوبة العلماء موت قلوبهم ، و موت قلوبهم طلب الدنيا بعمل الآخرة ، و لذلك قال يحيى بن معاذ الرازي : إنما يذهب بهاء العلم و الحكمة إذا طلبت بهما الدنيا ، و كان يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيصريّة ، و بيوتكم كسروية ، و أثوابكم طاهريّة ، و أخفافكم جالوتية ، و مراكبكم فارسية ، و أواسيكم فرعونية ، و ماتمكم جاهلية ، و مذاهبيكم شيطانية ، فأين المحمدية ؟ وأنشدوا :

(١) رواه الصديق في اللؤلؤ كما في البحار ج ٢ ص ١٠٧ وفيه « لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك - الحديث - » .

(٢) قوله : « جهيداً » الجهيد هو الناقد العارف البصير بتمييز الحق من الباطل ، و في بعض النسخ [ جهيداً ] .

وراعي الشاء يحمي الذئب عنها \* فكيف إذا الرعاة لها ذئاب  
وقيل :

يا معشر القرأء يا ملح البلد \* ما يصلح المملح إذا المملح فسد  
وقيل لبعض العارفين : أترى أن من تكون المعاصي قرّة عينه لا يعرف الله ؟ قال :  
لأشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك  
بكثير ، ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللّحوق بعلماء الآخرة فإنّ الجاه أضرّ من المال  
ولذلك قيل : «حدثنا باب من أبواب الدنيا»<sup>(١)</sup> وإذا سمعت الرجل يقول : «حدثنا»  
وإنما يقول : أوسعوا لي .

وقيل : فتنة الحديث أشدّ من فتنة الأهل والمال والولد ، وقيل : العلم كلّه دنيا  
والآخرة منه العمل به ، والعمل كلّه هباء إلاّ الإخلاص .

وقال عيسى عليه السلام : «كيف يكون من أهل العلم من يكون مسيره إلى آخرته وهو  
مقبل على دنياه ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليخبر به لا يعمل به»<sup>(٢)</sup> ،  
وعن النبي ﷺ «من طلب علماً ممّا يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من  
الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»<sup>(٣)</sup> .

وقد وصف الله عزّ وجلّ علماء السوء بآكل الدنيا بالعلم و وصف علماء الآخرة  
بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا : «و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب  
لتبيننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً»<sup>(٤)</sup> وقال في علماء  
الآخرة : «و إن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين  
لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم»<sup>(٥)</sup> .

(١) قوله «حدثنا» يعني قول حدثنا فهو مبتدأ و «باب من أبواب الدنيا» خبره .

(٢) أخرج شطره الأول ابن الشيخ في أماليه ص ١٣٠ وتمامه الدارمي في سننه ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٩٠ وأخرجه ابن عبيد البر أيضاً في العلم

عن أبي هريرة كما في المختصر ص ٩٠ . (٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٩٩ .

وعن النبي ﷺ قال : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء ﷺ « قل للذين يتفقهون لغير الدين و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة و يلبسون للناس مسوك الكباش ، و قلوبهم كقلوب الذئاب ، و أسنتهم أحلى من العسل ، و قلوبهم أصر من الصبر إيتاي بخادعون ، و بي يستهزؤون : لا تبعن لهم فتنة نذر الحليم حيران (١) » إلى غير ذلك من الأخبار و الآثار .

ومنها أن لا يخالف قوله فعله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به .  
قال الله تعالى : « تأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم » (٢) .  
و قال عز وجل : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٣) .  
و قال عز وجل في قصة شعيب عليه السلام : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه » (٤) .

و قال تعالى : « و اتقوا الله و يعلمكم الله » (٥) « و اتقوا الله و اعلموا » (٦) « و اتقوا الله و اسمعوا » (٧) .

و قال عز وجل لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحي مني » .

و قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أُسري بي بقوم كان تفرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير و لا نفعله و نهى عن الشر و نفعله (٨) .  
و قال ﷺ : « هلاك أمتي عالم فاجر و عابد جاهل ، و شر الشرار شرار العلماء ، و خير الخيارات خيار العلماء » (٩) .

(١) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩٠ من حديث أبي الدرداء .

(٢) البقرة : ٤٤ . (٣) المؤمن : ٣٥ .

(٤) هود : ٨٨ . (٥) البقرة : ٢٨٢ .

(٦) البقرة : ١٩٦ . (٧) المائدة : ١٠٨ .

(٨) أخرجه ابن حبان من حديث أنس كما في المغني .

(٩) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩١ .

و قال أبو الدرداء : ويل لمن لا يعلم مرّة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرّات<sup>(١)</sup>.  
و روى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنّه قال : حدثني عشرة من أصحاب رسول  
الله ﷺ أنّا كنّا ندرس العلم في مسجد قبا إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : «تعلموا ما  
سئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتّى تعملوا»<sup>(٢)</sup>.

و قال عيسى عليه السلام : «مثل الذي يتعلّم العلم ولا يعمل به كمثّل امرأة زنت في  
السّر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم  
القيامة على رؤوس الأشهاد».

و قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلب  
فلا ينفع يومئذ بالعلم عامله ولا متعلّمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح  
ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة و ذات إن مالت قلوب العلماء إلى حبّ الدنيا  
و إشارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة و يطفى مصابيح الهدى من  
قلوبهم فيخبرك عاملهم حين تلقاه أنّه يخشى الله هزّ وجلّ بلسانه و الفجور بين في عمله ،  
فما أخصب الألسن يومئذ و أجذب القلوب فو الله الذي لا إله إلا هو ما ذاك إلا لأنّ  
المعلّمين علّموا لغير الله تعالى و المتعلّمين تعلّموا لغير الله تعالى .

و في الإنجيل مكتوب : «لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتّى تعملوا بما علمتم»<sup>(٣)</sup>.  
و قال حذيفة : إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتي زمان من عمل  
بعشر ما علم نجى و ذلك لكثرة البطّالين .

و عن النبي ﷺ أنّه قال : «إنّ الشيطان ربّما سبقكم إلى العلم ، فقل : يا رسول  
الله و كيف ذلك ؟ قال : يقول : اطلب العلم ولا تعمل حتّى تعلم فلا يزال في العلم قائلاً وللعمل  
مسوّفاً حتّى يموت و ما عمل»<sup>(٤)</sup>.

(١) أورده ابن عبد البر في العلم كما في المختصر من ٩٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر من ٩٧ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر من ٩٧ .

(٤) قال العراقي : الحديث في الجامع من حديث أنس . انتهى . وفي الاحياء «ربما

يسوفكم بالعلم» .



وقال ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم بالخشية <sup>(١)</sup>.  
وقال: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً وسيأتي قوم يتقفونه مثل  
القناة ليسوا بخياركم و العالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء ولا يتداوي  
به و الجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها و في مثله يقال: «و لكم الويل  
مما تصفون».

**أقول:** و من طريق الخاصة ما رواه الكليني - رحمه الله - بإسناده عن الصادق  
عليه السلام أنه قال: «إن رواة الكتاب كثيرون رعايته قليل وكم من مستنصح للحديث مستنص»  
للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية والجهل يحزنهم حفظ الرواية فراع يرعي حياته  
و راع يرعي هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان <sup>(٢)</sup>.

و بإسناده عنه عليه السلام في قول الله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» <sup>(٣)</sup> قال:  
يعني بالعلماء من صدق فعله قوله و من لم يصدق فعله قوله فليس بعالم <sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى «و من لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع».  
وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام <sup>(٥)</sup>: «أنه قال: العالم حقاً هو الذي ينطق عنه  
أعماله الصالحة وأوراده الزاكية و صدقه و تقواه لالسانه و تطاوله <sup>(٦)</sup> و دعواه، ولقد كان  
يطلب هذا العلم في غير هذا الزمان من كان فيه عقل و نسك و حكمة و حياء و خشية  
وإنما نرى طالبه اليوم من ليس فيه من ذلك شيء، والعالم يحتاج إلى عقل و رفق و شفقة  
و نصح و حلم و صبر و بذل، والمتعلم يحتاج إلى رغبة و إرادة و فراغ و نسك  
و خشية و حفظ و حزم».

و عنه عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل: «إلى داود عليه السلام: أن أهون ما أنا صانع  
بعالم غير عامل بعلمه أشد من سبعين عقوبة باطنية أن أخرج من قلبه حلاوة ذكري».

(١) أورده ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٠٨.

(٢) المجلد الاول ص ٤٩ تحت رقم ٦.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ٢. والرواية الاخرى ص ٤٥ رقم ٥.

(٥) الباب الثاني و الستون ص ٤١.

(٦) في بعض النسخ [ تصاوله ].

ومنها <sup>(١)</sup> أن يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة ، المرغَّب في الطاعة ، متجنباً للعلوم التي يقلُّ نفعها و يكثر فيها الجدل و القيل و القال ، فمثل من يعرض عن علم الأعمال و يشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة و قد صادف طبيباً حازقاً في وقت ضيق يخشى عليه فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير و الأدوية و غرائب الطب و ترك مهمته الذي هو مؤاخذ به و ذلك محض السفه ، و قد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : علّمني من غرائب العلم ، فقال له : ما صنعت في رأس العلم ؟ قال : و ما رأس العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ قال : نعم ، قال : و ما صنعت في حقه ؟ قال : ما شاء الله ، قال ﷺ : هل عرفت الموت ؟ قال : نعم ، قال : فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله ، قال ﷺ : إذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال نعلّمك غرائب العلم . <sup>(٢)</sup>

بل ينبغي أن يكون التعلّم من جنس ما روي عن بعض السلف أنه قال له أستاذه : منذ كم صحبتني ؟ فقال : منذ ثلاث و ثلاثين سنة ، قال : فما تعلّمت منّي في هذه المدة ؟ فقال : ثمان مسائل ، فقال الأستاذ : إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون ذهب عمري معك و لم تتعلّم إلّا ثمان مسائل : قال : يا أستاذ لم أتعلّم غيرها و لا أحب أن أكذب ، فقال له : هات الثمان مسائل حتّى أسمعها ؟

قال : الأولى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد يحبّ محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إليه فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي ، فقال : أحسنت .

فما الثانية ؟ قال : نظرت في قول الله عزّ و جلّ : « و أمّا من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى » <sup>(٣)</sup> فعلمت أن قوله سبحانه هو الحقّ فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتّى استقرّت عليّ طاعة الله تعالى .

الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ من معه شيء له قيمة عنده ومقدار

(١) من كلام أبي حامد .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩٧ .

(٣) النزاعات : ٤٠ .

رفعه وحفظه ، ثم نظرت في قول الله عز وجل : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » (١) فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إليه ليبقى لي عنده .

الرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فإذا هي لاشيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) فعملت في التقوى حتى أكون عند الله عز وجل كريماً .  
الخامسة نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ، ثم نظرت فرجعت إلى قول الله سبحانه : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » (٣) فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتركت عداوة الخلق عني .

السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » (٤) فعاديتة وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوي فتركت عداوة الخلق .  
السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (٥) فعلمت أنني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله علي وتركت مالي عنده .

الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين هذا على ضيعته ، وهذا على تجارتهم ، وهذا على صناعته ، وهذا على صحته بدنه ، وكل مخلوق يتوكل على مخلوق فرجعت إلى قوله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٦) فتوكلت على الله فهو حسبي ونعم الوكيل .

قال الأستاذ : وفقك الله فأنني نظرت في علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان

(١) الحجرات : ١٣ .

(١) النحل : ٩٦ .

(٤) فاطر : ٦ .

(٣) الزخرف : ٣٢ .

(٦) الطلاق : ٣ .

(٥) هود : ٦ .

العظيم وهي تدور على هذه المسائل الثمانية فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة ،  
أقول : وقد ينسب هذا إلى مولينا الصادق عليه السلام مع بعض تلامذته بأدنى تغيير  
في اللفظ .

قال (١) : « فهذا الفن من العلم يهتم بإدراكه و التفتن له علماء الآخرة و أمّا  
علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال و الجاه و يهملون أمثال هذه العلوم  
التي بها بعث الله الأنبياء عليهم السلام كلهم ، و قال الضحّاك بن مزاحم : أدر كتهم و ما يتعلّم  
بعضهم من بعض إلّا الورع و هم اليوم يتعلّمون الكلام .

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم ، و التنعّم في الملبس ، و التجمّل  
بالأثاث و المسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك و يتشبه فيه بالسلف و يميل إلى  
الاكتفاء بالأقلّ في جميع ذلك و كلّما زاد إلى طرف القلّة ميله ازداد من الله سبحانه قرّبه  
و ارتفع في علماء الآخرة درجته ، و يشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخوامس و كان  
من أصحاب حاتم الأصمّ قال : دخلت مع حاتم الريّ و معنا ثلاثمائة و عشرون رجلاً  
نريد الحجّ و عليهم الزمرات (٢) و ليس معهم جراب و لاطعام فدخلنا على رجل من  
التجار متّشّفين يحبّ المساكين فأضافنا تلك اللّيلة فلمّا كان من الغد قال لحاتم : ألك  
حاجة فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل ، فقال حاتم : عيادة المريض لها فضل  
و النظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجيء معك و كان العليل عمّاد بن مقاتل فاضي الريّ  
فلمّا جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكّراً يقول : باب عالم على هذه  
الحال ، ثمّ أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء و إنا بزة (٣) و سعة و ستور ، فبقي حاتم متفكّراً  
ثمّ دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا بفرش و طيّة و هو راقد عليها و عند رأسه غلام  
و بيده مذبّة (٤) ففعد الرازي و سأل و حاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس ،

(١) من كلام أبي حامد .

(٢) زمراتة : جبة صوف .

(٣) دار قوراء أى واسعة ، و البز : السلاح كالبرّة ، و البرّة - بالكسر - الهيئة  
و السلاح (الصباح) .

(٤) المذبّة ما يدفع به الذباب .

قال ، لا أجلس ، فقال : لعل لك حاجة ؟ فقال : نعم ، قال : ماهي ؟ قال مسئلة أسألك عنها ، قال : سلني ، قال : قم فاستو حتى أسألك ، فاستوى ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ قال : الثقات حدّثوني به ، قال : عمّن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله ﷺ قال : وأصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : عن رسول الله ﷺ ، قال : ورسول الله عمّن ؟ قال : عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى ، قال حاتم : ف فيما أدّاه جبرئيل عن الله سبحانه إلى رسول الله ﷺ وأدّاه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأصحابه أدّوه إلى الثقات وأدّاه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان داره دار أمير وكانت سمعته أكثر كان له عند الله عزّ وجلّ المنزلة أكثر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحبّ المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله تعالى المنزلة أرفع ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت ؟ أبالنبي ﷺ وأصحابه الصالحين أم بفراعون ونمرود ؟ أوّل من بنى بالجصّ والآجر ، يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الملك على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرّ أمه ، وخرج من عنده ، فازداد ابن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الريّ ماجرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا : إنّ الطنافسيّ بقروين أكثر شيئاً منه <sup>(١)</sup> فسار حاتم إليه متعمّداً فدخل عليه فقال : رحك الله أنا رجل عجميّ أحبّ أن تعلّمني مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال : نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء ، فأتي به فقعد الطنافسيّ وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثمّ قال : هكذا توضأ ، قال حاتم : مكانك حتّى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسيّ وقعد حاتم فتوضأ ، ثمّ غسل ذراعيه أربعاً فقال الطنافسيّ : أسرفت يا هذا ، قال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت ذراعك أربعاً ، قال : يا سبحان الله إنّي في كفّ ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كلّه لم تسرف ؟ فعلم الطنافسيّ أنّه قصد ذلك دون التعلّم ، فدخل إلى البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً .

فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ولكن عجميّ ليس بكلمك أحد إلّا قطعته : قال : معي ثلاث خصال بهنّ أظهر على خصمي :

(١) في الاحياء « أكثر توسعاً » .

أفرح إذا أصاب خصمي ، و أحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي أن لا تبجل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال : يا سبحان الله ما أعقله ؟ قوموا بنا إليه ، فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، و تمنع جهلك ، و تبذل لهم شيئك ، وتكون من شبيهم آيساً ، فإذا كنت هكذا سلمت .

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال : يا قوم أيّة مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله ﷺ ، قال : فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطيء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه ؟ قالوا : ما كانت لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة ، فقال حاتم : يا قوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا : هذا العجمي يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الوالي : ولم ذاك ؟ قال حاتم : لا تبجل عليّ أنا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا : مدينة الرسول ﷺ فقلت : أين قصره ؟ و قصّ القصّة ، ثم قال : و قد قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة <sup>(١)</sup> » فأنتم بمن تأسيتم ؟ أبرد رسول الله أم بفرعون أول من بنى بالجصّ و الآجر ؟ فخلّوا عنه و تركوه - هذه حكاية حاتم - .

و سيأتي من سيرة السلف في البدانة و ترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه و التحقيق فيه أن التزيّن بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأثس به حتى يشقّ تركه و استدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة و مراعات الخلق و مراياتهم و أمور أخرى محظورة ، و الحزم اجتناب ذلك لأنّ من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتّة و لو كانت السلامة مبدولة مع الخوض في الدنيا لكن رسول الله ﷺ لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص الملعّم و نزع الخاتم الذّهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك ممّا سيأتي بيانه فالتعريض على التّمسّ بالمباح خطر عظيم و هو بعيد من الخوف و الخشية و خاصيّة علماء الله سبحانه الخشية و خاصيّة الخشية التّباع من مظانّ الخطر .

**أقول :** وما يشهد لذلك ما رواه السيد الرضي - رحمه الله - في كتاب نهج البلاغة عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في كلام له طويل <sup>(١)</sup> : « من عظمت الدنيا في عينه و كبر موقعها من قلبه آثرها على الله ، فانقطع إليها ، وصار عبداً لها . و لقد كان في رسول الله ﷺ كاف لك في الأسوة ، و دليل لك على ذم الدنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها <sup>(٢)</sup> و مساوئها ، إذ قبضت عنه أطرافها ، و وطئت لغيره أكنافها ، و فطم عن رضاعها ، و زوي عن زخارفها <sup>(٣)</sup> » وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله ﷺ إذ يقول : « رب أنسي لما أنزلت إلي من خير فقير » و الله ما سألته إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ، و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهذا و تشدُّب لحمه ، <sup>(٤)</sup> و إن شئت ثلثت بدادود صاحب الزماير و قارىء أهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص <sup>(٥)</sup> بيده و يقول لجلسائه : أيسكم يكفيني بيعها و يأكل قرص الشعير من ثمنها ، و إن شئت قلت في عيسى ابن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ، و يلبس الخشن ، و يأكل الجشب ، و كان إدامه الجوع ، <sup>(٦)</sup> و سراحه بالليل القمر ، و ظلاله في الشتاء مشارق الأرض و مغاربها <sup>(٧)</sup> ، و فاكهته و ربحانه ما تنبت الأرض للبهايم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، و لا ولد يحزنه ، و لا مال يلفته ، و لا طمع يذله ، و دابته رجلاه ، و خادمه يداها ، فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى ، و عزاء لمن تعزى ، و أحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه ،

(١) خطبة ١٥٨ من النهج أولها امره قضاء و حكمة .

(٢) جمع مخزاة و هي ما يستحي من ذكره لقبه ، و المساوى : العيوب .

(٣) قبض الاطراف كناية عن المنع ، و وطئت - بالتشديد - اى هيأت . و أكناف

الشيء جوانبه ، و زوى اى قبض متاعها و زينتها .

(٤) شف الثوب اى رق ، و الصفاق - ككتاب - : الجلد الاسفل تحت الجلد الذى

عليه الشعر ، و قيل : جلد البطن كله . و التشدب : التفرق و انهضام اللحم .

(٥) السفائف - جمع سفيقة - وصف من سف الخوص اذا نسجه اى منسوجات الخوص .

(٦) اى لا يأكل من الخبز ما يرفع الجوع .

(٧) ظلاله اى مأواه و مكمنه من البرد .

والمقتصر لأثره ، قضم الدنيا قضمًا<sup>(١)</sup> ولم يعرفها طرفاً ، أهضم أهل الدنيا كشعاً ، وأخمصهم من الدنيا بطناً ،<sup>(٢)</sup> عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها ، و علم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، وحقر شيئاً فحقّره ، وصغّر شيئاً فصغّره ، ولولم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقافاً لله ومحادة عن أمر الله ، ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ، ويكون الستر على باب بيته ، فيكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة - لا إحدى أزواجه - غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها ، فأعرض عن الدنيا بقلبه ، وأمات ذكرها من نفسه ، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه ؛ لكيلا يتخذ منها ريشاً ، ولا يعتقدها قراراً ، ولا يرجو فيها مقاماً ، فأخرجها من النفس ، وأشخصها عن القلب ، وغيبها عن البصر ، وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه ، وأن يذكر عنده ، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلّك على مساوي الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته ، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال : أهانه فقد كذب [ الله ] العظيم [ وأنى بالإفك العظيم ] وإن قال : أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له ، وزواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأسى بنبيّه ،<sup>(٣)</sup> واقتص أثره ، ولج مولجه ، وإلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمداً ﷺ علماً للساعة ، ومبشراً بالجنة ، ومنذراً بالعقوبة ، خرج من الدنيا خميصاً ، وورد الآخرة سليماً ، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله وأجاب داعي ربه ، فما أعظم منة الله عندنا حين

(١) اقتص أثره أي اقتدى به واتبعه ، وقضم - بالضاد المعجمة كسمع - أي أكل بأطراف أسنانه وقيل : يختص بكل اليأس كذلك والتنوين للتقليل والتحقير أي لم يبالغ فيتناول الدنيا بل قنع بالبلغة والكفاف .

(٢) « لم يعرفها طرفاً » أي لم يعطها نظرة على وجه انوارية . والهضم - محرّكة - انضمام الجنبين وخمس البطن . والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي . وأخمصهم أي أخلاهم .

(٣) « فتأسى » خبر يريد به الطلب أي فليقتد مقتد بنبيّه .



أنعم علينا به سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه .

و الله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها ، ولقد قال لي قائل :  
ألا تنبذها ؟ فقلت : أغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى ،<sup>(١)</sup>  
و في الكافي باسناده عن الصادق عليه السلام : « أنه قال : كلما ازداد العبد إيماناً ازداد  
ضيقاتاً في معيشته »<sup>(٢)</sup> .

« ومنها »<sup>(٣)</sup> أن يكون مستقصياً عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة مادام يجد  
إلى الفرار عنهم سبيلاً ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاؤوا إليه فإن الدنيا  
حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم  
واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة و يجب على كل متدين الإيثار عليهم وتضييق صدورهم  
بإظهار ظلمهم وتقييد فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجمسهم فيزدرى نعمة  
الله عز وجل عليه أو يسكت عن الإيثار عليهم فيكون مداهناً أو يتكلف في كلامه لمرضاتهم  
و تحسين حالهم ، وذلك هو البهت الصريح أو يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك  
هو السحت ، وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين  
وما لا يجوز من الإضرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لشروط عدة ،  
وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال عليه السلام : « من بداجفا - يعني من سكن  
البادية - ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن »<sup>(٤)</sup> .

(١) « أغرب عني » أي اذهب و ابعد . السرى : السير بالليل و المثل معروف معناه  
إذا أصبح النائمون و قد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سرائهم و ندموا نوم  
أنفسهم ، أو إذا أصبح السارون و قد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سرائهم و إن كان  
شاقاً حيث أبلغهم إلى ما قصدوا .

(٢) المجلد الثاني باب فضل فقراء المسلمين ص ٢٦١ تحت رقم ٤ .

(٣) من كلام أبي حامد .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس كما في الجامع الصغير و تمام الحديث  
« من بداجفا و من اتبع الصيد غفل و من أتى أبواب السلطان افتتن » . و الزيادة في  
المتن من أبي حامد ذكره توضيحاً .

وقال عليه السلام : « ستكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكفرون فمن أنكر فقد برى » ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعد الله ، قيل : يا رسول الله : أفلا نقاتلهم ؟ قال عليه السلام : لا ، ماصلوهم <sup>(١)</sup> .

وقال عليه السلام : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » - رواه أنس <sup>(٢)</sup> .  
**أقول** وقد مر هذا الحديث من طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً .

**قال** : و قال عليه السلام : « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » <sup>(٣)</sup> .

**أقول** : وروي أن بعض الفضلاء قال لبعض الأبدال : ما بال كبارنا زماننا وملوكها لا يقبلون منا ولا يجدون للعلم مقداراً وقد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك ؟ فقال : إن علماء ذلك الزمان كان يأتهم الملوك والأكابر وأهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم ويلتمسون منهم علمهم فيبالغون في دفعهم ورد منتهتهم عنهم فصغرت الدنيا في أعين أهلها وعظم قدر العلم عندهم نظراً منهم إلى أن العلم لولا جلالته ونفاسته ما أثره هذه الفضلاء على الدنيا ولولا حقارة الدنيا وانحطاطها لما تراكوها رغبة عنها ولما أقبل علماء زماننا على الملوك وأبناء الدنيا وبذلوا لهم علمهم إلتماساً لدنياهم عظمت الدنيا في أعينهم وصغر العلم لديهم لعين ما تقدم .

قال بعض علمائنا : <sup>(٤)</sup> اعلم أن القدر المذموم من ذلك ليس هو مجرد اتباع

(١) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٨٥ . وأخرجه أحمد في المسند ج ٦ ص ٢٩٥ بدون جملة « أبعد الله » وفي آخره « ما صلوا لكم الخمس » وفي الجامع الصغير باب السين عن سنن أبي داود صدره .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٨٧ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم بلفظ آخر حكاه في المختصر ص ٨٨ . و بلفظه نقله الشهيد في المنية .

(٤) يعني به الشهيد الثاني ذكره في المنية ص ٢١ من طبعه الملحق بروض الجنان .

السلطان كيف اتفق بل اتبعه ليكون توطئة له و وسيلة إلى ارتفاع الشأن و الترفع على الأقران و عظم الجاه و المقدار و حبّ الدنيا و الرئاسة و نحو ذلك ، أمّا لو اتبعه ليجعله وصلة إلى إقامة نظام النوع و إعلاء كلمة الدين و ترويح الحقّ و قمع أهل البدع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نحو ذلك فهو من أفضل الأعمال فضلاً عن كونه مرخصاً و بهذا يجمع بين ما ورد من الذمّ و ما ورد أيضاً من الترخّص في ذلك بل قد فعل جماعة من الأعيان كعليّ بن يقطين ، و عبدالله النجاشي ، و أبي القاسم ابن روح - أحد نوّاب الشريفة - و محمد بن إسماعيل بن بزيع ، و نوح بن درّاج وغيرهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام ، و من الفقهاء مثل السيّدین الأجلّین المرتضى و الرضي وأبيهما ، و الخواجه نصير الدين الطوسي ، و العلامة بحر العلوم جمال الدين بن المطهر وغيرهم و قد روى محمد بن إسماعيل بن بزيع و هو الثقة الصدوق عن الرضا عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله به البرهان و مكّن له في البلاد ليدفع به <sup>(١)</sup> عن أوليائه و يصلح الله به أمور المسلمين ، لأنّه ملجأ المؤمنين من الضرر وإليه يفزع ذوالحاجة من شيعتنا ، بهم يؤمن الله تعالى روعة المؤمن في دار الظلمة أو لك هم المؤمنون حقّاً ، أو لك أمناء الله في أرضه ، أو لك نور الله تعالى في رعيتهم يوم القيامة ، و يزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر الكواكب الزاهرة لأهل الأرض ، أو لك من نورهم نور القيامة ، تضيء منهم القيامة ، خلقوا والله للجنة و خلقت الجنة لهم ، فهنيئاً لهم ، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كلّّه ، قال : فقلت : بماذا جعلني الله فداك ؟ قال : يكون معهم فيسرٌنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمد <sup>(٢)</sup> ، و اعلم أنّ هذا ثواب كريم ، لكنّه موضع الخطر الوخيم و الغرور العظيم ، فإنّ زهرة الدنيا و حبّ الرئاسة و الاستعلاء إذا نهتا في القلب غطياً عليه كثيراً من طرق الصواب و المقاصد الصحيحة الموجبة للثواب فلا بدّ من التيقّظ في هذا الباب .

**اقول :** و العمدة فيه أن يكون القلب معرضاً عنه سائطاً عليه بقدر ظلمه و طغيانه و إن قضى له حاجة أو قرّبه أو أحسن إليه ، وأن لا يتغيّر كيفة معاشرته مع الناس بعد

(١) في بعض النسخ «بهم» موضع «به» . (٢) رواه النجاشي في رجاله .

التقرب إليه والله المستعان .

**قال أبو حامد - رحمه الله - :** « وهذه فتنة عظيمة للعلماء و ذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لا سيما من له لهجة مقبولة و كلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم و دخولك عليهم ما يزرهم عن الظلم ، و يقيم شعائر الشرع إلى أن يخيّل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام و يداهن ، و يخوض في الثناء و الإطراء و فيه هلاك الدين ، و كان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا ، فإذا شغلوا فقدوا ، فإذا فقدوا طلبوا ، فإذا طلبوا هربوا ، و كتب بعض الأمراء إلى بعض أهل العلم أمّا بعد فأشّر عليّ بقوم أستمين بهم على أمر الله تعالى . فكتب إليه أمّا أهل الدين فلن يردوك و أمّا أهل الدنيا فلن تريدكم و لكن عليك بالأشراف فإنّهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة . فإذا كان شرط أهل الدين الهرب من السلاطين فكيف يستتبّ طلبهم و مخالطتهم <sup>(١)</sup> .

**ومنها أن لا يكون متسارعاً إلى الفتوى بل يكون متوقفاً و محتزراً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً ،** فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنصّ كتاب الله تعالى أو بنصّ حديث أو إجماع ثابت أفتى ، وإن سئل عما يشكّ فيه قال : لا أدري ، و إن سئل عما يظنّه باجتهاد و تخمين احتاط و دفع عن نفسه و أحال على غيره إن كان في غيره غنية ، هذا هو الحزم لأنّ تقلّد خطر الاجتهاد عظيم و في الخبر « العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، و سنة قائمة ، و لا أدري » <sup>(٢)</sup> قال الشعبي : لا أدري نصف العلم . و من سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس أقلّ أجراً ممّن نطق لأنّ الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة و السلف .

**قال ابن مسعود - رضي الله عنه - :** « إنّ الذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتونه لمجنون <sup>(٣)</sup> » و قال : جنّة العالم لا أدري فإذا أخطأها أصيبت مقاتله . و قال إبراهيم

(١) استتب الامر : استقام و اطرّد و استمر .

(٢) رواه الخطيب في اساء من روى عن مالك موقوفاً على ابن عمر و لابي داود

و ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً نحوه مع اختلاف . (المغنى)

(٣) نقله ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٢٥ .

ابن أدهم : ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم و يسكت بعلم ويقول انظروا إلى هذا سكوته أشد عليّ من كلامه ؛ و وصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، و كلامهم ضرورة . أي ما يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا وجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطروا أجابوا ؛ وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ؛ وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتوى أقلهم علماً ، و أشدهم دفعا لها أروعهم ؛ و في الخبر إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً و زهداً فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة ؛ و قيل : العالم إما عالم عامة و هو المفتي و هم أصحاب الأساطير ، أو عالم خاصة و هو العالم بالتوحيد و أعمال القلوب و هم أرباب الزوايا المتفرّدون ؛ و قيل : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام ؛ و قال بعضهم : إذا أكثر العلم قلّ الكلام ؛ و كتب سلمان إلى أبي الدرداء بلغني أنك قعدت طبيباً تدّوي المرضى فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت مطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً ، فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك ؟ أسئل .

أقول : و بما ورد في هذا الباب من طريق الخاصة ما رواه في الكافي « عن الباقر عليه السلام أنه سئل ما حق الله على العباد قال : أن يقولوا ما يعلمون و يقولوا عند ما لا يعلمون ، (١) » .

و عن الصادق عليه السلام : « إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل : لا أدري ، و لا يقل : الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكاً ، و إذا قال المسؤل : لا أدري فلا يتهمه السائل ، (٢) » .

و في مصباح الشريعة (٣) « عنه عليه السلام أنه قال : لا تحلّ الفتيا لمن لا يستفتي من الله عزّ و جلّ بصفاء سرّه ، و إخلاص عمله و علانيته ، و برهانه من ربّه في كلّ حال لأنّ من أفتى فقد حكم و الحكم لا يصحّ إلاّ بإذن من الله و برهانه ، و من حكم بالخبر بلا معايينة فهو جاهل مأخوذ بجهله مأثوم بحكمه ، قال النبي ﷺ : « أجرؤكم على الفتيا

(١) المجلد الاول ص ٤٣ تحت رقم : ٧ .

(٢) المجلد الاول ص ٤٢ تحت رقم : ٦ .

(٣) باب ٦٣ ص ٤١ .

أجرؤكم على الله عز وجل ، أولايعلم الملقني أنه هو الذي يدخل بين الله تعالى وبين عباده وهو الجائر<sup>(١)</sup> بين الجنة والنار .

وقال سفيان بن عيينة : كيف ينتفع بعلمي خيري وأنا قد حرمت نفسي نفعها ، ولا تحل الفتيا في الحلال والحرام بين الخلق إلا لمن كان أتبع الخلق من أهل زمانه وناحيته وبلده بالنبي ﷺ [ وعرف ما يصلح من فتياه ] قال النبي ﷺ ، وذلك أربما ولعل وعسى لأن الفتيا عظيمة ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقاض : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : فهل أشرت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن ؟ قال : لا ، قال : إذا هلك وأهلك<sup>(٢)</sup> ، و الملقني يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات<sup>(٣)</sup> والآداب والإجماع والاختلاف والإطلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثم حسن الاختيار ، ثم العمل الصالح ، ثم الحكمة ، ثم التقوى ، ثم حينئذ إن قدر .

« ومنها<sup>(٤)</sup> أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكها وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة في دقائق علم القلوب وتنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب أمّا الكتب والتعلم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد ، إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله سبحانه في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكر والانقطاع إلى الله عز وجل عمّا سواه ، فتلك مفاتيح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهمل في التعلم ومتوقف على العمل ومراقبة القلب فتح الله عز وجل له من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوي الأبواب ولذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم<sup>(٥)</sup> » وفي بعض الكتب السالفة : « يا بني إسرائيل

(١) في بعض النسخ [ العائر ] .

(٢) بتشديد اللام في « هلك » يقال لمن ارتكب أمراً عظيماً : « هلك وأهلك »

( البستان ) . (٣) في بعض النسخ [ مواطن الإشارات ] .

(٤) من كلام أبي حامد . (٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ( المعنى ) .

لا تقولوا: العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم مجعول في قلوبكم تأدّبوا بين يديّ آداب الروحانيين و تخلّفوا إليّ بأخلاق الصديقين ، أظهر العلم من قلوبكم حتّى يغطّيكم ويغمركم .  
وقال سهل التستري : خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثمّ تلا « وعنده مفاتيح الغيب » و لولا أنّ إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال رسول الله ﷺ : « استفت قلبك وإن أفنوك وأفنوك <sup>(١)</sup> » وقال ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ : « لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً - الحديث - » <sup>(٢)</sup> فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتبحر للذكر ، والفكر يخلو عنها كتب التفسير ولا يطّلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمراقب و عرض على المفسرين استحسّنه و علموا أنّ ذلك من تنبيهات القلوب الزكية و ألطاف الله تعالى بالهمم المتوجّهة إليه ، و كذلك في علوم المكشفة و أسرار علوم المعاملة و دقائق خواطر القلوب فإنّ كلّ علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، و إنّما يخوضه كلّ طالب بقدر ما رزق و بحسب ما وفق له من حسن العمل و في وصف هؤلاء العلماء قال عليّ عليه السلام في حديث طويل : « القلوب أوعية فخيرها أو عاها للخير ، و الناس ثلاثة : عالم ربّانيّ ، و متعلّم على سبيل نجاته ، و همج رعا ، أتباع كلّ ناعق ، يعملون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال ، و العلم يزكو على الإنفاق ، و المال تنقصه النفقة ، محبّة العالم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة في حياته ، و جميل الأُحدوث بعد وفاته ، العلم حاكم و المال محكوم عليه ، و منفعة المال تزول بزواله ، مات خزّان الأموال و هم أحياء و العلماء باقون ما بقي الدهر ، ثمّ تنفّس الصعداء فقال : هاهنا إنّ ههنا علماً جمّاً ، لو وجدت له حملة بل أجد طالباً إمّا لقناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا

(١) قد مر سابقاً .

(٢) تمام الحديث في الكافي ج ٢ ص ٣٥٢ مع شرحه ونقله ابن الديبع الشيباني في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٣ عن البخاري .

و يستطيل بنعم الله على أوليائه ، و يستظهر بحججه على خلقه ، أو منقاداً لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه ، بأول عارض من شبهة ، لا بصيرة له ، وليس من رعاة الدين في شيء ، ألا إذا ولا ذاك فمنهم باللذة ، سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرماً بجمع الأموال و الادّخار ، منقاداً لهواه ، أقرب شبهاً بهما لأنعام السائمة ، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف ، و إما خائف مقهور ، لئلا تبطل حجج الله و بيناته ، و كم وأين ؟! أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه ، حتى يودعوها نظرائهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين ، فاستلأنوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسو بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك أولياء الله من خلقه ، و عماله في أرضه ، و الدعاة إلى دينه ، ثم بكى ؛ وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم .

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة و هو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل و المواظبة على المجاهدة .

**أقول :** و أنا قد ذكرت هذا الحديث فيما مضى عند ذكر تفصيل علم الآخرة بأدنى تغيير في اللفظ مع أخبار آخر في وصف علماء الآخرة نافعة هنا .

«ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإنّ اليقين هو رأس المال من الدين ، قال النبي ﷺ : « اليقين الإيمان كله » (١) ولا بدّ من تعلّم علم اليقين أعني أوائله ، ثمّ يفتتح للقلب طريقه و لذلك قال النبي ﷺ : « تعلّموا اليقين » (٢) و معناه جالسوا الموقعين و اسمعوا منهم علم اليقين و اظبوا على الاقتداء بهم ليقوي يقينكم كما قوي يقينهم ، و قليل من اليقين خيرٌ من كثير من العمل ، قال النبي ﷺ : لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذّنوب ، و رجل مجتهد في العبادة قليل اليقين ، فقال ﷺ : « ما من

(١) قال العراقي : أخرجه البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في اليقين كما قاله العراقي أيضاً و روى البرقي في المحاسن

ص ٢٤٨ تحت رقم ٢٥٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له : « سلوا الله اليقين و ارغبوا إليه في العافية » .



آدمي<sup>(١)</sup> إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل و سجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب ذنباً تاب واستغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة<sup>(٢)</sup>، و لذلك قال رسول الله ﷺ : « إن من أقل ما أوتيتم اليقين و غريمة الصبر و من أوتي حظهما لم يبال ما فاتته من صيام النهار و قيام الليل »<sup>(٣)</sup> و في وصية لقمان لابنه « يا بني لا يستطيع العمل إلا باليقين ، و لا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، و لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه » .

و قال يحيى بن معاذ : إن للتوحيد نوراً و للشرك ناراً ، و إن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين . و أراد به اليقين و قد أشار القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دلّ به على أن اليقين هو الرابطة للخيرات و السعادات .  
فإن قلت : فما معنى اليقين ؟ و ما معنى قوته و ضعفه ؟ فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه و تعلمه ، فإن ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه ؟

فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظّار و المتكلمون فيعنون باليقين عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات : الأول أن يعتدل التصديق و التكذيب و يعتبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله عزّ وجلّ يعاقبه أم لا ؟ و هو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات و نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً ، الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه و لكنّه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح و التقوى أنّه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فإن نفسك تميل إلى أنّه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب و ذلك لظهور علامات الصلاح و مع هذا فإنك تجوز إخفاء أمر يوجب العقاب في باطنه و سريره فهذا

(١) قال العراقي : رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث انس باسناد مظلم .

(٢) روى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥١ تحت رقم ٢ في حديث « و ما قسم في الناس شيء أقل من اليقين » و تحت رقم ٤ « فما أوتي الناس أقل من اليقين » و روى ابن عبد البر في العلم من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين » و لم أجد تمام الحديث في أصل .

التجوز مساق لذلك المليل ولكنه غير دافع رجحانه ، فهذه الحالة تسمى ظناً ، الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو أخطر بالبال لنبت النفس عن قبوله <sup>(١)</sup> ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز لانتسعت نفسه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقارناً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخت في نفوسهم بمجرد السماع حتى أن كل فرقة تشق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نزع عن قبوله ، الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه <sup>(٢)</sup> ، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه تسمى يقيناً عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل : هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم أولياً ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال ، فإن هذا أيضاً ضروري ، فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتمجال والبديهة ، ثم من الناس من يسمع ذلك و يصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ، ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له : إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمؤدي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن يكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها حادثاً وبعضها قديماً فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت في الجملة قديم وإن كان الكل حادثاً فهو محال لأنه يؤدي إلى حدوث حادث بغير سبب فثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس

(١) نباعنه ينبو أي تجافى وتباعد .

(٢) في بعض النسخ [ ولا يتصور التشكك فيه ] .

أو بفريضة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكّة أو بتجربة كالعلم بأن المطبوخ مسهل <sup>(١)</sup> أو بدليل كما ذكرناه ، فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا يشك فيه يسمى يقيناً عندهم وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك .

**الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة** وأكثر العلماء - وهوان لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز و الشك بل إلى استيلائه و غلبته على القلب حتى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا يشك فيه و يقال : فلان قوي اليقين في إيمان الرزق مع أنه قد يجوز أن لا يأتيه ، فهما مالت النفس إلى التصديق بشيء و غلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكّم والمتصرّف في النفس بالتحريض والمنع سمّي ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس يشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه و إلى الاستعداد له فكأنه غير موقن به ، وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ، و لذلك قال بعضهم : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالقوة والضعف ونحن أردنا بقولنا : « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين ، اليقين بالمعنيين جميعاً ، وهو نفي الشك ثم تسلط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكّم وهو المتصرّف فإذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا إذا قلنا : إن اليقين ينقسم ثلاث انقسامات بالقوة والضعف ، والفلة والكثرة ، والخفاء والجلال ، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ، و درجات اليقين في القوة والضعف لا تنتهي ، و تفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني ، و أما التفاوت بالخفاء والجلال فلا ينكر أيضاً أمّا فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر - أعني الاصطلاح الثاني - وفيما انتفى الشك عنه أيضاً لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكّة وجود فدك مثلاً و بين تصديقك بوجود موسى وجود يوشع عليه السلام مع أنك

(١) فيه سقط وفي الأحياء « بان السقمونيا المطبوخ مسهل » .

لا تشك في الأمرين جميعاً إذ مستندهما التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالأدلة فإنه ليس وضوح ملاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدرك من تفاوت الأحوال، وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال: فلان أكثر علماً أى معلوماته أكثر، وكذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به الشرع وقد يكون قوي اليقين في بعضه.

فإن قلت: فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه، وكثرته وقلته، وجلاله وخفاه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه؟ وفيما ذا يطلب اليقين؟ فإني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه.

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء ﷺ من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات الوارد في الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكنني أشير إلى بعض أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لاحتكامها فالصدق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه غلبة بحيث أزال منه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين واسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الأشرف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته، ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريئاً من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضم الله سبحانه للرزق في قوله تعالى: وما من دابة في الأرض إلا

على الله رزقها ، <sup>(١)</sup> و اليقين بأن ذلك يأتيه و أن ما قدر له سيساق إليه ، و مهما غلب ذلك على قلبه كان مجحلاً في الطلب ولم يشتد حرصه و شرهه و تأسفه على ما يفوته ، و أثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات و الأخلاق الحميدة و من ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره و هو اليقين بالثواب و العقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشعير و نسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم و الأفاعي إلى الهلاك ، فكما يحرس على تحصيل الخبز طالب الشعير فيحفظ قليله و كثيره فكذلك يحرس على الطاعة قليلها و كثيرها و كما يجتنب قليل السم و كثيره فكذلك يجتنب قليل المعاصي و كثيرها و صغيرها و كبيرها ، و اليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقرّون و ثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات و السكّنات و الخطرات ، و المبالغة في التقوى و التحرّز عن السيئات ، و كلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشدّ و التشمّر أبلغ ، و من ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال و مشاهد له و اجس ضميرك و خفايا خواطرك و فكرك و هذا متيقّن عند كل مؤمن بالمعنى الأول و هو عدم الشك ، و أما بالمعنى الثاني فهو المقصود فهو عزيز جدّاً يختصّ به الصديقون و ثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متادّباً في جميع أحواله و أعماله كالجالس بمشهد ملك عظيم ينظر إليه لا يزال مطرقاً متادّباً متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب و يكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقّق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطّلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه و تطهيره و تزيينه لعين الله الكالئة <sup>(٢)</sup> أشدّ من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس ، و هذا المقام في اليقين يورث الحياء و الخوف و الانكسار و الذلّ و الاستكانة و الخضوع و جملة من الأخلاق الحمودة ، و هذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة ، فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة ، و هذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرّعة منها و هذه الأعمال و الطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار و الأنوار المتفرّعة من الأغصان ،

(١) هود : ٦ . (٢) اى الحافظة الحارسة .

فاليقين هو الأساس والأصل وله مجاري وأبواب أكثر مما عدّناه وسيأتي ذلك في ربح المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن .

ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحر كنهه وسكونه ونطقه وسكوته ، لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكان صورته دليلا على علمه « فالجواد عينه فراره » (١) ، فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل : ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينته ، فهي لبسة الأنبياء صلوات الله عليهم وسيماء الصديقين والعلماء ، فأما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله سبحانه وشديد سخطه وكل ذلك دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري : عالم بأمر الله لا بأيام الله وهم المفتون بالحلال والحرام وهذا العلم لا يورث خشية ، وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين ، وعالم بالله وأمر الله وأيام الله وهم الصديقون . والخشية والخشوع إنما يغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة والآخرة ، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه . أقول روى في الكافي بإسناده عن أبي بصير (٢) « قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء و همته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوفاء ،

(١) قال الجوهري : الفرير ولد البقرة الوحشية ، وكذلك الفرار - بضم الفاء - و

يقال : « ان الجواد عينه فراره » و قد يفتح ، أي يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفراسانه ، و قال أيضا : فررت الفرس أفره - بالضم - فرأ إذا نظرت الى اسنانه .

(٢) المجلد الاول ص ٤٨ تحت رقم ٢ .

و سلاحه لين الكلمة ، و سيفه الرضا ، و قوسه المداراة ، و جيشه محاورة العلماء ، و ما له الأدب ، و ذخيره اجتناب الذنوب ، و زاده المعروف ، و مأواه المودعة ، و دليله الهدى ، و رفيقه محبة الأخيار .

و بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب « قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اطلبوا العلم ، و تزيّنوا معه بالحلم و الوقار ، و تواضعوا لمن تعلّمونه العلم ، و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، و لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم » (١) .  
و بإسناده الصحيح « عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ من علامات الفقه العلم و الصمت » (٢) .

و بإسناده ، عن محمد بن سنان رفعه قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله فقام فقبّل أقدامهم فقالوا : كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله ، فقال : إنّ أحقّ الناس للخدمة العالم إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ، ثمّ قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر ، و كذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل » (٣) .

و قال بعض علمائنا - رحمه الله - (٤) : اعلم أنّ المتلبّس بالعلم منظور إليه و متأسّي بفعله و قوله و هيئته ، فإذا حسن سمته ، و صلحت أحواله ، و تواضعت نفسه ، و أخلص الله تعالى علمه و عمله انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعية ، و فشى الخير فيهم ، و انتظمت أحوالهم ، و متى لم يكن كذلك كان الناس دونه في المرمية التي هو عليها فضلاً عن مساواته فكان مع فساد نفسه منشاءً لفساد النوع و خلله و ناهيك بذلك ذنباً و طرداً عن الحقّ و بعداً ، و ياليتها إذا هلك انقطع عمله و بطل وزره ، بل هو باق ما بقي من تأسّي به و استنّ بسنّته ، و قد قال بعض العارفين : إنّ عامّة الناس أبداً دون المتلبّس بالعلم

(١) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ١ .

(٢) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ٤ .

(٣) المجلد الاول ص ٣٧ تحت رقم ٦ .

(٤) يعنى به الشهيد - رحمه الله - قاله في المنية ص ٢١ .

بمرتبة ، فإذا كان ورعاً تقيّاً صالحاً تلبّست العامّة بالمباحات وإذا اشتغل بالمباح تلبّست العامّة بالشبهات ، فإذا دخل في الشبهات تعلّق العاميُّ بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامي . وكفى شاهداً على صدق هذه العيان و عدول الوجدان فضلاً عن نقل الأعيان .

قال أبو حامد : « وروي أنّه قيل : يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى ، قيل : فأَيُّ الأصحاب خير ؟ قال عليه السلام : صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرك ، قيل : فأَيُّ الأصحاب شر ؟ قال عليه السلام : صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك ، قيل : فأَيُّ الناس أعلم ؟ قال : أشدُّهم لله خشية ، قالوا : فأخبرنا بخيارنا نجالسهم ؟ قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله عزّ وجلّ برؤيتهم وإذا ذكر الله اقشعرّ جلودهم ، قالوا : فأَيُّ الناس شر ؟ قال : اللهم غفرأ ، قالوا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : العلماء إذا فسدوا » (١) .

وقال عليه السلام : « إن أكثر الناس يوم القيامة أماناً أكثرهم فكراً في الدنيا ، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاءً في الدنيا ، وأشدّ الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا » .

وقال عليّ عليه السلام في خطبته (٢) : « ذمّتي رهينة وأنا زعيم أن لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله عزّ وجلّ رجل قمش علماً أغار في أغباش الفتنة سمّاه أشباه الناس وأردّاهم عالماً ولم يغن (٣) في العلم يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ممّا قلّ منه خير ممّا كثر ، حتّى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل ، جلس للناس مفتياً لتخليص ما التبس على غيره وإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشو الرأي من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أخطأ أم أصاب ، ركّاب جهالات ، خبّاط عشوات ، لا يعتدّ ممّا لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض على العلم بضرس قاطع فيغنم ،

(١) ما عثرت على الرواية في أى أصل و كذا التي بعدها .

(٢) الخطبة السادسة عشر من النهج مع اختلاف غير يسير .

(٣) باتى معنى الالفاظ آنفاً .



ينذري الرواية ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه الدماء و تستحل بفضائه الفروج الحرام ولا مليء و الله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه ، أولئك الذين حلت عليهم المثلثات و حقّت عليهم النياحة و البكاء أيام الحياة .

**اقول :** « و هذا الحديث مما رواه أصحابنا من طريق الخاصة أيضاً على اختلاف في ألفاظه ؛ و ممن رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - رحمه الله - (١) بإسناده عن ابن محبوب رفعه « عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : إن من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين رجلٌ و كله الله تعالى إلى نفسه فهو حائر عن قصد السبيل ، مشغوف (٢) بكلام بدعة ، قد لهج بالصوم و الصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالٌّ عن هدي (٣) من كان قبله ، مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته و بعد موته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته ، ورجل فمّش جهلاً في جهال الناس ، عان بأغباش الفتنة (٤) ، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن (٥) فيه يوماً سالماً ، بكر (٦) فاستكثر ما قلّ منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل (٧) ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره و إن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله

(١) الكافي المجلد الاول ص ٥٤ تحت رقم ٦ .

(٢) أي دخل حب كلام البدعة شغاف قلبه أي حجاب به و قيل : سويده .

(٣) بفتح الهاء و سكون المهملة أي السيرة و الطريقة .

(٤) « عان » بالعين المهملة و النون من قولهم عانا فيهم اسيراً أي اقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره - بالتشديد - : حبسه والعانى الاسير ، او من عنى - بالكسر - عناً تعب ، او من عنى به فهو عان أي اهتم به واشتغل . و في بعض النسخ بالغين المعجمة من غنى بالمكان - كرضى - أي اقام به ، او من غنى - بالكسر - أيضاً بمعنى عاش . والغيش - بالتحريك - ظلمة آخر الليل .

(٥) أي لم يلبث فيه يوماً تاماً .

(٦) أي خرج للطلب بكرة و هي كناية عن شدة طلبه و اهتمامه في كل يوم في

اول العمر الى جمع الشبهات و الاراء الباطلة .

(٧) الاجن : الماء المتغير المتعفن أي شرب و شبع منه . و قوله : « واكتنز » أي

عدما جمعه كنزاً و هو غير طائل أي ما لا نفع فيه .

وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيئتها حشواً من رأيه <sup>(١)</sup>، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أنظم عليه أمر اقتصم به لما يعلم من جهل نفسه [يكنّ الصواب] <sup>(٢)</sup> لكيلا يقال له: لا يعلم ثم جسر قفزي، فهو مفتاح عشوات <sup>(٣)</sup> رُكّاب شبهات، خبط جهالات <sup>(٤)</sup>، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعرض في العلم بضرر قاطع فيغنم، بذري الروايات ذرو الريح الهشيم <sup>(٥)</sup>، تبكي منه الموارث، وتصرخ منه الدماء، ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء بإصدار <sup>(٦)</sup> ما عليه ورد ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحق.

قال أبو حامد: «وقال عليّ عليه السلام أيضاً: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجّه القلوب».

وقال بعض السلف: من ضحك ضحكة مجّ من العلم مجّة، وقيل: إذا جمع الملعّم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلّم: العبر، والتواضع، وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلّم ثلاثاً تمت النعمة بها على الملعّم: العقل، والأدب، وحسن الفهم. وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلّمون القرآن للعمل لا للدراسة. وقيل: خمس من الأخلاق هنّ من علامات علماء الآخرة مفهوم من خمس آيات: الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد أمّا الخشية فمن قوله عز وجل: «إنما يخشى

(١) أي كثيراً بلا فائدة.

(٢) ليست هذه الجملة في أكثر نسخ الكافي ولكنها موجودة في الوافي.

(٣) العشوة: الظلمة أي يفتح على الناس ظلمات الشبهات.

(٤) الغبط المشي على غير استواء.

(٥) أي كما أن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ما تفعل الريح بالهشيم والهشيم ما ييس من الثبت وتفتت.

(٦) المليء - بالهمزة - : الثقة والغنى، والإصدار: الإرجاع.

الله من عباده العلماء» (١)، و أمّا الخشوع فمن قوله تعالى : « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (٢)، و أمّا التواضع فمن قوله تعالى : « و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » (٣)، و أمّا حسن الخلق فمن قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » (٤) و أمّا الزهد فمن قوله تعالى : « و قال الذين أتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن » (٥) و ملّا تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » (٦) ف قيل : « ما هذا الشرح يا رسول الله ؟ فقال : إنَّ النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر و انفسح ، قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور ، و الإجابة إلى دار الخلود ، و الاستعداد للموت قبل نزوله » (٧).

ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال و ما يفسدها و يشوش القلوب و يهيج الوسواس و يثير الشر ، فإن أصل الدين التوقي من الشر و لذلك قيل : عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه \* و من لا يعرف الشر من الناس يقع فيه و لأن الأعمال الفعلية قريبة و أقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب و اللسان و إنما الشأن في معرفة ما يفسدها و يشوشها و هذا مما تكثر شعبه و يطول تفريعه و كل ذلك مما يغلب ميسر الحاجة إليه و يعم البلوي به في سلوك طريق الآخرة و أمّا علماء الدنيا فإنهم يقتبسون غرائب التفريع في الحكومات و الأفضية و يتعبون في وضع صور تنقضي الدهور و لا تقع و إن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم ، و إذا وقعت كان في القائمين لها كثرة و يتركون ما يلزمهم و يتكرّر عليهم آناء الليل و النهار في خواطرهم و وساوسهم و أعمالهم ، و ما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره النادر إيثارة للقبول و التقرب من الخلق على القرب من الله تعالى . و شرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق ، و جزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد يوم القيامة مفلساً

(١) فاطر : ٢٨ . (٢) آل عمران : ١٩٩ .

(٣) الشعراء : ٢١٥ . (٤) آل عمران : ١٥٩ .

(٥) القصص : ٨٠ . (٦) الانعام : ١٢٥ .

(٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٤٤ .

متحسراً على ما يشاهده من ربح العالمين<sup>(١)</sup> وفوز المقرّبين و ذلك هو الخسران المبين .  
 قيل لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - : نراك تتكلم بكلام لا نسمع من غيرك  
 من الصحابة فمن أين أخذته ؟ قال : خصّني به رسول الله ﷺ كان الناس يسألونه عن  
 الخير و كنت أسأله عن الشرّ مخافة أن أقع فيه ، وعلمت أن الخير لا يسبقني و قال مرة :  
 فعلمت أن من لا يعرف الشرّ لا يعرف الخير<sup>(٢)</sup> ؛ و في لفظ آخر : كان الناس يقولون :  
 يا رسول الله ما لمن عمل كذا و كذا فيسألونه من فضائل الأعمال ، و كنت أقول : يا رسول  
 الله ما يفسد كذا و كذا ، فلمّا رأي أني أسأل عن آفات الأعمال خصّني بهذا العلم .

و كان حذيفة - رضي الله عنه - أيضاً قد خصّ بعلم المنافقين و أفرد بمعرفة علم  
 النفاق و أسبابه و دقائق الفتن و كان عمر و عثمان و غيرهما من الصحابة يسألونه عن الفتن  
 العامة و الخاصة ، و كان يُسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم  
 و كان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئاً من النفاق و كان إذا دعي إلى جنازة نظر  
 فإن حضر حذيفة صلّى عليها و إلّا ترك و كان يسمّى صاحب السرّ<sup>(٣)</sup> .

**أقول :** وليتأمل العاقل المنصف في نقل مثل هذه الأخبار عن المتسمّين بأهل السنّة  
 و ليعتبر ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

**قال :** « فالعناية بمقامات القلب و أحواله هو دأب علماء الآخرة لأن القلب هو  
 الساعي إلى قرب الربّ عزّ و جلّ و قد صار هذا الفنّ غريباً مندوراً و إذا تعرّض العالم لشيء  
 منه استغرب و استبعد و قيل : هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق و يرون التحقيق في  
 دقائق المجادلات و لقد صدق القائل حيث يقول :

الطرق شتّى وطرق الحقّ مفردة \* و السالكون طريق الحقّ أفراد .  
 لا يعرفون و لا يدرون مقصدهم \* فهم على مهل يمشون قصّاد  
 و الضلّ في غفلة عما يراد بهم \* فجلبهم عن سبيل الحقّ رقّاد  
 و على الجملة لا يميل أكثر الخلق إلّا إلى الأسهل و الأوفق لطباعهم ، فإنّ

(١) في الاحياء « من ربح العالمين » .

(٢) أورده البخارى في الصحيح ج ٩ ص ٦٥ بلفظ آخر .

(٣) راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٩٠ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣ .

الحق مرّ، و الوقوف عليه صعب و إدراكه شديد، و طريقه مستوعر<sup>(١)</sup>، لاسيّما معرفة صفات القلب و تطهيره عن الأخلاق المذمومة فإنّ ذلك نزع للروح على الدوام، و صاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاعة، و ينزل منزلة من جعل مدّة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت، و متى تكثرت الرغبة في مثل هذا الطريق، و لذلك قيل: إنّه كان بالبصرة مائة و عشرون متكلماً في الوعظ و التذكير ولم يكن من يتكلّم في علم اليقين و أحوال القلوب و صفات الباطن إلا ستّة و كان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى و يجلس إلى هؤلاء عدد يسير قلّما يجاوز العشرة لأنّ النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص، و ما يبتذل للعموم فأمره قريب.

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته و إدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف و الكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره و إنّما المقلّد صاحب الشرع ﷺ فيما أمر به و قاله، و إنّما يقلّد الصحابة من حيث أنّ فعلهم يدلّ على سماعهم من النبي ﷺ. **اقول:** و أمّا نحن معاشر الشيعة فلا نقولّد الصحابة كلّهم بل من وصّانا به رسول الله ﷺ منهم باتّباعه و إنّما هو أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم أحد الثقلين كيف و قد علمت أنّ في الصحابة منافقين؟ و أنّه كان يخفي نفاقهم على أنفسهم فضلاً عن غيرهم كما مرّ آنفاً، و إنّما تقلّد أهل البيت ﷺ لعصمتهم و أنّهم أخذوا علمهم عن رسول الله ﷺ خلفاً عن سلف من غير اجتهاد من رأيهم ولا تقليد لغيره ﷺ. **قال أبو حامد:** «ثمّ إذا قلّد صاحب الشرع ﷺ في تلقّي أقواله و أفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسرارهم، فإنّ المقلّد إنّما يفعل ذلك الفعل لأنّ النبي ﷺ فعله، و فعله ﷺ لا بدّ و أن يكون لسرّ فيه، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال و الأقوال فإنّه إن اكتفى بحفظ ما يقال له كان وعاءاً للعلم ولم يكن عالماً و لذلك كان يقال: فلان من أوعية العلم، و كان لا يسمّى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم و الأسرار، و من انكشف عن قلبه الغطاء

و استنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ، و لذلك قال ابن عباس - رضي الله عنه - : ما من أحد إلا و يؤخذ من علمه و يترك إلا رسول الله ﷺ و قد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه و قرأ على أبي كعب ثم خالفهما في الفقه و القراءة جميعاً ، و قال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين ، و ما جاءنا عن الصحابة فناخذ و نترك ، و ما جاءنا عن التابعين فهم رجال و نحن رجال ، و إذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضي فالاعتماد على الكتب و التصنيف أبعد بل الكتب و التصنيف محدثة ، لم يكن شيء منها في زمن الصحابة و الصدر التابعين و إنما حدثت بعد سنة مائة و عشرين بعد الهجرة و بعد وفاة جميع الصحابة و جللة التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث و تصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ و عن القرآن و عن التدبر و التفكير و التذكر و قالوا : احفظوا كما كنّا نحفظ .

و كان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ و يقول : لا تبدع ما لم يفعلهُ الصحابة ، و قيل : أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار<sup>(١)</sup> و حروف التفسير عن مجاهد و عطاء و أصحاب ابن عباس بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني

(١) هذا مخالف لما نص عليه الاعلام لانهم ذكروا الجماعة من الصحابة مدونات حديثة ذكرها لسلطان الفارسي الصحابي كتاب حديث جاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه و آله . راجع فهرست الشيخ الطوسي . و ذكروا لابي ذر الغفاري كتاب الخطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه و آله . و ذكروا لابي رافع مولي رسول الله صلى الله عليه و آله كتاب السنن و الاحكام و القضايا و لعل بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام كتاباً أملاه رسول الله (ص) و خطه على علي عليه السلام و هي صحيفة فيها كل حلال و حرام و ذكروا أيضاً له صحيفة في الديات كان يملقها بقراب سيفه و قد نقل البخاري منها و أيضاً كتاب الفرائض راجع رجال النجاشي ص ٥ و ص ٢٥٥ في ترجمة محمد بن عذافر و صحيفة الرضا ص ١١٨ تحت رقم ١٣٥ و صحيح البخاري باب « كتابة العلم » الحديث الاول ج ١ ص ٣٨ و باب « اثم من تبرأ من مواليه » ج ٨ ص ١٩٢ و مسند احمد ج ١ ص ١٥١ . و قال ابن شهر آشوب اول من صنف في الحديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام و يؤيده ما جاء كثيراً في روايات الفريقين الايماء اليه . راجع الكافي ج ٧ ص ٣٣٠ . و بصائر الدرجات الجزء الرابع الباب الاول .

باليمن جمع فيه سنناً مأثورة منشورة مبنية ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام ، وكثر الخوض في الجدل والخوض في إبطال المقالات ، ثم مال الناس إلى ذلك وإلى القصص والوعظ بها ، فأخذ علم اليقين في الانداس من ذلك الزمان ، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان وأعرض عن ذلك جميع الناس إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالماً والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بذلك مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء ، وتوارث اللقب خلفاً عن سلف ، وأصبح علم الآخرة مطوياً ، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم حتى كان إذا قيل لأحدهم : فلان أعلم أم فلان ؟ فكان يقال : فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً ، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام ، هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت .

ومنها أن يكون شديد التوقفي عن محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرقه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا ومال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة ؟ أو في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاسم وجلبه والحرس على إدراك خفايا شهوات النفس ومكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن .

وليعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين فلذلك قال علي عليه السلام : « خيرنا أتبعنا لهذا الدين » لما قيل له خالفت فلاناً .

**اقول :** و ينبغي أن يبدل لفظ الصحابة في كلامه بأهل البيت في الموضعين كما أشرنا إليه آنفاً وسيأتي تحقيقه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

**قال :** « فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ فإنَّ الناس رأوا رأياً فيما هم فيه ليل طباعهم إليه و لم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأنَّ ذلك سبب الحرمان من الجنة فادَّعوا أنَّه لا سعي إلى الجنة سواء .

و قد روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - موقوفاً و مسنداً أنَّه قال : « إنما هما إثنان الكلام و الهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى و أحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ شرَّ الأمور محدثاتها و إنَّ كلَّ محدثة بدعة ، و كلَّ بدعة ضلالة ، ألا لا يطولنَّ عليكم الأمد فتفسوا قلوبكم ، ألا كلُّ ما هو آت قريب ، ألا إنَّ البعيد ما ليس بآت » (١) .

و في خطبة النبي ﷺ « طوبى لمن شغله عيوبه عن عيوب الناس ، و أنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، و خالط أهل الفقه و الحكمة ، و جانب أهل الذلِّ و المعصية ؛ طوبى لمن ذلَّ في نفسه ، و حسنت خليفته ، و صلحت سريره ، و عزل عن الناس شره ؛ و طوبى لمن عمل بعلمه ، و أنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله ، و وسعته السنة و لم يدعها إلى البدعة » (٢) و كان ابن مسعود يقول : حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل ؛ و قال : أنتم في زمان يكون خيركم فيه المتسارع في الأمور ، و سيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات . و قد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان و وافق الجماهير فيما هم عليه و خاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا . و قال حذيفة - رضي الله عنه - : أعجب من هذا أنَّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأنَّ منكركم معروف زمان قد أتى ، و أنكم لن تزالوا بخير ما عرفتكم الحق ، و كان العالم فيكم غير مستخف به . و لقد صدق - رضي الله عنه - فإنَّ أكثر معروفات هذه الأعصار

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٦٠ و رواه الشيخ في أماليه مسنداً عن أبي عبد الله ، عن أبيه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله كما في البحار ج ٢ ص ٣٠١ وهكذا أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١٩ و ٣٧١ .

(٢) راجع تحف العقول ص ٣٠ ، و الجامع الصغير باب الطاء ، و الكافي ج ٢ ص ١٤٤ .



منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وإفناق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها و بسط الفرش الرفيعة فيها وقد كان يعدُّ فرش البواري في المسجد بدعة ، وقيل : إثمه من محدثات الحجاج ، فقد كان الأولون قلماً يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً وكذا الاشتغال بدقائق الجدل ، والمناظرة من أجل علوم هذا الزمان ، و يزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ، ومن ذلك التلحين في الأذان والقرآن ، ومن ذلك التقشّف في النظافة والوسوسة في الطهارة ، وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حلّ أكل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ، ولقد صدق ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال : أتمم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى . وقيل : تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقلّ الفقه فيهم . والله المستعان .

وقيل : لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون : حلال ولا حرام ، بل يقولون : مكروهٌ ومستحبٌ ، معناه أنهم ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب ، فأما الحرام فكان تجنّبه ظاهراً . وقيل : لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا فإنهم قد أعدوا له جواباً ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها ، وفي الحديث المشهور « من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو ردٌّ » (١) وفي حديث آخر « من غشّ أمتي فعليه لعنة الله - والملائكة والناس أجمعين ، قيل : يا رسول الله وما غشّ أمتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها » (٢) . وقال صلى الله عليه وآله : « إن الله ملكاً ينادي كل يوم : من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله لم تنله شفاعته » (٣) .

ومثال الجاني على الدين باٍ بداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر

(١) متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « في أمرنا » راجع الجامع الصغير باب

البيم ، و مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٢) قال العراقي : رواه الدار قطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) ما عثرت على أصل له .

فأما قلب الدولة فلا ، و قال بعض العلماء : ما تكلم فيه السلف فالكسوت عنه جفاء و ما سكنت عنه السلف فالكلام فيه تكلف ، و قال آخر : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ، و من قصر عنه عجز ، و من وقف عليه اكتفى . و قال النبي ﷺ : « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي و يرتفع إليه التالي » <sup>(١)</sup> و قال ابن عباس - رضي الله عنه - إن الضلالة لها حلوة في قلوب أهلها ، قال الله عز وجل : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً » <sup>(٢)</sup> و قال تعالى : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » <sup>(٣)</sup> فكلما أحدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة و الحاجة فهو اللعب و اللهو . و قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض و استتروا عن أعين الجمهور لا تسهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لا تسهم عند هم جهل بالله تعالى و هم عند أنفسهم و عند الجاهلين علماء .

قال سهل التستري <sup>(٤)</sup> إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل و النظر إلى العامة و استماع كلام أهل الغفلة و كل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحبه و يدفع ما لا يوافق محبوبه و لذلك قال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً » <sup>(٥)</sup> و العوام العصاة أسعد حالاً من الجهل بطريق الدين المعتقدين أنسهم من العلماء لأن العامي المعاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب و هذا الجاهل الظان أنه عالم و أن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الآخرة

(١) ما عثرت عليه الا في النهاية الاثرية هكذا قال في حديث علي « خير هذه الامة النمط الاوسط » . و في معناه روايات عن اهل البيت منها « كونوا النمرقة الوسطى اليكم يفنى العالي و بكم يلحق التالي » الكافي ج ٢ ص ٧٥ .  
(٢) الانعام : ٧٠ .  
(٣) الفاطر : ٨ .

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله التستري من كبار الصوفية لقي ذا النون المصري و سكن البصرة زماناً و عبادان مدة ، و لدسة ٢٠٠ و توفي بالبصرة سنة ٢٨٣ أو ٢٧٣ . ( الكنى و الالقاب للمحدث القمي ) .  
(٥) الكهف : ٢٨ .

و الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرّاً عليه إلى الموت ، وإذا غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى و انقطع الطمع من إصلاحهم فلا أسلم للمحتاط العزلة و الانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة إن شاء الله تعالى بيانه و لذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي : ما ظنّك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً و كانت مذاكرته معصية و ذلك أنه لا يجد أهله . و لقد صدق فإنّ مخالط الناس لا ينفك عن غيبة أو سماع غيبة أو عن سكوت على منكر ، و أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد ولو تأمل علم أنّ المستفيد إنّما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا و شبكة و وسيلة إلى الشرّ فيكون هو معيناً له و ردهاً و ظهيراً و مهيباً لأسبابه كالذي يبيع سيفاً من قاطع طريق فالعلم كالسيف و صلاحه للخير كصلاح السيف للغزو و ذلك لا يرخّص في البيع ممّن يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحد منها جلاً من أخلاق علماء السلف ، فكن أحد رجلين إمّا متّصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به ، وإيّاك أن تكون الثالث فتلبّس على نفسك بأن بدأت آلة الدنيا بالدين و سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين فتلحق بجهلك و إنكارك بزمرة الهالكين الآيسين ، نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فيها هلك الجمهور ، فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممّن لا تفرّه الحياة الدنيا و لا يغرّه بالله الغرور .

## ﴿ الباب السابع ﴾

( في العقل و شرفه و حقيقته وأقسامه )

بيان شرف العقل : إعلم أنّ هذا ممّا لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لا سيما و قد ظهر شرف العلم من قبل ، والعقل منبع العلم و مطلعه و أساسه و العلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا و الآخرة أو كيف يستراب فيه ، والبهيمة مع قصور تمييزها

تحتشم العقل حتى أن أعظم البهائم بدناً و أشدّها ضراوة و أقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خصّ به إدراك الحيل و لذلك قال النبي ﷺ : «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»<sup>(١)</sup> وليس ذلك لكثرة ماله ولكبر شخصه ولا زيادة قوّته ، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله و لذلك ترى الأكراد و الأتراك و أجلاف العرب و سائر الخلق مع قرب رتبته من البهائم توقرون المشايخ بالطبع و لذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل النبي ﷺ فلمّا وقعت أعينهم عليه و اكتحلوا بفرّته الكريمة هابوه و تراءى لهم ما كان يتلأأ على ديباجة وجهه من نور النبوة و إن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل ، و شرف العقل مدرك بالضرورة ، و إنّما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار و الآيات في ذكر شرفه و قد سمّاه الله تعالى نوراً في قوله عزّ و جلّ : «الله نور السموات و الأرض»<sup>(٢)</sup> و سمّي العلم المستفاد منه روحاً و حياة . فقال عزّ و جلّ : «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا»<sup>(٣)</sup> و قال عزّ و جلّ : «أو من كان ميتاً فأحييناه»<sup>(٤)</sup> و حيث ذكر النور و الظلمة أراد به العلم و الجهل<sup>(٥)</sup> كقوله «يخرجهم من الظلمات إلى النور»<sup>(٦)</sup> .

و قد قال النبي ﷺ : «يا أيّها الناس اعقلوا عن ربكم و تواصوا بالعقل تعرّفوا به ما أمرتم به و نهيتهم عنه ، و اعلموا أنّه مجدكم عند ربكم ، و اعلموا أنّ العاقل من أطاع الله و إن كان دميم المنظر ، حقير الخطر ، دنيّ المنزلة ، رثّ الهيئة ، و أنّ الجاهل من عصى الله و إن كان جميل المنظر ، عظيم الخطر ، شريف المنزلة ، حسن الهيئة ، فصوحاً

(١) أخرجه الخليلي في مشيخته و ابن النجار عن أبي رافع كما في الجامع الصغير باب الشين ، و قال العراقي : أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر ، و أبو منصور الديلمي من حديث أبي رافع . (٢) النور : ٣٥ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الانعام : ١٢٢ .

(٥) تعميمه ليس بصحيح و فيه موارد من النقص منها قوله تعالى : «الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور» الانعام : ٢٠ .

(٦) البقرة : ٢٥٧ .

مطوقاً ، فالقرود والخنازير أعقل عند الله عز وجل "تمن عصاه ، ولا تغفروا ابتعظيهم أهل الدنيا  
إيمانكم فإيمانكم من الغاسرين" (١) .

وقال عليه السلام : « أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له :  
أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزمتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك  
أعطي ، وبك أثيب وبك أعاقب » (٢) .

فإن قلت : فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان جوهرأ  
فكيف يكون جوهرأ قائماً بنفسه لا يتحيز؟ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره  
بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة .

**أقول :** وقد شرحت هذا الحديث شرحاً بليغاً في كتابي المسمى بعين اليقين  
المتضمن لأنوار الحكم وأسرار الكلم الذي صنفته في علم المكاشفة .

قال : « وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم  
ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه تعالى وعصى  
عدوه إبليس » (٣) .

و روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لكل شيء  
دهامة ودهامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته (٤) ، أما سمعتم قول الفجّار :

(١) أخرجه شطرأمنه الكراجكي في كنز الفوائد كما في البحار ج ١ ص ١٦٠ . و  
قال العراقي : أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل من حديث أبي هريرة و هو في مسند  
الحرث بن أبي اسامة عن داود .

(٢) رواه البرقي في المحاسن ص ١٩٢ ، و الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٦ تحت  
رقم ٢٦ ، و المفيد صدره في الاختصاص ص ٢٤٤ ، وقال العراقي أخرجه الطبراني  
في الاوسط من حديث هاشمة باسنادين ضعيفين .

(٣) قال العراقي : أخرجه داود بن المحبر في العقل من حديث عمرو بن شعيب عن  
أبيه عن جده انتهى ، أقول : والي قوله : « ولا يتم » رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٠٣  
تحت رقم ١٨ .

(٤) أخرجه الكراجكي في كنز الفوائد كما في البحار ج ١ ص ٩٦ .

« لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير » (١) .

و عن البراء بن عازب « قال : قال رسول الله ﷺ : جدّ الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجدّ المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله أو فزهم عقلاً » (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - « قال : قال النبي ﷺ : لكلّ شيء آلة وعدّة وإنّ آلة المؤمن وعدّته العقل ، ولكلّ شيء مطيّة ومطيّة المرء العقل ، ولكلّ شيء دعامة ودعامة الدين العقل ، ولكلّ قوم غاية وغاية العباد العقل ، ولكلّ قوم راع وراعي العابد العقل ، ولكلّ تاجر بضاعة وبضاعة المجتهد العقل ، ولكلّ أهل بيت قيسم وقيسم بيوت الصديقين العقل ، ولكلّ خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكلّ امرء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ، ولكلّ سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل » (٣) .

وقال النبي ﷺ : « إنّ أحبّ المؤمنين إلى الله تعالى من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح » (٤) .  
وقال النبي ﷺ : « أتمسك عقلاً أشدّكم لله تعالى خوفاً ، وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظراً وإن كان أفلّكم تطوهاً » (٥) .

## ﴿ فصل ﴾

أقول : من طريق الخاصة ما رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - رحمه الله -

(١) الملك : ١٠ .

(٢) قال العراقي : أخرجه داود بن المجبر ورواه البغوي في معجم الصحابة من ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المجبر .

(٣) أخرجه الكراچكي في كنز الفوائد كما في البحار ج ١ ص ٩٥ .

(٤) رواه ابن المجبر من حديث ابن عمر كما في المغني .

(٥) أخرجه ابن المجبر من حديث أبي قتادة (المغني) .

في الكافي بإسناده (١) «عن بعض أصحابنا رفعه قال : قال رسول الله ﷺ : ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته ، وما يضر النبي ﷺ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين ، وما أدّى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ، وما بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال الله تعالى : «وما يتذكر إلا أولوا الألباب» (٢) .

و بإسناده «عن أصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام قال : هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال : يا آدم إنني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم : يا جبرئيل وما الثلاث ؟ فقال : العقل والحياء والدين فقال آدم : قد اخترت العقل ، فقال جبرئيل للحياء والدين : انصرفا ودعاه فقالا : يا جبرئيل إننا أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، قال : فشأكما وعرج » (٣) .

و بإسناده «عن سهل بن زياد رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : العقل غطاء ستير ، والفضل جمال ظاهر ، فاستر خلل خلقك بفضلك ، وقاتل هواك بعقلك تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة » (٤) .

و بإسناده الصحيح «عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزّمي و جلالتي ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحبُّ ، أما إنني إياك آمر ، وإياك أنهي ، وإياك أعاقب وإياك أنيب » (٥) .

و بإسناده «عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنما يداق الله العباد في

(١) المجلد الاول ص ١٣ تحت رقم ١١ .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) المجلد الاول ص ١٠ تحت رقم ٢ .

(٤) المجلد الاول ص ٢٠ تحت رقم ١٣ .

(٥) المجلد الاول ص ١٠ تحت رقم ١ .

الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا « (١) .  
و بإسناده « عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حجة الله على العباد النبي ﷺ والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل « (٢) .  
و بإسناده « عن أحمد بن محمد مرسلًا قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : دعامة الإنسان العقل ، و العقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، و بالعقل يكمل و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره ، فإذا كان تأييد عقله عن النور كان عالماً حافظاً ذا كراً فطناً فهماً ، فعلم بذلك كيف ولم وحيث ، وعرف من نصحه و من غشيه ، فإذا عرف ذلك عرف مجراه و موصوله و مفعوله و أخلص الوجدانية لله و الإقرار بالطاعة ، فإذا فعل ذلك كان مستدر كلاً ما فات ، و وارداً على ما هو آت ، يعرف ما هو فيه و لأي شيء هو ههنا و من أين يأتيه و إلى ما هو صائر ، و ذلك كله من تأييد العقل « (٣) .

و بإسناده « عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس بين الإيمان و الكفر إلا قلة العقل « (٤) . قيل : و كيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : إن العبد يرفع رغبته « (٥) إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك » .

و بإسناده « (٦) عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام و عنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : « اعرفوا العقل

(١) المجلد الاول ص ١١ تحت رقم ٧ والمداقة : المناقشة في الحساب .

(٢) المجلد الاول ص ٢٥ تحت رقم ٢٢ .

(٣) المجلد الاول ص ٢٥ تحت رقم ٢٣ .

(٤) يعني قليل العقل متوسط بين المؤمن والكافر ، ليس مؤمناً حقيقياً كاملاً بما فيه من قصور العقل الموجب لبعده عنه تعالى في الجملة ولا كافراً حقيقياً محضاً لما فيه شيء من نور العقل الموجب لقربه في الجملة .

(٥) أي مرغوبه و مراده من حوائجه الى مخلوق لقلة عقله واعتقاده بأن الحصول لا يكون الا بالرفع اليه فيعظمه ويدلل له و يتخذه رباً معطياً ولو كان عاقلاً كاملاً العقل لعرف أن اخلاص النية لله والرفع اليه دون غيره سرعة الوصول الى المطلوب ، والخبر في المجلد الاول من الكافي ص ٢٨ تحت رقم ٣٣ .

(٦) المجلد الاول ص ٢٠ تحت رقم ١٤ .



و جنده والجهل وجنده تهتدوا ، قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تعالى : خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلماتياً ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فلم يقبل ، فقال له : استكبرت فلعله ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يا رب هذا خلق مثلي خلقتة وكرمتة وقويتة وأنا ضده ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيتة ، فقال : نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي قال : قد رضيت فأعطاه خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة وسبعين الجند :

الخير هو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل ، والإيمان وضده الكفر ؛ والتصديق وضده الجحود ؛ والرجاء وضده القنوط ؛ والعدل وضده الجور ، والرضا وضده السخط ، والشكر وضده الكفران ؛ والطمع وضده اليأس ، والتوكل وضده الحرص ، والرأفة وضدها القسوة ؛ والرحمة وضدها الغضب ، والعلم وضده الجهل ، والفهم وضده الحمق ، والعفة وضدها التهتك ؛ والزهد وضده الرغبة ، والرفق وضده الخرق ، والرهبة وضدها الجرأة ، والتواضع وضده الكبر ، والتؤدة <sup>(١)</sup> وضدها التسرع ، والحلم وضده السفه ، والصمت وضده الهذر ، والاستسلام وضده الاستكبار ، والتسليم وضده الشك ، والصبر وضده الجزع ، والصفح وضده الانتقام ، والغناء وضده الفقر ، والتفكر وضده السهو ، والحفظ وضده النسيان ، والتعطّف وضده القطيعة ، والقنوع وضده الحرص ، والمؤاسة وضدها المنع ، والمودة وضدها العداوة ، والوفاء وضدها الغدر ، والطاعة وضدها المعصية ، والخضوع وضدها التطاول <sup>(٢)</sup> ، والسلامة وضدها البلاء ، والحب وضده البغض ،

(١) بضم التاء وفتح الهزة وسكونها : الرزاة والتأني أى عدم المبادرة الى

الامور بالتفكر فانها توجب الوقوع فى المهالك .

(٢) التطاول : التكبر والترفع .

و الصدق وضد الكذب ، و الحق وضد الباطل ، و الأمانة وضد الخيانة ،  
و الإخلاص وضد الشوب ، و الشهامة وضد البلاهة ، و الفهم وضد الغباوة ، و المعرفة  
و ضدّها الإنكار ، و المداراة و ضدّها المكاشفة ، و سلامة الغيب و ضدّها المماكرة ،  
و الإكتمان و ضدّه الإفشاء ، و الصلاة و ضدّها الإضاعة ؛ و الصوم و ضدّه الإفطار ، و الجهاد  
و ضدّه النكول ؛ و الحجّ و ضدّه تبذ الميثاق ، و صون الحديث و ضدّه النسيئة ، و برّ  
الوالدين و ضدّه العقوق ، و الحقيقة و ضدّها الرياء ، و المعروف و ضدّه المنكر . و الستر  
و ضدّه التبرّج<sup>(١)</sup> ، و التقية و ضدّها الأذاعة ، و الانصاف و ضدّه الحمية ، و التهيئة  
و ضدّها البغي<sup>(٢)</sup> ، و النظافة و ضدّها القذر ، و الحياء و ضدّه الجلع<sup>(٣)</sup> ، و القصد  
و ضدّه العدوان ، و الراحة و ضدّها التعب ، و السهولة و ضدّها الصعوبة ، و البركة  
و ضدّها المحق<sup>(٤)</sup> ، و العافية و ضدّها البلاء ، و القوام و ضدّه المكاثرة<sup>(٥)</sup> ؛ و الحكمة  
و ضدّها الهوى ؛ و الوقار و ضدّه الخفة ، و السعادة و ضدّها الشقاوة ، و التوبة و ضدّها  
الاصرار ، و الاستغفار و ضدّه الاغترار ، و المحافظة و ضدّها التهاون ، و الدعاء و ضدّه  
الاستكفاف ، و النشاط و ضدّه الكسل ، و الفرح و ضدّه الحزن ، و الألفة و ضدّها  
العصبية<sup>(٦)</sup> ، و السخاء و ضدّه البخل .

ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن

(١) التبرج : اظهار الزينة .

(٢) التهيئة : الموافقة والمصالحة بين الجماعة و امامهم .

(٣) الجلع - باسكان اللام - : قلة الحياء قال الجوهري : قال الاصمعي : جلع ثوبه  
بمعنى خلعه . و الاجلع الذي لا تنضم شفاته على اسنانه انتهى ؛ و قال ابن فارس في المقاييس :  
يقال للمرأة القليلة الحياء : جلعة ، كأنها كشفت قناع الحياء ، و يقال : جلع فم فلان اذا  
تقلصت شفته و ظهرت اسنانه .

(٤) المحق : النقص والمحو والابطال .

(٥) القوام - بفتح القاف - كسحاب - : العدل وما يعاش به ، و المكاثرة المغالبة في  
الكثرة اي تحصل متاع الدنيا زائداً على قدر الحاجة للمباهات و المغالبة .

(٦) في الكافي «الفرقة» موضع «العصبية» .

قد امتحن الله قلبه للايمان ، و أمّا سائر ذلك من موالينا فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل وينقي من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء ، وإنّما يدرك ذلك معرفة العقل و جنوده ومجانبة الجهل و جنوده ، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته .

و بإسناده <sup>(١)</sup> عن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : صديق كل امرء عقله و عدوه جهله .

### ﴿ بيان حقيقة العقل وأقسامه ﴾

اعلم أنّ الناس اختلفوا في حدّ العقل و أقسامه و حقيقته و ذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم ، و الحقّ الكاشف للغطاء فيه أنّ العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدّة و ما يجري هذا المجرى ، فلا ينبغي أن يُطلب لجميع أقسامه حدّ واحد بل يفرد كلّ قسم بالكشف عنه .

**الاول** الوصف الذي به يفارق الإنسان سائر البهائم و هو الذي به استعداد لقبول العلوم النظرية و تدبير الصناعات الخفية الفكرية و هو الذي أرادته الحارث المحاسبى حيث قال في حدّ العقل: إنّه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية و تدبير الصناعات و كأنّه نور يُنفذ في القلب ، به استعداد لإدراك الأشياء ، و لم ينصف من أنكر هذا وردّ العقل إلى مجرد العلوم الضرورية ، فإنّ الغافل عن العلوم و النائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم و كما أنّ الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية و الإدراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية و لو جاز أن يسوّى بين الإنسان و الحمار في الغريزة و يقال لا فرق بينهما إلّا أنّ الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً و لهس يخلقها في الحمار و سائر البهائم لجاز أن يسوّى بين الجماد و الحمار في الحياة و يقال: أيضاً : لا فرق إلّا أنّ الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة فاتمه

لو قدر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فأنه تعالى قادرٌ على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، وكما وجب أن يقال : لم تكن مفارقتها للجماذ في الحركة إلا لغريزة اختصت به عبّر عنها بالحياة فكذلك مفارقة الانسان للبهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل و ذلك كالمراة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور و الألوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات و صفات استعدت بها للرؤية ، فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم نسبة العين إلى الرؤية و نسبة القرآن و الشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر ، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة .

**الثاني** عبارة عن العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات و استحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، و أن الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناء بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات و استحالة المستحيلات . وهذا أيضاً صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة و تسميتها عقلاً ظاهر و إنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة و يقال : لا موجود إلا هذه العلوم .

**الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب و هذبه المذاهب يقال : إنه عاقل في العادة . و من لا يتصف بذلك يقال : إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً .

**الرابع** أن ينتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور فيقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة و يقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلاً بحيث أن إقدامه و إحجامه<sup>(١)</sup> بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة و هذه أيضاً من خواص الانسان التي يتميز بها عن سائر الحيوانات .

فالأول هو الأس و السنخ و المنبع ؛ و الثاني هو الفرع الأقرب إليه ، و الثالث فرع الأول و الثاني إذ بقوة الغريزة و العلوم الضرورية يستفاد علوم التجارب ، و الرابع

(١) حجه عن الشيء منه و أحجم عنه كف أو نكس هية .

هي الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع و الأخيران بالاكتساب ولذلك قال علي عليه السلام :

رأيت العقل عقليين \* فمطبوع ومسموع \* ولا ينفع مسموع  
إذا لم يك مطبوع \* كما لا تنفع الشمس \* وضوء العين ممنوع  
والأول هو المراد بقوله وَالْعَقْلُ : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » (١)  
والأخير هو المراد بقوله وَالْعَقْلُ : « إذا تقرب الناس بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك » (٢)  
وهو المراد بقوله وَالْعَقْلُ لأبي الدرداء : « ازداد عقلاً ترد من ربك قريباً ، فقال : بأبي أنت  
وأُمِّي وكيف لي بذلك ؟ فقال النبي ﷺ : اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن  
عاقلاً ، و اعمل بالصالحات من الأعمال تزد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل بها  
من ربك القرب والعز » (٣) .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : « إن جماعة دخلوا على النبي ﷺ فقالوا :  
يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال : العاقل ، فقالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال ﷺ :  
العاقل ، فقالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : أليس العاقل من تمت مروته  
و ظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال النبي ﷺ : « وإن كل ذلك  
ملاً متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » وإن العاقل هو المتقي وإن كان  
في الدنيا خسيساً دينياً » (٤) .

وقال ﷺ : « إنما العاقل من آمن بالله و صدق رسله وعمل بطاعته » .

(١) قال العراقي : أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية  
الحسن عن عدة من الصحابة .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي عليه السلام وتامه « إذا اكتسب الناس  
من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفه  
والقرب » و رواه أبو علي سينا في الرسالة المعراجية ص ١٥ و نقله المحقق الجليل السيد  
الداماد في كتاب الصراط المستقيم بهذا اللفظ « يا علي إذا عنى الناس أنفسهم في كثير  
العبادات والخيرات فانت عن نفسك في ادراك المعقولات حتى تسبقهم » .

(٣) رواه داود بن المحبر في العقل والحكيم الترمذي في النوادر . (المغنى)

(٤) رواه والذي بعده أيضاً داود بن المحبر في العقل كما في المغنى .

**أقول :** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي <sup>(١)</sup> بإسناده عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما العقل ؟ قال عليه السلام : ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان ، قال : قلت : فالذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء ، وتلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل .

و بإسناده الصحيح <sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن سنان قال : ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت : هو رجل عاقل ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : وأي عقل له وهو يطيع الشيطان ؟ فقلت له : وكيف يطيع الشيطان ؟ فقال : سله هذا الذي يأتيه أي شيء هو فإِنَّه يقول لك : من عمل الشيطان .

قال أبو حامد : « ويشبه أن يكون الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وإنما أُطلق على العلوم من حيث أنها ثمرتها كما يعرف الشجر بشعرته فيقال : العلم هو الخشية ، والعالم من يخشى الله تعالى ، فإن الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجوده بل هو الأصل وهذه العلوم كأنها مضمّنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر للوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست شيئاً وارداً عليها من خارج وكأنها كانت مستكنّة فيها فظهرت ، ومثال ذلك الماء في الأرض فإنّه يظهر بحفر القناة ويجتمع ويتميز بالحسّ لا بأن يساق إليه شيء جديد وكذلك الدّهْن في اللّوز وماء الورد في الورد ولذلك قال الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » <sup>(٣)</sup> فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنّهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص ولذلك قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله » <sup>(٤)</sup>

(١) المجلد الاول ص ١١ تحت رقم ٣ .

(٢) المجلد الاول ص ١٢ تحت رقم ١٠ .

(٣) الاعراف : ١٧٢ .

(٤) الرخرف : ٨٧ .

معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم و بواطنهم « فطرة الله التي فطر الناس عليها، أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك، ثم لما كان الإيمان مركزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى من أعرض فنسي وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها و لذلك قال تعالى: «لعلهم يتذكرون»، (١) «و ليتذكر أولوا الألباب»، (٢) «و اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذي واثقكم به»، (٣) «و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»، (٤) و تسمية هذا تذكراً ليس ببعيد و كأنّ التذكر ضربان: أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود، و الآخر أن يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة و هذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع و التقليد دون الكشف و العيان و لذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات و يتشعب و يتعسف في تأويل التذكر و إقرار النفوس أنواعاً من التعسفات و يتخيل إليه في الأخبار و الآيات ضروب من المناقضات و ربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحغار و يعتقد فيها التهافت و مثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول: ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق و ترد إلى مواضعها؟ فيقال له: إنها في مواضعها و إنما الخلل في بصرك، فكذلك خلل البصيرة يجري هذا المجرى و أعظم منه و أطم إذا النفس كالفرس و البدن كالفرس و عمى الفارس أشد من عمى الفرس و لمشابهة بصيرة الباطن بالبصر الظاهر قال الله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى» (٥) وقال تعالى: «و كذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض» (٦) و سمّي ضدّه عمى وقال تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور» (٧) وقال تعالى:

(١) البقرة: ٢٢١، إبراهيم: ٢٥، القصص: ٤٣، ٤٦، ٥١.

(٢) سورة (ص): ٢٩. (٣) المائدة: ٧.

(٤) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٥) النجم: ١١. (٦) الانعام: ٧٥.

(٧) الحج: ٤٦.

« ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » (١) وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء صلوات الله عليهم بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي جميعها رؤية .

وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه .

فهذه أقسام ما يطلق عليه اسم العقل .

### ﴿ بيان تفاوت الناس في العقل ﴾

قد اختلف الناس في معنى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى المبادرة إلى التصريح بالحق ، و الحق الصريح فيه أن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الشخص الواحد في مكانين وكون الشيء الواحد قديماً حادثاً فكذلك سائر النظائر وكل من يدركه فإنه يدركه إدراكاً محققاً من غير شك ، وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها ، أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنى فإذا كبر وتم عقله قدر عليه ، وشهوة الرياء والرئاسة تزداد قوة بالكبر لضعفاً ، وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعروف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل إذا لم يكن طبيباً وإن كان يعتقد في الجملة فيها مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أنهم كان خوفه أشد فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي ، وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان



التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً فإنه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لاحتالة أشد؛ وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون السبب في ذلك إما تفاوت في الغريزة وإما تفاوت في الممارسة، أما الأول فهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه و مبادي إشرافه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة، ومثاله نور الصبح فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه، ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يتكامل بطلوع قرص الشمس، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر، فالفرق يدرك بين الأعمش وبين العاد البصر، بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدرج في الإيجاد حتى أن غريزة الشهوة لا تتركز في الصبي عند البلوغ دفعة واحدة بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل، ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاهما اختلف الناس في فهم هذه العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل ينبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار [نور على نور]، وذلك مثل الأنبياء ﷺ إذ يتضح لهم في باطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبس نبينا ﷺ حيث قال: «إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحبت فاتك مفارقه، وعيش ما شئت فاتك ميت، واصل ما شئت فاتك تلاقيه»<sup>(١)</sup> وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء ﷺ يخالف

(١) أخرج الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في مستده

الوسط والاصغر من حديث علي عليه السلام . (المغنى) وفي بعض النسخ «فانك مجزى به».

الوحي الصريح الذي هو سماع للصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ، و درجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وإن كان خالياً عنها فالعلم شيء وجود المعلوم شيء آخر فما كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقياً ، وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كاقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء ويقوي فينفجر بنفسه عيوناً وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ؛ ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي :

« أن ابن سلام سأل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت : يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟ قال : نعم العقل ، قالوا : وما بلغ من قدره ؟ قال : هيئات لا يحاط بعلمه ، هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا : لا ، قال : فأنسى خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبةً ومنهم من أعطي حبتين ومنهم الثلاث والأربع ومنهم من أعطي فرقاً ومنهم من أعطي سقاً ومنهم أكثر من ذلك ، (١) .

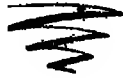
فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يسمون العقل والمعقول ؟ فاعلم أن السبب في ذلك أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهي صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في

(١) الخبر مفصل أورد المجلسي - رحمه الله - في المجلد الرابع عشر من البحار ( طبع الكمباني ) ص ٣٤٦ نبذاً منه من كتاب ذكر الأقاليم والبلدان والجيال والانهار والاشجار ، وروى المفيد في الاختصاص ص ٤٢ شطراً منه وقال المراقى : أخرجه ابن السمعري من حديث أنس بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً ، والفرق والوسق : مكبال .

التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم ، فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى و يعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمّه ؟! وقد أثنى الله عليه ، فإن ذم ذلك فما الذي يحمده ؟ فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ؟ .

ولا يلتفت إلى قول من يقول : إنه يدرك بعين اليقين و نور الايمان لا بالعقل فإتينا نريد بالعقل ما يريد هو بعين اليقين و نور الايمان و هي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور .  
و أكثر هذه التخبّطات إنما نارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبّطوا تخبّط اصطلاحات الناس في الألفاظ . وهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم بالصواب .

هذا آخر كتاب العلم من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء و يتلوه كتاب قواعد العقائد ، و الحمد لله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً و الصلاة على خير خلقه و أهل بيته الطيبين الطاهرين .



## ﴿ كتاب قواعد العقائد ﴾

و هو الكتاب الثاني من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المبدئ المعيد ، الفعّال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، و البطش الشديد ،  
الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد  
بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك و الترديد ، السائق لهم إلى اتباع رسوله المصطفى  
و اقتفاء أئمة الهدى من أهل بيته المعصومين بالتأييد و التسديد صلوات الله عليهم على  
الدوام و التأييد .

أما بعد فأقول : لما سلك أبو حامد في هذا الكتاب الذي هو أصل الإسلام ومحض  
الإيمان مسلك أهل الأهواء العامية ، و بنى أكثر كلامه على الأصول الفاسدة الرديّة  
صرفنا عن القلم عن متابعته في تقرير الكلام إلا قليلاً ممّا أورده في صفة علم الكلام  
و وجه التدرّج إلى إرشاد الخواصّ و العوام ، فإنّه جعله على أربعة فصول : الأوّل في  
ترجمة عقيدة أهل السنّة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام ، الثاني في وجه  
التدرّج إلى الإرشاد و ترتيب درجات الاعتقاد ، الثالث في لوامع الأدلّة للعقيدة التي  
ترجمها و جعل هذا الفصل رسالة عليحدة سمّاها الرسالة القدسيّة لأنّه صنّفه لأهل القدس  
في المسجد الأقصى ، الرابع في الإيمان و الإسلام و ما بينهما من الاتصال و الانفصال  
و ما يتطرّق إليه من الزيادة و النقصان و نحن رتبناه على سبعة أبواب الأوّل في طريق  
التخلّص عن مضائق بدع أهل الأهواء بمتابعة الكتاب و السنّة و اقتفاء أئمة الهدى  
صلوات الله عليهم وليس في هذا الباب من كلام أبي حامد شيء . والخمسة الأخرى في الأركان

الخمسة التي هي أصول الدين بمذهب أهل البيت عليهم السلام وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وهذه الخمسة تشتمل على ما ذكره في الفصل الأول والثالث جامعة بين ترجمة العقيدة ولوامع الأدلة لكن على منهاج أهل الحق المتمسكين بحبل القرآن وسفينة أهل البيت عليهم السلام ، والسابع فيما ذكره في الفصل الثاني وزيادة ما قصده من الفصل الرابع مع تهذيب وتنوير وزيادة ونقصان والله الموفق وعليه التكلان.

### ﴿الباب الاول﴾

في طريق التخلّص عن مضايق بدع أهل الأهواء بمتابعة الكتاب والسنة واقتفاء الأئمة الهدي صلوات الله عليهم .

قال بعض الفضلاء : اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لن يتبين إلا بالعقل ، والعقل كالأس والشرع كالبناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس ولن يغني أس ما لم يكن بناء ، وأيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع ، ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغني شعاع ما لم يكن بصر ، فلهذا قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه <sup>(١)</sup> ، وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدّه فما لم يكن زيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت وعلى هذا نبّه بقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره - إلى قوله - نور على نور » <sup>(٢)</sup> ، وأيضاً فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل ، وهما يتعاضان بل يتحدان ، ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » <sup>(٣)</sup> ، ولكون العقل شرعاً من داخل قال تعالى في صفه العقل : « فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » <sup>(٤)</sup> فسمي العقل ديناً ، ولكونهما متحدان قال : « نور على نور » أي نور

(٢) النور : ٣٥ .

(١) المائدة : ١٥ و ١٦ .

(٤) الروم : ٣٠ .

(٣) البقرة : ١٧١ .

العقل و نور الشرع ، ثم قال : « يهدي الله لنوره من يشاء » فجعلهما نوراً واحداً فالعقل إذاً فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور كما عجز العين عند فقد النور .  
 و اعلم أن العقل بنفسه قليل الغنى لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق ، و قول الصدق ، و تعاطي الجميل ، و حسن استعمال المعدلة ، و ملازمة العفة ، و نحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء .  
 و الشرع يعرف كليات الشيء و جزئياته و يبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء ، و ما الذي هو معدلة في شيء شيء ، و لا يعرف العقل مثلاً أن لحم الخنزير والدم و الخمر محرمة ، و أنه يجب أن يتحاشى من تناول الطعام في وقت معلوم ، و أن لا ينكح ذوات المحارم ، و أن لا يجامع المرأة في حال الحيض ، فإن أشباه ذلك لا سبيل إليها إلا بالشرع ، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة و الأفعال المستقيمة و الدال على مصالح الدنيا و الآخرة من عدل عنه فقد ضل سواء السبيل ، و لأجل أن لا سبيل للعقل إلى معرفة ذلك قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » (١) وقال : « ولو أننا أهلكنهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولاً فنتبّع آياتك من قبل أن نذل و نخزي » (٢) و إلى العقل و الشرع أشار بالفضل و الرحمة بقوله عز وجل : « ولولا فضل الله عليكم و رحمته لا اتبعتكم الشيطان إلا قليلاً » (٣) و عنى بالقليل المصطفين الأخيار .  
 انتهى كلامه . و يصدق ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

العقل عقلان \* مطبوع و مسموع \* ولا ينفع مسموع

إذ ألم بك مطبوع \* كما لا تنفع الشمس \* و نور العين ممنوع

و ليعلم أن أصحاب العقل قليل جداً كما قال الله عز وجل : « و لكن أكثرهم لا يعقلون » (٤) « و لكن أكثرهم لا يفقهون » (٥) « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو

(١) الاسراء : ١٥ . (٢) طه : ١٣٤ . (٣) النساء : ٨٣ .

(٤) ليست هكذا في المصحف وفي سورة المائدة : ١٠٣ « و أكثرهم لا يعقلون »

وفي العنكبوت : ٦٣ « بل أكثرهم لا يعقلون » .

(٥) ليست في المصحف و ينبغي أن يكون موضعها هذه الآية « بل كانوا لا يفقهون

الا قليلاً » الفتح : ١٥ . ولعل ذلك من اشتباه النساخ .

يقولون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً<sup>(١)</sup>، وإن من لم يهتد لنور الشرع ولم يطابقه عقله فليس من ذوي العقول في شيء وإن العقل فضل من الله و نور كما أن الشرع رحمة منه وهدى و «إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء»<sup>(٢)</sup> و «يهدي الله لنوره من يشاء»<sup>(٣)</sup> و «من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»<sup>(٤)</sup> و الله يقول الحق وهو يهدي السبيل»<sup>(٥)</sup>.

### ﴿ فصل ﴾

اعلم أن أعقل العقلاء نبينا ﷺ وخير الشرائع شرعه ، و إنما أرسله الله و أنزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصعد بأمر الله وهدى الخلق إلى الصراط المستقيم ، وأرشدهم إلى معرفة صانعهم و يوم آخرهم ببيانات و براهين ناسبت عقولهم ، و نبههم على أدلة و حجج بلغت إليها أفهامهم ، و أكمل لهم أمور دينهم ، و إنما أتى كل طائفة من ذلك بما يصلح لعقله و فهمه من بيّنة و برهان و خطابة و جدال بالتّي هي أحسن و معجزة إلى غير ذلك و إنما أتى مع كل دعوى بحجّة و برهان ليكونوا على بصيرة من أمرهم و «ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة» و لئلا يحتاج أمته إلى آثار السالّفين فيما يهمهم و يعينهم من أمر الدّين ؛ فليس لقائل أن يقول : إن ثبوت الأنبياء ﷺ و الشرائع يتوقّف على ثبوت الصانع و صفاته الكماليّة فكيف يعرف الصانع و صفاته بالشرع ؟ و ذلك لأنّه لو لم يكن صاحب هذه الكلم و التّبيانات مقبول القول و معصوم الفعّال لكان فيها الحجّة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فإنّ براهينه هي المتّبعة ، و بيّناته و حججه هي الملزمة ، على أن ما يتوقّف عليه الشرع من معرفة الصانع و صفاته يجري مجرى الضرورات التي يحكم بها كل من له أدنى مسكة كما سيأتي بيانه ، فثبت أن ما ورد في الشرع كاف في الإيهتداء إلى طريق الحقّ مع ما جُبل عليه أهل السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة إلى تكلفات المتكلّفين على اختلاف طبقاتهم

(١) آل عمران : ٧٣ .

(٢) الفرقان : ٤٤ .

(٣) النور : ٣٥ .

(٤) النور : ٤٠ .

(٥) الاحزاب : ٤٠ .

و تشعب آرائهم وتناقض أهوائهم في إبداء الأدلة و إنباه الحجاج على أمور الدين  
فإنهم جمعوا بين الجهل و سوء الأدب ، أمّا الجهل فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة  
فيما نصبه الحق دليلاً ، و أمّا سوء الأدب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه مما  
يزعمونه دليلاً فجعلوا نظرهم في الدين أتم في الدلالة بما دلّ عليه الحق تعالى عن  
ذلك ، أفأنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر  
الرسول عن تبليغه و أدائه ، و الله سبحانه يقول : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (١)  
و فيه تبيان كل شيء (٢) ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق  
لا تنفى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به » (٣) .

### ﴿ فصل ﴾

قال السيد رضي الدين علي بن طائوس - رحمه الله - في وصاياه لابنه (٤) : اعرف  
يا ولدي أن المبتدي إذا قال له الأستاذ : لا طريق لك إلى معرفة الله إلا بنظر في الجسم  
و الجوهر و العرض و حدوثها ، و إن حدوث الجسم لا يثبت إلا بالخرقة و السكون  
فإن المبتدي ما يفهم بفطرته زيادة هذه الأعراض على الأجسام إلا بأن يتعب في إنفاق  
كثير من الأوقات في تصوّر حدّ الجسم و تصوّر العرض و تحقيق زيادتها على الأجسام  
و حفظ ما يتعلّق بذلك كلّ من معنى و كلام و ربّما وجدت الأستاذ عاجزاً في حدود  
هذه المعاني غير أن يعبر ألفاظها المعهودة المأخوذة حتى يكاد أن يقلّد قائلها و ناقلها  
و يحتاج بأنّها قول فلان و فلان و قولهم كالحجّة في معانيها ثم إذا فهم من إسماع  
زيادة الحركة على الأجسام فإنّه ما يكاد يفهم زيادة السكون على الجسم في ظاهر  
أوائل الأفهام ولا يدرك على التمهيل لزوم حدوث الجسم من حدوث الحركة و السكون

(١) الانعام : ٣٨ .

(٢) إن أراد به القرآن فالآية هكذا « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء »

النحل : ٨٩ .

(٣) النهج خطبة : ١٨ . (٤) راجع كشف المحجة من تأليفه .



بل لا يزال غالب حاله يخبط خبط عشواء في أدلتهم ومعارضتها بشبهات احتمالات  
الأهواء حتى يتمحض اجتهاده عن رجحان ظنٍّ أو اعتقاد ضعيف ومتى عرض له طعن  
قوي أعاد ذلك الطعن إلى الاستدلال والتكشّف فتراهم متردداً في العقائد بين ساكن  
وعائد ، فإلى أن يموت لعلّه يجوز حدوث القوادح وقد كان له قبل ذلك التعليم لسكونه  
إلى المعرفة بجملة اعتقاد قوي راجح وكان آمناً بمجده المطاعن والمعارضات والقوادح ،  
ثم قال : إنني وجدت مثال شيوخ المعتزلة ومثال الأنبياء عليهم السلام مثل رجل أراد أن  
يعرف غيره أن في الدنيا ناراً موجودة وذلك الرجل الذي يريد أن يعرف وجودها  
قد رأى النار في داره وفي البلاد ظاهرة كثيرة بين العباد ما يحتاج في معرفتها إلى  
نظر واجتهاد ، فقال له : إنك تحتاج في معرفتها إلى إحضار حجر النار وهو في طريق  
مكة لأنه ليس كل حجر يكون في باطنه نار وتحتاج إلى مقدحة وإلى حراق وأن  
تكون في موضع سليم من شدة الهواء لئلا يذهب بالحراق ويطفئ ما يخرج من  
الحجر من النار ، فاحتاج هذا المسكين إلى تحصيل هذه الآلات من عدة جهات وبعده  
توصلات ولو كان قد قال له من مبدء الأمر : هذه النار الظاهرة بين العباد هي النار  
الكامنة في الحجر والشجر كان قد عرف وجود النيران على العيان والوجدان واستغنى  
عن ترتيب الدلالة وتحصيل البرهان ، وكل من عدل في التعريف عن الأمر المكشوف  
إلى الأمر الخفي اللطيف فهو حقيق أن يقال له : قد أضل ولا يقال : قد هدى ولا قد  
أحسن فيما استدلل ، قال : وكل عاقل يعلم فيما عاينه من زيادات الأجسام في الإنسان  
والشجر وكل ما يزداد عظماً وكبراً بين الأنام مثل النقطة التي يصير منها إنسان ومثل  
النواة التي سيكون منها نخلة عظيمة الشأن أن هذه الزيادات حادثات بالضرورة فكيف  
يعدل عن تعريف حدوثها بمثل هذا التحقيق إلى الحركة والسكون وهما عرضان غير  
مشاهدين ولا يعرف حقائقهما وما يلزم من حدوثهما إلا بنظر دقيق وقطع عقبات قليلة  
التوفيق - إلى أن قال - : فأشار إلى أنبياء صلوات الله عليهم والكتب المنزلة عليهم إلى نحو هذه  
التنبيهات على هذه الدلائل الظاهرت ، فعدلوا المعتزلة بالخلات إلى غير تلك الطرائق ،  
وضيعوا عليهم سبيل الحقائق كما عدل من أراد تعريف حقيقة النار المعاماة بالاضطرار

إلى استخراجها من الشجر و الحراق و الأحجار ، و هذا مثال يعرف أهل الإِتصاف أنه حقٌّ و صحيح و ما يحتاج إلى زيادة استكشاف و كان مثالهم مع المتعلّم منهم و مثاله معهم أيضاً كمثال إنسان كان بين يديه شمعة مضيئة إضاءة باهرة فأخذها استاده من بين يديه و أبعد ها عنه مسافة بعيدة كثيرة الحوائل و الموانع من النظر إلى تلك الشمعة التي كانت حاضرة و قال له : تجهّز للسفر بالزّاد و الرفقاء و العدة و الأدلّة حتّى تصل إلى معرفة تلك الشمعة و تنظر حقيقة ما هي عليه من الضياء فقبل ذلك الغرّ المتعرّف من ذلك الأستاذ المتكلّف و سافر مدّة من الأوقات فتارة يرى جبلاً أو عقبات فلا يظهر له من حديث الشمعة كثير و لا قليل و تارة يرى ضوءاً فيقول : لعلّه ضوء تلك الشمعة و يستنجد بمساعدة الرفيق و الدليل فان عجز من تمام المسافة و قطع الطريق بما يرى فيها من العقبات و التطوّل و التضيق هلك المسكين و رجع خاسراً للدنيا و الدين .

فأوصيك يا ولدي و من بلغه كتابي هذا بمّن يعلمّ المسترشدين إلى معرفة ربّ العالمين أن يقوّي ما عندهم في الفطرة الأولى بالتنبّهات العقلية و القرآنية و الهدايات الالهية و النبوية و يقول للمسترشد : إنّما تحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثّر و الصانع و يثبت صفاته عنده بأسهل ما يريد منه مولاه جلّ جلاله من تكليفه بتدبير صاحب الشرائع السليم من القواطع ، ثمّ سلك به سبيل معرفة النبوة و الامامة على قاعدة تعريف النبي و الأئمة عليهم السلام و من سلك سبيلهم من أهل الاستقامة فهذا كان كافياً لمن يريد تحصيل السلامة و السعادة يوم القيامة .

و أمّا حفظ الألفاظ الحادثة بين المتكلّمين و ما ذكره من صفات المتجادلين فهو شغل من فرغ من فروض الله جلّ جلاله المتعيّنة المتضيّقة عليه و يريد أن يخدم الله جلّ جلاله خالصاً لوجهه بالردّ على أهل الضلال من الأمم الحائلة بين العباد و بين المعرفة و الوصول إليه و يكون حامل هذا العلم العريض العميق لازماً سبيل التوفيق و يناظر مخالفه مناظرة الرحيم الشفيق حتّى يسلم من خطر الطريق و إلّا فهو هالك على التحقيق .

أقول : و تمام الكلام في مضرّة علم الكلام و منفعة و تحقيق الأمر فيه يأتي في الباب السابع إن شاء الله تعالى .

## ﴿ فصل ﴾

لما ثبت أن خير هاد إلى الله سبحانه نبينا ﷺ فنقول : إنه قد ثبت أنه ﷺ إنما ترك من بعده لخلافته الثقلين كتاب الله وعترته ، و ما أوصى أمته إلا بالتمسك بهما كما استفاض به الأخبار من طريقي العامة والخاصة جميعاً على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى ففي رواية « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » (١) ومعنى عدم افتراقهما أن علم الكتاب إنما هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما وفي رواية « ثم قال : اللهم اشهد ثلاثاً » وفي أخرى « إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » (٢) وفي أخرى « إني امرء مقبوض وأوشك أن أدعى فأجيب وقد تركت فيكم الثقلين أحدهما أفضل من الآخر - الحديث » (٣) وفي أخرى « أمرين أحدهما أطول من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وعترتي - الحديث » وفي أخرى « وهما الخليفتان من بعدي » وفي أخرى « الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تزالوا ولا تضلوا ، والأصغر منهما عترتي لا تقتلوه ولا تقهروهم فانني سألت اللطيف الخبير أن يردا عليّ الحوض فأعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلها خاذلي ووليتهما وليي وعدوهما عدوي - الحديث » (٤) وفي رواية أنه ﷺ قال في حجة الوداع في مسجد الخيف : « إني فرطكم

(١) قد مر الحديث سابقاً عن مصادر عدة عامية وراجع عبقات الانوار حديث الثقلين يوقفك على مصادر الحديث بمختلف ألفاظه .

(٢) رواه الصدوق في كمال الدين ص ١٣٦ .

(٣) رواه الصدوق في كمال الدين ص ١٣٧ .

(٤) راجع بصائر الدرجات الجزء الثامن الباب السابع عشر أيضاً . وبحار الانوار

و إنكم واردون عليّ الحوض عرضة ما بين بصرى و صنعاء<sup>(١)</sup> فيه قدحان<sup>(٢)</sup> من فضة عدد النجوم ألا وإني سأئلكم عن الثقلين قالوا : يا رسول الله و ما الثقلان ؟ قال : كتاب الله الثقل الأكبر طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لن تضلّوا ولن تزالوا و عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كاصبعي هاتين - و جمع بين سبأتيه - ولا أقول : كهاتين - و جمع بين سبأتيه - و الوسطى فتفضل هذه علي هذه<sup>(٣)</sup> .

و سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى الحديث « من العترة ؟ قال : أنا والحسن والحسين و الأئمة التسعة من ولد الحسين تأسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا علي رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه<sup>(٤)</sup> .

وفي رواية « من جعلهما أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعلهما خلفه ساقاه إلى النار » . و في الخبر المستفيض « أن مثل أهل بيتي كمثّل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق<sup>(٥)</sup> » .

و روى في الكافي بإسناده « عن مولينا الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا أول وافد علي العزيز الجبار يوم القيامة و كتابه وأهل بيتي ، ثم أمّتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي<sup>(٦)</sup> .

- (١) بصرى بالضم والقصر : في موضعين : احدهما بالشام ، وهي التي وصل إليها النبي صلى الله عليه وآله للتجارة . و هي المشهورة عند العرب : قال : هي قصبة كورة حوران ، والاخرى من قرى بغداد قرب عكبراء ذكرها ابن الحجاج في شعره مع اوانا . والصنعاء : وهي في موضعين احدهما باليمن ، وهي المعظمى . والاخرى قرية بغوطة دمشق . فاما اليمانية فقيل : كان اسبها قديماً ازال ، فلما وافتها الحبشة ورأوها حصينة ، قالوا : صنعاء معناه حصينة ؛ فسميت صنعاء بذلك ، و هي قصبة اليمن و أحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها فيما قيل . واما التي بدمشق فقد نسب إليها جماعة (مراصد الاطلاع) . (٢) كذا .
- (٣) رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ص ٤ ، وفي البحار ج ٧ ص ٢٧ من الطبع الحجري .
- (٤) رواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٩٠ تحت رقم ٤ .
- (٥) رواه الشيخ في اماليه كما في البحار ج ٧ ص ٢٥ من الطبع الحجري .
- (٦) المجلد الثاني ص ٦٠٠ .

و بإسناده <sup>١</sup> عن مولينا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ :  
 « أيها الناس إنكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وقد رأيتم  
 الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلَّ جديد ، و يقرَّ بان كلَّ بعيد ، و يأتين  
 بكلَّ موعود ، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز ، قال : فقام المفضل بن الأسود فقال : يا رسول  
 الله فما دار الهدنة <sup>(١)</sup> ؟ فقال : دار بلاغ و انقطاع ، فإذا التبتست عليكم الفتن كقطع  
 الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مشفعٌ ، و ماحلٌ مصدقٌ <sup>(٢)</sup> من جعله أمامه  
 قاده إلى الجنة ، و من جعله خلفه ساقه إلى النار ، و هو الدليل يدلُّ على خير سنيل ،  
 و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل ، و هو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ،  
 فظاهره حكم و باطنه علم ، ظاهره أنيق و باطنه عميق ، له تخوم و على تخومه تخوم <sup>(٣)</sup>  
 لا تحصى عجائبه ، و لا تبلى غرائب ، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة ، و دليل على المعرفة  
 لمن عرف الصفة <sup>(٤)</sup> ، فليجل جلال بصره و ليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب و يتخلص  
 من نشب <sup>(٥)</sup> ، فإنَّ التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم  
 بحسن التخلص و قلَّة التربص <sup>(٦)</sup> .

- (١) الهدنة : السكون والصلح والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحارين .  
 (٢) « شافع مشفع » أى مقبول الشفاعة ، وقوله : « ماحل مصدق » يقال : محل به  
 إذا سعى به الى السلطان و هو ماحل و محول وفى الدعاء « فلا تجعله ماحلا مصدقا » ولعله  
 من هنا قيل فى معناه ، يحل بصاحبه أى يسعى به اذا لم يتبع ما فيه الى الله تعالى .  
 (٣) الانق : الفرح والسرور ، قد انق - بالكسر - بأنق الشيء أعجبه وأنيق أى حسن  
 معجب . وقوله : « له تخوم و على تخومه تخوم » التخوم على ما قبل - : جمع تخم بمعنى  
 منتهى الشيء . وفى بعض النسخ الحديث « له نجوم و على نجومه نجوم » أى آيات  
 تدل على هذه الآيات و توضيحها ، أو المراد بالنجوم الثالث السنة فان الستة توضيح  
 القرآن أو الائمة عليهم السلام العالمون بالقرآن .  
 (٤) أى لمن عرف كيفية التعرف وإشارات القرآن و نكات بيانه ويعلم معاريفه ،  
 وفى بعض النسخ الحديث « دليل على المغفرة » .  
 (٥) العطب : الهلاك . ونشب فى الشيء اذا وقع فى مالا مخلص له منه .  
 (٦) التريص الانتظار . والخبر رواه الكليني - رحمه الله - فى الكافي ج ٢ ص ٥٩٨  
 تحت رقم ٢ . والعياشى أيضاً فى تفسيره .

و بإسناده « عنه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : القرآن هدى من الضلالة ، و تبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، و نور من الظلمة ، و ضياء من الأجداث ، و عصمة من الهلكة ، و رشد من الغواية ، و بيان من الفتن ، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، و فيه كمال دينكم ، و ما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار ،<sup>(١)</sup> و فيه عن الأئمة المعصومين عليهم السلام « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن »<sup>(٢)</sup> .

و فيه عنهم عليهم السلام « من أخذ دينه من كتاب الله و سنة نبيه ﷺ زالت الجبال قبل أن يزول و من أخذ دينه من أفواه الرجال ردته الرجال »<sup>(٣)</sup> . قال محمد بن يعقوب - رحمه الله - بعد نقل هذا الحديث : و لهذه العلة انبثقت<sup>(٤)</sup> على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة و المذاهب المتشعبة<sup>(٥)</sup> التي قد استوفت شرائط الكفر و الشرك كلها ، و ذلك بتوفيق الله عزّ و جلّ و خذلانه ، فمن أراد الله توفيقه و أن يكون إيمانه ثابتاً مستقراً سبب له الأسباب التي تؤدّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله و سنة نبيه ﷺ و يعلم و يقين و بصيرة فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي ، و من أراد الله خذلانه و أن يكون دينه معاراً مستودعاً - نعوذ بالله منه - سبب له أسباب الاستحسان و التقليد و التأويل من غير علم و بصيرة ، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك و تعالى أتمّ إيمانه و إن شاء سلبه إيمانه ، و لا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً و يمسي كافراً ، و يمسي مؤمناً و يصبح كافراً ، لأنّه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مال معه و كلّما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله ، و قد قال العالم عليه السلام : « إن الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٨ .

(٢) أورده الكليني في مقدمة كتابه الكبير الكافي ج ١ ص ٧ ، و في القاموس تنكب عنه - كنصر و فرح - نكباً و نكبواً : عدل ، كنكب و تنكب .

(٣) مقدمة الكافي ص ٧ .

(٤) في المغرب ببق الماء بثوقاً فتحه بأن خرق الشط : و انبثق هو اذا جرى بنفسه من غير فجر .

(٥) التشيع : التقيح ، و المتشعبة : المستقبحة . و في بعض النسخ المستشعبة .

أنبياء ، وخلق الأوصياء على الوصية ، فلا يكونون إلا أوصياء ، وأعار قومًا إيماناً ، فإن شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إيماناً ، قال : وفيهم جرى قوله : «فمستقر ومستودع»<sup>(١)</sup>.

## ﴿فصل﴾

قد ظهر بما ذكرنا وتبين أن بيان أمر أهل البيت عليهم السلام إنما هو في كتاب الله عز وجل ، وأن علم الكتاب عندهم ، وأن كل واحد منهما مع الآخر صاحبين مؤلفين يشهد كل واحد منهما لصاحبه بالتصديق ينطق الإمام منهم عن الله في الكتاب بما أوجب الله فيه على العباد ، وينطق الكتاب بوجوب اتباعهم ، وأن الرشد إنما هو في إطاعتهم ، وهذا معنى عدم افتراقهما المذكور في الحديث النبوي والله اعلم كما مرّت الإشارة إليه .

وروى شيخنا الصدوق - رحمه الله - في كتاب كمال الدين<sup>(٢)</sup> «باسناده إلى جابر ابن يزيد الجعفي» قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»<sup>(٣)</sup> قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال ﷺ : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي ، أولهم علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي - المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام - ثم الصادق جعفر ابن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم سميتي وكنيتي ، حجة الله في أرضه ، وبقية في عبادته ،

(١) إلى ههنا من كلام الكليني - رحمه الله - والرواية نقلها مرسلًا ورواها أيضاً

في ج ٢ ص ٤١٨ من الكافي مسنداً . والاية في سورة الانعام : ٩٨ هكذا «هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون» .

(٢) ص ١٤٦ باب نصر الله تبارك وتعالى على القائم وأنه الثاني عشر من الائمة .

(٣) النساء : ٥٩ .

ابن الحسن بن عليّ ، ذاك الذي يفتح الله - تعالى ذكره - على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن شيعة و أوليائه غيبة ، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان ، قال جابر : فقلت له : يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته ؟ فقال : إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كاتتفاع الناس بالشمس ، و إن تجلّلها سحاب ، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ، و مخزون علم الله ، فاكتمه إلا عن أهله ، قال جابر بن يزيد : فدخل جابر بن عبد الله على عليّ بن الحسين عليهما السلام فبينما هو يحدثه إذ خرج محمد بن عليّ الباقر عليه السلام من عند نسائه و على رأسه ذؤابة و هو غلام فلمّا بصر به جابر ارتعدت فرائصه ، وقامت كلّ شعرة على بدنه ، و نظر إليه مليّاً ، ثمّ قال له : يا غلام أقبل فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، فقال جابر : شمائل رسول الله و ربّ الكعبة ، ثمّ قام فدنا منه ، و قال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال : محمد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عليّ بن الحسين ، قال : يا بنيّ فدتك نفسي فأنت إذن الباقر ؟ قال : نعم ، قال عليه السلام : فأبلغني ما حملك رسول الله ﷺ ، فقال جابر : يا مولاي إنّ رسول الله ﷺ بشرني بالبقاء إلى أن ألقاك ، و قال لي : إذا لقيت فأكفره منّي السلام ، فرسول الله يا مولاي يقرّ عليك السلام ، فقال أبو جعفر عليه السلام : يا جابر على رسول الله السلام ما قامت السماوات و الأرض ، و عليك يا جابر كما بلغت السلام ، فكان جابر بعد ذلك يختلف إليه و يتعلّم منه فسأله محمد بن عليّ عليه السلام عن شيء ، فقال له جابر : و الله ما دخلت في نهى رسول الله ﷺ فقد أخبرني أنكم الأئمة الهداة من أهل بيته من بعده ، أحلم الناس صفاراً و أعلم الناس كباراً ، و قال : لا تعلّموهم فهم أعلم منكم ، فقال أبو جعفر عليه السلام : صدق جدّي رسول الله ﷺ و الله إنّي لأعلم منك بما سألتك عنه و لقد أوتيت الحكم صبيّاً ، كلّ ذلك بفضل الله علينا و رحمته لنا أهل البيت .

و الأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى و قد أوردنا نبذاً منها في كتابنا المسمّى بعلم اليقين .

قيل : وجد بخطّ مولانا أبي محمد العسكري عليه السلام ما صورته « قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة و الولاية ، و نورنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية ، فنحن ليوث



الوغي ، وغيوث الندى ، و طعناء العدى ، و فينا السيف و القلم في العاجل ، ولواء الحمد و العلم في الآجل ، و أسباطنا حلفاء الدين و خلفاء النبيين ، و مصاييح الأُمم ، و مفاتيح الكرم ، فالكليم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة ، و شيعتنا الفئة الناجية ، و الفرقة الزاكية ، صاروا لنا ردهاً ، و صوناً و على الظلمة إلباً و عوناً <sup>(١)</sup> ، و ستنفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتنام الم و طه و الطواسين ، و هذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة ، و قطرة من بحر الحكمة ، و كتب الحسن بن عليّ العسكريّ في سنة أربع و خمسين و مائتين .

و وجد أيضاً بخطّ يده عليه السلام « أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب ، و نسوا الله ربّ الأرباب ، و النبيّ و ساقى الكوثر في مواقف الحساب ، و لظى الطامة الكبرى ، و نعيم دار الثواب ، فنحن السنام الأعظم ، و فينا النبوة و الولاية و الكرم ، و نحن منار الهدى ، و العروة الوثقى ، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا ، و يقتفون آثارنا ، و سيظهر حجة الله على الخلق ، و السيف المسلول لاظهار الحق » ، و هذا خطّ الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .

قوله عليه السلام : « و شيعتنا الفرقة الناجية » إشارة إلى ما رواه الخاصة و العامة بطرق شتى و ألفاظ مختلفة عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « ستفترق أُمّتي على ثيِّف و سبعين فرقة ، فالناجية منها واحدة » <sup>(٢)</sup> .

و في رواية « أنّه قال : « افترقت أُمّة موسى على إحدى و سبعين فرقة ، كلّها في النار إلا واحدة و هي التي اتبعت وصيّيه يوشع ، و افترقت أُمّة عيسى على اثنتين و سبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة و هي التي اتبعت وصيّيه شمعون ، و ستفترق أُمّتي على ثلاث و سبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة و هي التي تتبّع وصيّيه عليّاً » . و في رواية هكذا « ستفترق أُمّتي ثلاثاً و سبعين فرقة ، كلّها في النار إلا واحدة ،

(١) الالب - بكسر الهزة - القوم تجمعهم عداوة واحد يقال : « هو على الواحد » .

(٢) راجع سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٩٩١ و ٣٩٩٢ و ٣٩٩٣ . و الغصّال للصدوق

ص ١٤١ ابواب الثلاث و السبعين .

قيل : و من هم ؟ قال : الذين هم على ما أنا عليه و أصحابي ، أراد عليه السلام بأصحابه أهل بيته عليهم السلام .

يدل على ذلك ما رواه محمد بن الحسن الصفار - رحمه الله - في كتاب بصائر الدرجات (١) بإسناده « عن مولينا الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه ، و ما لم يكن في كتاب الله و كانت فيه سنة مني لا عذر لكم في ترك سنتي ، و ما لم يكن فيه سنة مني فمأقار أصحابي فخذوه ، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثال النجوم ، بأيها أخذ اهتدى فبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، و اختلاف أصحابي لكم رحمة ، قيل : يا رسول الله من أصحابك ؟ قال : أهل بيتي . »

و أيضاً فإن أهل بيته صلوات الله عليهم كانوا على منهاجه عليه السلام و طريقته دون سائر الصحابة ، إلا قليلاً منهم كما يظهر من التتبع لأحوالهم و سيرهم ، و سند ذكر نبذاً من ذلك في كتاب آداب الشيعة و أخلاق الإمامة من ربيع العادات إن شاء الله تعالى . و قوله عليه السلام : « و اختلاف أصحابي لكم رحمة » يعني به اختلافهم عليهم السلام في أجوبة أسئلة الناس على حسب درجاتهم و مراتبهم و اختلاف عقولهم و تفاوت أفهامهم ، فإنهم عليهم السلام كانوا مكلفين أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، و هذا رحمة من الله سبحانه لعباده (٢) ، وليس المراد اختلافهم عليهم السلام فيما بين أنفسهم فإن أقوالهم و أفعالهم جميعاً واحدة ، فقد ظهر أن الفرقة الناجية من هذه الأمة ليست إلا من تمسك بحبل القرآن و سفينة أهل البيت عليهم السلام و تابعهم و شابعهم و والاهم و سلك طريقتهم في العلم والعمل ، و أخذ اعتقاداته الدينية ، و أعماله الشرعية منهم عليهم السلام لأن الحق معهم و فيهم و أهل البيت أدري بما في البيت ، و أمّا ما ورد في اختلاف الأمة فله معنى آخر كما يدل

(١) الجزء الاول الباب السادس .

(٢) لعل المراد بالاختلاف الاياب والذهاب كما في قوله تعالى « ان في اختلاف الليل والنهار » أي في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر وفي الزيارة الجامعة « ومختلف البلائكة » أي موضع نزولهم وترددهم و اياهم و ذهابهم وهذا يقال له بالفارسية (آمد و شد ، رفت و آمد ) كما في الخبر الذي يأتي عن الاحتجاج .

عليه ما رواه الشيخ الطبرسي - رحمه الله - في كتابه الاحتجاج (١) « عن عبد المؤمن الأنصاري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن قوماً رَوَوْا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اختلاف أمتي رحمة » فقال : صدقوا ، قلت : إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال : ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنما أراد قول الله عزَّ وجلَّ : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ ويختلفوا إليه ويتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم إنما أراد اختلافهم في البلدان ، لا اختلافاً في الدين إنما الدين واحد . »

قال مولانا الصادق عليه السلام : « كلُّ علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل ، وأشار بيده إلى بيته ، وقال عليه السلام لبعض أصحابه : إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فإننا روينا وروينا شرح الحكمة وفصل الخطاب ، إن الله اصطفانا وآمانا مالم يؤت أحداً من العالمين » (٢) .

وقال عليه السلام : « أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً ، وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح مفتاحاً ، وجعل لكل مفتاح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله ، ومن أنكره أنكر الله ، ذلك رسول الله ونحن » (٣) .

وقال عليه السلام : « إن العلماء ورثة الأنبياء وذلك أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » (٤) .

« وقال رجل من أهل البصرة لمولينا الباقر عليه السلام : إن الحسن البصري يزعم أن

(١) ص ١٩٤ من طبع النجف و ص ١٨٦ من طبع طهران و رواه أيضاً الصدوق

في معاني الاخبار ص ١٥٧ .

(٢) مروي في البصائر عن أبي جعفر عليه السلام راجع الباب الثامن عشر من الجزء العاشر .

(٣) بصائر الدرجات الجزء الاول الباب الثالث .

(٤) البصائر الجزء الاول الباب السادس .

الذين يكتبون العلم يؤذي ربح بطونهم أهل النار ، فقال ﷺ : فهلك إذا مؤمن آل فرعون ، و ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً ﷺ فليذهب الحسن يميناً و شمالاً فوالله لا يوجد العلم إلا ههنا .

كل ذلك مروى في بصائر الدرجات بأسانيد متعددة <sup>(١)</sup> ، و الأخبار في هذه المعاني كثيرة .

### ﴿ فصل ﴾

قال صاحب كشف الغمّة عليّ بن عيسى الإربلي <sup>(٢)</sup> : إن الله سبحانه و له الحمد لما هداني إلى الصراط المستقيم ، و سلك بي سبيل المنهج القويم ، و جعل هواي في آل نبيّه ، لما اختلفت الأهواء ، و رأيي فيهم حين اضطربت الأراء و ولائي لهم إذ تشعب الولاء ، و دعائي بهم إذ تفرّق الدعاء ، تلقّيت نعمته تعالى بشكر دائم الأمداد ، و حمد متصل اتصال الآباد ، و اتخذت هديهم شريعة و منهاجاً ، و مذهبهم سلماً إلى نيل المطالب و معراجاً ، و حبّهم علاجاً لداء هفواتي إذا اختار كل قوم علاجاً ، و صرّحت بموالاتهم إذا ورى غيري أوداجي ، فهم ﷺ عدّتي و عتادي ، و ذخيري الباقية في معادي ، و أنسي إذا أسلمني طبيبي ، و انقضى تردد عوادي ، و هدائي إذا جار الدليل و حار الهادي ، أحد السبيين اللذين من اعتلق بهما فقد فازت قداحه ، و ثابتي الثقلين اللذين من تمسك بهما أسفر عن حمد السرى صباحه <sup>(٣)</sup> ، محبتهم عصمة في الأولى و العقبى ، و مودّتهم واجبة بدليل « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » من أطاعهم فقد أطاع الله و راقبه ، و من عصاهم فقد جاهره بالعناد و حاربه ، و نصب نفسه دريئة <sup>(٤)</sup> لعقابه و عذابه ، حين ناصبه

(١) راجع ص ٣ و ٤ و ص ١٣٤ و ١٣٦ من البصائر .

(٢) في مقدمة كتابه .

(٣) مر معناه في ص ٥٠ .

(٤) الدريئة : ما يستتر به الصائد ليخدع الصيد .

جبال العلوم الراسخة ، و قلل الفخار الشاخنة ، و غرر الشرف الباذخة <sup>(١)</sup> ، إذا انتسبوا  
عدوا المصطفى و المرتضى ، و إذا فخرُوا على الأملاك انقادت و أعطت الرضى ، و إن جادوا  
بخلوا السحاب المطر ، و أخجلوا العباب الزاخر ، و إن شجعوا أرضوا الأسمر الذابل ،  
و الأبيض الناضر ، و إن قالوا نطقوا بالصواب و أتوا بالحكمة و فصل الخطاب ، و عرفوا  
كيف تؤتى البيوت من الأبواب و طبّقوا المفصل في الابتداء و الجواب ، و ما عسى أن  
تبلغ المدائح و إلى أين تنتهي الأفكار و القرائح ، و كيف تنال الصفات قدر قوم أثنى عليهم  
القرآن و مدحهم الرحمن ، فهم خيرته من العباد ، و صفوته من الحاضر و الباد ، بهم تقبل  
الأعمال ، و تصلح الأحوال ، و تحصل السعادة و الكمال .

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً \* تمسّك في أخراه بالسبب الأقوى  
هم القوم فاقوا العالمين مآثراً \* محاسنها تجلى و آياتها تروى  
بهم عرف الناس الهدى فهداهم \* يضلّ الذي يقلي و يهدي الذي يهوى  
موالاتهم فرض و حبّهم هدى \* و طاعتهم قربى و ودّهم تقوى  
« انتهى كلامه » و نعم ما قيل :

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً \* يقيك غداً حرّاً الجحيم عن النار  
فخلّ حديث الشافعيّ و مالك \* و أحمد و النعمان عن كعب أخبار  
و وال أناسا قولهم وحديثهم \* روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

و قد أتمى أئممتنا عليهم السلام من علوم الدين و تفسير الكتاب و السنّة و معالم الحلال  
و الحرام بأمر كثير ، و من إزاحة الشبه و إزالة البدع بجمّ غفير ، كلّ ذلك ببيان  
و برهان ، و حجة يبلغ إليها أفهامنا ، و يقبلها عقولنا بحيث لا نشكّ فيها ولا نستريب ،  
و قد ضبط أصحابنا - شكر الله سعيهم - أحاديثهم عليهم السلام و نقلوها رجالاً عن رجل إلى أن  
وصلت إلينا فالحمد لله الذي أوضح بهم عن دينه و أبلغ بهم عن سبيل مناهجه ، و فتح بهم  
عن باطن ينابيع علمه و جعلهم مسالك لمعرفته ، و معالم لدينه ، و حجاباً بينه و بين خلفه ،  
و الباب المؤدّي إلى معرفة حقّه ، أطلعهم على المكنون من غيب سرّه ، كلّما مضى منهم

(١) الباذخ : الفاخر ، العظيم ، المرتفع . و في بعض النسخ [ الشاذخة ] و هي غرة

الفرس إذا انتشرت من الناصية إلى الأنف فالفرس أشدّخ و لعلها انصب .

إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً بيناً وهادياً نيراً وإماماً قيماً يهدون بالحق<sup>١</sup> و به يعدلون، حجج الله ودعائه و رعايته على خلقه، يدين بهداهم العباد ويستهل بنورهم البلاد<sup>(١)</sup>، جعلهم الله حياة للأنام، ومصاييح للظلام، ومفاتيح للكلام و دعائم للإسلام، وجعل نظام طاعته و تمام فرضه التسليم لهم فيما علم، و الرد إليهم فيما جهل، وخطر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون و منعهم جحد ما لا يعلمون لما أراد تبارك و تعالي استنقاذ من شاء من خلقه من ملمات الظلم، ومغشيات البهم كل ذلك من فضل الله علينا و على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

### ﴿ فصل ﴾

كل ما ليس له بيان في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في كلام أهل بيته - صلوات الله عليهم - من أمر الدين فينبغي السكوت عنه ، و عدم الخوض فيه ، و رد علمه إلى الله و رسوله و أولي الأمر من أهل بيته ﷺ فإن من حق الله سبحانه على العباد أن يقولوا ما يعلمون و ينفقوا عند ما لا يعلمون كذا قال مولانا الباقر عليه السلام<sup>(٢)</sup> . و قال مولانا الصادق عليه السلام : « إياك أن تفتي الناس برأيك أو تدّين بما لا تعلم ففيها هلك من هلك »<sup>(٣)</sup> .

و في وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام : « ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف ، و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالتك فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال » .

و فيها أيضاً « و اعلم يا بني إن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله و الافتصار على ما فرض الله عليك ، و الأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك ،

(١) أى يتنور بنورهم .

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٣ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٢ بتقديم وتأخير .

و الصالحون من أهل بيتك ، فإنيهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك بما لم يكلّفوا . فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلّم لا بتورط الشبهات و علو الخصومات ، و ابدء قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك ، و الرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة<sup>(١)</sup> ، أو أسلمتك إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفى قلبك فخشع وتم رأيك واجتمع و كان همك في ذلك همّاً واحداً فانظر فيما فسرت لك . و إن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك و فراغ نظرك و فكرك فاعلم أنك إنما تخبط العشواء ، و تتورط الظلماء<sup>(٢)</sup> ، و ليس طالب الدين من خبط و خلط ، و الإمساك عن ذلك أمثل .

فتفهّم يا بني وصيتي و اعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، و أن الخالق هو المميت ، و أن المفني هو المعيد ، و أن المبتلي هو المعافي ، و أن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعله الله عليه من النعماء ، و الابتلاء ، و الجزء في المعاد ، و ما شاء مما لا تعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت كنت جاهلاً ثم علمت ، و ما أكثر ما تجهل من الأمر و يتحير فيه رأيك ، و يضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك و رزقك و سواك ، و ليسكن له تعبدك و إليه رغبتك و منه شفقتك .

و اعلم يا بني أن أحداً لم ينبي عن الله تعالى كما أبقأ عنه نبينا ﷺ فارض به رائداً<sup>(٣)</sup> ، و إلى النجاة قائداً ، فإنني لم آلك نصيحة ، و إنك لم تبلغ في النظر لنفسك و إن اجتهدت مبلغ نظري لك - الحديث ،<sup>(٤)</sup> . و لنقتصر في هذا الباب على ما ذكر ، و الله الموفق .

(١) الشائبة هي ما يشوب الامر من شك و حيرة . و الايلاج : الادخال .

(٢) العشواء : الضعيفة البصر و نصب على المصدر أى تخبط تخبط العشواء فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه . و تورط الرجل في الامر : دخل فيه على صعوبة ليس له التخلص منه .

(٣) الرائد من ترسله في طلب الكلاء ليتعرف موقعه .

(٤) نهج البلاغة ابواب الكتب تحت رقم ٣١ .

## ﴿الباب الثاني﴾

### ﴿في التوحيد﴾

اعلم أن في الآفاق والأفلاك وما خلق الله من شيء آيات مبينات ، ودلائل واضحات على وجوده سبحانه و وحدانيته والهيته وسائر صفاته من وجوه مختلفة وطرق شتى ، وقد وقعت الإشارة إلى نبذ منها في القرآن المجيد للتنبيه والإرشاد ، وأولى ما يستضاء به من الأنوار ، ويسلك من طريق الاعتبار هو ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان ، قال الله عز وجل حكاية عن الرسل صلوات الله عليهم : « أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » (١) .

وقال عز وجل : « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (٢) .

وقال الله سبحانه : « إن الله فالحق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنسى تؤفكون » فالحق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم \* وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون \* وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون \* وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دائية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير

(١) إبراهيم : ١٠٠ .

(٢) البقرة : ١٦٤ .



متشابه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، (١) .  
 وقال عز وجل : « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل  
 لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون \*  
 إن في اختلاف الليل والنهار و ما خلق الله في السماوات و الأرض لآيات لقوم  
 يتقون ، (٢) .

وقال جل جلاله : « وهو الذي مد الأرض و جعل فيها رواسي و أنهاراً و من  
 كل الثمرات .... إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (٣) » و في الأرض قطع متجاورات  
 و جنت من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفصل بعضها  
 على بعض في الأكمل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، (٤) .

وقال عز اسمه : « و إن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين  
 فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين \* و من ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون منه  
 سكرأ و رزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون \* و أوحى ربك إلى النحل أن  
 اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون \* ثم كلي من كل الثمرات  
 فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في  
 ذلك لآية لقوم يتفكرون ، (٥) .

و قال جل ثناؤه : « ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا  
 الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، (٦) .

و قال جل ذكره : « و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون \*  
 و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودةً و رحمةً

(١) الانعام : ٩٥ الى ٩٩ . (٢) يونس : ٥ و ٦ .

(٣) الرعد : ٣ ، و تمام الآية : « وهو الذي مد الأرض و جعل فيها رواسي و أنهاراً  
 و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم  
 يتفكرون » .

(٤) الرعد : ٤ . (٥) النحل : ٦٦ الى ٦٩ .

(٦) النحل : ٧٩ .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْسِلُكُمْ فِي الْبَرِّ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ، (١) .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَ اللَّهُ أَنْبَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يَعْبُدُكُمْ فِيهَا وَيَخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا » ، (٢) .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ \* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ \* » - إِلَى قَوْلِهِ - نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ، (٣) .

وَقَالَ تَعَالَى شَأْنُهُ : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا \* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا \* وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا \* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا \* وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا \* وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا \* وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا \* لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا \* وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا » ، (٤) .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّنْبِيهَاتِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى مَسْكَةٍ إِذَا تَأَمَّلَ فِي مَضْمُونِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَ أَدَارَ نَظَرِهِ عَلَى عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، عِلْمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَجِيبَ وَ التَّرْتِيبَ الْمَحْكَمَ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ صَانِعٍ يَدَبِّرُهُ وَ فَاعِلٍ يَحْكُمُهُ .

## ﴿فصل﴾

سَأَلُ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ » قَالَ : عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَ نَقْضِ الْهَمَمِّ لَمَّا هَمَمْتُ فَحِيلَ بَيْنِي وَ بَيْنَ هَمِّي ، وَ عَزَمْتُ فَخَالَفَ الْقَضَاءُ وَ الْقَدَرُ عَزْمِي ،

(١) الروم : ٢٠ إلى ٢٥ . (٢) نوح : ١٧ و ١٨ .

(٣) الواقعة : ٥٨ و ٥٩ و ٧٣ . (٤) النبأ : ٦ إلى ١٦ .

علمت أن المدبّر غيري<sup>(١)</sup>، ومثله عن مولينا الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وسئل مولانا الرضا عليه السلام «ما الدليل على حدث العالم؟ قال: إنك لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك»<sup>(٣)</sup>.

وسئل عارف بهم عرف ربك؟ فقال: بواردات ترد على القلوب فتعجز النفس عن تكذيبها.

وسئل أعرابي عن مثل ذلك فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام تدل على المسير، فالسماء ذات أبراج، والأرض ذات فجاج، أما تدلان على الصانع اللطيف الخبير؟

وقال السيد الجليل علي بن موسى بن طاووس - رحمه الله - في وصايا لابنه: إني وجدت كثيراً ممن رأيتهم وسمعت به من علماء الإسلام قد ضيقوا على الأنام ما كان سهله الله جلّ جلاله ورسوله ﷺ من معرفة مولاهم ومالك دنياهم وأخراهم، فإنك تجد كتب الله - جلّ جلاله - السالفة والقرآن الشريف مملوءاً من التنبيهات على الدلالات على معرفة محدث الحادثات ومغيّر المتغيّرات ومقلب الأوقات؛ وترى علوم سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ وعلوم من سلف من الأنبياء - صلوات الله عليهم - على سبيل كتب الله جلّ جلاله المنزلة عليهم في التنبيه اللطيف والتشريف بالتكليف؛ ومضى على ذلك الصدر الأول من علماء المسلمين إلى أواخر أيام من كان ظاهراً من الأئمة المعصومين عليهم السلام فإنك تجد من نفسك بغير إشكال أنك لم تخلق جسداً ولا روحاً ولا حياتك ولا عقلك ولا ما خرج من اختيارك من الآمال والأحوال والآجال، ولا خلق ذلك أبوك ولا أمك ولا من تقلبت بينهم من الآباء والأُمّهات لأنك تعلم يقيناً أنهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات، ولو كان لهم قدرة على تلك المهمّات ما كان قد حيل بينهم وبين المرادات، وصاروا من الأموات، فلم يبق مندوحة أبداً عن واحد منزّه عن إمكان المتجدّدات خلق

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ٢٩٨.

(٢) التوحيد ص ٢٩٩.

(٣) التوحيد ص ٣٠٤.

هذه الموجودات وإنّما يحتاج أن يعلم ما هو عليه جلّ جلاله من الصفات ، ولا أجل شهادة العقول الصريحة و الأفهام الصحيحة بالتصديق بالصانع أطبقوا جميعاً على فاطر و خالق ، وإنّما اختلفوا في ماهيته و حقيقة ذاته و في صفاته بحسب اختلاف الطرائق . قال : و إنّي وجدت قد جعل الله جلّ جلاله في بعثتي حكماً أدر كته عقول العقلاء ، فجعلني من جواهر و أعراض ، و عقل روحاني ، و نفس و روح ، فلو سألت بلسان الحال الجواهر التي في صورتي هل كان لها نصيب في خلقي و فطرتي لوجدتها تشهد بالمعجز و الافتقار و أنّها لو كانت قادرة على هذا المقدار ما اختلفت عليها الحادثات و التغيرات و التقلّبات ، و وجدتها معترفة أنّها ما كان لها حديث في تلك التدبيرات ، و أنّها ما تعلم كيفية ما فيها من التركيبات و لا عدد و لا وزن ما جمع فيها من المفردات ، و لو سألت بلسان الحال الأعراض لقلت : أنا أضعف من الجواهر لأنني فرع عليها فأنا أفقر منها لحاجتي إليها ، و لو سألت بلسان الحال عقلي و روحي و نفسي لقالوا جميعاً : أنت تعلم أن الضعف يدخل على بعضنا بالنسيان و بعضنا بالمولوت و بعضنا بالذلّ و الهوان ، و أنّنا تحت حكم غيرنا ممّن يقلّبنا كما يريد من نقص إلى تمام و من تمام إلى نقصان ، و يقلّبنا كما يشاء مع تقلّبات الأزمان ، فإذا رأيت تحقيق هذا من لسان الحال و عرفت تساوي الجواهر و الأعراض ، و تساوي معنى العقول و الأرواح و النفوس في سائر الموجودات و الأشكال تحققت أنّ لنا جميعاً فاطراً و خالقاً منزّهاً عن عجزنا و افتقارنا و تغيرنا و انتقالنا و تقلّباتنا ، و لو دخل عليه نقصان في كمال أو زوال كان محتاجاً و مقتضياً مثلنا إلى غيره بغير إشكال ، و قد تضمّن - كما ذكرت لك - كتاب الله جلّ جلاله و كتبه التي وصلت إلينا و كلام رسول الله ربّ العالمين و كلام أليك أمير المؤمنين و كلام عترتهما الطاهرين عليهم السلام من التنبيه على دلائل معرفة الله جلّ جلاله بما في بعضها كفاية لذوي الأبواب و هداية إلى أبواب الصواب ، فانظر في كتاب نهج البلاغة و ما فيه من الأسرار و انظر كتاب المفصل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار ، و انظر كتاب الإهليلجة و ما فيه من الاعتبار .

## ﴿ فصل ﴾

وربما يقال : إن التصديق بوجوده تعالى أمر فطري ولذا ترى الناس عند الوقوع في الأهوال و صعاب الأحوال يتوكلون بحسب الجبلة على الله و يتوجهون توجهاً غريزياً إلى مسبب الأسباب و مسهل الأمور الصعاب ، وإن لم يتفطنوا لذلك ويشهد لهذا قول الله عز وجل : « و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنَّ الله » (١) « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين \* بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون » (٢) .

وفي تفسير مولانا العسكري رحمته الله « أنه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله فقال للسائل : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال : بلى ، قال : فهل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك و لاسباحة تغنيك ؟ قال : بلى ، قال : فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطك ؟ قال : بلى ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجى و على الإغاثة حين لا معيذ » (٣) .

قيل : و في قوله سبحانه : « ألسنت بر بكم » (٤) إشارة لطيفة إلى ذلك فإنه سبحانه استفهم منهم الإقرار بربوبيته لوجوده تنبيهاً على أنهم كانوا مقرين بوجوده في بداية عقولهم و فطرة نفوسهم ، و لهذا أيضاً بعث الأنبياء كلهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا : لا إله إلا الله و ما أمروا أن يقولوا : لنا إله ، فإن ذلك كانت مجبولة في فطرة عقولهم و مبده نشوءهم .

و روى الشيخ الصدوق - رحمه الله - بإسناده الصحيح « عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « حنفاء لله غير مشركين به » (٥) و عن الحنيفية ،

(١) لقمان : ٢٥ .

(٢) الانعام : ٤٠ و ٤١ .

(٣) ورواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في المعاني ص ٤ .

(٤) الاعراف : ١٧٢ .

(٥) الحج : ٣١ . والخبر في التوحيد ص ٣٤٣ . و صدره في المحاسن ص ٢٤١ .

فقال : هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها « لا تبدل لخلق الله » ؟ قال : فطرهم الله على المعرفة ، قال زرارة : و سألته عن قول الله عز وجل : « و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم - الآية - » <sup>(١)</sup> قال : أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ ، فعرّهم و أراهم صنعه ، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه ؛ و قال : قال رسول الله ﷺ : كلّ مولود يولد على الفطرة ، يعني على المعرفة بأنّ الله عز وجل خالقه ، فذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله » .

و في روايات أخر بأسانيد مستفيضة « الفطرة هي التوحيد » <sup>(٢)</sup> .

و بإسناده عن ابن عمر « قال : قال رسول الله ﷺ : لا تضربوا أطفالكم على بكاؤهم فإنّ بكاؤهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله ، و أربعة أشهر الصلّاة على النبي وآله ﷺ و أربعة أشهر الدعاء لوالديه » <sup>(٣)</sup> . و في الكافي ما يقرب منه .

أقول : و لعلّ السرّ في ذلك أنّ الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عز وجلّ الذي فطر على معرفته و توحيد فبكاؤه توسّل إليه و التجاء به سبحانه خاصّة دون غيره فهو شهادة له بالتوحيد ، و أربعة أشهر أخرى يعرف أمّه من حيث أنّها وسيلة لاغتذائه فقط لا من حيث أنّها أمّه ، و لهذا يأخذ اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدّة غالباً فلا يعرف فيها بعد الله إلا من هو وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الذي هو مكلف به تكليفاً طبعياً من حيث كونها وسيلة لا غير ، و هذا معنى الرسالة ، فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادة بالرسالة ، و أربعة أشهر أخرى يعرف أبويه و كونه محتاجاً إليهما في الرزق فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة فافهم .

و في الحديث المشهور « كلّ مولود يولد على الفطرة و أبواه يهودانه وينصرانه

(١) الاعراف : ١٧٢ .

(٢) راجع كتاب التوحيد للصدوق - رحمه الله - ص ٣٤١ باب فطرة الله عز وجل

الخلق على التوحيد .

(٣) في التوحيد ص ٣٤٣ . ونحوه في الكافي ج ٦ ص ٥٣ .

و يمجّسّاه « (١) .

و سئل بعض أهل المعرفة و التوحيد عن الدليل على إثبات الصانع فقال : لقد أغنى الصباح عن المصباح .

و سيأتي كلام في هذا الباب لأبي حامد في كتاب المحبّة و الأئس من ربيع المنجيات إن شاء الله تعالى .

### ﴿ فصل ﴾

و هو الله سبحانه واحد لا شريك له إن « لو كان معه إلهٌ لذهب كلُّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون » كذا قال الله عزّ وجلّ<sup>(٢)</sup> يعني لو تعدّد لتميّز صنع بعضهم عن بعض فيستبدّ كلٌّ بملكه ، ووقع بينهما التعارب و التغالب كما هو حال ملوك الدنيا .

وسئل مولانا الصادق عليه السلام « ما الدليل على أن الله واحد ؟ قال : اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عزّ وجلّ : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا »<sup>(٣)</sup> أراد عليه السلام بذلك أنّه لو تعدّد لم يرتبط الموجودات بعضها ببعض بل اختلّ النظام و فسدت السماوات والأرضون .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصايا لابنه الحسن : « و اعلم يا بني أنّه لو كان لربك شريك لأتتكَ رسله و لرأيت آثار ملكه وسلطانه و لعرفت أفعاله و صفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضادّه في ملكه أحد ولا يزال أبداً »<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الكاف ، والمبدوق صدره في التوحيد ص ٣٤١ .

(٢) إشارة الى آية ٩١ من سورة المؤمنون .

(٣) الانبياء : ٢٢ . والخبر في التوحيد ص ٢٥٤ .

(٤) نهج البلاغة كتاب ٣١ .

وروى الصدوق<sup>(١)</sup> بإسناده عن شريح بن هاني «قال : إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إن الله واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسيم القلب ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم ، ثم قال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام ، فوجهان منها لا يجوز أن على الله عز وجل ، ووجهان يثبتان فيه ، فأما اللذان لا يجوز أن علىه فقول القائل : « واحد » يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد ، أما ترى أنه كفر من قال : ثالث ثلاثة . و قول القائل : « هو واحد من الناس » يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه ، وجل ربنا وتعالى عن ذلك . وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : « هو واحد ليس له في الأشياء شبه » كذلك ربنا . وقول القائل : « إنه ربنا عز وجل أحدي المعنى » يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنا عز وجل » .

قوله عليه السلام : « ليس له في الأشياء شبه » قد مر ما يدل عليه وسيأتي أيضاً ما يؤكده ، وأما قوله عليه السلام : « إنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم » فالدليل عليه أنه لو انقسم لكان محتاجاً فإن كل ذي جزء فإتما هو بجزئه يتقوم و بتحقيقه يتحقق وإليه يقتصر وهو الله عز وجل غني عن العالمين ، وأيضاً لو كان ذا جزء لكان جزؤه متقدماً عليه وأولاً له فيكون الجزء أولى بأن يكون إلهاً منه تعالى عن ذلك .

### ﴿فصل﴾

وهو الله عز وجل فرد لا ند له ولا نظير ، صمد لا شبه له ولا وزير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لأن المساواة في الرتبة نقصان في الكمال ، والاستعانة بالغير مع استلزامها العجز معرضة للزوال وبهذا يتبين أن له سبحانه سائر صفات الكمال

(١) في التوحيد ص ٦٦ .



من دون استفادة ولا آلة و كلال ، لأنَّ النقص والعجز والفاقة لا يليق بالرب المتعال ، فهو جلَّ اسمه سميعٌ بغير أصمخة وآذان ، بصيرٌ لا بحدقة وأجفان كما أنَّه سبحانه يفعل بغير جارحة ، و يتكلَّم بغير لسان ، كيف لا يكون سميعاً بصيراً ؟ والسمع والبصر كمال ، فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أشرف وأتمَّ من الصانع ؟ وكيف يعتدل القسمة مهما وقع النقص في جنبه والكمال في خلقه وصنعه ؟ أو كيف يستقيم حجة إبراهيم عليه السلام على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وعبثاً فقال له : « لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » <sup>(١)</sup> ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لأصبحت حجته داحضة ، ودلالته ساقطة ، ولم يصدق قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » <sup>(٢)</sup> تعالى ربنا وتقدس ، بل لا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، لا يعزب عن علمه مسموع وإن خفي ، ولا مبصر وإن دق ، فيسمع السرَّ والنجوى ، و يشاهد ما تحت الثرى ؛ ويعلم حركة الذرِّ في جوِّ الهواء ، وديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، بل ما هو أدقُّ من ذلك وأخفى ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، و يعلم ما في البرِّ والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، وما تخرج من ثمرة من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ، يعلم ما تحمل من أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكلُّ شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، <sup>(٣)</sup> يطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، لا يجري في الملك ولا في الملكوت شيء إلاَّ عنده خبره ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم لأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزيّن بالترتيب ولو في الشيء الحقير اللطيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف .

(٢) الانعام : ٨٣ .

(١) مريم : ٤٢ .

(٣) من قوله : « ولا يعزب عن علمه مثقال » الى هنا اقتباس من القرآن بتصرف ما .

## ﴿فصل﴾

وهو جلّ اسمه متكلمٌ مع من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، فعّال لما يشاء كما يشاء ، قديرٌ على ما يشاء كيف يشاء ، مريدٌ للكائنات كما يشاء ، مدبّرٌ للحادثات على ما يشاء ، هو المبدئ المعيد ، والفعال لما يريد ، لا رادٌ لحكمه ، ولا معقبٌ لقضائه ، ولا حول عن معصيته إلّا بتوقيفه ، ولا قوّة على طاعته إلّا بمعونته وإرادته ، وما يشاؤون إلّا أن يشاء الله ، مع كلّ شيءٍ لا بمقارنّة ، وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ، ولا خمسة إلّا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم ، وهو معكم أينما كنتم .

قال عزّ وجلّ : « وإذا سئلك عبادي عني فإني قريب » <sup>(١)</sup> « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » <sup>(٢)</sup> « ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكلّ شيءٍ محيط » <sup>(٣)</sup> « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » <sup>(٤)</sup> .

وفي الحديث « ولو أتكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله » ، وليس معيّنته بممازجة ولا مداخلّة ولا حلول ولا اتّحاد ولا معيّة في درجة الوجود ، ولا في الزمان ، ولا في المكان ، ولا في الإشارة ، ولا ما يشبه هذه ، تعالى الله عن ذلك كلّهُ علوّاً كبيراً .

روى الشيخ الصدوق <sup>(٥)</sup> بإسناده الصحيح « عن مولينا الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ : « الرحمن على العرش استوى » <sup>(٦)</sup> قال : استوى من كلّ شيءٍ ، فليس شيءٌ أقرب إليه من شيءٍ ، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، استوى من كلّ شيءٍ . وفي الكافي بإسناده مثله .

(١) البقرة : ١٨٦ . (٢) ق : ١٦ . (٣) فصلت : ٥٤ .

(٤) البقرة : ١١٥ .

(٥) في كتاب التوحيد ص ٣٣١ . والكليني - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص ١٢٨ .

(٦) طه : ٥ .

وفيه بإسناده<sup>(١)</sup> عن الهادي النقي<sup>(ع)</sup> قال : الأشياء كلها له سواء علماً وقدره وملكاً وإحاطة .

وعن أمير المؤمنين<sup>(ع)</sup> « لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ، و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً »<sup>(٢)</sup> .

وقال<sup>(ع)</sup> : « علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين ، وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى »<sup>(٣)</sup> .

وعن الباقر<sup>(ع)</sup> « كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون فعله به قبل كونه كعلمه به بعد كونه »<sup>(٤)</sup> .

وعن الصادق<sup>(ع)</sup> « لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور »<sup>(٥)</sup> .

وعن الرضا<sup>(ع)</sup> « له معنى الربوبية إذ لا مربوب ، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس

(١) الكافي ج ١ ص ١٢٦ تحت رقم ٤ . ونظيره مروي عن أبي عبد الله عليه السلام في التوحيد ص ١٢٢ .

(٢) نهج البلاغة صدر الخطبة الرابعة والستين .

(٣) نهج البلاغة قطعة من خطبة له عليه السلام تحت رقم ١٦١ .

(٤) رواء الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٧ تحت رقم ٢ .

(٥) الكافي ج ١ ص ١٠٧ تحت رقم ١ : والتوحيد ص ١٢٩ . وقوله « كان المعلوم » أي وجد . وقوله : « وقع العلم على المعلوم » أي وقع على ما كان معلوماً في الازل وانطبق عليه وتحقق مصداقه ، وليس المقصود تعلقه به تعلقاً يمكن قبل الابد ، والمراد بوقوع العلم على العلوم العلم به على انه حاضر موجود وقد كان قد تعلق العلم به قبل ذلك على وجه الغيبة وانه سيوجد والتغيير يرجع الى المعلوم لا الى العلم . ( قال العلامة المجلسي ) .

منذ خلق استحقَّ معنى الخالق ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البرائية<sup>(١)</sup> كيف ولا تعينه  
« مذ » ولا تدنيه « قد » ولا يحجبه « لعل » ، ولا يوقته « متى » ، ولا يشمله « حين » ،  
ولا يقارنه « مع » - الحديث - ، (٢) .

## ﴿ فصل ﴾

« وهو الله سبحانه أحدي المعنى » ليس بمعاني كثيرة مختلفة ، يسمع بما يبصر ،  
و يبصر بما يسمع ، كذا عن الباقر عليه السلام (٣) .

وقيل للصادق عليه السلام : « إن رجلاً ينتحل موالاةكم أهل البيت يقول : إن الله  
تبارك وتعالى لم يزل سمياً بسمع ، و بصيراً ببصر ، و عليمًا بعلم ، و قادراً بقدرة . فغضب  
عليه السلام ثم قال : من قال بذلك و دان به فهو مشرك و ليس من ولايتنا على شيء ، إن الله  
تبارك و تعالى ذات علامة سمعية بصيرة قادرة » (٤) .

و عن الرضا عليه السلام « من قال ذلك و دان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس  
من ولايتنا على شيء ، ثم قال عليه السلام : لم يزل الله عز و جل عليمًا قادراً حياً قديماً  
سميعاً بصيراً لذاته ، تعالى عما يقول المشركون و المشبهون علواً كبيراً » (٥) .

و عنه عليه السلام « أنه سئل خلق الله تعالى الأشياء بقدرة أم بغير قدرة ؟ فقال : لا يجوز  
أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت : خلق الأشياء بالقدرة . فكأنك قد جعلت

(١) في بعض النسخ من الحديث « معنى البرائية » .

(٢) الخبر مروي في عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٨٦ من طبع نجم الدولة و ص ١٥٢

من الطبع الحروف في الحديث تحت رقم ٥١ . وفي بعض النسخ « ولا تغيبه مذ » وفي بعضها  
« ولا يقاربه مع » .

(٣) التوحيد : ص ١٣٤ .

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ١٣٣ .

(٥) رواه الصدوق - رحمه الله - في العيون الباب الحادي عشر تحت رقم ١٠ و

التوحيد ص ١٣٠ .

القدرة شيئاً غيره وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء وهذا شرك» (١).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام «كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال : فيم فقد ضمّنه ، ومن قال : على م فقد أخلّى منه - الحديث - » (٢).

وكلماته عليه السلام في نعته سبحانه وتنزيهه كثيرة وقد أوردنا طرفاً منها في كتاب علم اليقين .

### ﴿فصل﴾

وهو الله عزّ اسمه قديم لم ينزل ، وباق لا يزال ، وحي لا يموت ، وقيوم لا يفوته شيء ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحداً ، لا تبلغه العقول والأفكار ، ولا تدركه البصائر والأبصار ، تنزه ذاته عن الأمكنة والجهات ، وتقديس وجوده عن الأزمنة والحركات ، وتعالى عن الاتحاد والحلول ، وتبارك عن التغيّر والأفول ، سرمديّ ليس له مضاء . وحقّ بحث لا يتطرق إليه بطلان ولا فساد ، كذلك الله ربنا إذ من كان بخلاف ذلك فهو إما ناقص أو عاجز أو محتاج ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه» (٣).

و عن الباقر عليه السلام «هل سمّي عالماً وقادراً إلا لأنه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين وكل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود»

(١) العيون الباب السابق تحت رقم ٧ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى .

(٣) رواء الصدوق في التوحيد ص ٦٣ عن أبي عبد الله عليه السلام .

إليكم ، و الباري تعالى واهب الحياة ، و مقدّر الموت ، و لغلّ النمل الصغار تنوهم أن  
 لله زبائنين فأنهما كمالها ، و تتصور أن عدمهما نقصان لمن لا يكونان له ، هكذا حال  
 العقلاء فيما يصفون الله تعالى به فيما أحسب وإلى الله المفرج .

### ﴿ الباب الثالث ﴾

#### ﴿ في العدل ﴾

إن الله عزّ وجلّ لا يفعل القبيح لأنّه سبحانه تعالى عالمٌ بقبحه ، قادرٌ على  
 تركه ، غير محتاج إلى فعله ، كيف و لو فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده و وعيده  
 و أنبيائه و رسله ، تعالى و تقدّس عن ذلك « فما ربك بظلام للعبيد » ، « ولا يرضى  
 لعباده الكفر » ، « و لن يخلف الله وعده » ، و كلّ ما يفعله فأنّما يفعله لحكمة و مصلحة ،  
 و إن كان جلّ اسمه غنيّاً عن العالمين ، و إذ لا يفعل الظلم و القبيح فما حجب علمه عن  
 العباد فهو موضوعٌ عنهم فلا يحتجّ عليهم إلا بما آتاهم و عرفهم كما قال عزّ و جلّ :  
 « و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا » <sup>(١)</sup> « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
 الرسل » <sup>(٢)</sup> فيقولوا : « لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك » <sup>(٣)</sup> « و ما كان الله ليضلّ  
 قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبين لهم ما يتّقون » <sup>(٤)</sup> قال الصادق عليه السلام : « يعني حتّى  
 يعرفهم ما يرضيه و ما يسخطه ، و قال في قوله عزّ و جلّ : فألهمها فجورها و تقويها » <sup>(٥)</sup> :  
 يبين لها ما تأتّي و ما تترك . و في قوله عزّ و جلّ : « إنّنا هديناه السبيل إمّا شاكرّاً  
 و إمّا كفوراً » <sup>(٦)</sup> : عرفناه إمّا آخذاً و إمّا تاركاً . « و هديناه النجدين » نجدي الخير  
 والشر <sup>(٧)</sup>

(١) الاسراء : ١٥ . (٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) طه : ١٣٤ . (٤) التوبة : ١١٥ .

(٥) الشمس : ٨ . (٦) النمر : ٣ .

(٧) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص ١٦٣ تحت رقم ٣ و ٤ و ٥ .

وفي التوحيد للصدوق ص ٤٢٢ .

## ﴿ فصل ﴾

إنَّ اللهَ عزَّ و جلَّ أرحمُ بخلقِهِ من أن يجبرهم على الذنوب ثمَّ يعذبَ بهم عليها كما قال سبحانه : « ذلك بما قدَّمت أيديكم وأنَّ اللهَ ليس بظالمٍ للعبيد » (١) و هو جلَّ جلاله أعزُّ من أن يريد أمراً فلا يكون كما قال جلَّ وعزَّ : « وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله » (٢) فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين كما قال مولانا الصادق عليه السلام ، (٣) قال : « و مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيتَه فلم ينته فتركتَه ففعل تلك المعصية ، فليس حيث لم يقبل منك فتركتَه كنت أنت الذي أمرته بالمعصية » .

و قال الرضا عليه السلام : « إنَّ اللهَ عزَّ و جلَّ لم يطع بالأكراه ، و لم يعص بغلبة ، و لم يهمل العباد في ملكه ، و هو المالك لما ملَّكهم ، و القادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادراً و لا منها مانعاً ، و إن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينه و بين ذلك لفعل و إن لم يعمل و فعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، » (٤) .  
و قال الباقر عليه السلام : « في التوراة مكتوب باموسى إنَّي خلقتك واصطفيتك وقويتك و أمرتك بطاعتي و نهيتك عن معصيتي فإن أطعنتي أعنتك على طاعتي و إن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنَّة عليك في طاعتك ولي الحجة عليك في معصيتك لي » (٥) .  
و قال الصادق عليه السلام : « إنَّ الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجلٌ يزعم أنَّ الله أجبر الناس على المعاصي فهذا قد أغلظ الله في حكمه فهو كافر ؛ و رجلٌ يزعم أنَّ الأمر مفوضٌ إليهم فهذا قدوهن الله في سلطانه فهو كافر ؛ و رجلٌ يقول : إنَّ الله كلَّف العباد ما يطيقون ، و لم يكلفهم ما لا يطيقون ، و إذا أحسن حمد الله ، و إذا أساء استغفر الله فهو مسلم بالغ » (٦) .

(١) آل عمران : ١٨٢ .

(٢) الانسان : ٣٠ .

(٣) الكافي ج ١ ص ١٦٠ تحت رقم ١٣ .

(٤) التوحيد ص ٣٧٠ .

(٥) رواه الصدوق - رحمه الله - في الامالى ص ١٨٥ . وفي اعتقاداته الباب التاسع .

(٦) التوحيد ص ٢٢٠ .

و الكلام في القدر منهي عنه وهو سر من أسرار الله . قال الصادق عليه السلام : « إن الله عز وجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم » (١) .  
وسئل عليه السلام عن الرقي هل يدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي من القدر ، (٢) .

### ﴿ فصل ﴾

إن الله سبحانه لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم لأنه عز وجل لطيف بعباده ، رؤوف بهم ، وهو العزيز الحكيم ، قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٣) وفي الحديث القدسي « وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ؟ وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صححت جسمه لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإنني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم فإني عليم خبير » (٤) .  
وفيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام « أن يا موسى ما خلقت خلقاً أحب إليّ من عبدي المؤمن وإني أبتليه لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر عبدي فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضواني وأطاع أمري » (٥) .  
و ليعلم أن الله جلّ جلاله لم يكلف عباده إلاّ دون ما يطيقون كما قال : « لا يكلف

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في كتاب اعتقاداته وأيضاً في كتاب التوحيد ص ٣٧٣ .  
والكراچكي في كنز الفوائد ص ١٧١ .

(٢) رواه الحميري في قرب الاسناد ص ٤٥ . (٣) البقرة : ١٨٥ .

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ٤٠٩ .

(٥) التوحيد ص ٤١٦ .



الله نفساً إلا وسعها ، (١) «و الوسع دون الطاقة ألا ترى أنه كلفهم في كل يوم و ليلة خمس صلوات و كلفهم في كل مائتي درهم خمسة دواهم و كلفهم حبة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك ، (٢) كذا قال مولانا الصادق عليه السلام .

### ﴿ فصل ﴾

إن الله عز وجل لم يفرغ من الأمر كما زعمته اليهود (٣) بل هو كل يوم في شأن ، يخلق و يرزق و يفعل ما يشاء « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ولا يمحو إلا ما كان ، ولا يثبت إلا ما لم يكن ، و إلا لبطل الدعاء و الدواء و الصدقة وغيرها و ليس له بداء ندامة تعالى الله عن ذلك .

قال الصادق عليه السلام : « ما بعث الله نبياً قط حتى يأخذ عليه الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد ، و إن الله عز وجل يؤخر ما يشاء ويقدم ما يشاء » (٤) .  
و قال أيضاً : « إن الله لم يبد له من جهل و قال : ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له » (٥) .

و قال مولانا الباقر عليه السلام : « العلم علمان فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلفه و علم علمه ملائكته و رسله فما علمه ملائكته و رسله فإنه سيكون ، لا يكذب نفسه ولا ملائكته و لا رسله و علم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء ويثبت ما يشاء » (٦) .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) رواء البرقي - رحمه الله - في المعاسن ص ٢٩٦ .

(٣) إشارة الى قوله تعالى : قالت اليهود يدا الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان - الآية - « البائدة : ٦٤ .

(٤) التوحيد : ٣٤٤ ، والكافي ج ١ ص ١٤٧ تحت رقم ٣ .

(٥) الكافي ج ١ ص ١٤٨ تحت رقم ٩ .

(٦) الكافي ج ١ ص ١٤٧ تحت رقم ٦ . والمعاسن للبرقي ص ٢٤٣ .

## ﴿ الباب الرابع ﴾

### ﴿ في النبوة ﴾

لما ثبت أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عننا وعن جميع ما خلق ولم يجز أن يشاهده خلفه ولا يلامسه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ، وهم وسائط بينه وبينهم ، أسمع من جانب وألسنة إلى آخر ، يأخذون من الله ويعطون الخلق ، يتعلمون من لدنه ويعلمون الناس ، ويدلونهم من عنده إلى مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والنهون عن الحكيم العليم في خلقه وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم وإن شاركهم في الخلق والتركيب لئلا يبعدوا عنهم كل البعد ، بل يناسبوهم بعض المناسبة ويأنسون بهم بعض الأُنس كما قال الله عز وجل : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » (١) ولا بد من تخصصهم بآيات من الله سبحانه دالة على أن شريعتهم من عند ربهم العالم القادر الغافر (٢) المنتقم ليخضع الناس لهم ويلزم لمن وقف لها أن يقر بتقدّمهم ورئاستهم وهي المعجزة ، وكما لا بد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر ، ورحمة الله لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً لحاجة الخلق فنظام العالم لا يستغني عنهم يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة ، نعم من لم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيساً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شكّت فيه وهو الروح كيف يترك الخلاق كلهم في حيرتهم وشكهم وضلالتهم ؟ لا يقيم لهم هادياً يردون إليه شكهم وحيرتهم قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٣) وقال عز وجل : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٤) .

(١) الانعام : ٩ . (٢) كذا ولعل المناسب « القاهر » .

(٣) الحديد : ٢٥ . (٤) الجمعة : ٣ .

## ﴿ فصل ﴾

يجب أن يكون النبي منزهاً عن كل ما يدنس به ويشينه من الغلظة و الغلظة و سوء الخلق و الحسد و البخل و دناءة الآباء و عهرا الأمهات <sup>(١)</sup> و الاثوثة و الخنوثة و العمى و العرج <sup>(٢)</sup> و ما شابه ذلك ، وأن يكون معصوماً عن الذنوب كبائرهما و صفائرها ، كل ذلك لئلا يتنفس عنه الطباع ، بل تطيعه طوعاً و رغبة و كيف يذنب النبي و أصول الذنوب منحصرة في أربعة : الحرص ، و الحسد ، و الغضب ، و الشهوة ، و لا يجوز أن يكون حرصاً على الدنيا و هي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص ، و لا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه و ليس فوقه أحد ، و لا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا بأن يكون غضبه لله تعالى في إقامة الحدود و نحوها ، و لا أن يتبع الشهوات و يؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا <sup>(٣)</sup> فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً يوخّر وجهاً حسناً لوجه قبيح ، و طعاماً طيباً لطعام مر ، و ثوباً ليناً لثوب خشن ، و نعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية - كذا قال هشام بن الحكم من أصحابنا في عصمة الإمام <sup>(٤)</sup> . و قال بعض العلماء : العارف شجاع و كيف لا ؟ و هو بمعزل عن تقيّة الموت ، و جواد و كيف لا و هو بمعزل عن محبة الباطل ؟ و صفاح و كيف لا ؟ و نفسه أكبر من أن يخرجها زلة بشر ، و نساء للأحقاد و كيف لا ؟ و ذكره مشغول بالحق . انتهى فكل ما ورد في القرآن و الحديث من نسبة الذنوب إلى الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام

(١) المهر : الفجور ، و العاهر الزاني .

(٢) العرج - معرّكة - : أن تطول إحدى الرجلين على الأخرى أو أن يصيب شيء

فيضع صاحبها .

(٣) في بعض النسخ [ كما حبب إليه الدنيا ] .

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في العيون و العلل و المعاني و الإمالى كما في البحار

فهو مأول كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في نصوص مستفيضة ، وأنهم عليهم السلام لما كانوا مستغرقين في طاعة الله عز وجل فاذا اشتغلوا أحياناً عن ذلك ببعض المباحات زيادة على الضرورة عد ذلك ذنباً في حقهم عليهم السلام هكذا ينبغي أن يعتد في المصطفين الأخيار سلام الله عليهم .

و في مصباح الشريعة <sup>(١)</sup> د عن الصادق عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل مكن أنبياءه من خزائن لطفه و كرمه و رحمته ، و علمهم من مخزون علمه ، و أفردهم من جميع الخلائق لنفسه ، فلا يشبه أخلاقهم و أحوالهم أحداً من الخلائق أجمعين إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه ، و جعل حبهم و طاعتهم سبب رضاه ، و خلافهم و إنكارهم سبب سخطه و أمر كل قوم بالتباعد ملة رسولهم ، ثم أي أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم و تبعيلهم ، و معرفة حبهم و حرمتهم و وقارهم و تعظيمهم و جاههم عند الله ، فعظم جميع أنبياء الله تعالى و لا تنزلهم منزلة أحد من دونهم ، و لا تتصرف بعقلك في مقاماتهم و أحوالهم و أخلاقهم إلا ببيان محكم من عند الله و إجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بها فضائلهم و مراتبهم ، و أتى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله تعالى و إن قابلت أقوالهم و أحوالهم <sup>(٢)</sup> بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم ، و أنكرت معرفتهم ، و جهلت خصوصيتهم بالله و سقطت عن درجة حقائق الإيمان و المعرفة فإياك ثم إياك .

### ﴿فصل﴾

الأنبيا أفضل من الملائكة و لهذا أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام قال الله عز وجل : « إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين » <sup>(٣)</sup> و قال نبينا عليه السلام لعلي عليه السلام : « يا علي إن الله تبارك و تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين و فضلني على جميع النبيين و المرسلين ، و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمة من بعدي ، و إن الملائكة لخدائنا و خدام محبيننا -

(١) الباب الثامن والستون ص ٤٥ .

(٢) في بعض النسخ [ أقوالهم و أفعالهم ] . (٣) آل عمران : ٣٣ .

الحديث - (١) .

و قد ورد أن عدد الأنبياء ﷺ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وعدد أوصيائهم كذلك (٢) إذ لكل نبي وصي أوصى إليه بأمر الله عز وجل وكلهم جاؤوا بالحق من عند الحق فإن قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، وأنهم لن ينطقوا إلا عن الله و وحيه ، وسادتهم خمسة وهم الذين عليهم دارت الرجا وهم أصحاب الشرائع وأولوا العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وهو سيدهم وأفضلهم وخاتمهم ، لا نبي بعده ، ولا تبديل لمثلته ، ولا تغيير لشريعته ، كما قال الله عز وجل : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣) « جاء بالحق » وصدق المرسلين ، (٤) وإن الذين كذبوا به لذائقوا العذاب الأليم ، وإن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الفائزون ، والله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد وأوصيائه الأئمة ﷺ ، وإتباعهم أحب الخلق إليه ، وأكرمهم عليه ، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وأن الله بعثه إلى الأنبياء ﷺ في الذكر كما قال عز وجل : « هذا نذير من النذر الأولى » (٥) فسائر الأنبياء أمته وإتباعهم أعطى الله كل نبي ما أعطى على قدر معرفته بنبيته ﷺ وسبقه إلى الإقرار به ، وإتباعه ما خلق له ولأهل بيته صلوات الله عليهم ولولاهم لما خلق الله آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد في كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة من ربح العبادات : « اعلم

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في العيون والعلل وكمال الدين كما في البحار

ج ٧ ص ٣٥٣ (طبع الكباني) .

(٢) رواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ١٧٢ وأيضاً في الامالي ص ١٤٢ .

(٣) الاحزاب : ٤١ .

(٤) النجم : ٥٦ .

(٥) الصافات : ٣٧ .

أَنَّ مَنْ شاهد أحوال نبيِّنا ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره الدالة على أخلاقه و أفعاله و أحواله و آدابه و عاداته و سجاياه و سياسته لأصناف الخلق و هدايته إلى ضبطهم و التألف بينهم و قوده إليهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسولة و بدائع تدبيراته في مصالح الخلق و محاسن إشاراته في تفصيل مسائل الشرع الذي يعجز الفقهاء و الفضلاء عن إدراك دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب و لا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية و أن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس ، بل كانت شمائله و أحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العرب القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف بمن يشاهد أخلاقه و يمارس في جميع مصادره و موارده ، وقد آتاه الله جميع ذلك و هو لم يمارس العلم ، و لم يطالع الكتب ، و لم يسافر قط في طلب العلم ، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيمناً ضعيفاً مستضعفاً فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب و معرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله و ملائكته و كتبه و رسله و غير ذلك من خواص النبوة ؟ لولا صريح الوحي و من أين لبشر الاستقلال لذلك ، فلولم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية ، و قد ظهر من معجزاته و آياته ما لا يستريب فيه محصل كانشقاق القمر ، و نبوع الماء من بين أصابعه ، و إطعام الكثير من الطعام القليل ، و غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، و منها القرآن العزيز الباقي إلى آخر الدهر الذي تحدى به بلغاء الخلق و فصحاء العرب ، و كان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة مثله إن شكوا ، و قال لهم : «لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً»<sup>(١)</sup> و قال ذلك تعجيزاً لهم ، فعبجروا عن ذلك و صرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل و نساءهم و ذراريهم للسبي و ما استطاعوا أن يعارضوا و لا أن يقدحوا في جزالته و حسنه إلا أن قالوا : « إن هذا إلا سحر يؤثر » و « سحر مستمر » و نحوذ ذلك .

أقول : و قد اشتمل القرآن على وجوه كثيرة من الإعجاز غير البلاغة و قد ذكرناها في كتابنا المسمى بعلم اليقين مع تفاصيل سائر المعجزات .

### ﴿فصل﴾

القرآن كلام الله و وحيه و قوله و كتابه « لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، و أنه القصص الحق » و أنه قول فصل و ما هو بالهزل ، و إن الله تبارك و تعالى محدثه و منزله و ربه و حافظه و هو المهيمن على الكتب كلها ، و أنه حق من فاتحته إلى خاتمته ، نؤمن بمحكمه و متشابهه ، و خاصه و عامه ، و وعده و وعيده و ناسخه و منسوخه ، و قصصه و أخباره ، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله .

و جميع ما جاء به نبينا ﷺ هو الحق المبين الذي لا مرية فيه ، و من أنكر شيئاً منه بعد إقراره بأنه مما جاء به فقد كفر ، و منه حكاية المعراج كما ذكره الله عزّ وجلّ بقوله : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، » (١) و بقوله عزّ وجلّ « ثمّ دنا فتدلى \* فكان قاب قوسين أو أدنى - الآيات - » (٢) و قد أخبر النبي ﷺ بعد رجوعه منه بما ظهر منه صدقه و حقيقته ، و نبوة نبينا ﷺ عامة لجميع الناس كما قال الله عزّ وجلّ : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً ، » (٣) بل للجنّ و الإنس كما قال عزّ وجلّ : « أجيئوا داعي الله و آمنوا به ، » (٤) حكاية عنهم ، و كما أنه ﷺ سيّد الأنبياء فكذلك أوصياؤه خير الأوصياء ، و كتابه خير الكتب و المهيمن عليها كلها ، و دينه خير الأديان و ناسخها ، و أمّته خير الأمم و أوسطها كما قال عزّ وجلّ : « كنتم خيراً أمة أخرجت للناس ، » (٥) و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً ، » (٦) .

(١) الاسراء : ٢٠ .

(٢) النجم : ٩ و ١٠ .

(٣) سبأ : ٢٨ .

(٤) الاحقاف : ٣٠ .

(٥) آل عمران : ١١٠ .

(٦) البقرة : ١٤٣ .

## ﴿ الباب الخامس ﴾

### ﴿ ( في الامامة ) ﴾

أن ما ذكرناه في بيان الاضطرار إلى النبي فهو بعينه جار في الاضطرار إلى وصيته وخليفته من بعده إلى ظهور نبي آخر لأن الاحتياج إليهم غير مختص بوقت دون آخر ، وفي حالة دون أخرى ، ولا يكفي بقاء الكتب و الشرائع من دون قيم لها ، عالم بها ، ألا ترى إلى الفرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم كلها إلى كتاب الله لجهلهم بمعانيه وزينغ قلوبهم و تشتت أهوائهم ، فظهر أنه لابد لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل أن ينصب وصياً يودع فيه أسرار نبوته و أسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبي على قومه ، ولئلا يتصرف الأمة في ذلك الكتاب بآرائها و عقولها فتختلف و تزينغ قلوبها كما أخبر الله عز وجل به فقال : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و أخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم » (١) فالرسول و الوصي و الكتاب هو الحجة على الأمة ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة ، و هذا كما فعل آدم بشيث ، و نوح بسام ، و إبراهيم بإسحاق ، و موسى بيوشع ، و عيسى بشمعون ، و نبينا ﷺ بعلي عليه السلام .

و أيضاً وجود الإمام لطف من الله سبحانه بعبيده إذ بوجوده يجتمع شملهم ، و يتصل جبلهم ، و ينتصف الضعيف من القوي ، و الفقير من الغني ، و يرتدع الجاهل ، و يتيقظ الغافل ، قال الله تعالى : « و إن من أمة إلا خلا فيها نذير » (٢) و قال عز وجل : « و لكل قوم هاد » (٣) و قال : « و يوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من

(٢) الفاطر : ٢٣ .

(١) آل عمران : ٦ .

(٣) الرعد : ٧ .



أنفسهم و جئنا بك شهيداً على هؤلاء » (١) .

وقال النبي ﷺ : « في كلِّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين » (٢) فإذا عدم الإمام تعطل أكثر أحكام الدين فينتفي الفائدة المقصودة منها ، و من أجل ذلك أوصى نبينا ﷺ إلى معصوم عدل من أهل بيته طهره الله من الرجس تطهيراً ، و نزهه عن الخطأ ، آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب ، و علمه من لدنه علم ما يحتاج إليه الأمة في كلِّ باب ، و علمه رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح له من كلِّ باب ألف باب ، فخلفه في أمته بعد رحلته بأمر من الله سبحانه و اختيار منه تعالى إياه لئلا يضلوا بعده .

ثم أكد تلك الوصية بالنص عليها مرة بعد أخرى بمشهد من الناس حتى لم يخف ذلك على أحد في زمانه و لا على أولي البصائر من بعده ، و حديث يوم الغدير في ذلك مشهور و أخبار أخرفيه في كثير من الكتب مسطورة ، وأمّا التمسك بالاجماع على خلافة أبي بكر بعد هذه النصوص فمثل كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبית العنكبوت و كيف صحَّ ذلك و الله سبحانه يقول : « و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله و تعالى عما يشركون » (٣) و قال عز وجل : « و ربك يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون » (٤) و معلوم عند أهل البصيرة أن الناس لا يتفق آراؤهم في أمر يسير إلا بنحو من الغلبة أو التقليد فكيف يجوز اتفاقهم جميعاً في هذا الأمر الخطير مع تباينهم الشديد قال الله تعالى : « ولا يزالون مختلفين » (٥) و هب أنهم اتفقوا

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) رواء العميرى في قرب الاستاد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة . وأخرجه

البيهقي في المدخل كما في مشكاة المصابيح ص ٣٦ . وابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار كتاب العلم ص ٥ بادنئ اختلاف ، و روى الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٢ > عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان لنا أهل البيت في كل خلف عدولا - الحديث - . و روى الصدوق في المعاني ص ٣٤ عن النبي (ص) قال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله - الحديث - .

(٤) القصص : ٧٠ .

(٣) القصص : ٦٩ .

(٥) هود : ١١٧ .

فكيف لهم باختيار الأصلح وليس لهم سبيل إلى الإطّلاع على الباطن و مكنون السريّة ، هذا كلّم الله ﷺ مع نبيّه و رسالته و كلامه مع الله اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربّه فرفع اختياره على الأفسد دون الأصلح ، و هذا نبينا ﷺ كان ممّن حوله « منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا يعلمهم » هو بالنفاق فخاطبه الله تعالى بقوله : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » <sup>(١)</sup> فكيف يجوز لآحاد الناس معرفة الأصلح فلعلّهم يختارون منافقاً مضلاً لا يعرفون نفاقه و مكره فيفسد الأمتة بفساد ضميره ، كلاً بل لا يجوز الاختيار إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور و تكن الضمائر وليس إلّا الله عزّ و جلّ ، « و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

و عن السجّاد عليه السلام « الإمام ممّن لا يكون إلّا معصوماً و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ، و لذلك لا يكون إلّا منصوباً » <sup>(٢)</sup> .

و أمّا غيبة بعض الأئمة في بعض الأحيان و عدم تمكّنه من إجراء الأحكام فإنّما ذلك من جهة الرعيّة دون الإمام ، فليس ذلك نقضاً على لطف الله تعالى ، فإنّما على الله إيجاد الإمام للرعيّة ليجمع به شملهم ، فإن لم يمكّنوه من فعله لعدم قابليّتهم و سوء استعدادهم فما على الله من ذلك حجة « فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون » مع أنّ ما في غيبته من الخيرات و الحكم من تضاعيف مثوبات المؤمنين بها المصدّقين بوجود الإمام في أعمالهم الصالحات ما يسهل معها فوات إقامة الحدود و نحوها .

## ﴿فصل﴾

و بعبارة أخرى نقول : يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه و أقربهم إلى الله عزّ و جلّ ، وأن يجمع فيه خصال الخير المتفرقة في غيره ، مثل العلم بكتاب الله تعالى و سنّة رسوله ﷺ ، و الفقه في دين الله تعالى ، و الجهاد في سبيل الله ، و الرغبة فيما عند

(١) التوبة : ١٠١ .

(٢) رواه الصدوق - رحمه الله - في المعاني ص ١٣٢ .

الله ، و الزهد فيما بيد خلق الله إلى غير ذلك من الخيرات ، و أن يكون معصوماً من الزيف و الزلل و الخطأ في القول و العمل ، منزهاً عن أن يحكم بالهوى ، أو يعيل إلى الدنيا لما ذكرناه في النبي ﷺ بعينه ؛ و بالجملة كل ما اشترط في النبي ﷺ من الصفات فهو شرط في الإمام ما خلا النبوة ؛ و قال الصادق عليه السلام : « كل ما كان لرسول الله ﷺ فلنا مثله إلا النبوة و الأزواج » (١) و لا يوصل إلى معرفة هذه الخصال المحمودة ، و الخلال المعدودة إلا بوحي من الله سبحانه إلى رسوله لامتناع الإطلاع على البواطن ، و لذلك أوحى الله تعالى إلى نبينا ﷺ في علي عليه السلام بآية « إنما وليكم الله » (٢) و آية « بلغ ما أنزل إليك » (٣) و غيرهما فإذا ظهر الوحي وجب على الرسول أن ينصّ على من يخلفه بعد وفاته ، إما قولاً كقول نبينا ﷺ : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » (٤) و قوله : « معاشر أصحابي إن علي بن أبي طالب وصيي و خليفتي عليكم في حياتي و بعد مماتي ، و هو الصديق الأكبر ، و الفاروق الأعظم ، الذي يفرق بين الحق و الباطل ، و هو باب الله الذي يوتى منه ، و هو السبيل إليه و الدليل عليه ، من عرفه فقد عرفني ، و من أنكره فقد أنكرني ، و من تبعه فقد تبعني » (٥) و إما فعلاً كفعل نبينا ﷺ بعلي عليه السلام حيث ولّاه سراياه و جيوشه ، و سيرهم تحت رايته ولم يولّ عليه أحداً قط ، ولم يكن كمن سار تحت راية عمرو بن العاص و أسامة بن زيد و غيرهما ، و قد علم أصحابه أنه كان أميراً في جيوشه غير مؤتمر عليه و كيف لا يوصي النبي ﷺ بمثل هذا الأمر العظيم ؟ و قد أمر عامة الناس بالوصية فيما هو أهون من ذلك ، و حشّوا عليها و أكدّ لهم أمرها في الشرائع .

و أما اختلاف أصحاب نبينا ﷺ في أمر الخلافة من بعده فلا دلالة فيه على عدم وقوع النصّ منه ﷺ ، بل إنما كان ذلك لغلبة حب الرئاسة و الحسد على بعضهم ، فاحتالوا لذلك حيلاً و خدائع فلبسوا الأمر على أكثر الناس من بعد وقوع

(١) ما عثرت على أصل له .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٥٥ .

(٤) راجع معاني الاخبار للصدوق - رحمه الله - ص ٦٥ إلى ٧٤ .

(٥) راجع بحار الانوار ج ٩ ( طبع الكباني ) باب النص على امير المؤمنين عليه السلام .

النص الصريح مرة بعد أخرى، وسماعهم ذلك كرامة بعد أولى، فجدوا ما علموه،  
وبدلوا ما سمعوه، وأنكروا ما ثبت في أعناقهم من حق أمير المؤمنين عليه السلام وادّعوا  
التأمر على الناس، وسمّوا زوراً وبتاناً بخلفاء رسول الله ﷺ بغير قدم راسخ في علم  
ولا سبق في فضل، بل بالحيل والغدائع والممالات من أرباب الدخول والأحقاد<sup>(١)</sup>،  
الذين قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الشواهد على ذلك عقدهم للبيعة  
في السقيفة، وما أدراك ما السقيفة!!! أعرضوا عن تغسيل رسول الله ﷺ وتكفينه ودفنه  
والتجسية به، واشتغلوا بتهيئة أسباب الإمارة، وتهيج ذوي الأحقاد على أمير المؤمنين  
عليه السلام، الذين إنما أسلموا خوفاً من سيفه بعد أن قتل آباءهم وأبناءهم بيده في مواقف  
النزال إلى غير ذلك من الأمور المنكرة الشنيعة الفاضحة، ومن تتبّع أخبار العامة  
أنفسهم حق التتبّع، يظهر له عدم تحقق الإجماع على خلافة أبي بكر كما أنه لم يقع  
نص من الله ورسوله عليها، وذلك لأنه لم يشهد حلقة البيعة ذات الغرور، ولم يحضر  
ما سمّي إجماعاً بالزور أجلة الأصحاب ولا مشاهيرهم الكبار، الذين لا يعبؤ إلا بهم  
ولا تعويل إلا عليهم كما اعترف به ثقات المخالفين ورواتهم كصاحب الحق وأهله<sup>(٢)</sup>،  
وعنه العباس وأبنائه، وسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة، وأبي  
بريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن  
التيسهان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، ولا طائفة  
من المعتبرين عندهم كالزبير المبشّر له بالجنة بزعمهم<sup>(٣)</sup> وأسماء صاحب الجيش الذي  
كان أميراً عليهم يومئذ، وسعد بن عباد رأس الأنصار، وابنه قيس، وخالد بن سعيد،  
وزيد بن أرقم، وسعد بن سعيد، وبني حنيفة وغيرهم، وإنما أخذوا البيعة عن بعض  
هؤلاء بالوعيد والتهديد ولو بعد حين، ومنهم من أصرّ على الإنكار إلى يوم الدين،

(١) مالاته على الامرمالة ساعدته عليه. والدخل - محرقة - العيب والفش والفساد.

(٢) يعنى به علياً عليه السلام وأهل بيته صلوات الله عليهم.

(٣) لأنهم عدوا الزير قاطبة من العشرة المبشرة كما في رياض النضرة لمحجب الدين

الطبرى ص ٧ وغيره.

وقد ذكر قتيبة<sup>(١)</sup> من علمائهم في كتابه ثمانية عشر رجلاً ممن ذكرنا قال: وكانوا رافضة. ويشهد لذلك تخالفهم و تنازعهم واستحلال بعضهم دماء بعض و وقوع قتل بعضهم على أيدي بعض كما تواترت به الأخبار ولم يخف على ذوي الأبصار.

قال أبو حامد في كتابه المسمى بسرّ العالمين وكشف الدارين<sup>(٢)</sup> في مقالته الرابعة التي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد الأبحاث و ذكر الاختلافات فيها ما هذه عبارته: « لكن أسفرت الحجة وجهها ، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم غدِير خَمْ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقال عمر بن الخطاب: لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة . فهذا تسليم ورضى وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى و حب الرئاسة و حمل عمود الخلافة و نبوذ العقود في خفقان الهواء في قعقة الرايات ، و اشتباك ازدحام الخيول ، و فتح الأمصار ، و الأمر و النهي ، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشتررون ، و لما مات رسول الله ﷺ قال وقت وفاته : ايتوني بدواة و يمامة لأزيل عنكم مشكل الأمر و أذكر لكم من المستحق لها بعدي . قال عمر : دعوا الرجل فإنه لي بهجر و قيل : يهذي . ثم قال : « فإذا بطل تعلّقكم بتأويل النصوص فعدتم إلى الإجماع و هذا منقوض أيضاً فإنّ العباس و أولاده و عليّاً و زوجته لم يحضروا حلقة البيعة و خالفكم<sup>(٣)</sup> أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي » ، و دخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته فقال : يا بنيّ أيت بعمّك عمر لأوصي له فقال : يا أبت كنت على حقّ أو باطل ؟ فقال عليّ حقّ ، فقال : أوّس بها لأولادك إن كان حقّاً<sup>(٤)</sup> ، ثم خرج إلى عليّ فجرى ما جرى و قوله على منبر رسول الله ﷺ : أقبلوني أقبلوني فلست بخيركم و عليّ فيكم . أقفاله هزلاً ، أو جدّاً ، أو امتحاناً ؟ فإن كان هزلاً فالخلفاء منزّهون عن الهزل ، و إن قاله جدّاً فهو نقض للخلافة و إن قاله امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الإمتحان » انتهى كلامه .

(١) كذا في جميع النسخ التي عندنا و لعل المراد « ابن قتيبة الدينوري » و لكن ما يوجد في « الامامة و السياسة » ولا في « المعارف » هذا الكلام .

(٢) سر العالمين ص ١٥ من طبع طهران .

(٣) كذا و هكذا في الاصل أيضاً و في نسخة من الكتاب « خالفهم » .

(٤) هذا لا يلائم سن محمد .

أقول : و قد صنّف بعض أصحابنا - رحمه الله - كتاباً في بيان وفاة رسول الله ﷺ و ما تقدّم منه من النصّ المتواتر على أهل بيته في وصايته و ما جرى بين الصحابة من التشاجر و الاختلاف في الخلافة بعد وفاته بترتيب حسن و سياق لطيف سمّاه ( التهاب نيران الأحرار ) أوردنا شطراً صالحاً منه في كتابنا الموسوم بعلم اليقين<sup>(١)</sup> من أراد الإطلاع عليه فيرجع إليه .

ثمّ أقول : و مطاعن الثلاثة أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى و كفالك منها تخلفهم عن جيش أسامة مع علمهم بقصد التنفيذ و تأكيده ﷺ ذلك باللعن<sup>(٢)</sup> ، و منع أبي بكر فاطمة عليها السلام فدك مع ادّعاءها النحلة لها و شهادة علي عليه السلام و أمّ أيمن بذلك<sup>(٣)</sup> و عدم تصديقه لهم و تصديقه الأزواج في إدّعاء الحجرة لهنّ من غير شاهد و لهذا ردّها عمر بن عبد العزيز ، و أوصت فاطمة عليها السلام أن لا يصلي عليها فدفنت ليلاً<sup>(٤)</sup> ، و قوله : إنّ له شيطاناً يعتريه<sup>(٥)</sup> ، و قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتنة و قى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه<sup>(٦)</sup> ، و شكّه عند موته في استحقاقه للإمامة<sup>(٧)</sup> ، و عدم معرفته بالأحكام حتّى قطع بسار سارق<sup>(٨)</sup> ، و أحرق رجلاً بالنّار<sup>(٩)</sup> ، و لم يعرف الكلالة

(١) ص ١٤٢ من طبعه الملحق بعين اليقين .

(٢) راجع طبقات ابن سعد طبع ليدن ج ٢ القسم الثاني ص ١٣٦ و ج ٤ القسم الاول ص ٤٦ أيضاً تهذيب ابن عساکر ج ٢ ص ٣٩١ ، و أيضاً كنز العمال ج ٥ ص ٣١٢ .

(٣) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٧٨ الى ١٠٦ نقلها من كتاب السقيفة لابی بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري .

(٤) حلية الاولياء ج ٢ ص ٤٣ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤ ، ارشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٣٦٢ .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧١ . نقله عن ابن سعد . و شرح التجريد للقوشجي ص ٤٠٦ طبع طهران .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٧ ط ١٣٧٥ ، صحيح البخاري كتاب الحدود باب رجم العجلى من الزنى ، كنز العمال ج ٣ ص ١٣٩ ، الصواعق المحرقة ص ٢١ .

(٧) الغدير ج ٧ ص ١٧١ نقله عن كتاب الاموال لابی عبيدة و تاريخ الطبري و مروج الذهب و الامامة و السياسة و العقد الفريد . (٨) سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٧٣ .

(٩) الامامة و السياسة ج ١ ص ١٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٨ .

و لا ميراث الجدّة ، واضطرب في كثير منها (١) ، و لم يحدّد خالداً ولا اقتصر منه (٢) ، و بعثه إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام لما امتنع من البيعة فأضرم فيه النار و فيه فاطمة عليها السلام و جماعة من بني هاشم (٣) ، و ندمه على كشف بيت فاطمة (٤) ، و أمر عمر بوجع امرأة حامل و أخرى مجنونة و أخرى ولدت لستة أشهر (٥) ، فنهاه علي عليه السلام بعد الحجّة و إلا لزام فقال عمر : لولا عليّ لهلك عمر كما قاله في وقائع آخر ، و شكّه في موت النبي صلى الله عليه وآله حتّى تلا عليه أبو بكر : « إناك ميت و إنهم ميّتون » فقال : كاذبي لم أسمع بهذه الآية (٦) ، و قوله : كلّ الناس أئمة من عمر حتّى المخدّرات في الحبال (٧) ، و تغييره كثيراً من حدود الله المذكورة في القرآن بالآي الصراح و سنن رسول الله صلى الله عليه وآله الثابتة بالنصوص المروية عندهم في الصّحاح و ذلك كما مرّ في الوضوء بغسل الرجلين ، و مسح الأذنين ، و المسح على العمامة و الخفين (٨) ، و إيجابه الوضوء مع غسل الجنابة ، و نهيّه عن « حيّ على خير العمل » في الأذان و زيادته « الصلاة خير من

(١) سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٢ ، صحيح البخاري باب ميراث الجد .

(٢) راجع قصة مالك بن نويرة الاصابة ج ١ ص ٣١٤ . اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٣) الامامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح التجريد للقوشجي ص ٤٠٧ .

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٥١ ،

الاختصاص ص ١١١ ، تذكرة السبط ص ٨٧ .

(٦) كنز العمال على متقى ج ٤ ص ٥٣ ، تاريخ الذهبى ج ١ ص ٣١٧ ، طبقات ابن

سعد ج ٢ القسم الثاني ص ٥٣ .

(٧) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٨٣ ، الدر المنثور ج ١ ص ١٣٣ ، و أورده ابن

كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٦٧ ، و شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٣ .

(٨) راجع كتاب الاستبانة لابي القاسم احمد بن موسى المتوفى ٣٥٢ ص ٣٠ و ٣١ .

و لا يقال : انه ورد في كل ذلك أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله لان تلك الاخبار مع

ضعف أكثرها و تعارضها مخالفة للقرآن و قد أمرنا أن نضربها بالجدار .

النوم، في أذان الفجر<sup>(١)</sup>، وتقديمه التسليم الذي للتحليل على الشهود الأول في الصلاة<sup>(٢)</sup>، وحمله الناس على الجماعة في النوافل وعلى صلاة الضحى<sup>(٣)</sup> وجعله التكبير على الجنائز أربعاً<sup>(٤)</sup>، وردّه مقام إبراهيم إلى ما كان في الجاهلية<sup>(٥)</sup> ووضعه الخراج على غير الأرضين<sup>(٦)</sup> وإعطائه غير المستحقين بالدواوين<sup>(٧)</sup> وتغييره صاع النبي ﷺ<sup>(٨)</sup> وحكمه بالعلول والتعصيب في الميراث<sup>(٩)</sup>، وقضاؤه في قطع السارق من معصم الكف<sup>(١٠)</sup> ومفصل الساق خلافاً لما أمر به النبي ﷺ من ترك الكف والعقب<sup>(١١)</sup> وإنفاذه في الطلاق الثلاث المرسلة<sup>(١٢)</sup>، ومنعه عن بيع أمهات الأولاد وإن مات الولد وقال: هذا رأي رأيته<sup>(١٣)</sup>، وعن تزويج غير قریش في قریش والعجم في العرب<sup>(١٤)</sup>،

(١) شرح التجريد للقوشجي الاشعري ص ٤٠٧ من طبع ايران، كتاب الموطأ لابن مالك باب ما جاء في النداء للصلاة، شرح الزرقاني للموطأ حيث قال عند بلوغه الى هذا الحديث: أخرجه الدار قطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال وأخرج عن سفيان عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنه قال لمؤذنه: اذابلت «حي على الفلاح» في الفجر قتل: «الصلاة خير من النوم»، الصلاة خير من النوم». (٢) الاستغاثة ص ٣٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد للنهج ج ٣ ص ١٧٨.

(٤) راجع القدير ج ٦ ص ٢٤٤ نقله عن سنن البيهقي ج ٤ ص ٣٧. وفتح الباري ج ٣ ص ١٥٧ وإرشاد الساري ج ٢ ص ٤١٧.

(٥) تاريخ الخلفاء للسبوطي ص ١٣٧ ذكره في أوليات الخليفة.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٧٨.

(٧) شرح النهج ج ٣ ص ١٥٣، تاريخ الخلفاء ص ١٣٧.

(٨) راجع روضة الكافي ص ٥٩.

(٩) تاريخ الخلفاء ص ١٣٧، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٩.

(١٠) الاستغاثة ص ٤٧.

(١١) الدر المنثور ج ١ ص ٢٧٩، مسند أحمد ج ١ ص ٣١٤.

(١٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٧، الاستغاثة ص ٥١ و ٥٢.

(١٣) الاستغاثة ص ٥٣.



و منعه المتعتين مع اعترافه بأنهما كانتا في عهد رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> ، و منعه أهل البيت عليهم السلام من خمسمهم<sup>(٢)</sup> ، و خرقة كتاب فاطمة عليها السلام<sup>(٣)</sup> ، و جعله الخلافة شورى بين سقة شهد لهم بأنهم من أهل الجنة و أن النبي ﷺ مات وهو عنهم راض ، ثم أمر بضرب أعناقهم جميعاً إن لم يبايعوا واحداً منهم إلى غير ذلك<sup>(٤)</sup> .

و تولية عثمان من ظهر فسقه حتى أحدثوا في أمر المسلمين ما أحدثوا ، و ردّه طلقاء الرسول و إيشاره أهله بالأموال العظيمة<sup>(٥)</sup> و ضربه ابن مسعود حتى مات<sup>(٦)</sup> ، و إحراقه مصحفه<sup>(٧)</sup> ، و ضربه عمار حتى أصابه فتق<sup>(٨)</sup> ، و ضربه أبا ذر ، و نفيه إياه إلى الرّبذة<sup>(٩)</sup> ، و إسقاط الحدّ عن الوليد<sup>(١٠)</sup> ، و القود عن ابن عمر<sup>(١١)</sup> ، و خذلان الصحابة له حتى قتل وقال أمير المؤمنين عليه السلام : قتله الله<sup>(١٢)</sup> و لم يدفن إلى ثلاث . إلى غير ذلك من المناكير التي يحصل بها الجزم بنفاقهم و شقاقهم ، هذا مع ما ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام من النصوص و التصريحات بسببهم و لعنهم و كفرهم ما يكاد يخرج عن حدّ التواتر و لاسيّما شكايات أمير المؤمنين عليه السلام عنهم تصريحاً و تلويحاً في خطبه

- 
- (١) شرح التجريد للقوشجي ص ٤٠٨ ، الدر المنثور ج ٣ ص ١٨٥ ، تفسير الكبير عند قوله تعالى : « فذا استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن » ، مسند احمد ج ١ ص ٥٠ .
- (٢) الكافي ج ٨ ص ٦١ و ٦٣ ، الاستغاثة ص ٤٠ و الدر المنثور ج ٣ ص ١٨٥ .
- (٣) الاختصاص للمفيد ص ١٨٥ .
- (٤) راجع قصة الشورى الامامة والسياسة ص ٢٣ و شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٦٩ و الصواعق ص ١٠٢ .
- (٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٧ .
- (٦) راجع القدير ج ٩ ص ٣ الى ١٤ .
- (٧) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ ، الاستغاثة ص ٦١ .
- (٨) الانساب للبلاذري ج ٥ ص ٤٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥١ .
- (٩) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٨ ، و شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٢٤٠ .
- (١٠) الانساب للبلاذري ج ٥ ص ٣٣ .
- (١١) الشافعي للسيد المرتضى ص ٢٨١ ، شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٢٤٢ .
- (١٢) روضة الكافي ص ٦٧ .

وكلماته في هذا الأمر خاصة .

هذا مع كثرة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وشدّة جهاده وعظيم بلائه في وقائع النبي صلى الله عليه وآله وعدم بلوغ أحد درجته في غزاة بدر والأحزاب وخيبر وحنين وغيرها في شجاعته البالغة وقوّة حنسه وشدّة ملازمته للرسول صلى الله عليه وآله وتربيته إياه مذكّرين الصبا إلى أن خلفه بعده ، ورجوع الصحابة إليه في أكثر الوقائع بعد غلظهم ، واستناد الفضلاء في جميع العلوم إليه ، وكونه أسخاهم وأزهدهم وأعبدهم وأحلمهم ، وأحسنهم خلقاً ، وألقهم وجهاً ، وأقدمهم إيماناً ، وأفصحهم لساناً ، وأصدقهم قولاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدّهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعظمهم عناء ، وأرفعهم نسباً ، وأشرفهم منزلة ، وأقضاهم قضاء ، وأسدّهم رأياً ، وأكثرهم حرصاً على إقامة حدود الله ، وأحفظهم لكتاب الله ، وإخباره بالغيب مراراً ، واستجابة دعائه كثيراً ، وظهور المعجزات عنه ، واختصاصه بالقرابة والأخوة ، وجوب المحبة والنصرة ومساواة الأنبياء عليهم السلام ، ومواساة النبي صلى الله عليه وآله ، وخبر الطائر ، والمنزلة ، والغدير <sup>(١)</sup> ، وحديث الكساء في آية المباهلة والتطهير <sup>(٢)</sup> ، وغيرها ولانتقاء سبق كفره ، وكثرة الانتفاع به ، وتمييزه بالكمالات النفسانية والبدنية والخارجية .

واعلم أن ابتلاء الله سبحانه أنبياءه وأوليائه سنة ماضية في الأمم الخالية ، لم تنزل جرت على منوال واحد ولن تجد لسنة الله تبديلاً وهذا مما يزيل بعض التعجب من ضلال أكثر هذه الأمة عن الصواب وغلبة الباطل على الحق في ظاهر الأسباب فإن آدم كان له ولدان فغلب مبطلهما على محقهما ، وبقيت أمة شيث ومن بعده في تقيّة مغلوبين إلى أن جاءت نبوّة نوح عليه السلام فلم يزالوا عليه مستظهرين وله معاندين إلى أن أهلكهم الله بالفرق الشامل والهلاك الهائل ، وكذا جرى لصالح وهود ولوط عليهم السلام مع أممهم ولا إبراهيم عليه السلام مع نمرود وملوحي عليهم السلام مع فرعون ولعيسى عليه السلام

(١) راجع خصائص النسائي طبع النجف ص ١٩ والتمهيد للباقلاني ، وراجع الغدير أيضاً المجلد الاول والثاني والثالث والصواعق لابن حجر .

(٢) راجع تفسير الكشاف ذيل آية المباهلة ج ١ ص ٢٨٣ وقال الحافظ العسقلاني : أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها وغفل الحاكم فاستدركه .

مع اليهود و ما انفادوا لأحد من الأنبياء ﷺ إلا بالآيات و الفهر و المثلثات ، فأَيُّ أُمَّة استقامت بالسلامة و العافية حتَّى يستقيم هذه الأُمَّة بطاعة الله و طاعة الأئمة و إن شئت أن تسمع شيئاً مما فعله طائفة من الصحابة و التابعين ليكون أُنموذجاً لفعالهم الشيعة فاصنع إلى حديث سليم بن قيس الهلالي<sup>(١)</sup> على ما أورده الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج<sup>(٢)</sup> قال : سليم إن منادي معاوية نادى أن برئت الذمة ممن روى حديثاً من مناقب عليّ و فضل أهل بيته ، وكان أشدُّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد بن أبيه و ضم إليه العراقيين - الكوفة و البصرة - فجعل يتبع الشيعة ، و هو بهم عارف ، يقتلهم تحت كل حجر و مدر و أخافهم و قطع الأيدي و الأرجل و صلبهم في جذوع النخل ، و سمل أعينهم ، و طردهم حتَّى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحدٌ معروفٌ مشهورٌ .

ثم أخذ الناس في الروايات في فضل عثمان و معاوية زوراً على المنبر في كل كورة و مسجد ، و ألفوا ذلك على معلّمي الكتائب فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن و نشأ عليه الصبيان ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم و صارت في أيدي المتنسّكين و المتدينين منهم الذين لا يستحلّون الافتعال بمثلها ، قبلوها و هم يرون أنها حقّ و لو علموا بطلانها و يقننوا أنها مقتلة لأعرضوا عن روايتها و لم يدينوا بها و لم يبغضوا من خالفها فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً و الباطل حقّاً و الكذب صدقاً و الصدق كذباً ، و بالجملة تشبثوا<sup>(٢)</sup> بعد ما هزّر الأمر في فضائل أئمتهم بما لا يدلُّ أكثره على فضيلة مع روايتهم فيهم كل رذيلة بما يلوح من فحوايه مخايل الاختلاق و يفوح من مطاويه رائحة النفاق ، ثم بعد التتبّع يظهر أن ما هو أمثاله إنما وضع في زمن بني أمية طمعاً في الانتفاع بجاه أحدهم و ماله ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له : « و قد كذب علي رسول الله ﷺ في عهده حتّى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثر عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه بعده ثم قال - بعد كلام - :

(١) ص ١٥٣ من طبع طهران و ص ١٥٩ من طبع النجف .

(٢) في بعض النسخ [ تعبثوا ] .

ثم بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإتّما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله .

وقد روت طائفة من العامة <sup>(١)</sup> أن معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثقاً به عند الناس من الصحابة ليضع حديثاً في فضل الخلفاء الثلاثة أو في منقصة أمير المؤمنين عليه السلام ثم يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله على المنبر بمشهد الناس أو يروي ما ورد في فضل علي عليه السلام في فضلهم ، وقدرى ابن أبي الحديد الحنفي المعتبر في شرحه لنهج البلاغة <sup>(٢)</sup> عن أبي جعفر الإسكافي أن معاوية بذل لِسَمُرَةَ بن جُنْدَب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا <sup>(٣)</sup> - الآية - . » وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله <sup>(٤)</sup> » فلم يقبل ، فبذل مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاث مائة ألف فقبل .

وروى الكشي بسند معتبر <sup>(٥)</sup> عن مولينا الباقر عليه السلام أنه قال : « ارتدّ الناس إلا ثلاثة نفر : سلمان ، وأبوذر ، والمقداد ، قال الرّأوي فعمّار ؟ فقال : كان جاض جيزة <sup>(٦)</sup> ، ثم رجع » وفي رواية « ثم ألحق الناس بعد ، كان أوّل من أتاب أبو ساسان الأنصاري ، وعمار ، وأبو عمرة ، وشتير [ة] وكانوا سبعة فلم يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة » .

أقول : المستفاد من الأخبار التي تكاد تبلغ حدّ التواتر أن الناس بعد رسول الله

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦١ .

(٢) ج ١ ص ٣٦١ . (٣) البقرة : ٢٠٤ .

(٤) البقرة : ٢٠٧ . (٥) رجال الكشي ص ٨ .

(٦) جاض - بالجيم والضاد المعجمتين - وقد يقرء بالمهملتين وكلاهما بمعنى العيود والزيغ . كذا ذكره السيد الداماد - قدس سره - في الرواشح السماوية . وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - بعد نقل الخبر عن الكشي : جاض عنه : حادومال وفي بعض النسخ بالمهملتين بمعناه وحاصوا عن العدو : انهزموا .

صَارُوا صَنَفَيْنِ : صَنَفًا مِنْ أَهْلِ التَّدْلِيلِ وَالتَّلْبِيسِ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَهُمْ الَّذِينَ شَيَّبُوا أَرْكَانَ هَذِهِ الضَّلَالَةِ ، وَصَنَفًا مِنْ أَهْلِ الْعَمَى وَالتَّقْلِيدِ ، قَدْ شَبَّهَ لَهُمُ الْأَمْرَ فَدَخَلُوا فِيهِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ تَعْصَبًا لِمَنْ تَوَلَّى وَكَفْرًا ، وَتَقْلِيدًا لِشَيَاطِينِ الْبَشَرِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَكَانَ مَعَهُمْ تِلْكَ الْعُقُولُ السَّقِيمَةُ فَلَا غُرُ أَنْ يَعْدِلُوا عَنِ الطَّرِيقَةِ الْقَوِيمَةِ .

قَالَ أَبُو حَامِدٍ : « لَوْ تَعَذَّرَ وَجُودُ الْوَرَعِ وَالْعِلْمُ فَيَعْنِ تَصَدِّي لِلْإِمَامَةِ وَكَانَ فِي صَرْفِهِ أَثَارَةُ فِتْنَةٍ لَا تَطَاقُ حُكْمُنَا بِانْعِقَادِ إِمَامَتِهِ لِأَنَّا بَيْنَ أَنْ تَحْرُكَ فِتْنَةٌ لَا تَطَاقُ بِالِاسْتِبْدَالِ بِمَا يَلْقَى الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ مِنَ الضَّرَرِ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا يَفُوتُهُمْ مِنْ نَقْصَانِ هَذِهِ الشُّرُوطِ الَّتِي أُثْبِتَتْ لِمُزِيدِ الْمَصْلُحَةِ فَلَا يَهْدِمُ أَصْلَ الْمَصْلُحَةِ شَغْفًا بِمُزَايَاهَا كَالَّذِي يَبْنِي قَصْرًا وَهَدَمَ مِصْرًا وَبَيْنَ أَنْ نَحْكُمَ بِخُلُوعِ الْبِلَادِ عَنِ الْإِمَامِ وَبِفَسَادِ الْأَقْضِيَةِ وَذَلِكَ مُحَالٌ وَنَحْنُ نَقْضِي بِنَفْوَ قَضَاءِ أَهْلِ الْبَغْيِ فِي بِلَادِهِمْ مُسَيِّسَ حَاجَتِهِمْ فَكَيْفَ لَا نَقْضِي بِصَحَّةِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ » .

أَقُولُ : هَذَا إِنَّمَا يَصَحُّ لَوْ أُريدَ بِانْعِقَادِ الْإِمَامَةِ وَصَحَّتْهَا مِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ عَدَمُ وَجُوبِ التَّعَرُّضِ لَهُ بِقَطْعِ يَدِهِ عَنْهَا خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ كَمَا لَا يَتَعَرَّضُ لِسُلَاطِينِ الْوَقْتِ وَإِنْ كَانُوا جَائِرِينَ طَائِفِينَ ، لَا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ صَحَّةَ إِمَامَتِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ بَلْ هُوَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ وَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حَقِّهِمْ : « إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » (١) أُولَئِكَ لِاخْلَاقِ لَهُمْ ، وَهَكَذَا كَانَ الْخُلَفَاءُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ .

## ﴿فصل﴾

قَدْ تَوَاتَرَ لَنَا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّ حُجَّجَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَهُ ﷺ الْأُتَمَّةُ الْاِثْنَا عَشَرَ أَوَّلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ الْحَسَنُ الزَّكِيُّ ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ج ٢ ص ٣٠٩ . وَفِي مُسْنَدِ أَبِي عَوَانَةَ ج ١ ص ٤٦ .

الشهيد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي الزكي، ثم ابنه القائم سمي النبي وكنيته صاحب الزمان وخليفة الله في أرضه في أوأنا، قال النبي ﷺ: «دائنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويل للمتكبرين عليهم بعدي القاطعين فيهم صلتني، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي»<sup>(١)</sup> وقال أيضاً: «بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»<sup>(٢)</sup>.  
وقد استفاد أئمة ذلك من الروايات في كتب العامة فضلاً عن الخاصة وقد نص كل منهم صلوات الله عليهم على من بعده بالامامة وأخبر أصحابه باسمه ونعته وعصمته وقد ثبت طهارتهم وصدقهم جميعاً عند معتبري أهل الإسلام كافة مع اختلافهم واقتراحهم إلى فرق كثيرة، وهذا من أوضح الدلائل على حجييتهم دون غيرهم ممن اختلف في فضله وحاله مع أن ذلك معلوم من التتبع لآثارهم ومعارفهم بحيث لا يبقى للشك فيه مجال.  
قال شيخنا الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه - رحمه الله -<sup>(٣)</sup>: «ومن أوضح الدلائل على إمامتهم أن الله عز وجل جعل آية النبي ﷺ أنه أتى بقصص الأنبياء الماضين ﷺ وبكل علم توراة وإنجيل وزبور من غير أن يكون تعلم الكتابة ظاهراً أو لقي نصرانياً أو يهودياً فكان ذلك أعظم آياته، وقتل الحسين بن علي عليه السلام وخلف علي ابن الحسين عليه السلام متقارب السن كانت سنه أقل من عشرين سنة ثم انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ولا كان يلقاه إلا خواص أصحابه، وكان في نهاية العبادات ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير لصعوبة الزمان وجور بني أمية، ثم ظهر ابنه محمد بن علي المسمى بالباقر لفتحه العلم فأتى من علوم الدين والكتاب والسنة والسير والمغازي بأمر عظيم، وأتى جعفر بن محمد من بعده من ذلك بما كثر وظهر فلم يبق فن من فنون العلم إلا أتى

(١) الاختصاص للمفيد - رحمه الله - ص ٢٠٨، وكمال الدين ١٦٤، والعيون الباب السادس.

(٢) راجع كمال الدين للصدوق - رحمه الله - ص ١٤٩ باب ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم، وإعلام الوري ص ٣٦١ من طبع ١٣٣٨، وغيبة النعماني ص ٥٧.  
(٣) كمال الدين ص ٥٤.

فيه بأشياء كثيرة وفسر القرآن والسنن ورويت عنه المغازي وأخبار الأنبياء عليهم السلام من غير أن يرى هو وأبوه محمد بن علي أو علي بن الحسين عليهما السلام عند أحد من رواة حديث العامة وقهائهم يتعلمون منهم شيئاً في ذلك أدل دليل على أنهم إنما أخذوا ذلك العلم عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام عن واحد واحد من الأئمة وكذلك جماعة الأئمة عليهم السلام هذه سنتهم في العلم ، يسألون عن الحلال والحرام فيجيبون جوابات متفقة من غير أن يتعلموا ذلك من أحد من الناس فأي دليل أدل من هذا على إمامتهم ، وأن النبي صلى الله عليه وآله نصّبهم وعلمهم وأودعهم علمه وعلوم الأنبياء قبله ، وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثل ما ظهر عن محمد بن علي وجعفر بن محمد من غير أن يتعلموا ذلك من أحد من الناس انتهى كلامه - رحمه الله - .

و النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائلهم ومناقبهم أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى سيما في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام فقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو أن الرّياض أفلّام والبحر مداد والجنّ حساب والإس كتاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » (١) .

و سئل بعض أهل العلم عن فضل علي بن أبي طالب فقال : ما أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وعداوة وكتم أوليائه فضائله خوفاً وتقية ثم ظهر من بين الكتمانين فضائل طبقت الخافقين ، (٢) .

و يجب أن يعلم أنهم عليهم السلام أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسبل إليه ، والأدلاء عليه ، وأنهم عيبة علمه ، وأركان توحيده ، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس - يعني الشك - و طهرهم تطهيراً ، وأن لهم الدلائل والمعجزات ، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، وأن مثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق ، وأنهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول

(١) الطرائف لابن طاووس ص ٣٣ . والعلامة في كشف اليقين كما في البحار

ج ٩ باب فضائله عليه السلام .

(٢) هذا الكلام للشافعي على ما هو المشهور راجع الكنى واللقاب للمحدث القمي .

وهم بأمره يعملون ، وأن حبسهم إيمان و بغضهم كفر ، وأن أمرهم أمر الله و نهيم نهي الله ، و طاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله ، و ليسهم ولي الله و عدوهم عدو الله ، و أن الأرض لا يخلو من حجة لله على خلقه إما ظاهر مشهور و إما خائف مغمور و إلا لساخت بأهلها ، و أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، و أن حجة الله في أرضه و خليفته على عبادته في زماننا هذا هو القائم المنتظر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ، و أنه هو الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله عن الله عز و جل باسمه و نعمته و نسبه و كذا أخبر به سائر أهل البيت عليهم السلام و أنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً ، و أنه هو الذي يظهر الله به دينه ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون ، و أنه هو الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض و مغاربها حتى لا يبقى في الأرض مكان إلا نودي فيه بالأذان و يكون الدين كله لله ، و أنه هو المهدي الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنه إذا خرج نزل عيسى ابن مريم عليه السلام يصلي خلفه ، و من جحد إمامة أحدهم فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام . و قال الصادق عليه السلام : «المنكر لا آخرنا كالمنكر لا أولنا» (١) .

و عن النبي صلى الله عليه وآله : «من جحد علياً إمامته بعدي فقد جحد نبوتي و من جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته» (٢) و الغالي فيهم كالمقصّر بل هو أشر و عنهم عليهم السلام «هلك فينا رجلان محب مفترط و مبغض مفترط» (٣) .

## ﴿ فصل ﴾

و من فضل الله عز و جل علينا و لطفه بنا و له الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماماً بعد إمام ظاهراً فينا و إن كان مستوراً على أعدائنا إلى أن انقضى من

(١) رواء الصدوق - رحمه الله - في كتاب اعتقاداته باب ٣٨ .

(٢) روى نحوه الصدوق في المعاني ص ٣٧٢ و راجع أيضاً كمال الدين ص ٢٢٨ و غيبة

التمعاني ص ٦٢ و الكافي ج ١ ص ٣٧٢ .

(٣) راجع المجلد السابع من البحار (طبع الكمباني) ص ٢٤٤ .



الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل للأخير سفراء بعد غيبته إلى قريب من تمام ثلاثمائة وثلاثين سنة و كان أصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها بقدر قابليتهم ورتبتهم ومنزلتهم على اطمينان من قلوبهم و انشراح من صدورهم فأغناهم الله بذلك من حيرة الحيران ، وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الأصول المأخوذة عنهم المشتعلة على أكثر ما يحتاج إليه الناس حتى شذّ مسألة لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم عليه السلام ، وفق له من وفق وله الحمد .

### ﴿ فصل ﴾

حب أولياء الله واجب وكذا بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم سيما من الذين ظلموا آل محمد حقهم و غصبوا ميراثهم و غيروا سنة نبيهم عليه السلام و من الذين نكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة <sup>(١)</sup> وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الشيعة ومن الذي نفى الأختيار وشردهم ، وآوى الظرداء اللعناء ، وجعل الأموال دولة بين الأغنياء ، واستعمل السفهاء ؛ والذي قتل الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين ، ومن أهل الاستيشار ، وأبي موسى الأشعري وأهل ولايته الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولقائه بأن لقوا الله بغير إمامته فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ، فهم كلاب أهل النار .

والولاء لأولياء أمير المؤمنين عليه السلام الذين مضوا على منهاج نبيهم عليه السلام ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي الهيثم بن التيسان ، وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت ، وأبي أيوب الأنصاري ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وأبي سعيد الخدري وأمثالهم ؛ ولأتباعهم وأشياعهم ، المهتدين بهداهم ، السالكين منهاجهم - رضي الله عنهم -

(١) يعني بها عائشة ام المؤمنين .

وأرضاهم هذا كله مروى عن مولينا الرضا عليه وعلى آبائه السلام <sup>(١)</sup>.

## ﴿ الباب السادس ﴾

### ﴿ فى المعاد ﴾

الموت حقٌ و كل نفس ذائقة الموت إلا أن الإنسان خلق للأبد والبقاء للعدم و الفناء فلا يعدم بالموت بل يفرق بين روحه و جسده و ينتقل من دار إلى دار كذا في الحديث النبوي ﷺ <sup>(٢)</sup> و قال الله عز وجل : « لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء » <sup>(٣)</sup> و نادى النبي ﷺ الأشيياء المقتولين يوم بدر يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، ثم قال و الذي نفسي بيده إنهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب ، <sup>(٤)</sup>.

## ﴿ فصل ﴾

المسألة في القبر حق قال الصادق عليه السلام : فمن أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج ، و المسألة في القبر ، و الشفاعة ، <sup>(٥)</sup> و لا يسأل إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً و الباقيون يلهون عنهم و ما يعذبهم فمن أجاب بالصواب فازبروح و ربحان في قبره و بجنة نعيم في الآخرة ، و يسأل و هو مضغوط و ما أقل من يفلت من ضغطة القبر ، وأكثر ما يكون عذاب القبر من سوء الخلق و النميمة و الاستخفاف بالبول

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ما كتب الرضا عليه السلام للمؤمن من محض الاسلام .

و فى الغصائل نحوه عن الصادق عليه السلام كما فى ج ٢ ص ٣٦٨ من البحار (طبع الكلباني) .

(٢) راجع اعتقادات الصدوق - رحمه الله - الباب السادس عشر .

(٣) البقرة : ١٥٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٣٩ ، صحيح البخارى باب قتل أبي جهل ج ٥ ص ٩٧ .

(٥) رواء الصدوق فى الامالى ص ١٧٧ .

و هو للمؤمنين كفارة لما بقي عليهم من الذنوب التي يكفرها الهموم و الغموم والأمراس  
و شدة النزاع عند الموت . كذا عن أهل البيت عليهم السلام . (١)

### ﴿فصل﴾

البعث بعد الموت حقٌ لاقتضاء عدل الله وحكمته إيصال جزاء التكليف إلى العبيد  
و الوفاء بالوعد والوعيد ومؤاخذه الظالم للمظلوم إلى غير ذلك قال الله سبحانه : « أفحسبتم  
أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون » (٢) و قال عز وجل : « إن كنتم في ريب  
من البعث فإنا خلقناكم من تراب - إلى قوله عز وجل - : ذلك بأن الله هو الحق  
و أنه يحيي الموتى و أنه على كل شيء قدير \* و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن  
الله يبعث من في القبور » (٣) و قال عز اسمه : « و لقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين  
- إلى قوله - : ثم إنكم بعد ذلك لميئون \* ثم إنكم يوم القيمة تبعثون » (٤) و قال  
تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » (٥) .  
و قال النبي ﷺ : « يا بني عبد المطلب إن الرائد لا يكذب أهله ، و الذي  
بعثني بالحق لتموتن كما تنامون و لتبعثن كما تستيقظون ، و ما بعد الموت دار إلا  
جنة أو نار » (٦) .

### ﴿فصل﴾

الصراط حقٌ و هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم ينتهي إلى الجنة و عليه يمر جميع  
الخلائق قال الله عز وجل : « و إن منكم إلا واردةا كان علي ربك حتماً مقضياً » (٧) .

(١) راجع المجلد الثاني من الكافي ص ٤٤٦ و اعتقادات الصدوق باب ١٦ .

(٢) المؤمنون : ١١٥ . (٣) الحج : ٥ إلى ٧ .

(٤) المؤمنون ١٢ إلى ١٦ . (٥) الانبياء : ١٠٤ .

(٦) السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٢٧٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٧ .

(٧) مريم : ٧١ .

وعن الصادق عليه السلام: « الصراط أدق من الشعر، وأحد من السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً » (١).

وقال أيضاً: « الصراط هو الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة وتردى في نار جهنم » (٢) يعني أن الإمام هو الطريق إلى معرفة الله والهادي إلى سبيله قولاً وفعلاً، فمن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه واستن بسنته ومرت على الصراط المستقيم الذي مر هو عليه في الدنيا أي طريقته التي هو عليها في الأعمال والأخلاق كما قال الله عز وجل حكاية عن نبينا ﷺ « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه » (٣) فهو الناجي الذي يمر على صراط الآخرة ومن لم يعرفه ولم يهتد إلى طريقته ولم يعمل بها فهو الهالك الذي نزل قدمه عن صراط الآخرة.

وفي حديث آخر عن العسكري عليه السلام « أن الصراط [المستقيم] في الدنيا ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل » (٤).

وهذا أيضاً قريب من ذلك في المعنى بل هما واحد عند التحقيق فإن الاستقامة التي لا عدول عنها إلى شيء من طر في الإفراط والتفريط هي طريقة الإمام عليه السلام.

وعلى الصراط عقبات تسمى بأسماء الأوامر والنواهي كالصلاة والزكاة، والرحم والأمانة ولاية الإمام وغيرها فمن قصر في شيء منها حبس عند تلك العقبة وطولب بحق الله تعالى فيها فإن خرج منه بعمل صالح قدمه أو برحمة تداركته نجى منها إلى عقبة أخرى فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة ويحبس فيسأل حتى إذا سلم من جميعها انتهى إلى

(١) أمالي الصدوق - رحمه الله - ص ١٠٧.

(٢) معاني الأخبار ص ٣٢ تحت رقم ١.

(٣) الانعام: ١٥٣.

(٤) معاني الأخبار ص ٣٣ تحت رقم ٤.

دار البقاء فيحى حياة لاموت فيها أبدأ ، و يسعد سعادة لاشقاوة معها أبدأ ، و إن لم يسلم زلت به قدمه عن العقبة فتردى في نار جهنم - نعوذ بالله منها - .

### ﴿ فصل ﴾

الميزان حقّ والحساب حقّ ، قال الله عزّ وجلّ : « والوزن يومئذ الحقّ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » <sup>(١)</sup> و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » <sup>(٣)</sup> . قال الصادق عليه السلام : « الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء عليه السلام » <sup>(٤)</sup> .

أقول : و شرح ذلك أن الميزان هو المعيار الذي به يعرف قدر الشيء ، و ارتفاع قدر العباد و قبول أعمالهم إنّما هو بقدر إيمانهم بالأنبياء والأوصياء عليه السلام و محبتهم لهم و طاعتهم إياهم في أقوالهم و أفعالهم و أخلاقهم والاعتناء لآثارهم فالقبول الراجح الثقيل من الأعمال ما وافق أعمالهم ، و المرضي الحسن الجميل من الأخلاق و الأقوال ما طابق أقوالهم و أخلاقهم ، والحقّ الصائب السديد من الاعتقادات ما أخذ منهم ، و المرزود منها ما خالف ذلك ، و كلّما قرب من ذلك قرب من القبول و كلّما بُعد بُعد ، فهم إذن موازين الأعمال و العلوم بهذا المعنى ، و الحساب هو جمع تفاريق المقادير و الأعداد و تعريف مبلغها و في قدرة الله عزّ وجلّ يكشف في لحظة واحدة للخلاق حاصل حسناتهم و سيئاتهم و هو أسرع الحاسبين ، و يأبى الله إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضلهم عند العفو و عدله عند العقاب فيخاطب عباده جميعاً من الأولين و الآخرين بمجمل حساب أعمالهم مخاطبة واحدة يسمع منها كلّ واحد قضيته دون غيره و يظنّ أنّه المخاطب دون غيره ، لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة ، و يفرغ من حسابهم جميعاً في مقدار ساعة

(٢) المؤمنون : ١٠٣ .

(١) الاعراف : ٩ .

(٤) معاني الاخبار ص ٣١ .

(٣) الانبياء : ٤٧ .

من ساعات الدنيا ، ويخرج لكلّ إنسان كتاباً يلقاه منشوراً ، ينطق عليه بجميع أعماله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فيجعله الله محاسب نفسه و الحاكم عليها بأن يقال له : « اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » ويختتم الله على أفواههم وتشهد أيديهم و أرجلهم و جميع جوارحهم بما كانوا يكسبون ، و قالوا : لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، فتطير الكتب وتشخص الأَبصار إليها أنقع في اليمين أو في الشمال فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤوا كتابيه وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه ، ثم ينظر إلى الميزان أيعمل إلى جانب السيئات أم الحسنات و هل الحسنات ثقيلة أم خفيفة فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، و من خفّت موازينه فأثمّ هاوية - نعوز بالله منها - .

### ﴿ فصل ﴾

كلّ ما ورد في الشرع من أهوال يوم القيامة وطوله و حرّه و عرق الناس فيه ، و ازدحامهم ، و اختصامهم ، و براءة بعضهم من بعض ، و فرار المرء من أخيه ، وأمه وأبيه و صاحبتة و بنيه ، و السياق ، و إحضار الشهداء ، و المسائلة ، و غير ذلك كما أخبر الله عزّ وجلّ عنه في القرآن وأئمة الهدى عليهم السلام في الأخبار المروية عنهم حقّ وصدق لا ريب فيه ، قال الصادق عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقام ألف سنة ، ثمّ تلا » في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة <sup>(١)</sup> .

و عن زين العابدين عليه السلام « أنّ من كان له عند غيره مظلمة يؤخذ له من حسنات الظالم بقدر حقّه فتزاد على حسناته فإن لم يكن للظالم حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم » <sup>(٢)</sup> .

و عن النبي صلى الله عليه وآله : « هل تدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في الروضة ص ١٤٣ وابن الشيخ - رحمه الله - في أماليه ص ٢٢ و الآية في المعارج : ٤ .

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في حديث طويل في الروضة ص ١٠٦ .

من لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، وإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار ، (١) .

### ﴿ فصل ﴾

الشفاعة حق والحوض حق ، قال النبي ﷺ : « من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أنا له شفاعتي ، ثم قال : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل » (٢) وفي رواية أخرى « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والظلم » (٣) .

وقال ﷺ : « إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر » (٤) وقيل : أقل المؤمنين شفاعته من يشفع لثلاثين إنساناً ، (٥) .

وقال ﷺ : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً » (٦) . وفي الخبر « أن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين عليه السلام يستقي منه أوليائه ويردّ عنه أعداءه » (٧) .

(١) كذا في علم اليقين ص ٢٠٥ ، والمصدر مسند أحمد ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) رواه الصدوق - رحمه الله - في العيون ص ١٣٦ والامالي ص ٥ .

(٣) الخصال أبواب السبعة ج ٢ ص ٩ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢١٢ من حديث الحارث بن أقيس وفي الإصابة بترجمة اويس القرني مثله وفيه « أكثر من تميم » .

(٥) قال الطبرسي - رحمه الله - في ذيل آية ٤٨ من سورة البقرة : جاء في روايات اصحابنا - رضي الله عنهم - عن النبي صلى الله عليه وآله « أن أدنى المؤمنين شفاعته ليشفع في أربعين من اخوانه كل قد استوجبوا النار » .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١٣٣ ، وروى نحوه ابن الشيخ في أماليه ص ١٤٢ .

(٧) روى الصدوق - رحمه الله - في كتاب اعتقاداته ص ٨٥ بعض أخباره .

## ﴿ فصل ﴾

الجنة حقٌ والنار حقٌ، وهما مخلوقتان اليوم بل لا تخرج نفس من الدنيا حتى ترى مكانها من إحداهما . كذا عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم <sup>(١)</sup> ، و الجنة دار البقاء و دار السلامة ، لا موت فيها و لا هرم ، و لا مرض ، و لا سقم ، و لا آفة ، و لا زمانة ، و لا غم ، و لا هم ، و لا حاجة ، و لا فقر ، و هي دار الغناء و السعادة ، و دار المقامة و الكرامة لا يمس أهلها فيها نصب و لا لغوب ، لهم فيها ما تشتهي الأنفس و تلذُّ الأعين و هم فيها خالدون <sup>(٢)</sup> .

و لذاتهم على أنواع منهم المتنعمون بتقديس الله و تسبيحه في جملة ملائكته ، و منهم المتنعمون بأنواع المأكول و المشارب و الفواكه و الأرائك و الحور العين ، و استخدام الولدان المخلدين ، و الجلوس على النمارق و الزرابي ، و لباس السندس و الحرير ، كلٌ منهم إنما يتلذذ بما يشتهي و يريد على حسب ما تعلقت عليه همته ، لا يتغوَّطون و لا يبولون ، و إنما هو جشاً و رشح كالسك ، يلهمون الحمد و التسبيح كما يلهمون النفس ، و يزدادون جمالاً و حسناً كما يزدادون في الدنيا قباحة و هرمًا ، لها ثمانية أبواب عرض كل باب منها مسيرة أربعمئة سنة <sup>(٣)</sup> .

و النار دار الهوان و دار الانتقام من أهل الكفر و العصيان لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها ، لا يذوقون فيها برداً و لا شرباً إلا حميماً و غساقاً ، و إن استطعموا أطعموا من الزقوم ، و إن استغاثوا أغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب و ساءت مرثفقا ، ينادون من مكان بعيد : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيمسك الجواب عنهم أحياتاً ثم قيل لهم : « اخسئوا فيها و لا تكلمون » ، و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنون ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم <sup>(٤)</sup> .

(١) راجع امالى الصدوق ص ٢٧٦ ، التوحيد ص ١٠٥ .

(٢) راجع الامالى ص ١٧٥ ، و سورة الفاطر : ٣٥ ، و الزخرف : ٧١ .

(٣) راجع الخصال ج ٢ ص ٣٩ . (٤) الحجر : ٤٤ .



## ﴿فصل﴾

الجنة لأهل الإيمان الذين لم يذنبوا كبيرة أو تابوا منها أو أدركتهم الشفاعة أو نالتهم الرحمة ، والنار لأهل الشرك والكفر والجحود خلوداً ، ولأهل الكبائر من المؤمنين الذين ما تواروا من غير توبة وروداً من غير خلود لاستحقاقهم الثواب بالإيمان فيخرجون منها بعد استيفاء عذابهم الذي استحقوه بالذنوب التي اكتسبوها بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم ، ومن وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه البتة ولن يخلف الله وعده ومن أو وعده الله على عمل عقاباً فهو بالخيار إن عذبه فبعد له وإن عفا عنه فبفضله ، وقد قال الله عز وجل : « إِنْ أَنْتَ إِلَّا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » (١) . وفي الخبر « أَنْ قَسِمَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » (٢) وذلك لأنَّ حبَّه وبغضه يمتاز أهلوهما فإنَّ حبَّه إيمان وبغضه كفر ، وإنَّما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر كذا عن الصادق عليه السلام (٣) ، رزقنا الله متابعتهم كما رزقنا محبتهم بمنته وجوده .

## ﴿الباب السابع﴾

﴿ في وجه التدرج إلى الارشاد و ترتيب درجات الاعتقاد ﴾

قال أبو حامد : « ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظاً ، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً ، فابتدأه الحفظ ،

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) راجع بصائر الدرجات الجزء الثامن الباب الثاني عشر .

(٣) رواه الصدوق - رحمه الله - في العلل كما في المجلد التاسع من البحار

( طبع الكمباني ) باب انه عليه السلام قسيم الجنة و النار .

ثمّ الفهم ، ثمّ الاعتقاد والإيقان والتصديق به ، وذلك ممّا يحصل في الصبيّ بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان شرحه في أوّل نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرّد والتعليم المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرّد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنّه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقي إليه ، ولا بدّ من تقويته وإثباته في نفس الصبيّ والعاميّ حتّى يترسخ به ولا يتزلزل ، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات ، فلا يزال يقوي اعتقاده ويزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلّة القرآن وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرتهم وحيثاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له ، فيكون أوّل التلقين كالإلقاء بذر في الصدر ويكون هذه الأسباب كالسقي والتربة له حتّى ينمو ذلك البذر ويقوي ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإنّ ما يشوشه الجدل أكثر ممّا يمهده ، وما يفسده أكثر ممّا يصلحه ، بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن يكثّر أجزاؤها ، وربما يقتنها ذلك ويفسدها وهو الأغلب ، والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً ، وناهيك بالعيان برهاناً ، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمتجادلين فتري إعتقاد العاميّ في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق ، وعقيدة المتكلم الحارس واعتقاده بتقسيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفيسه الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا إلّا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً ، ولا فرق بين التقليد في تعلّم الدليل أو تعلّم المدلول ، فتلقن الدليل شيء والاستقلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ، ثمّ الصبيّ إذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه سلم في الآخرة باعتقاد الحقّ إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرف أكثر من التصديق الجزم

بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث و التفتيش و تكلف نظم الأدلة فلم يكلفوا أصلاً ، وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة و ساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل و لازم التقوى ، و نهى النفس عن الهوى ، و اشتغل بالرياضة و المجاهدة انفتح له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقياً لوعده تعالى إذ قال عز و جل : « و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (١) و هو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين و المقربين ، و له درجات بحسب درجات المجاهدة و درجات الباطن في النظافة و الطهارة مما سوى الله تعالى و في الاستضاءة بنور اليقين و ذلك كثافات الخلق في أسرار الطب و الفقه و سائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد و اختلاف الفطر في الذكاء و الفطنة ، فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه .

### ﴿فصل﴾

أقول : و بمن ذهب من علمائنا - رحمهم الله - إلى ما ذكره أبو حامد من اكتفاء العوام بمجملات العقائد و تقليدهم للشرائع أفضل للمحققين ، حجة الفرقة الناجية ، نصير الملة و الدين ، محمد بن الحسن الطوسي - طاب ثراه - فإنه قال في بعض رسائله : « اعلم أيديك الله - أيها الأخ العزيز إن أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ثم إذا صدق الرسول فينبغي أن يصدق في صفات الله و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم ، كل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد و برهان ، أما في الآخرة فبالإيمان بالجنة و النار و الحساب [ و غيره ] ، و أما في صفات الله فبأنه تعالى حي ، قادر ، عالم ، مرید ، كاره ، متكلم ، ليس كمثله شيء ، و هو السميع البصير ؛ ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة هذه الصفات ، و أن الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم بل لولم يخطر بباله حقيقة هذه المسألة حتى مات مات

مؤمناً ولا يجب عليه تعلّم الأدلة التي حرّرها المتكلمون ، بل مهما خطر في قلبه تصديق الحق بمجرّد الإيمان من غير دليل و برهان فهو مؤمن ، و لم يكلف رسول الله ﷺ العرب بأكثر من ذلك ، وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرار العرب وأكثر الناس إلّا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام و حدوثه و معنى الاستواء والنزول وغيره فهو إن لم يأخذ ذلك بقلبه و بقي مشغولاً بعبادته و عمله فلا جرح عليه ، و إن أخذ ذلك بقلبه فإنّما الواجب عليه ما اعتقده السلف يعتقد في القرآن الحدوث كما قال السلف : القرآن كلام الله مخلوق ، ويعتقدان الاستواء حقّاً و الإيمان به واجب و السؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة ، والكيفيّة غير معلومة ، و يؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملّاً من غير بحث عن الحقيقة والكيفيّة ، و إن لم يعتقد ذلك و غلب على قلبه الشكّ والأشكال فإنّ أمكن إزالة الشكّ والأشكال بكلام قريب من الأفهام أزيل و إن لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً ، فذلك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدليل فإنّ الدليل لا يتم إلّا بذكر الشبهة و الجواب ، و مهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبّث بالخاطر و انطبع فيظنّها حقّة لقصوره عن إدراك جوابها إذ الشبهة قد تكون جليّة والجواب دقيقاً لا يحمل عقله ، ولهذا زجر السلف عن البحث و التفتيش و عن الكلام ، و إنّما زجروا ضعفاء العوامّ و أمّا أئمة الدّين فلم يخوضوا في غمرة الاشكالات و منع العوام عن الكلام بجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفاً عن الغرق ، و رخصة الأقوياء فيه بضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة ، إلّا أن ههنا موضع غرور و مزلة قدم ، و هو أن كلّ ضعيف في عقله يظنّ أنّه يقدر على إدراك الحقائق كلّها و أنّه من جملة الأقوياء ، فربما يخوضون و يفرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، و الصواب منع الخلق كلّهم إلّا الشاذّ النادر الذي لا تسمح الأعصار إلّا بواحد منهم أو اثنين من تجاوز سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكلّ ما أنزل الله تعالى و أخبر به رسوله ﷺ فمن اشتغل في الخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل إذ قال رسول الله ﷺ حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتّى احترت وجنتاه : « أفبهذا أمرتم تضربون

كتاب الله بعضه ببعض ؟ انظروا فما أمركم الله به فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا ، (١)  
فهذا تنبيه على منهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب قواعد العقائد فاطلبه منه .  
انتهى كلامه - طاب ثراه -

و من كلام أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال في  
كلام له : « فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والتقى من أصول الدين و حقائق اليقين  
و الرضا و التسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق و مقالاتهم فيصعب عليك ، و قد أجمعت  
الأمة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء ، و أنه عدل في حكمه يفعل ما يشاء  
و يحكم ما يريد ، ولا يقال له في شيء من صناعته : لِمَ ، و لا كان و لا يكون شيء إلا  
بمشيئته ، و أنه قادر على ما يشاء ، و صادق في وعده و وعيده ، و أن القرآن كلامه ، و أنه  
كان قبل الكون و المكان و الزمان ، و أن إحداثه و إفناءه غيره سواء ، ما ازداد بإحداثه  
علماً و لا ينقص بفتائه ملكه ، عز سلطانه و جل سبحانه ، فمن أورد عليك ما ينقض هذا  
الأصل فلا تقبله ، و جرد باطنك لذلك ترى بركاته عن قريب و تفوز مع الفائزين (٢) » .

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : فعلم الجدل و الكلام مذموم كعلم النجوم أو هو  
مباح أو مندوب إليه ؟ فاعلم أن للناس في هذا غلوآ و إسرافاً في أطراف ، فمن قائل :  
إنه بدعة و حرام ، و أن العبد إن لقي الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن  
يلتزم بالكلام ، و من قائل : إنه واجب و فرض إما على الكفاية أو على الأعيان و إنه  
أفضل الأعمال و أعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد و نضال عن دين الله تعالى وإلى  
التحريم ذهب الشافعي ، و مالك ، و أحمد بن حنبل ، و سفيان و جميع أهل الحديث من السلف .  
قال : الشافعي : حكيم في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد و يطاف بهم في

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ج ١ ص ٣٣ تحت رقم ٨٥ بلفظ آخر .

(٢) كشف المحجة في خاتمته .

العشائر والقبائل ، و يقال : هذا جزء من ترك الكتاب و السنة وأخذ في الكلام <sup>(١)</sup> و قال أحمد : لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل <sup>(٢)</sup> و بالغ فيه حتى هجر المحاسبي مع زهده و ورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة ، فقال : ويحك ألسنت تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم ، ألسنت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة و التفكير في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي و البحث ؛ و قال أيضاً : علماء الكلام زنادقة .

و قال مالك : أرأيت ان جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد . يعني أن أقوال المجادلين تتفاوت إلى غير ذلك من التشديدات و قالوا : ماسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق و أفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر و لذلك قال النبي ﷺ : « هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » <sup>(٣)</sup> أي المتعمقون في البحث و الاستقصاء .

و احتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ و يعلم طريقه و يشئى على أربابه فقد علمهم الاستنجاء و نديهم إلى حفظ الفرائض و أثنى عليهم ، و نهاهم عن الكلام في القدر و قال : « أمسكو » <sup>(٤)</sup> و على هذا استمر الصحابة ، و الزيادة على الأستاذ طغيان و ظلم وهم الأستادون و نحن الأتباع و التلامذة . أقول : و قد أسلفنا أخباراً من أهل البيت ﷺ أيضاً في مذمة الكلام عند ذكر آفات المناظرة من كتاب العلم ، قال الصدوق - رحمه الله - في اعتقاداته <sup>(٥)</sup> : « والجدل في أمور الدين منهي عنه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من طلب الدين بالجدل تزندق » و قال الصادق عليه السلام : « يهلك أصحاب الكلام وينجو المسلمون ، إن المسلمين هم النجباء » .

(١) نقله ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٥٦ و هكذا القولين اللذين يأتيان بعده .

(٢) الدغل - محرقة - : ما داخل الانسان من فساد أو حقد أو ما يخالفه .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٥٠٦ و قال الجزري في النهاية : في الحديث « هلك المتنطعون » هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلفون باقصى حلولهم مأخوذ من النطع وهو الفار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل من تعمق قولاً و فعلاً .

(٤) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٠٢ . (٥) الباب الحادي عشر .

وقال السيد بن طاووس - رحمه الله - : وجدت في كتاب عبد الله بن حماد الأنصاري في النسخة المقررة على هارون بن موسى التلعكبري - رحمه الله - ما هذا لفظه « عن جميل ابن دراج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : متكلّموا هذه العصاة من شرار من هم منهم » (١) .

قال أبو حامد : « وأما الفرقة الأخرى فإنهم احتجّوا بأنّ المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجواهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فلا أمر فيه قريب إذ ما من علم إلّا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم بالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعديدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه ، فأحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كأحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح ، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلّا معرفة الدليل على حدوث العالم وحدانيّة الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن أين يحرم معرفة الله بالدليل ؟ وإن كان المحذور هو الشغب (٢) والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرّم ويجب الاحتراز عنه كما أنّ الكبر والرياء وطلب الرئاسة ممّا يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرّم ويجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه ، وكيف يكون ذكر الحجّة والمطالبة بها والبحث عنها محذوراً ؟ وقد قال تعالى : « قل هاتوا برهانكم » (٣) وقال تعالى : « ليسلك من هلك عن بينة » (٤) وقال تعالى : « إن عندكم من سلطان » (٥) أي من حجّة وبرهان وقال تعالى : « فليّك الحجّة البالغة » (٦) وقال تعالى : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم إبراهيم - إلى قوله - فبهت الذي كفر » (٧) إذ ذكر احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال تعالى : « تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه » (٨) وقال

(١) كذا في كشف المحجة .

(٢) الشغب : كثرة الجلبة واللفظ المؤدى الى الشر . وفي الاحياء «الشغب» .

(٣) الانبياء : ٢٤ . (٤) الانفال : ٤٢ .

(٥) يونس : ٦٨ . (٦) الانعام : ١٤٩ .

(٧) البقرة : ٢٥٨ . (٨) الانعام : ٨٣ .

تعالى : « قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا »<sup>(١)</sup> وقال تعالى في قصة فرعون : « وما رب العالمين - إلى قوله - أو لو جئتكم بشيء مبين »<sup>(٢)</sup> وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »<sup>(٣)</sup> و في البعث قوله عز وجل : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة »<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من الأدلة و لم يزل الرُّسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : « و جادلهم بالتتي هي أحسن »<sup>(٥)</sup> و الصحابة أيضاً كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة و كانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم و أول من سنَّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق عليّ عليه السلام إذ بعث ابن عباس إلى الخوارج يكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل و لم يسب و لم يغتم ، قال : ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سببت عائشة في يوم الجمل فوقعت عائشة في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم ؟ و هي أمكم في نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، و رجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألقان ،<sup>(٦)</sup> .

أقول : و محاجة الأئمة المعصومين عليهم السلام مع الكفار و أهل الخلاف مشهورة مستفيضة و قد تضمنت نبذاً منها كتاب الكافي و الاحتجاج للطبرسي وغيرهما . قال : « فينبغي أن يقال : كان خوضهم فيه قليلاً لا كثيراً و قصيراً لا طويلاً و عند الحاجة لا بطريق التصنيف و التدريس و امتحانه صناعة ، فيقال : أمّا قلّة خوضهم فكان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان و أمّا القصر فكانت الغاية إفحام الخصم و اعترافه و انكشاف الحق فلو طال إشكال الخصم أولجابه لطلال لاحالة إلزامهم و ما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان و لامكيال بعد الشروع فيها ، و أمّا عدم تصدّيهم للتدريس و التصنيف فهكذا كان في الفقه و التفسير و الحديث أيضاً ، فإن جاز تصنيف

(١) هود : ٣٢ .

(٢) الشعراء : ٣٠ .

(٣) الانبياء : ٢٢ .

(٤) يس : ٧٩ .

(٥) النحل : ١٢٥ .

(٦) أشار إليه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ١٦٢ ، و رواه الطبرسي

- رحمه الله - في الاحتجاج ص ١٠٠ من طبع النجف .



الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الدور إما أدخاراً ليوم وقوعها وإن كانت نادراً أو تشجيذاً للخاطر فنحن أيضاً نرتب طريق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بشوران شبهة و هيجان مبتدع أو لتشجيذ الخاطر أو لأدخار الحجة حتى لا نعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعدّ السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين .

### ﴿فصل﴾

« فإن قلت : فما المختار فيه عندك ؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل ، فاعلم أولاً أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة ، وأعني بقولي : « لذاته » أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا تلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرّع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر وما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك في وقت الخيار والبيع في وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليلاً وكثيره ، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليلاً وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيراً يضر بالمحورور ، وكان إطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفتت إلى أغلب الأحوال فإن تصدّى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فآثاره الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الإبتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق ، وله ضرر في تأكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث ينبعث دواعيهم

و يشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يشور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطيف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدرُوا على نزع البدعة من صدورهم بل الهوى والتعصب وبغض خصومة المجادلين وفرق المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله لك الغطاء ويعرفك بالبيان أن الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره ، وأما منفعته فقديظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليها وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا تمن خبر الكلام ثم فلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر يناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام ، بل منفعته شي واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجعها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل ، فإن العامي ضعيف يستغزى جدل المبتدع وإن كان فاسداً ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه ، والناس متعبدون بهذه العقائد إذ ورد بها الشرع لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تليسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصب ، وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن تكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء المخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه ، وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة ، وتفصيله أن العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقفوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً ويزلزل عليهم

الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطّف وبالتعصّب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثّر في القلب القريب من سياق أدلّة القرآن والحديث الممزوج بفنّ الوعظ والتحذير فإنّ ذلك أنفع من الجدل المصوغ<sup>(١)</sup> على شرط المتكلّمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنّه نوع صنعة تعلّمها المتكلّم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من مذهبه أيضاً يقدرّون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأوّل حرام وكذا مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطّف والوعظ والأدلة القرينة المقبولة البعيدة عن تعمّق الكلام واستقصاء الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحقّ وذلك فيمن ظهر له من الأئمة بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواظع والتحذيرات العامية ، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه إلا دواء الجدل فجاز أن يلقي إليه ، وهذا في بلاد تكثر فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرّض للأدلة ويتربّص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة ، فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات أهل البدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره .

أقول : وأما على طريقتنا فيبدّل ذلك بما أودعته في الأبواب الخمسة الوسطى من هذا الكتاب وقد أفردتها في رسالة وأضفت إليها ما يجب تعلّمه على الناس عامّة من العلم بالأعمال الظاهرة والباطنة والأخلاق الفاضلة والرديّة وسميتها منهاج النجاة<sup>(٢)</sup> وهو إكسير المتعلّمين .

قال : « فإن كان فيه ذكاه وتنبيه بذكائه لموضع سؤال وثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بد أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد

(١) في الأحياء « على الجدل الموضوع » .

(٢) طبع غير مرة على الحجر بطهران .

في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين .

أقول : و على طريقتنا يبدل ذلك بما أو دعت كتاب علم اليقين فإنه وإن كان مبسوطاً إلا أنه لم يخرج عما ورد في القرآن و أحاديث أهل العصمة عليهم السلام إلا قليلاً بما يحتاج إليه في شرحهما .

قال : « فإن أقنعه ذلك كف عنه و إن لم يشفه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غضالاً و المرض سارياً فيتلطف به الطبيب بقدر إمكانه و ينتظر قضاء الله فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك و الشبهة إلى ما قدر له ، فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب و جنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه ، فأما الخارج منه قسمان : أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والأكوان وعن الإدراكات والخوض في أن الرؤية هل لها ضد يسمى المنع والعمى و إن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما يرى أو يثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة ، و القسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد و زيادة أسولة و أجوبة و ذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالاً و جهلاً في حق من لم يقنعه ذلك القدر ، فرب كلام يزيد الإطناب و التقرير غموضاً .

ولو قال : قائل : البحث عن حكم الإدراكات و الاعتمادات فيه تشحيذ الخواطر و الخطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشر نج يشحذ الخطر فهو من الدين و ذلك هوس فإن الخطر يتشحذ بسائر علوم الشرع و لا يخاف منها مضرّة ، فقد عرفت بهذا القدر المذموم و القدر المحمود من الكلام و الحالة التي نذم منها و الحالة التي تحمد و الشخص الذي ينتفع به و الذي لا ينتفع .

### ﴿ فصل ﴾

« فإن قلت : مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع ، و الآن فقد ثارت البدع و عمّت البلوى و ارهقت الحاجة فلا بد و أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات

كالقيام بحراسة الأموال و سائر الحقوق كالتقضاء و الولاية و غيرها و ما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك و التدريس فيه و البحث عنه لا يدوم و لو ترك بالكلية لا ندرس و ليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضاً من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه ، فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة و ذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه عن العموم كتدريس الفقه و التفسير فإن هذا مثل الدواء و الفقه مثل الغذاء و ضرر الغذاء لا يحذر و ضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال : إحداها التجرد للعلم و الحرص عليه ، فإن الماحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام و إزالة الشكوك إذا عرضت ، و الثانية الذكاء و الفطنة و الفصاحة ، فإن البليد لا ينتفع بفهمه و القدم <sup>(١)</sup> لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام و لا يرجى فيه نفعه ، و الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح و الديانة و التقوى و لا يكون الشهوات عليه غالبية فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عنه الدين و إن ذلك يحل عنه الحجر و يرفع السد بينه و بين الملاذ ، فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف ، فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه ، و إذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المفضعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات و التدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس و إذا فهموها اعتقدوا أنها شعبة و صنعة تعلمها صاحبها للتلبس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه و عرفت أن السلف إنما منعوا عن الخوض فيه و التجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه و أن ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج و ما نقل عن علي عليه السلام من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة و ذلك محمود في كل حال .

نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة و قلتها و لا يبعد أن يختلف الحكم لذلك

(١) القدم : العاجز عن التكلم ، والمعنى عن الكلام .

فهذا كله حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها و حكم طريق النضال عنها و حفظها ،  
و أمّا إزالة الشبه و كشف الحقائق و معرفة الأشياء على ما هي عليها و إدراك الأسرار  
التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقائد فلامفتاح لها إلا المجاهدة و قمع الشهوات ، و الإقبال  
بالكلية على الله ، و ملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات و هي رحمة من الله تعالى  
تفيض على من يتعرّض لنفعاتها بقدر الرزق و بحسب التعرّض ، و بقدر قبول المحلّ و طهارة  
القلب ، فذلك البحر الذي لا يدرك غوره و لا يبلغ ساحله .

### ﴿ فصل ﴾

قال : « فإن قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر و أسرار  
و بعضها جلبي يبدو أولاً و بعضها خفي يتضح أخيراً بالمجاهدة و الرياضة ، و الطلب  
الحثيث ، و الفكر الصافي ، و السرّ الخالي عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب  
و هذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر و باطن و سرّ و علن بل الظاهر  
و الباطن و السرّ و العلن واحد ، فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية و جليلة لا ينكرها  
ذو بصيرة و إنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا أول الصبا شيئاً و جهدوا عليه فلم يكن  
لهم ترقّ إلى شأوا العلى <sup>(١)</sup> و مقامات العلماء والأولياء و ذلك ظاهر من أدلة الشرع ،  
قال النبي ﷺ : « إن للقرآن ظاهراً و باطناً و حدّاً و مطلقاً » <sup>(٢)</sup> .

و قال ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم » <sup>(٣)</sup> .

و قال ﷺ : « ما حدث أحد قوماً بحديث لم يبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم » <sup>(٤)</sup> .

(١) الشأوا - مصدر - : الامد . الغاية ، ويقال : فلان بعيد الشأوا أى عالى الهمة .

(٢) راجع المجلد التاسع عشر من البحار باب أن للقرآن ظهراً و بطناً أورده

بمختلف ألفاظه .

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٣ تحت رقم ١٥ و الصدوق في الامالى ص ٢٥١ .

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ص ٩ .

وقال عليٌّ عليه السلام - وأشار إلى صدره - : «إنَّ ههنا علوماً جمةً لو وجدت لها حيلة» (١) .  
وقال الله تعالى : «و تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاَّ العالمون» (٢) .  
وقال النبي صلى الله عليه وآله : «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً» (٣) .  
فليت شعري إن لم يكن ذلك سرّاً منع من إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو  
لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم فلاشك في أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ، وقال  
ابن عباس في قوله تعالى : «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل  
الأمر بينهن» (٤) : لو ذكرت تفسيره لرجتموني . وفي لفظ آخر لقلتم : إنه كافر .  
وقال سهل التستري : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم  
باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لأحد ، وقال بعض  
العارفين : إفشاء سرِّ الربوبية كفر ؛ وقال بعضهم : للربوبية سرٌّ لو أظهر لبطلت النبوة  
وللنبوة سرٌّ لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سرٌّ لو أظهر لبطلت الأحكام ، وهذا القائل  
إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل  
الصحيح أنه لاتناقض وأنَّ الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة .  
أقول : و قد أسلفنا في الباب الثاني من كتاب العلم عند ذكر تفصيل علم الآخرة  
أحاديث من أهل البيت عليهم السلام من هذا القبيل .

## ﴿ فصل ﴾

فإن قلت : هذه الآيات و الأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين كيفية اختلاف  
الظاهر و الباطن فإنَّ الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من  
قال : إنَّ الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأنَّ الشريعة عبارة عن الظاهر ، والحقيقة  
عن الباطن و إن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سرٌّ

(١) نهج البلاغة ح ١٤٧ . (٢) العنكبوت : ٤٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٥٧ و ٣١٢ و ٤٣٢ .

(٤) الطلاق : ١٢ .

لا يفشى بل يكون الخفي والجلّي واحداً ، فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً وينجر إلى علم المكشوفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذا الكتاب فإن هذه العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبّدنا بتلقّيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصّل إلى أن ينكشف لنا حقائقها ، فإنّ ذلك لم يكلف به كافة الخلق ، ولو لأنّه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ، ولو لأنّه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأوّل من الكتاب وإنّما الكشف الحقيقي هو صفة سرّ القلب و باطنه ولكن إذا انجرّ الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بدّ من كلام وجيز في حلّه ، فمن قال : إنّ الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل أسرار التي يختصّ المقرّون بدركها ولا يشار كهم الا كثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام :

الأوّل أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً يكلّ أكثر الأفهام عن دركه فيختصّ بدركه الخواصّ ، وعليهم أن لا يقشوه إلى غير أهله إذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سرّ الروح وكفّ رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم ، فإنّ حقيقته بما يكلّ الأفهام عن دركه ويقصر الأوهام عن تصوّر كنهه ، ولا تظنّ أنّ ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله ﷺ فإنّ من لم يعرف الروح فكأنّه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربّه ، ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدّبون بأدب الشرع فيسكتون عمّا سكّت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما يقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتّى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهّموها إلى علمهم وقدرتهم إذا كانت لهم من الأوصاف ما يسمّى علماً وقدرة فيتوهّمون ذلك بنوع مقابلة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق ممّا يناسبه بعض المناسبة بشيء لم يفهموه بل لذّة الجماع إذا ذكرت للصّبي أو العنّين لم يفهمه إلا بمناسبة إلى لذّة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق ، والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذّة الجماع والأكل ، وبالجملّة فلا يدرك



الإنسان إلا نفسه و صفات نفسه مما هو حاضر له في الحال أو مما كان له من قبل ، ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف و الكمال ، فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل و العلم و القدرة و غيره من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل و أشرف ، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لأعلى ما اختص الرب تعالى به من الجلال و لذلك قال وَاللَّهُ أَكْبَرُ : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » <sup>(١)</sup> و ليس المعنى به أنني أعجز عن التعبير عما أدر كنهه بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله و لذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله و قال آخر : « الحمد لله الذي لم يجعل سيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » و لنقبض عنان الكلام عن هذا النمط و لنرجع إلى الغرض و هو أن أحد الأقسام ما يكل الأفهام عن دركه و من جملته الروح ، و من جملته بعض صفات الله تعالى ، و لعل الإشارة إلى مثله في قوله وَاللَّهُ أَكْبَرُ : « إن الله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » .

القسم الثاني من الخفيات التي يمتنع الأنبياء و الصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه و لكن ذكره يضر بأكثر المستمعين و لا يضر بالأنبياء و الصديقين و سرُّ القدر الذي منع أهل العلم به عن إفشائه من هذا القسم و لا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرّاً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش و كما يضر رياح الورد بالجمل .

و لو قال قائل : إن القيامة لو ذكر ميقاتها و أوقاتها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوماً و لكن لم يذكره لمصلحة العباد و خوفاً من الضرر و لعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمان ، و إذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّ اكتراثها أو لعلها كانت قريبة في

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء في الركوع و السجود ج ١ ص ٢٠٣

و قوله : « لا أحصي ثناءً عليك » و لعل المعنى أنه ليس في قدرتي شكرك الواجب على لان شكرى لك هو نعمة منك على فكيف بشكرها . و أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٥١ .

(٢) راجع كتاب السماء و العالم من بحار الانوار الباب السادس نقله بالفاظ مختلفة

عن الفريقين .

علم الله و لو ذكرت لعظم الخوف و أعرض الناس عن الأعمال و خربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه و صح فيكون مثلاً لهذا القسم .

القسم الثالث أن يكون الشيء بخيـث لو ذكر صريحاً لفهم و لم يكن فيه ضرر و لكن يكتفى عنه على سبيل الاستعارة و الرمـز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب و له مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل : رأيت فلاناً يقلد الدرّ في أعناق الخنازير ، و كنتي به عن إفشاء العلم و بثّ الحكمة إلى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهره ، والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه درّ ولا كان في موضعه خنزير تفتن لدرك السرّ والباطن فيتفاوت الناس بذلك ، و هذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي يتضمّن عين المعنى أو مثله و منه قوله ﷺ : « إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار » (١) و أنت ترى أن مساحة المسجد لا ينقص بالنخامة و معناه أن روح المسجد و معناه كونه معظماً و رمي النخامة تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة و كذلك قوله ﷺ : « أما يخشي الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار » (٢) و ذاك من حيث الصورة لم يكن قطّ ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لونه و شكله بل لخاصيته و هي البلادة و الحمق ، و من رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة و الحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء و بين التقدّم فانهما متناقضان وإتّما يعرف هذا السرّ على خلاف الظاهر إمّا بدليل عقليّ أو شرعيّ ، أمّا العقليّ بأن يكون عمله على الظاهر غير ممكن كقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (٣) إذ فتشنا عن صدور المؤمنين فليست فيها أصابع فعلم أنّها كناية عن القدرة التي هي سرّ الأصبع و روحها الخفي و كنّي بالأصبع عن القدرة لأنّ ذلك أعظم وقعاً في تفهيم

(١) المجازات النبوية للشريف الرضوي ص ١٣٣ .

(٢) الحديث متفق عليه كما في مشكاة المصابيح ص ١٠٢ .

(٣) قال العراقي : أخرجه مسلم من حديث عمر و فيه « قلب العبد » .

تمام الاقتدار ، و من هذا القبيل كنايةته عن الاقتدار بقوله تعالى : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (١) فَإِنَّ ظَاهِرَهُ مَمْتَنِعٌ إِذْ قَوْلُهُ : « كُنْ » ، إِنْ كَانَ خَطَاباً مَعَ الشَّيْءِ قَبْلَ وَجُودِهِ فَهُوَ مُحَالٌ إِذْ الْمَعْدُومُ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ حَتَّى يُمَثِّلَ ، وَ إِنْ كَانَ بَعْدَ الْوُجُودِ فَهُوَ يَسْتَعْنِي عَنِ التَّكْوِينِ وَ لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْكِنَايَةُ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ فِي تَفْهِيمِ غَايَةِ الْاِقْتِدَارِ عَدَلَ إِلَيْهَا ، وَأَمَّا الْمَدْرَكُ بِالْشَّرْعِ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ إِجْرَاؤُهُ عَلَى الظَّاهِرِ مُمْكِنًا وَلَكِنْ يَرُودُ أَنَّهُ أُريدَ بِهِ غَيْرُ الظَّاهِرِ كَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا » - الْآيَةُ - (٢) وَأَنَّ مَعْنَى الْمَاءِ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَمَعْنَى الْأَوْدِيَةِ الْقُلُوبُ وَ أَنَّ بَعْضَهَا احْتَمَلَتْ شَيْئًا كَثِيرًا وَ بَعْضَهَا قَلِيلًا وَ بَعْضَهَا لَمْ يَحْتَمِلْ ، وَ الزَّبَدُ مِثْلُ الْمَكْفَرِ فَإِنَّهُ وَ إِنْ ظَهَرَ وَطْفًا (٣) عَلَى رَأْسِ الْمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَثْبُتُ ، وَ الْهَدَايَةُ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ تَمَكَّتْ ، وَ فِي هَذَا الْقِسْمِ تَعَمَّقَ جَمَاعَةٌ فَأَوَّلُوا مَا وَرَدَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمِيزَانِ وَ الصِّرَاطِ وَ غَيْرِهِمَا ، وَ هُوَ بَدْعٌ إِذْ لَمْ يَنْقُلْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الرَّوَايَةِ وَ إِجْرَاؤُهُ عَلَى الظَّاهِرِ غَيْرُ مُحَالٍ فَيَجِبُ إِجْرَاؤُهُ عَلَى الظَّاهِرِ .

**أَقُولُ :** تَأْوِيلُ الْمِيزَانِ وَ الصِّرَاطِ لَيْسَ بِبَدْعٍ عَلَى طَرِيقَتِنَا لَوُورُودِهِ عَنْ أُمَمَتِنَا الْمُعْصُومِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ فِيمَا قَبْلَ وَ قَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي رِسَالَةِ عَلَيْهِ السَّلَامِ .

« الْقِسْمُ الرَّابِعُ أَنْ يَدْرِكَ الْإِنْسَانَ الشَّيْءُ جَمْلَةً ، ثُمَّ يَدْرِكُهُ تَفْصِيلًا بِالتَّحْقِيقِ وَ الذَّوْقِ بِأَنْ يَصِيرَ حَالًا مَلَابَسًا لَهُ فَيَتَفَاوَتُ الْعِلْمَانُ فَيَكُونُ الْأَوَّلُ كَالْقَشْرِ ، وَ الثَّانِي كَاللَّبِّ ، وَ الْأَوَّلُ كَالظَّاهِرِ ، وَ الْآخِرُ كَالْبَاطِنِ ، وَ ذَلِكَ كَمَا يَتِمَثَّلُ لِلْإِنْسَانِ فِي عَيْنِهِ شَخْصٌ فِي الظُّلْمَةِ أَوْ عَلَى الْبَعْدِ فَيَحْصُلُ لَهُ نَوْعٌ عِلْمٍ فَإِذَا رَأَاهُ بِالْقُرْبِ أَوْ بَعْدَ زَوَالِ الظُّلَامِ أَدْرَكَ تَفَرُّقَهُ بَيْنَهُمَا وَ لَا يَكُونُ الْآخِرُ ضِدًّا الْأَوَّلِ بَلْ هُوَ اسْتِكْمَالُهُ فَكَذَلِكَ فِي الْعِلْمِ وَ الْإِيمَانِ وَ التَّصَدِيقِ إِذْ قَدْ يَصْدُقُ الْإِنْسَانُ بِوُجُودِ الْعَشْقِ وَ الْمَرَضِ وَ الْمَوْتِ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَلَكِنْ تَحَقُّقُهُ بِهِ عِنْدَ الْوُقُوعِ أَكْمَلُ مِنْ تَحَقُّقِهِ قَبْلَ الْوُقُوعِ ، بَلْ لِلْإِنْسَانِ فِي الشَّهْوَةِ

(٢) الرعد : ١٧ .

(١) النحل : ٤٠ .

(٣) أى علا فوق الماء ولم يرسب .

و العشق و سائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة ، الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه ، والآخر عند وقوعه ، والآخر بعد تصرُّمه ، فإن تحققك بالجوع بعد الزوال يخالف التحقق به قبل الزوال ، فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقاً فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ، ففي هذه الأقسام الأربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمِّله كما يتمم اللب القشر .

القسم الخامس أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال ، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقاً ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوئد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني فلم يتركني ورائي ، الحجر الذي ورائي ، فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين »<sup>(١)</sup> فالبليد يقتدر في فهمه إلى أن يقدّر لهما حياة وعقلاً وهما للخطاب وخطاباً هو صوت و حرف تسمعه الأرض وتجيّب بصوت و حرف وتقول : أتينا طائعين ، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه نبأ عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة إلى التسخير ، ومن هذا قوله تعالى : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »<sup>(٢)</sup> فإن البليد يقتدر فيه إلى أن يقدّر للجماذ حياة وعقلاً ونطقاً بصوت و حرف حتى يقول : « سبحان الله » ليتحقق تسميحه ، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبّحاً بوجوده ، ومقدّساً بذاته ، وشاهداً بوحداية الله تعالى كما يقال :

و في كل شيء له آية \* تدل على أنه واحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصاحبها بحسن التدبير و كمال العلم ، لا بمعنى أنها تقول : « أشهد » ولكن بالذات والحال ، فكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده و يبقيه و يديم أوصافه و يردّه في أطواره ، فهو بحاجة يشهد لخالقه بالتقديس ، يدرك شهادته ذور البصائر دون الجامدين على

الظواهر ولذلك قال تعالى : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم »<sup>(١)</sup> أمّا القاصرون فلا يفهمون أصلاً ، و أمّا المقرّبون والعلماء الراسخون فلا يفهمون كنهه و كماله إذ لكلّ شيء شهادات شتّى على تقدّيس الله و تسبيحه و يدرك كلّ واحد يقدر رزقه و بصيرته ، و تعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة ، فهذا أيضاً ممّا يتفاوت أرباب الظواهر و أرباب البصائر في علمه و تظهر به مفارقة الباطن للظاهر ، و في هذا المقام لأرباب المقامات إسراف و اقتصاد ، فمن مسرف في دفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى : « تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم »<sup>(٢)</sup> و قوله : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء »<sup>(٣)</sup> و كذلك المخاطبات التي تجري من منكر و نكير ، و في الميزان و الحساب ، و مناظرات أهل النار ، و أهل الجنة في قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله »<sup>(٤)</sup> زعموا أنّ كلّ ذلك لسان الحال و غلا آخرون في حسم الباب<sup>(٥)</sup> منهم أحمد بن حنبل حتى منع من تأويل قوله « كن فيكون »<sup>(٦)</sup> و زعم أنّ ذلك خطابٌ بحرف و صوت يوجد من الله تعالى في كلّ لحظة بعد كلّ مكوّن حتى سمعتُ بعض أصحابه يقول : إنّه حسم باب التأويل إلّا لثلاثة ألفاظ : قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض »<sup>(٧)</sup> و قوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »<sup>(٨)</sup> ، و قوله ﷺ : « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن »<sup>(٩)</sup> . و مال إلى حسم الباب أرباب الظواهر ، و الظنّ بأحمد بن حنبل أنّه علم أنّ الاستواء ليس هو الاستقرار ، و النزول ليس هو الانتقال ، ولكنّه منع من التأويل حسماً للباب ، و رعاية لصالح الخلق فإنّه إذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع و خرج عن الضبط و جاوز الاقتصاد إذ حدّ الاقتصاد لا ينضبط ، و لا بأس بهذا الزجر و يشهد له سيرة

(١) الاسراء : ٤٤ . (٢) يس : ٦٥ .

(٣) فصلت : ٢١ . (٤) الاعراف : ٥٠ .

(٥) الحسم : القطع . (٦) يس : ٨٢ .

(٧) الجامع الصغير باب الحاء عن الخطيب رواه في تاريخه ، و رواه الحاكم في

المستدرک ج ١ ص ٤٥٧ بنحو أبسط . (٨) مر سابقاً .

(٩) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة كما في المعنى .

السلف فإنهم كانوا يقولون : أقرُّوها كما جاءت حتَّى قال مالك لما سئل عن الاستواء قال : الاستواء معلوم و الكيفيَّة مجهولة ، و الإيمان به واجبٌ ، و السؤال عنه بدعة ، و ذهب طائفة إلى الاقتصاد ففتحوا باب التأويل في كل ما يتعلَّق بصفات الله تعالى و مرَّ كوا ما يتعلَّق بالآخرة على ظواهرها و منعوا من التأويل و هم الأشعرية و زاد المعتزلة عليهم حتَّى أوَّلوا من صفات الله الرؤية ، و أوَّلوا كونه سميعاً بصيراً ، و أوَّلوا المعراج و زعموا أنَّه لم يكن بالجسد و أوَّلوا عذاب القبر و الميزان و الصراط و جملة من أحكام الآخرة و لكن أقرُّوا بحشر الأجساد و بالجنة و اشتمالها على الماء كولات و المشروبات و المنكوحات و الملائن المحسوسة ، و بالنار و اشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ، و يذيب الشحوم ، و من ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأوَّلوا كلَّما ورد في الآخرة و ردُّوها إلى آلام عقليَّة روحانيَّة و لذات عقليَّة ، و أنكروا حشر الأجساد ، و قالوا ببقاء النفوس و أنَّها تكون إمَّا معذَّبة و إمَّا منعمَّة ، بعذاب و نعيم لا يدرك بالحس ، و هؤلاء هم المسرفون ، و حدَّ الاقتصاد ما بين هذا الانحلال و بين جمود الحنابلة دقيقٌ غامضٌ لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ، ثمَّ إذا انكشف لهم أسرار الأمور على ما هي عليها نظروا إلى السمع و الألفاظ الواردة فما وافق ما شاهده بنور اليقين قرَّروه و ما خالف أوَّلوه ، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقرُّ له فيه قدم ، و لا يتعيَّن له موقف ، و الأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل ، و الآن فكشف الغطاء عن حدِّ الاقتصاد في هذه الأمور داخلٌ في علم المكاشفة و القول فيه يطول فلا نخوض فيه و الغرض بيان موافقة الباطن للظاهر و مخالفته له وقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة .

### ﴿ فصل ﴾

أقول : و إنَّما ينكشف هذه الأسرار على القلوب بقدر قوَّة الإيمان و اليقين فيها و ذلك إنَّما يكون بقدر العلم الذي بمحيَاة القلب و هو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع

الحجاب بينه وبين الله جلّ جلاله . « الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » <sup>(١)</sup> « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » <sup>(٢)</sup> ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه ، وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الأنوار « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » <sup>(٣)</sup> « وقل ربّ زدني علماً » <sup>(٤)</sup> .

« الإيمان درجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه » كذا قال مولانا الصادق عليه السلام <sup>(٥)</sup> . وكلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوي الإيمان ويتكامل إلى أن ينسبط نوره فينشرح صدره ويطلع على حقائق الأشياء ويتجلى له الغيوب ويعرف كلّ شيء في موضعه فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً وتفصيلاً على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره ، وينبعث من قلبه داعية العمل بكلّ مأمور والاجتناب عن كلّ محظور ، يضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة ، « نور هم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » « نور على نور » وكلّ عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاء يجعله مستعداً لحصول نور فيه وانشراح وعرفة ويقين ثمّ ذلك النور والمعرفة واليقين تحمله على عبادة أخرى وإخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر وانشراحاً أتمّ ومعرفة أخرى و يقيناً أقوى وهكذا إلى ما شاء الله جلّ جلاله ، ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلّما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي عليه السلام : « من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » <sup>(٦)</sup> وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام « أن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كلّّه وأنّ النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كلّّه فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلاذد كلاً بل ران

(١) البقرة : ٢٥٧ . (٢) الانعام : ١٢٢ .

(٣) الانفال : ٣ . (٤) طه : ١١٤ .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٣٨ تحت رقم ٧ في حديث طويل عن العالم عليه السلام .

(٦) قد مر في ص ١٤٨ عن أبي نعيم في الحلية .

على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، (١) .

قال أبو حامد : « والعمل يؤثر في نماء تصميم الاعتقاد وزيادته كما يؤثر سفي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى : « فزادهم إيماناً » (٢) وقال : « زادتهم إيماناً » (٣) وقال : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » (٤) وقد قال عليه السلام فيما روي في بعض الأخبار : « الإيمان يزيد وينقص » (٥) فذلك بتأثير الطاعات في القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة ، والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال ، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطّف له أدرك من باطنه تأكّد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل ، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسّ من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكّدها ويزيدها ، وسيأتي هذا في ربيع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب ، انتهى كلامه .

ولقد طوّل الكلام في الفرق بين الإيمان والإسلام ومعانيهما ومراتبهما ، وما جاء في ذلك من اختلاف الأنام ، وما يترتب عليهما من الأحكام ، وغير ذلك ممّا ليس فيه كثير طائل بعد الاطلاع على ما حققناه وعلى ما نوردته في فصل آخر موجز على منهج آخر غير ما سلّكه ، وبالله التوفيق .

(١) المطففين : ١٣ . والخبر روى المفيد نحوه في الاختصاص ص ٢٤٣ عن أبي عبدالله عليه السلام وأيضاً راجع بحار الانوار ج ١٥ ( طبع الكباني ) باب آثار الذنوب .

(٢) آل عمران : ١٧٣ . (٣) الانفال : ٣ .

(٤) فتح : ٤ .

(٥) راجع صحيح البخاري ج ١ ص ١٨ باب زيادة الإيمان و نقصانه .



## ﴿فصل﴾

إنَّ أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوك و الشبه على اختلاف مراتبها و يمكن معها الشرك « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » <sup>(١)</sup> و عنها يعبر بالإسلام في الأكثر « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم » <sup>(٢)</sup> .

و عن الصادق عليه السلام « الإيمان أرفع من الإسلام بدرجة » <sup>(٣)</sup> ،  
 « إنَّ الإيمان بشارك الإسلام في الظاهر و الإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن و إن اجتمعا في القول و الصفة و أواسطها تصديقات لا يشوبها شك و لا شبهة » الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا <sup>(٤)</sup> ، و أكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربهم يتوكلون » <sup>(٥)</sup> ،  
 و أواخرها تصديقات كذلك مع كشف و شهود و ذوق و عيان و محبة كاملة لله سبحانه و شوق تام إلى حضرته المقدسة ، « يحبّهم و يحبّونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين » « ولا يخافون ( في الله ) لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » <sup>(٦)</sup> و عنها العبارة تارة بالإحسان « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » <sup>(٧)</sup> و الأخرى بالإيقان « و بالآخرة هم يوقنون » <sup>(٨)</sup> و إلى المراتب الثلاث الإشارة بقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و أحسنوا والله يحبّ المحسنين » <sup>(٩)</sup> و إلى مقابلاتها التي

(١) يوسف : ١٠٦ . (٢) الحجرات : ١٤ .

(٣) راجع الكافي ج ٢ باب فضل الإيمان على الإسلام .

(٤) الحجرات : ١٥ .

(٥) الانفال : ٢ . (٦) البائدة : ٥٤ .

(٧) مسند أحمد ج ١ ص ٢٧ . (٨) البقرة : ٤ .

(٩) البائدة : ٩٣ .

هي مراتب الكفر بالإشارة بقوله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً»<sup>(١)</sup> فنسبة الإحسان واليقين إلى الإيمان كنسبة الإيمان إلى الإسلام. قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزُّ مِنَ الْيَقِينِ»<sup>(٢)</sup> ولليقين ثلاث مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ»<sup>(٣)</sup> «إِنَّ هَذَا لَهُوْ حَقُّ الْيَقِينِ»<sup>(٤)</sup> والفرق بينهما إنما ينكشف بمثال فعلم اليقين بالنار مثلاً مشاهدة المراتبات بتوسط نورها وعين اليقين بما هو معانيته جرمها، وحق اليقين بها الاحتراق فيها والصورورة ناراً وليس وراء هذا غاية ولا هو قابل للزيادة ولو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً.

هذا آخر الكلام في كتاب قواعد العقائد من الملحجة البيضاء في تهذيب الأحياء و يتلوه كتاب أسرار الطهارة ومهماتها والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

## ﴿كتاب أسرار الطهارة﴾

### ﴿ومهماتها﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من الملحجة البيضاء في تهذيب الأحياء)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تلطّف بعباده، فتعبّدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم، تزيّنة لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالبرقة واللطفة، والصلاة على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيبين

(١) النساء: ١٣٧.

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص ٥١ تحت رقم ١.

(٣) التكاثر: ٥ و ٦ و ٧. (٤) الواقعة: ٩٥.

الطاهرين ، تحمينا بركاتها يوم المخافة ، وتنصب الجنة بيننا وبين كل آفة .  
 أما بعد فقد قال النبي ﷺ : « بني الدين على النظافة » <sup>(١)</sup> ؛ وقال : « مفتاح  
 الصلاة الطهور » <sup>(٢)</sup> ، وقال الله تعالى : « رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب  
 المطهّرين » <sup>(٣)</sup> ؛ وقال ﷺ : « الطهور نصف الإيمان » <sup>(٤)</sup> وقال تعالى : « ما يريد الله  
 ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم » <sup>(٥)</sup> .

فيتفطن ذوو البصائر بهذه الطواهر أن أهمّ الأمور تطهير السرائر ؛ إذ يبعد  
 أن يكون المراد بقوله ﷺ : « الطهور نصف الإيمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بإفادة  
 الماء ، وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخبث والأقذار ، هيهات هيهات .  
 والطهارة لها أربع مراتب : الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث والأخبث  
 والفضلات ؛ الثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام ؛ الثالثة تطهير القلب عن  
 الأخلاق المذمومة والذائل الممقوتة ؛ الرابعة تطهير السرّ عمّا سوى الله وهي طهارة  
 الأنبياء ﷺ والصدّيقين .

والطهارة في كلّ رتبة نصف العمل الذي فيها ، فإنّ الغاية القصوى في عمل السرّ  
 أن ينكشف له جلال الله وعظمته ، ولن يحلّ له معرفة الله بالحقيقة في السرّ ما لم يرحل  
 ما سوى الله ، ولذلك قال الله تعالى : « قل الله ثمّ ذرهم » <sup>(٦)</sup> لأنّهما لا يجتمعان في قلب  
 « وما جعل الله لرجل من قلبيين في جوفه » <sup>(٧)</sup> .

(١) قال العراقي : لم أجده هكذا ، وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا  
 فان الاسلام نظيف » . والطبراني في الاوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود  
 « النظافة تدعوا الى الايمان » انتهى كلامه .

(٢) أخرجه الترمذی ج ٢ ص ١٥ . وأحمد في المسند ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٠ ، وج ٥ ص ٣٤٢ . وصحيح مسلم ج ١

ص ١٤٠ وسنن الدارمی ج ١ ص ١٦٧ « الطهور شطر الايمان » .

(٥) المائدة : ٦ .

(٦) الاحزاب : ٤ .

(٧) الانعام : ٩١ .

و أمّا عمل القلب ، فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة و العقائد المشروعة ولن يتّصف بها مالم ينظف عن نقائصها من العقائد الفاسدة ، و الرذائل المذمومة ، فتطهيره أخذ الشطرين و هو الشطر الأوّل الذي هو شرط في الثاني ، فكان الطهور شرط الإيمان بهذا المعنى ، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين ، و عمارتها بالطاعات الشطر الثاني ، و هذه مقامات الإيمان ، و لكلّ مقام طبقة ، و لن ينال العبد الطبقة العالية إلّا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلا يصل إلى طهارة السرّ عن الصفات المذمومة و عمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم و عمارته بالمحمود ، و لن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي و عمارتها بالطاعات ، و كلّما عزّ المطلوب و شرف صعب مسلكه و طال طريقه و كثرت عقباته ، و لا تظنّ أنّ هذا الأمر يدرك بالمنى ، و ينال بالهوينّا (١) .

نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلّا الدرجة الأخيرة التي هي كالفشر الأخير بالإضافة إلى اللبّ المطلوب ، فصار يمعن فيه و يستقصي في مجاريه ، و يستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء و غسل الثياب و تنظيف الظاهر و طلب المياه الجارية الكثيرة ، ظنّاً منه بحكم الوسوسة و خبل العقل أنّ الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط و جهلاً بسيرة الأوّلين و استغراقهم جميع الهمّ و الفكر في تطهير القلوب ، و تساهلهم في أمر الظاهر حتّى أنّهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات و الأطعمة ، بل كانوا يتمسّحون أصابعهم بأخمص أقدامهم ، و عدّوا الأشنان من البدع المحدثّة ، و لقد كانوا يصلّون على الأرض في المساجد و يمشون حفاة في الطرقات ، و من كان لا يجعل بينه و بين التراب حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم ، و كانوا يجعلون الصلاة في النعلين أفضل ، و كانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء ، و كانوا يأكلون من دقيق البرّ و الشعير و هو يداس بالدوابّ و تبول عليه ، و لا يحترزون من عرق الإبل و الفرس مع كثرة تمرّغها في النجاسات و لم ينقل قطّ

(١) الهوينّا تصغير الهونى تأنيث الاهون وهو من الهون : الرفق واللين والمراد

هنا التهاون فى امر الدين و ترك الاهتمام فيه .

من واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات ، فهكذا كان تساهلهم فيها .  
وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمّون الرعونة نظافة ، ويقولون : هي مبنى الدين  
فأكثر أوقائهم في تزيينهم الطواهر كفعل الماشطة بعروسها ، و الباطن خراب مشحون  
بخبائث الكبر و العجب و الجهل و الرياء و النفاق ، و لا يستنكرون ذلك و لا يتعجبون  
منه ، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافياً أو صلى على الأرض  
أو على يوارى المساجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم  
من ادم أو توضعاً من آنية عجوز ، أو رجل غير متكشف أقاموا فيه القيامة و شددوا عليه  
النكير و لقبوه بالقذر وأخرجوه من زميرتهم ، واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته ، فسمّوا  
البذاذة التي هي من الايمان قذارة ، و الرعونة نظافة ، فانظر كيف صار المنكر معروفاً  
و المعروف منكراً ، و كيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه و علمه .

### ﴿ فصل ﴾

فإن قلت : فتقول : إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم و نظافتهم  
من المحذورات والمنكرات ، فأقول : حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ، ولكنني  
أقول : هذا التكلف و التنظيف بإعداد الأواني و الآلات و استعمال غلاف القدم و  
الإزار المتقنّع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على  
سبيل التجرد ، فهي من المباحات و قد يفتن بها أحوال و نيات ، تلحقها تارة بالمعروف  
و تارة بالمنكرات ، وأمّا كونه مباحاً في نفسه فلا يخفى إذ صاحبه متصرف به في ماله  
و بدنه و ثيابه فليفعل به ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة و إسراف ، وأمّا مصيره منكراً  
فبأن يجعل ذلك أصل الدين و تفسير قوله ﷺ : « بني الدين على النظافة » حتى  
ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو أن يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق ،  
و تحسين موقع نظرهم ، فإن ذلك هو الرياء المحظور ، فيصير منكراً بهذين الاعتبارين ،  
وأمّا كونه معروفاً فبأن يكون القصد منه الخير دون التزيين ، وأن لا ينكر على من ترك

ذلك ، ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن تربية علم أو غيره ، فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح ، يمكن أن يجعل قربة بالنية ، ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين ، الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه ، اشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني ، فيصير شغلهم به أولى لأن التشاغل بالطهارات يجد ذكر الله وذكر العبادات ، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر وإسراف وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة والريادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ، ولا تتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقرئين ، فلا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ، ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذا التشبه بهم في أن لا يتفرغ له عماله أهم منه ، فهذا لأرى للعالم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة ، وتوهماً بالقصار تقصيراً في الغسل ، فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفرا المدبوعة ، وكم من الفرق بين المدبوعة والمقصورة في الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدها ، ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم ، وكانوا يعدون جهنم الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ، ولوجود العالم عامياً يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل ، فإنه بالاضافة إلى التساهل خير ، وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال ، والنفس إن لم تشغل تشغل صاحبها ؛ وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوق العالم أشرف من أن يصرف إلي مثله فيبقى محفوظاً عليه ، وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله ، فيتوقر الخير من الجواب وليفطن بهذه الأمثال لنظائره من الأعمال ، وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أموال الدنيا بحذا فيرها ، وإذا عرفت هذه المقدمة واستثبت أن الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أن في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر

لأننا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصداً إلا للظواهر ، فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، وطهارة عن الحدث ، وطهارة عن فضلات البدن ، وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد<sup>(١)</sup> واستعمال النورة والختان وغيره .

**القسم الاول :** في طهارة الخبث ، والنظر فيه يتعلّق بالمزال ، والمزال به ، والإزالة . الطرف الأول في المزال وهي النجاسات .

أقول : ولندع الآن ما أفتاه أبو حامد على مذاهب العامة وأصحاب الرأي إلا ما لا بأس به منه ولنتكلم على طريقة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، فنقول : والله التوفيق :

النجاسات التي تجب إزالتها عن الثوب والبدن للصلاة والطواف وعن المساجد والمصاحف وجلودها وأكياسها ولفائفها ، والضرائح المقدسة ، وكسوتها ، وما يلقي عليها وعن المأكول والمشروب ، والأواني المتوقّفة استعمالها فيهما ، أو في الطهارة عليها هي « الدّم » و « المنى » من ذي النفس سوى الدّم المتخلّف في المذبوح بعد القذف المعتاد فإنه طاهر حلال ، و « البول » و « الغائط » من غير المأكول أصالة أو لعارض كالجلال وموطوء الإنسان وشارب لبن الخنزير حتى يثبت اللحم سوى الطير فإن فيه خلافاً قوياً لقول الصادق عليه السلام : « كل شيء يطير لا بأس بخثره وبوله »<sup>(٢)</sup> . و « الميتة » إلا العشرة الفقيدة الحياة ، و « المسكر » المائع أصالة من الخمر وغيرها على المشهور الأقوى ، والحق به « الفقاع » وإن لم يسكر لإطلاق الخمر عليه ، وربما يلحق به العصير العنبي إذا غلا ولوبالشمس حتى يذهب ثلثاه ولم يثبت ، و « الكلب » و « الخنزير » غير المائين ، و تعميم ابن إدريس ضعيف . و « الكافر » وإن أقر بالشهادتين كالخارج والناصب والمجسّم والغالي على المشهور .

وحكم جماعة بطهارة أسرار أهل الكتاب وأورد الأخبار الصحيحة بذلك ، وحملت على التقيّة ، وحكم الشيخ أبو جعفر : بنجاسة المجبّرة ، والسيد المرتضى : بنجاسة

(١) الاستحداد استعمال الحديد في العانة .

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٥٨ تحت رقم ٩ . والخبر

- بضم الغاء المعجمة - : العذرة جمع خروء ، والخبر أيضاً في التهذيب ج ١ ص ٧٥ .

المخالفين ، و ابن الجنيد : بنجاسة المذي عن شهوة ، ولبن الجارية ، و المفيد : بنجاسة عرق الجنب من الحرام ، وعرق الإبل الجلالة ، و بنجاسة الفارة ، والوزغة : وأبو الصلاح بنجاسة الثعلب والأرنب ، وسائر : بنجاسة المسوخ ، والكل شاذ .

و كل شيء غير ما ذكر فهو طاهر ما لم يلاق شيئاً من النجاسات برطوبة ، وإن كان من الفضلات كالعرق ، والبصاق ، والمخاط ، والقيء ، والقيح ، والودي ، والودي ، وغيرها ، وكذا الدّم ، والمنى من غير ذي النفس كالبعوض ، والبق ، وكذا البول ، والروث ، من مأكول اللحم ، ويكرهان من البغال ، والحمير ، والدواب ، وكذا زرق الدجاج ، وسؤر آكل الجيف ، ومن لا يتوقى النجاسة ، و ما يختلف في نجاسته والحشرات ، والحديد ، والدم المتخلف في اللحم ، والقيء ، والقيح ، والمذي - وإن لم يكن من شهوة - والودي ، و طين الطريق بعد ثلاثة أيام من انقطاع المطر ، ويعفى في الصلاة عملاً لا يمكن تطهيره ، وعن نجاسة ما لا يتم الصلاة فيه منفردة ، وعمادون الدرهم من الدّم ، وعن دم القروح والجروح التي لا ترقى وإن لم تعصب قلّ أم كثر ، ويشترط في وجوب الإزالة في الجميع العلم بالنجاسة فعن الصادق عليه السلام : « كل شيء نظيف حتى تعلم أنه قذر » (١) .

و الأحوط غسل المظنون ، و يستفاد من ظاهر الأخبار الاكتفاء فيه بالنضح و لو شك في الملاقات أولاً في مكروهاً رشه بالماء استجباً ، وكذا ملاقي الكلب يابساً ، و بول البعير والشاة ، والأحوط في أبوال البغال ، والحمير والدواب إزالته و لو جهل موضع الملاقات غسل كلّمما وقع فيه الاشتباه وجوباً ، و إن لم يحكم بنجاسة كل جزء جزء .

الطرف الثاني في المزال به و هو إمّا ماء أو غيره ، أمّا الماء فهو طهور كلّّه ، قال الله عزّ وجلّ : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » (٢) ؛ وقال جلّ وعزّ : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به » (٣) وفي الحديث النبويّ المستفيض « خلق الله

(١) أورده الصدوق في المقنع بلفظ « كل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر » مستدرك

النورى ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) الفرقان : ٤٨ .

(٣) الانفال : ١١ .



الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه <sup>(١)</sup> وفي الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام: «كلما غلب الماء على ريح الجيفة فتوضأ من الماء واشرب، فإذا تغير الماء و تغير الطعم فلا تتوضأ ولا تشرب» <sup>(٢)</sup> وعنه عليه السلام «الماء يطهر ولا يطهر» <sup>(٣)</sup> والمستفاد منها ومن كثير من الأخبار عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ومن شهادة الاعتبار ومن إجماع المسلمين على جواز إزالة النجاسة بالماء القليل أن الماء لا يخرج عن الطهارة والتطهير إلا إذا استولت عليه النجاسة، وحيث تغلبه على أحد أوصافه الثلاثة ولكن أكثر أصحابنا وطائفة من العامة ذهبوا إلى أنه إذا كان أقل من قدر كر أو قلتين ينجس بمجرد ملاقاته لها ويروون في ذلك حديثاً، أما أصحابنا فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان الماء قدر كر لم ينجسه شيء» <sup>(٤)</sup>، وأما العامة فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً» <sup>(٥)</sup> وهو الأحوط في العمل.

قال أبو حامد: «هذا مذهب الشافعي» وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك في أن الماء وإن قل فلا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين، ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله، وبمالأشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الرأكة الكثيرة، ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات، وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء والذين لا يحترزون عن النجاسات، ثم استدل على ذلك بوجوه، ثم قال: فهذه الأمور مع الحاجة

(١) المعتبر للمحقق أبواب الطهارة وابن اديس في أول السرائر مرسل وقال:

قول الرسول صلى الله عليه وآله المتفق على روايته.

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٤ تحت رقم ٣.

(٣) الحديث الاول من فروع الكافي.

(٤) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٢ تحت رقم ١ و ٢.

(٥) أخرجه الشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني والبيهقي وابن

ماجه كما في نيل الاوطار ج ١ ص ٤١.

الشديدة تقوي في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله ﷺ : « خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه » وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل ما يع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه و كان مغلوباً من جهته و كما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحاً و يحكم بطهارته لصيرورته ملحاً و زوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع في الماء و اللبن يقع فيه و هو قليل فيبطل صفته و يتصف بصفة الماء و ينطبع بطبعه إلا إذا كثر و غلب و يعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أو ريحه فهذا هو المعيار ، و قد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة فهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهوراً إذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين و في الغسالة و في الماء الجاري .

قال : « وأما قوله ﷺ : « لا يحمل خبثاً » فهو في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير ، فإن قيل : أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال : أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة و هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن ، وقوله : « لا يحمل خبثاً » ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال : المملحة لا تحمل كلباً ولا غيره ، أي ينقلب إلى صفته وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران <sup>(١)</sup> و يغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيراً مؤثراً أم لا فيبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فإن قلت : فقد قال : « لا يحمل خبثاً » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حساً فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً .

أقول : المستفاد من أخبارنا أن الماء المستعمل في الطهارة من الحدث و الشرب اختياراً لا بد له من مزيد اختصاص ولا سيما المستعمل في الطهارة وأقله أن لا يلاقي شيئاً من النجاسات إن قل و على هذا جاز حمل ما يدل على انفعال الماء القليل بدون التغير على المنع من استعماله اختياراً في أحد الأمرين خاصة دون سائر الاستعمالات ،

(١) الغدران جمع غدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل .

ويشهد لهذا ورود أكثره فيهما وقد استوفينا الكلام في هذه المسألة وفي حكم ماء البثر في كتاب معتصم الشيعة في أحكام الشريعة فليرجع إليه من أراد الاطلاع عليه ، وأما غير الماء فآلة الاستنجاء مطهرة ملحكه بشرط أن تكون طاهرة جافة قالعة منشفة ، والأرض تطهر باطن الخف والنعل وأسفل القدم كما وردت به الروايات المستفيضة ، وعن الصادق عليه السلام « الأرض يطهر بعضها بعضاً » <sup>(١)</sup> فذلك لاستحالة النجاسة و اضمحلالها بالوطئ عليها مرة بعد أخرى وانتقال بعضها إلى بعض و الاستحالة تطهر الأعيان النجسة كأن تصير العذرة والميتات تراباً أو دوداً أو رماداً أو دخاناً أو فحماً والكلب ملحاً وكذا الانقلاب كصيرورة الخمر خلأ سواء كان بعلاج أو من قبل نفسه ، و سواء كان ما يعالج به عيناً باقية أو مستهلكة على خلاف في الباقية وإن كره العلاج كما ورد في الخبر ، و في حكمهما انتقال دم الإنسان إلى البعوض والبق ، و صيرورة الكافر مسلماً و لو بالحق كسبي المسلم ، والشمس تطهر الأرض البورية والحصير من البول بالتجفيف على المشهور وقيل : بل إنما تجوز الصلاة عليها فحسب فلولاً شيناً برطوبة نجسته ، ولا يخفى من قوة و ربما يلحق بالبول كل نجاسة ما يعة و بالأرض و أخويها كل ما لا يمكن نقله كالأشجار و الأبنية .

الطرف الثالث في كيفية الإزالة : فالنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردّها و إن كانت عينية فلا بد من إزالة العين ، ولا بأس ببقاء الرائحة فيماله رائحة فائحة تعسر إزالتها بعد ذلك و العصر مرّات متوالية و لا اللون فيما يلتصق به بعد الحت و القرص <sup>(٢)</sup> و قد ورد في الحديث في دم الحيض الذي لم يذهب أثره بالغسل أن اصبغيه بمشق <sup>(٣)</sup> و ورد الأمر بتثنية

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٣٨ و ٣٩ باسناد مختلف .

(٢) حت الشيء عن الثوب : ازاله و حكّه . و قرص الثوب بالماء : غسله باطراف

الاصابع .

(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ١١٠ . والمشق - على ما يقال له اليوم في العراق - : الطين

الارمني .

الغسل من البول في الثوب و البدن إن غسل بالقليل <sup>(١)</sup> و ربّما يلحق به المنّي لأنّ له قواماً و ثخناً فهو أولى بالتعدّد ، و منهم من ألحق بهما سائر النجاسات ، و منهم من اكتفى في الكلّ بالمرّة المزيلة ، أمّا بول الصبيّ فلا خلاف في الاكتفاء فيه بصبّ الماء . و اعتبر السيّد المرتضى و جماعة في الإزالة و رود الماء على النجاسة فلو عكس نجس الماء ولم يقدّ المحلّ طهارة بناء على تنجّس القليل بورد النجاسة عليه و أبطله الشهيد - رحمه الله - لحصول امتزاج الماء بها على التقديرين و الورود لا يخرجّه عن التلافي فالتزم نجاسة الماء في الحالين مع طهارة المحلّ . و الحقّ أنّ القائل بانفعال القليل بمجرد الملاقات لابدّ له من ارتكاب أحد أمرين أمّا تخصيص ذلك بالملاقاة للنجاسة العينية دون المتنجّس أعني ما أزيلت نجاسته بغير التطهير الشرعي أو عدم جواز الإزالة بالقليل مطلقاً و الثاني خلاف الإجماع بل الضرورة من الدين فتعيّن الأوّل و يؤيده أنّه لا يستفاد من الدليل الدالّ عليه أزيد من ذلك، وعلى هذا فيجب التزام وجوب المرتين في كلّ نجاسة ليزال بالأولى بالعين ويكون الغسالة و المحلّ متنجّسين و يحصل بالثانية التطهير و يكونان طاهرين من غير فرق بين الورودين وله شواهد من الأخبار بل نقول : لادليل على تنجّس غير الماء أيضاً بملاقاته للمتنجّس و إنّما الدليل دلّ على تنجّس الأشياء بملاقاتها للنجاسات العينية فحسب كما يظهر من التتبّع بل ربّما يستفاد من بعض الأخبار الحكم بطهارته وبه يرتفع الوسواس عن وجه الأرض بالكلّيّة إلّا أنّ هذا القنوى لكبيرة إلّا على الذين هداهم الله تعالى فإنّ أصحاب الوسواس الذين غلب عليهم التقليد يعظّمونها يكفرون بنعمة الله ولا يشكرون سعة رحمة الله و في الحديث أنّ الخوارج « ضيقوا على أنفسهم بجهالتهم و إنّ الدين أوسع من ذلك » <sup>(٢)</sup> ولا يجوز إزالة النجاسة بغير الماء من المايعات على المشهور خلافاً للمفيد والسيّد المرتضى فجوزا بالماء المضاف و جوز السيّد تطهير الأجسام الصقيلة بالمسح بحيث

(١) راجع الكافي ج ٣ ص ٥٥ .

(٢) رواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج ١ ص ٢٤١ ، والصدوق في الفقيه

يزول العين لزوال العلة ويمكن الاستيناس له ببعض الأخبار ، أمّا البواطن فلا ريب في طهارتها بزوال عين النجاسة عنها وكذا أعضاء الحيوان المتنجسة غير الآدمي<sup>(١)</sup> ويستحب الاستظهار في الإزالة بتثنية الغسل وتثليثه وأن يباشرها بنفسه إذا كانت في ثوب صلاته . والعصر في بول الرضيع وإزالة ما دون الدرهم من الدم للصلاة وصبغ لونه بمشق ونحوه ، وغسل ذي القروح ثوبه في كل يوم مرة وإزالة المكروهات للصلاة . قال أبو حامد : « ينبغي أن يتذكر بإزالة النجاسة تطهير قلبه من نجاسة الأخلاق ومساوئها فإنه إذا أمر بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر وبتطهير الثياب وهي أبعاد عن ذاته وهو قلبه فليجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل ويطهر بها باطنه الذي هو موقع نظر المعبود » .

**القسم الثاني في طهارة الحدث وهي وضوء ، وغسل ، وتيمم .**

المطلب الأول في الوضوء وأسبابه الموجبة له : البول ، والغائط ، والريح والنوم ، وكل ما يزيل العقل ، والاستحاضة القليلة ، وزيد في المشهور غير القليلة منها ، والحيض والنفاس ، ومسّ الميّت بعد البرد وقبل الغسل ويأتي الكلام فيه ، كل ذلك ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة وأراد فعلها وما سوى ذلك من الوضوء فمسنون ، ولنورد أولاً آداب قضاء الحاجة وكيفية الاستنجاء وآدابه وسننه ، ثمّ فضيلة السواك وآدابه إذ هو من مقدّمات الوضوء ، ثمّ كيفية الوضوء وآدابه وفضيلته .

### ✽ ( آداب قضاء الحاجة ) ✽

ينبغي أن يعمد إلى الخلاه ويبعد عن أعين الناظرين في الصحراء ، وأن يتستّر بشيء إن وجد ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن يغطّي رأسه لئلا يصل الرائحة إلى دماغه بل يقنّع فوق العمامة أيضاً كما كان يفعل الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup> إقراراً بأنّه غير مبرّء نفسه عن العيوب وأن يقدم في الدخول رجله اليسرى ويقول : « بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » ويقول عند الكشف : « بسم الله » ليفضّ الشيطان بصره كذا في الحديث<sup>(٢)</sup> ، وأن لا يجلس في موارد المياه ،

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ٨ ، والفقير ص ٧ تحت رقم ٢ .

(٢) راجع الفقير ص ٧ تحت رقم ٤ و ٥ . والكافي ج ٣ ص ١٦ .

و الطرق النافذة ، و مساقط الثمار ، و مواطن النزال ، و مواضع اللعن كأبواب الدور ، و على القبر ، و لا يستقبل القبلة ، و لا يستدبرها خصوصاً في الصحراء ؛ و عن الرضا عليه السلام « من بال حذاء القبلة ثم ذكر فأنحرف عنها إجلالاً للقبلة و تعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتى يغفر له » <sup>(١)</sup> و لا يستقبل النيرين بالفرج و لا الريح بالبول ، و لا يبول في الصلبة ، و لا قائماً ، و لا مطمئناً <sup>(٢)</sup> ، و لا في الحجر ، و لا في الماء و يتأكد في الراكب ، و لا يأكل عليه ، و لا يشرب ، و لا يستاك و لا يتكلم إلا لضرورة ، و لا بأس بذكر الله فإن موسى عليه السلام قال : يا رب إني أكون في أحوال أجلك أن أذكرك فيها ، فقال : يا موسى أذكرني على كل حال <sup>(٣)</sup> و لا يدخل معه الخلاء خائماً عليه اسم الله أو مصحفاً فيه القرآن ، فإن دخل و عليه خاتم عليه اسم الله فليحو له عن يده اليسرى إذا أراد الاستنجاء ويقول عند الفعل : « الحمد لله الذي أطعمني طيباً في عافية و أخرجني مني خبيثاً في عافية » و في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله « ما من عبد إلا و به ملك موكل يلوي عنقه حتى ينظر إلى حديثه ثم يقول له الملك : يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذه و إلى ما صار ، فعند ذلك ينبغي للعبد أن يقول : « اللهم ارزقني الحلال و جنبني الحرام » <sup>(٤)</sup> .

قال بعض علمائنا - رحمه الله - <sup>(٥)</sup> تذكر بتخليك لقضاء الحاجة تفصك و حاجتك و ما تشتمل عليه من الأقدار و ما في باطنك و أنت تزين ظاهرك للناس والله تعالى مطلع على خبث باطنك و خسة حالك ، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن و الأخلاق الداخلة في الأعماق المفسدة لك على الإطلاق لتريح نفسك عند إخراجها وتسكن قلبك من دنسها

(١) الفقيه ص ٨ تحت رقم ٨ .

(٢) طلع الفرس - من باب التفعيل - رفع يديه ، وبالشئ : رماء في الهواء . وفي الفقيه ص ٨ نبي الرسول صلى الله عليه وآله أن يطمح ببوله في الهواء من السطح أو من الشئ المرتفع .

(٣) رواء الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ١٧٤ و في العيون والفقيه أيضاً .

(٤) رواء الصدوق في علل الشرائع ج ١ باب ١٨٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(٥) يعني الشهيد الثاني - رحمه الله - ذكره في كتابه المسمى بأسرار الصلاة

ص ١٨٢ من طبعه الملحق بكشف القواعد .

و تخفف لبك من ثقلها و تصلح للوقوف على بساط الخدمة و التأهل للمناجات ولا تستر ما ظهر منك ، فلا بد أن يظهر عليك ما بطن لأن الطبيعة تظهر ما كمن فيها و تفتضح حينئذ بما سترته عن الناس كما يفعله الله بكل مدلس ، قال الصادق عليه السلام : سمي المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات و است فراغ الكثافات و القدر فيها ، و المؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها و يتركها ، و يفرغ نفسه و قلبه عن شغلها ، و يستنكف عن جمعها و أخذها استنكافه عن النجاسة و الغائط و القدر ، و يتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ، و يعلم أن التمسك بالقناعة و التقوى تورث له راحة الدارين ، و أن الراحة في هوان الدنيا و الفراغ من التمتع بها و في إزالة النجاسة من الحرام و الشبهة فينغلق عن نفسه باب الكبير بعد معرفته إياها و يفر من الذنوب و يفتح باب التواضع و الندم و الحياء و يجتهد في أداء أوامره و اجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب و طيب الزلفى ، و يسجن نفسه في سجن الخوف و الصبر و الكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار و يذوق طعم رضا فإن المعلوم ذلك و ما عداه لا شيء (١) .

### ✽ ( كيفية الاستنجاء و آدابه ) ✽

إذا فرغ من قضاء الحاجة يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار طاهرات منشقات أو خرق أو مدر أو نحوها ، و يحرم العظم و الروث و المطعوم و المحترم فإن لم يحصل الإيقاء بثلاثة فليتم خمسة أو سبعة إلى أن تنقي فالإيتار نفل و الإيقاء فرض و في الحديث « من استجمر فليوتر » (٢) هذا إن أراد الاقتصار على الحجر و الأفضل أن يستنجي بالماء

(١) انتهى كلام الشهيد - رحمه الله - في أسرار الصلاة و نقل من خبر الصادق عليه السلام

وما بعده الى هنا من مصباح الشريعة الباب التاسع .

(٢) أخرجه البزاز والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وآله كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢١١ ، ورواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج ١

ص ١٣ والاستبصار طبع النجف ج ١ ص ٥٢ هكذا « اذا استنجى أحدكم فليوتر » .

ففي الحديث النبوي ﷺ : « أنه مطهرة للحواشي و مذهبة للبواسير » (١) و  
الأكمل أن يجمع بينهما فقد روي أنه لما نزل قوله تعالى : « فيه رجال يحبون أن  
يتطهروا والله يحب المتطهرين » (٢) قال رسول الله ﷺ لأهل قبا : « ما هذه  
الطهارة التي أثنى الله بها عليكم ؟ قالوا : إنما نجمع بين الماء والحجر » (٣) .

و في كتاب من لا يحضره الفقيه (٤) « كان الناس يستنجون بالأحجار فأكل رجل  
من الأنصار طعاماً فلان بطنه فاستنجد بالماء فأقر الله تبارك و تعالى فيه « إن الله يحب  
التواابين و يحب المتطهرين » (٥) فدعاه رسول الله ﷺ فخشي الرجل أن يكون قد  
نزل فيه أمر يسوؤه فلمّا دخل قال له رسول الله ﷺ : هل عملت في يومك هذا شيئاً ؟  
قال : نعم يا رسول الله أكلت طعاماً فلان بطني فاستنجدت بالماء فقال له : أبشر فإن الله  
تبارك و تعالى قد أنزل فيك « إن الله يحب التواابين و يحب المتطهرين » .

وينبغي أن ينتقل من موضع الحاجة إلى موضع آخر ويستنجد بالماء بأن يفيضه  
باليمنى على محلّ النجس ويدلكه باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحسّ اللّمس  
ويطمئن نفسه ، ولا يستقصي فيه بالتعرّض للباطن فإنّ ذلك منبع الوسواس ، وليعلم أنّ  
كلّما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم يبرزوكلّ  
ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله فلامعنى للوسواس  
وليقلّ أوّل ما صبّ الماء على يده للاستنجاء : « الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله  
نجساً » وعند الاستنجاء « اللهم حصّن فرجي وأعفّ عني ، واستر عورتني ، وحرّمني على النار ،  
وعند الفراغ منه « الحمد لله الذي أفاض عني الأذى وهنّأتني طعامي و شرابي و عافاني

(١) المراد بالحواشي جوانب المخرج والخبر في التهذيب ج ١ ص ١٣ . والكافي

ج ٣ ص ١٢ تحت رقم ١٢ .

(٢) التوبة : ١٠٨ .

(٣) راجع مجمع الزوائد ج ١ ص ٢١٢ ، ونيل الاوطار ج ١ ص ١٢٥ منقول فيهما

عن البزاز والترمذی و أبي داود وابن ماجه .

(٤) ص ٨ تحت رقم ٢١ . (٥) البقرة : ٢٢٢ .



البولى ، <sup>(١)</sup> ويبتدىء في الاستنجاء بالمقعدة ثم بالاحليل ، ويستبرىء من البول بالتنحج والنتر ثلاثاً <sup>(٢)</sup> بعد إمرار اليد على أسفل القضيب ثلاثاً ثم يغسل ذكره ، ويكره مسح الذكرك باليمين .

قال أبو حامد : « ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء ، فإن كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ، ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس ، وفي الخبر أن النبي ﷺ فعل ذلك أعني رش الماء وقد كان أخفهم استبراء أفقهم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه » .  
أقول : وفي كتاب من لا يحضره الفقيه « سأل حنان بن سدير أبا عبد الله عليه السلام فقال : إني ربما بلت فلا أقدر على الماء ويشد ذلك عليّ فقال : إذا بلت وتمسحت فامسح ذكرك بريقك فإن وجدت شيئاً فقل : هذا من ذاك » <sup>(٣)</sup> ولعل المراد بالذكر غير محل النجاسة منه .

وفي الصحيح « عن الصادق عليه السلام في الرجل يبول قال : ينتره ثلاثاً ثم إن سال حتى يبلغ الساق فلا يزال » <sup>(٤)</sup> .  
وفي الحسن « عن الباقر عليه السلام في رجل بال ولم يكن معه ماء قال : يعصر أصل ذكره إلى طرفه ثلاث عترات وينتر طرفه فإن خرج بعد ذلك شيء فليس من البول ولكن من الحبائل » <sup>(٥)</sup> والحبائل عروق الظهر .

(١) الفقيه من ٨ تحت رقم ١٩ وراجع الكافي ج ٣ ص ١٦ والتهذيب ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) النتر : الجلب ، والاستنتار من البول : استخراج بقية ما في الذكر بالاجتداب

والاهتمام به .

(٣) الفقيه من ١٦ تحت رقم ١٢ ، والكافي ج ٣ ص ٢٠ . ولعله شكاً عن البلل الذي ربما يجده الانسان في ثوبه أو بدنه بعد البول بزمان وهو قد يكون من العرق وقد يكون خارجاً من مخرج البول وهو موجب للوسواس فعلمه ﷺ حيلة شرعية ليتخلص بها عن تلك المضيق .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٩ وفي الاستبصار ج ١ ص ٩٤ نحوه .

(٥) الكافي ج ٣ ص ١٩ تحت رقم ١ وقد مر معنى النتر .

ولا يجري في تطهير مخرج البول غير الماء عند أصحابنا كافة كذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام وإذا خرج من الخلاء فليقدم رجله اليمنى وليقل ماسحاً بطنه : « الحمد لله الذي أخرج عني أذاً وأبقى في جسدي قوته فيالها من نعمة لا يقدر القادرون قدرها » .  
قال أبو حامد « في حديث سلمان : علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة أمرنا أن لا نستجمر بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول » <sup>(١)</sup> وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه : لا أحسبك تحسن الخراءة فقال : بلى وأبيك وإني بهالغازق أبعد الأثر ، وأعد المدر ، واستقبل الشيخ ، وأستدبر الريح ، وأقعى إقعاء الطيبي ، وأجفل جفال النعام .

الشيخ ثبت طيب الرائحة يكون بالبادية ، والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والأجفال أن يرفع عجزه » .

قال : « و من الرخصة أن يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليستن للناس » .

## ﴿ فصل ﴾

### ﴿ فضيلة السواك و آدابه ﴾

إذا فرغ من الاستنجاء يشتمل بالوضوء ، فقد قيل : لم ير رسول الله ﷺ قط خارجاً من الغائط إلا توضعاً وابتدىء بالسواك .

فعن النبي ﷺ : « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك » <sup>(٢)</sup> فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة .

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٤٣٧ .

(٢) رواه البرقي في المعاسن ص ٥٥٨ . وأخرجه ابن ماجه عن علي بن أبي طالب

عليه السلام تحت رقم ٢٩١ .

- وعنه عليه السلام : « صلاة على أثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير السواك » <sup>(١)</sup> .  
وقال عليه السلام : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة » <sup>(٢)</sup> .  
وقال عليه السلام : « مالي أراكم تدخلون عليّ فلحاً استاكوا » <sup>(٣)</sup> أي صفراً لآسنان .  
وكان عليه السلام يستاك في الليلة مراراً <sup>(٤)</sup> .  
وقال عليه السلام : « مازال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالسواك حتى خشيت أن أحفي أو أدرء » <sup>(٥)</sup> وهما على صيغة التكلم أي استقصي على أسناني فأذهبها بالتسوك ، والدرء : سقوط الأسنان .  
وقال عليه السلام : « السواك شطر الوضوء » <sup>(٦)</sup> .  
وقال عليه السلام : « لكل شيء طهور وطهور الفم السواك » <sup>(٧)</sup> .  
وروي « لوعلم الناس ما في السواك لا باتوه معهم في لحافهم » <sup>(٨)</sup> .  
وقال الباقر عليه السلام : « صلاة ركعتين بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك » <sup>(٩)</sup> .  
وقال الباقر عليه السلام في السواك : « لا تدعه في كل ثلاثة أيام ولو أن تمر مرة واحدة » <sup>(١٠)</sup> .

- (١) أخرجه أبو نعيم في الحلية في كتاب السواك من حديث ابن عمر . كما في المغني و نقله المجلسي - ره - في البحار ج ١٦ باب السواك عن اعلام الدين للديلمى .  
(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٢ . وسنن ابن ماجه تحت رقم ٢٨٧ .  
(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٩٦ . والقلح صفة تملو الاسنان ووسخ ير كبتها .  
(٤) راجع سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٠٦ . وأبى داود ج ١ ص ١٤ .  
(٥) الكافي ج ٣ ص ٢٣ ، وج ٦ ص ٤٩٥ .  
(٦) البحار ج ١٦ باب السواك عن كتاب الامامة والتبصرة .  
(٧) رواء الصدوق في العلل ج ١ باب ٢٢٧ . والفقيه ص ١٣ تحت رقم ٩ .  
(٨) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٦ .  
(٩) الكافي ج ٣ ص ٢٢ تحت رقم ١ ، والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١١ .  
(١٠) الكافي ج ٣ ص ٢٣ تحت رقم ٤ . والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٢ .

وقال الصادق عليه السلام: «في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السنة، و مطهرة للغم، و مجلاة للبصر، و يرضي الرحمن، و يبيض الأسنان، و يذهب بالحفر، و يشد اللثة، و يشهي الطعام، و يذهب بالبلغم، و يزيد في الحفظ، و يضعف الحسنات، و تفرح به الملائكة، (١)» .

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح بالعرض ففي الحديث النبوي ﷺ «اكتحلوا وترأ، واستاكوا عرضاً» (٢) .  
ووقته عند كل صلاة، وعند كل وضوء و إن لم يصل عقيب، وعند تغير النكبة بالنوم، أو طول الازم (٣) أو أكل ما يكره رائحته .

و عن الصادق عليه السلام «إذا قمت بالليل فاستاك فإن الملك يأتيك فيضع فاه على فيك وليس من خرف تلووه إلا صعوده إلى السماء، فليكن فوقك طيب الريح» (٤) و يجوز الاعتياض عنه بالمسبحة والابهام عند عدمه أو ضيق الوقت كما يستفاد من الأخبار .

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «وكما تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك وما كلك بالسواك كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالأسحار وطهر باطنك وظاهره من كدورات المخالفات و ركوب المناهي كلها خالصاً لله فإن النبي ﷺ أراد باستعماله مثلاً لأهل اليقظة، وهو أن المسواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك، و الأسنان خلق خلقه الله تعالى في الفم آلة وأداة للمضغ وسبباً لاشتواء الطعام وإصلاح المعدة، وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام و تتغير بها رائحة الغم و يتولد منها الفساد في الدماغ فإذا استاك المؤمن الغطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغير

(١) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٨ ، وفي المحاسن ص ٥٦٢ والكافي ج ٦ ص ٤٩٥

تحت رقم ٦ . والحفر - بالتحريك - : سلاق في اصول الاسنان أو صفرة تعلوها ويسكن.

(٢) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٣ . (٣) الازم : الصمت والامساك .

(٤) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٢٣ . و روى نحوه البرقي

في المحاسن ص ٥٥٩ .

وعادت إلى أصلها كذلك خلق الله القلب طاهر أصافياً وجعل غذاءه الذكرو الفكر والهيئة والتعظيم وإذا شيب القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر صقل بمسئلة التوبة ونظف بماء الإنابة ليعود إلى حالته الأولى وجوهرته الأصلية العافية، قال الله عز وجل: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»، وقال النبي ﷺ: «عليكم باستواك ظاهر الأسنان» وأراد هذا المعنى، ومن أناخ تفكره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع أجر المحسنين<sup>(١)</sup>.

### ❖ (كيفية الوضوء وآدابه وسننه) ❖

إذا فرغ من السواك يجلس للوضوء مستقبلاً القبلة ويقول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فعن النبي ﷺ «لا وضوء لمن لم يسم الله»<sup>(٢)</sup> أي لا وضوء كاملاً. وعنه ﷺ «من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء إلى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من جسده إلا ما أصابه الماء». وعن الصادق عليه السلام «من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنما اغتسل» رواهما في الفقيه<sup>(٣)</sup>.

ويقول عند النظر إلى الماء: «الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً» ثم يغسل يديه من الزندين مرة للنوم أو البول، ومرتين للغائط قبل إدخالهما الإناء إن اغترف من إناء ويقول: «بسم الله وبالله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» وتجزئ هذه التسمية عن الأولى، ثم يغمض ثلاثاً بثلاث أكف ويقول: «اللهم لقنني حجتي يوم ألقاك وأطلق لساني بذكراك» ثم يستنشق كذلك ويقول: «اللهم لا تحرمني ریح الجنة واجعلني ممن يشم ريحها وروحها وطيبها». قال أبو حامد: «ثم يستنثر ما فيه ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار» لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة». انتهى.

(١) مصباح الشريعة الباب الثامن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٤٦ عن أبي هريرة.

(٣) ص ١٢ تحت رقم ١٧ و ١٨. ورواهما الدار قطنی من حدیث أبي هريرة.

ثمَّ يغترف يمينه غرفة وينوي نفسه أنه يتوضأ تقرأ بآ إلى الله تعالى و يغسل بها وجهه ضارباً بها عليه صيفاً و شتاءً فإنه إن كان ناعساً فزح واستيقظ وإن كان البرد فزح فلم يجد البرد (كذا عن الصادق عليه السلام) (١) و يبتدئ بأعلى الوجه قائلاً : « اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُّ الْوُجُوهُ وَلَا تَسْوَدُّ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيِضُ الْوُجُوهُ » و يمرّ يده عليه و يخلّل الشعر و يفتح عينيه . و حدّد الوجه طولاً و عرضاً مادارت عليه الإبهام والوسطى ثمَّ يأخذ غرفة بيده اليسرى و يغسل بها اليمنى مبتدئاً بالمرفق و بظاهر الذراع والمرأة يباطنها ، يمرّ آ يده عليها ، مخلّلاً للشعور والمساتر ، محرّكاً للخاتم ونحوه ، قائلاً : « اللَّهُمَّ أعطني كتابي يميني ، والخلد في الجنان بيساري ، وحاسبني حساباً يسيراً » ثمَّ يأخذ غرفة أخرى بيده اليمنى و يغسل بها اليسرى كاختها قائلاً : « اللَّهُمَّ لا تعطني كتابي بشمالي ، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي ، و أعوذ بك من مقطّعات النيران » ثمَّ يمسح بالبلل الذي على يمينه بشرة مقدّم رأسه أو شعره الذي لا يخرج بمده عن حذّه بمقدار ثلاث أصابع مضمومة أو أكثر قائلاً : « اللَّهُمَّ غشّني رحمتك وبركاتك » ثمَّ يبقية ذلك البلل ظهر قدمه اليمنى من رؤوس الأصابع إلى الكعب - أعني مفصل الساق والقدم بكلّ الكف - ثمَّ يبلل يساره قدمه اليسرى كذلك قائلاً : « اللَّهُمَّ ثبتّني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي » ويقول عند الفراغ : « الحمد لله ربّ العالمين » .

والواجب فيه النية و غسل الوجه واليدين إلى المرفقين و مسح شيء من مقدّم الرأس وشيء من ظهر القدمين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين ، و الترتيب و الموالات ، والأولى وحدة الغسلات بل الاقتصار على غرفة أو غرفتين و الأصابع بمده ، و ماورد أن الوضوء مرّتين أو أن المرّتين إسباغ فمجمّل مأوّل ، وفي الفقيه (٢) قال الصادق عليه السلام : « والله ما كان وضوء رسول الله ﷺ إلا مرة مرة ، و توضأ النبي ﷺ مرة مرة » ، فقال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به .

(١) علل الشرائع ج ١ باب ١٩٣ والتهذيب ج ١ ص ١٠٢ وفيه « فليصق وجهه بالماء »  
وقد نهى النبي (ص) عن ضرب الماء بالوجه وقال : شئوا الماء شئاً . التهذيب ج ١ ص ١٠٢ .  
(٢) ص ١٠ تحت رقم ٣ .

وفيه عن النبي ﷺ «الوضوء مدٌّ والفسل صاع وسيأتي أقوام من بعدي يستقلّون ذلك فأولئك على خلاف سنتي والثابت على سنتي معي في حظيرة القدس» (١) وطعن - رحمه الله - (٢) في أخبار المرتين بانقطاع الإسناد وعدم الدلالة صريحاً وأيد المرتة بما روي «أنّ الوضوء حدٌّ من حدود الله ليعلم الله من يطيعه و من يعصيه ، وأنّ المؤمن لا ينجسه شيء ، وإتّما يكفيه مثل الدّهن» ، وقد قال الله تعالى : « ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه » (٣).

وقال الصادق عليه السلام : « من تعدّى في وضوئه كان كناقضه » (٤) وإلى هذا ذهب ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - رحمه الله - أيضاً (٥) ويمكن تنزيل حديث المرتين على الغرفتين كما يشعر به ما ورد عن الباقر عليه السلام أنّه سئل « الغرفة الواحدة تجزئ للوجه وغرفة للمفراخ ؟ قال : نعم إذا بالغت فيها والثنتان تأمّيان على ذلك كلّ » (٦).

ويكره الاستعانة ، والمشمس (٧) والآجن ، وسؤر غير المأمون ، والمستعمل في رفع الأكبر .

قال أبو حامد : «و مهما فرغ عن وضوئه وأقبل على الصلاة ينبغي أن يخطر بباله أنّه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الربّ وليتحقّق أنّ طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق الذميمة فإنّ من اقتصر على طهارة الظاهر فهو كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات و اشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدره بالتعرّض للمقت والبوار » انتهى كلامه .

وسياًتي في هذا الباب كلام آخر عن بعض علمائنا عن قريب .

(١) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٢ . (٢) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٤ .

(٣) الآية في سورة الطلاق : ٢ ، والخبر في الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٦٥ ، والكافي

ج ٣ ص ٢١ تحت رقم ٢ .

(٤) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٦ . وقوله : « كناقضه » نقل عن السيد الداماد

قراءته بالصاد . (٥) راجع الكافي ج ٣ ص ٢٧ ذيل الحديث التاسع .

(٦) التهذيب ج ١ ص ١٠٢ ، (٧) أي الماء المسخن بالشمس .

## ﴿ بيان فضيلة الوضوء ﴾

عن النبي ﷺ « من توضأ فأصبح الوضوء وصلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدّم من ذنبه » (١).

وعنه ﷺ « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات ؟ إسباغ الوضوء في المكاره ، ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » (٢) وعنه ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور ومن جدّد وضوءه من غير حدث جدّد الله توبته من غير استغفار » (٣).

وعنه ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » (٤).

وعن الصادق عليه السلام « الطهر على الطهر عشر حسنات » (٥).

وعن الكاظم عليه السلام « من توضأ للمغرب كان وضوؤه ذلك كفارة لما مضى من ذنوبه في نهاره ما خلا الكبائر ، ومن توضأ لصلاة الصبح كان وضوؤه ذلك كفارة لما مضى من ذنوبه في ليلته إلا الكبائر » (٦).

وروي « أن تجديد الوضوء لصلاة العشاء يمحو « لا والله » و « بلى والله » (٧).

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١١٧ و ص ١١٢ . و أيضاً ابن المبارك في

الزهد و الرقائق . والراوندي في لب اللباب كما في مستدرک الوسائل ج ١ ص ٥٢ .

(٢) إمامي الصدوق - رحمه الله - ص ١٩٤ بادنئ تقيير ، و بلفظه في دعائم الاسلام

كما في مستدرک الوسائل ج ١ ص ٥١ .

(٣) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٥١٢ . و أبو داود ج ١ ص ١٥ .

(٥) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٣ ص ٧٢ تحت رقم ١٠ .

(٦) الكافي ج ٣ ص ٧٢ تحت رقم ٩ .

(٧) نواب الاعمال للصدوق - رحمه الله - ص ١٧ .



### ❖ (المطلب الثاني في الغسل) ❖

وأسبابه الموجبة له : إنزال المنى ، وإيلاج الحشفة ، والحيض ، والنفاس ، والاستحاضة غير القليلة ، ومسّ المنيّ بعد البرد وقبل الغسل ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة وأراد فعلها وماسوى ذلك من الأغسال فمسنون .

وكيفيته أن يستبرى بالبول إن قدر عليه وإلا فبما مرّ في الاستبراء من البول إن كان منزلاً ويضع الإناء على يمينه ويزيل ما على بدنه من نجاسة و يغسل يديه من الزندين ثلاثاً قبل أن يدخلهما الإناء و إلى المرفقين أفضل ، ويسمّى ، ويمضمض ، ويستنشق آتياً بأذعيتها ثم ينوي في نفسه أنه يغتسل تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ ، ويصبّ الماء على رأسه ثلاثاً مرّاً يده عليه مخلّلاً أذنيه بأصبعيه ، موصلاً للماء إلى منابت الشعور كلّها ، ثم يغسل شقه الأيمن كذلك ، ثم الأيسر كذلك مبالغاً في إيصال الماء وتخليل الموانع والسواتر .

قال الصادق عليه السلام : « من ترك شعرة من الجنباة متعمداً فهو في النار »<sup>(١)</sup> ويقول عند غسل الأعضاء : « اللهم طهر قلبي ، وتقبل سعيي ، واجعل ما عندك خيراً لي ، اللهم اجعلني من التوّابين ، واجعلني من المتطهّرين » ويسبغ الغسل بصاع ، وإن ارتمس في الماء ارتماسة واحدة أجزاءه ، وسقط الترتيب وذلك الجسد ، ويكره الاستعانة ، والمشمس<sup>(٢)</sup> والآجن ، والراكد ، والمستعمل . فعن الرضا عليه السلام : « من اغتسل من الماء الذي قد اغتسل فيه فأصابه الجذام فلا يلو من إلا نفسه »<sup>(٣)</sup> ، ولا موالاة في الغسل إتفاقاً ، والواجب فيه النية ، واستيعاب البدن بالغسل ، وتقديم الرأس على الجسد ، والأحوط تقديم الشقّ الأيمن على الأيسر أيضاً ، وأوجب جماعة من أصحابنا الوضوء مع الغسل في غير الجنباة قبله أو بعده ، ومنهم من أوجب التقديم ومستندهم في ذلك ما رواه ابن أبي عمير ، عن رجل ،

(١) رواه الصدوق - ره - في الامالي ص ٢٩٠ ، والشيخ - ره - في التهذيب ج ١ ص ٣٨ .

(٢) يعني الماء الذي يعمى بالشمس .

(٣) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٨ .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كلَّ غُسلٍ قبله وضوءٌ إلَّا غُسلَ الجنابة » <sup>(١)</sup> و نفاء السيد المرتضى - رحمه الله - وشرذمة ، وهو الصحيح للأخبار الصحيحة المستفيضة الراجعة على هذا الخبر بأنواع التراجيح المعتمدة ولاسيما ماورد الأمر به عنهم عليهم السلام عند اختلاف أخبارهم كملاحظة حال الراوي في الأوثنية والأفقيّة وغيرهما ، وكمخالفته لفتوى العامة وغير ذلك .

منها ما رواه في التهذيب <sup>(٢)</sup> بإسناده الصحيح « عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : الغسل يجزئ عن الوضوء ، و أيُّ وضوءٍ أظهر من الغسل » .

و منها ما رواه فيه <sup>(٣)</sup> أيضاً بإسناده الصحيح « عن حكيم بن حكيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن غُسلِ الجنابة - إلى أن قال - : قلت : إنَّ الناس يقولون : يتوضأ وضوء الصلاة قبل الغسل ، فضحك وقال : أيُّ وضوءٍ أنقى من الغسل وأبلغ » .

ومنها ما رواه فيه <sup>(٤)</sup> أيضاً بإسناده الموثق « عن عمار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل إذا اغتسل من جنابة أو في يوم الجمعة أو يوم عيد هل عليه الوضوء قبل ذلك أو بعده ؟ فقال : لا ، ليس عليه قبل ولا بعد قد أجزأه الغسل ، و المرأة مثل ذلك إذا اغتسلت من حيض أو غير ذلك فليس عليها الوضوء لأقبل ولا بعد قد أجزأها الغسل » <sup>(٥)</sup> .

و في مكتبة محمد بن عبد الرحمن إلى الهادي عليه السلام « يسأله عن الوضوء للصلاة في غُسل الجمعة فكتب لا وضوء للصلاة في غُسل يوم الجمعة ولا غيره » <sup>(٦)</sup> .

و في رسالة حماد بن عثمان « عن الصادق عليه السلام في الرجل يغتسل للجمعة أو غير ذلك أيجزئه عن الوضوء ؟ فقال عليه السلام : و أيُّ وضوءٍ أظهر من الغسل » <sup>(٧)</sup> .

و في التهذيب عنهم عليهم السلام بعدة روايات « أنَّ الوضوء بعد الغسل بدعة » وفي بعضها « أنَّ الوضوء قبل الغسل و بعده بدعة » <sup>(٨)</sup> .

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٥ تحت رقم ١٣ .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) في المجلد الاول ص ٣٩ .

(٦) و (٧) و (٨) التهذيب ج ١ ص ٣٩ . والاستبصار ج ١ ص ١٢٦ .

و يدل على ذلك أيضاً الأخبار الصحيحة المستفيضة المتضمنة لوجوب الغسل على ذات شيء من الدماء الثلاثة حيث لا إشعار في شيء منها بالوضوء معه بوجه بل ظواهرها تنفيه مع أنها واردة في مقام البيان كما يظهر لمن يقف عليها . والله المستعان .

### ❖ (المطلب الثالث في التيمم) ❖

و أسبابه أسباب الوضوء والغسل بعينها مع العجز عنهما ، إما لفقد الماء بعد طلبه أو لمانع من الوصول إليه من سبع أحواس ، أو كون الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو عطش رفيقه ، أو كونه ملكاً لغيره ولا يبيع إلا بالثمن المجحف ، أو كان به جراحة أو مرض يخاف منه على نفسه فيصبر حتى يدخل وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيداً عليه تراب خالص طاهر لين يشور الغبار منه ، فينزع خاتمه ، ثم يضرب عليه بكفيه مفرجي الأصابع ناوياً في نفسه أنه يقيم تفرّجاً إلى الله مسمياً ، فيمسح بهما جبهته ويدخل الجبينين ، والأحوط إدخال الحاجبين أيضاً ، ثم يضرب ثانية فيمسح بباطن اليسرى ظاهر اليمنى من الزند وبالعكس ، وإن اقتصر على الضربة الأولى في المسحات الثلاث أجزأه بشرط بقاء علوق التراب على الأصح ، وجوز بعض أصحابنا استيعاب الوجه واليدين إلى المرفقين بالمسح لورود الروايات بذلك أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام ، ولا بأس به وإن كان تركه أحوط لاحتمال التقيّة فيها والواجب فيه النيّة والضرب والمسحات الثلاث والترتيب والمالات وطهارة التراب وطهارة المحال مع الإمكان ، فهذه أحكام الطهارات وآدابها مما لا بدّ منه لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله ، وما عداها من المسائل يحتاج إليها في عوارض الأحوال ، فيرجع فيها إلى كتب الفقه هكذا قال أبو حامد بعد ما ذكر من المسائل نحواً مما ذكرناه .

### ❖ فصل ❖

قال بعض علمائنا <sup>(١)</sup> - رحمه الله - : أمّا الطهارة فليستحضر في قلبه أن تكليفه

(١) يعني به الشهيد - رحمه الله - قاله في أسرار الصلاة ص ١٨٠ من طبعه الملحق

بكشف القوائد .

فيها بغسل الأطراف الظاهرة و تنظيفها لاطلاع الناس عليها ، و لكون تلك الأعضاء مباشرة للأمور الدنيوية منهمكة في الكدورات الدنية ، فلأن يطهر مع ذلك قلبه الذي هو موضع نظر الحق تعالى - « فإنه لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » ، و لأنه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها في تلك الأمور المبعدة عن جنباته تعالى و تقدس - أولى و أخرى ، بل هذا تنبيه واضح على ذلك و بيان شاف لما هنالك ، و ليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى و الإقبال عليه و الالتفات عن الدنيا بالقلب و الحواس لتلقى السعادة في الآخرة أن الدنيا و الآخرة ضرمتان كلما قربت من إحديهما بعدت عن الأخرى ، فلذلك أمر بالتطهير منها<sup>(١)</sup> عند الاشتغال و الإقبال على الآخرة ، فأمر في الوضوء بغسل الوجه لأن التوجه و الإقبال بوجه القلب على الله به ، و فيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا فأمر بغسله ليتوجه به وهو خال من تلك الأدناس و يترقى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس ، ثم أمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنية و المشتبهات الطبيعية ، ثم بمسح الرأس لأن فيه القوة المفكرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية ، و تنبعت الحواس حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيوية ، المانع من الإقبال على الآخرة السنية ، ثم بمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبه و يتوصل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باق الأعضاء و حينئذ فيسوغ له الدخول في العبادة و الإقبال عليها فائثراً بالسعادة ، و أمر في الغسل بغسل جميع البشرة لأن أدنى حالات الإنسان و أشدها تعلقاً و تملكاً بالملكات الشهوية حالة الجماع و موجبات الغسل ، و لجميع بدنه مدخل في تلك الحالة و لهذا قال رسول الله ﷺ : « إن تحت كل شعرة جنابة »<sup>(٢)</sup> ، فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية ، منغمساً في اللذات الدنية كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة و الدخول في العبادة المنيفة ، و يبعد عن القوى

(١) في بعض النسخ [ من الدنيا ] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٥٧ .

الحيوانية ، واللذات الدنيا وية ولما كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفروالنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل ، وأمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة ، وضمناً لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة ، وهكذا يخطر أن القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة وتحليلته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء ويسقه بسياط الذلّ والأعضاء عسى أن يطّلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متواضع فيهبه نغمة من نفحات نوره اللامع ، فإنّه عند القلوب المنكسرة كما ورد في الأثر ، فترقّ من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال ، وتلافي سالف الإهمال ، ومن الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك قول الصادق عليه السلام : « إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله ، فإنّ الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربه ومناجاته ودليلاً إلى بساط خدمته » (١) .

وكما أنّ رحمته يطهّر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهّر ها الماء لا غيره ، قال الله تعالى : « وهو الذي أرسل الرّيح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً » (٢) وقال عزّ وجلّ : « وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ » (٣) فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدنيا (٤) كذلك بفضل ورحمته جعل حياة القلوب في الطاعات ، وتفكّر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكلّ شيء وفي كلّ شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وآت بأدائها فرائضه وسننه فإنّ سمحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ، ثمّ عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ شيء حقه ، ولا يتغيّر عن

(١) مصباح الشريعة الباب العاشر .

(٢) الاعراف : ٥٧ . (٣) الانبياء : ٣٠ .

(٤) لا مناسبة لذكر الآية الأخيرة هنا لأن معناها خلقتنا كل حيوان من الماء كقوله

تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء » فالظاهر المراد من الماء النطفة ، اللهم الا أن

يقال : قرء « حيا » بالنصب مفعولاً ثانياً لجعلنا .

معناه معتبراً لقول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الخالص كمثل الماء » <sup>(١)</sup> ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماء طهوراً ، وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء » <sup>(٢)</sup> .

وفي علل ابن شاذان ، عن الرضا عليه السلام <sup>(٣)</sup> : « إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأدناس و النجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرده النعاس ، و تزكية القوادر للقيام بين يدي الجبار ، و إنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار ، فأنما ينكشف من جوارحه و يظهر ما وجب فيه الوضوء و ذلك أنه بوجهه يسجد و يخضع ، ويبدء يسأل و يرغب و يرهب و يتبتّل ، و برأسه يستقبله في ركوعه و سجوده ، و برجليه يقوم و يقعد ، وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأن الجنابة من نفس الإنسان و هو شيء يخرج من جميع جسده و الخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب » <sup>(٤)</sup> .

أقول : و في رواية أخرى عنه عليه السلام : « و علّة التخفيف في البول و الغائط أنه أكثر و أدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرة ومشقته و مجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة و الجنابة لا تكون إلا بالاستلذاذ منهم والإكراه لأنفسهم » <sup>(٥)</sup> .

و قد حرم أبو حامد عن أمثال هذه الأسرار في هذا المقام ولم يأت من هذا القبيل إلا بقليل مع أنه عنوان الكتاب بأسرار الطهارة لأنه لم يشرب من كأس متابعة أهل البيت عليهم السلام و قتنّد ، و نحن بحمد الله و توفيقه قد آتينا بما رامه ، و إن لم نستوف تمامه .

قال : القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة و هي نوعان : أوساخ ، وأجزاء . النوع الأوّل : الأوساخ و الرطوبات المترسّخة و هي ثمانية :

(١) مصباح الشريعة الباب العاشر . و في بعض نسخه « المؤمن المخلص » .

(٢) من قوله : « اذا أردت الطهارة و الوضوء » الى هنا في مصباح الشريعة

الباب العاشر .

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ٣٤ .

(٤) انتهى كلام الشهيد - رحمه الله . (٥) العيون الباب الثالث و الثلاثون .

الأول : ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن و القمل ، و التنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للفتن ، وكان رسول الله ﷺ يدهن الشعر ويرجله غبياً و يأمر به ويقول : « ادهنوا غبياً » <sup>(١)</sup> وقال ﷺ : « من كانت له شعرة فليكرمها » <sup>(٢)</sup> أي ليصنها عن الأوساخ ؛ و دخل عليه رجل نائر الرأس ، أشعث اللحية ، فقال : أما كان لهذا دهن يُسكن به شعره ، ثم قال : يدخل أحدكم كأنه شيطان » <sup>(٣)</sup>.

**أقول :** المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام أن جز الشعر و حلقة أفضل من إطالته و امتخاذه ، وأن شعر رسول الله ﷺ لم يبلغ الفرق إلا في عام صد عن البيت . و روى في الكافي <sup>(٤)</sup> عن عمرو بن ثابت ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : إنهم يروون أن الفرق من السنة ؛ قال : من السنة ، قلت : و يزعمون أن النبي ﷺ فرق قال : ما فرق النبي ﷺ ولا كانت الأنبياء عليهم السلام تمسك الشعر .

وفي رواية أخرى « أن رسول الله ﷺ كان إذا طال شعره كان إلى شحمة أذنه » <sup>(٥)</sup> و بإسناده ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : استأصل شعرك يقل درنه <sup>(٦)</sup> و دوابه و وسخه و تغلف رقبتك و يجلو بصرك . و في رواية أخرى « ويستريح بدئك » <sup>(٧)</sup> .

(١) مكالم الاخلاق ص ٥١ . و قال ابو الصلاح : حديث « ادهنوا غباً » لم أجد له اصلاً . و في سنن النسائي ج ٨ ص ١٣٢ عن قتاده عن حسن « أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن الترجيل الا غباً » أي يوم ويوم لا . و في سنن ابى داود ج ٢ ص ٣٩٤ عن عبد الله ابن مغفل مثله . و في الكافي ج ٦ ص ٥٢٠ عن الصادق عليه السلام « لا يدهن الرجل كل يوم » .  
(٢) أخرجه أبو داود في السنن ج ٢ ص ٣٩٥ وفيه « من كان له شعر فليكرمها » .  
(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٤٥ من حديث جابر - رضى الله عنه - بلفظ آخر .

و ص ١٣٨ من عطاء بن يسار و قال : أخرجه مالك .

(٤) المجلد السادس ص ٤٨٦ تحت رقم ٤ .

(٥) المجلد السادس ص ٤٨٥ تحت رقم ٣ .

(٦) استأصل شعر رأسك يعني جزها . و الدرن - بالتحريك - : الوسخ .

(٧) المجلد السادس ٤٨٤ تحت رقم ١ .

و بالإسناد الصحيح « عن أبي الحسن عليه السلام ثلاث من عرفهن لم يدعهن : جز الشعر ، وتشمير الثياب ، وتكاح الإماء » (١) .  
وقيل للصادق عليه السلام : « إن الناس يقولون : حلق الرأس مثله ، فقال عليه السلام : عمرة لنا ومثلة لأعدائنا » (٢) .

وبإسناده عنه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من اتخذ شعراً فليحسن ولايته وأوليجزه » (٣) .

وفي الفقيه « قال الصادق عليه السلام : من اتخذ شعراً فلم يفرقه فرقه الله بمنشار من نار يوم القيامة » (٤) .

وقال رسول الله ﷺ لرجل : « احلق رأسك فإنه يزيد في جالك » (٥) .  
قال أبو حامد :

« الثاني : ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه ، وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ، فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع .

الثالث : ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار .

الرابع : ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان من القلح (٦) ويزيله السواك والمضمضة ، وقد ذكرناهما .

الخامس : ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ، ويستحب إزالة

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٣ . وقال في الوافي

كتاب الطهارة ص ٩٨ : لعل المراد بجز الشعر ما يعم سائر أنحاء أزالته .

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٨٤ تحت رقم ٤ . (٣) الكافي ج ٦ ص ٤٨٥ تحت رقم ٢ .

(٤) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٦ دون قوله : « يوم القيامة » وهكذا نقله

المحدث النوري في المستدرک ج ١ ص ٥٨ و ٥٩ عن الجعفریات ودعائم الإسلام .

(٥) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٦ .

(٦) القلح - بتعريك - : الصفرة تملو الاسنان .



ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه ﷺ كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولاحضر<sup>(١)</sup> وهي سنة العرب .

وفي خبر غريب أنه ﷺ كان يسرح لحيته في اليوم مرتين<sup>(٢)</sup> فكان ﷺ كثر اللحية،<sup>(٣)</sup> وكان عليّ عليه السلام عريض اللحية ، وقد ملأت ما بين منكبيه<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث أغرب منه قالت عائشة : اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فرأيتهم يطلع في الحبّ يسوي من رأسه ولحيته ، فقلت له : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : « نعم ، إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم »<sup>(٥)</sup> والجاهل ربما يظن أن ذلك من حبّ التزيين للناس قياساً على أخلاق غيره ، وتشبيهاً للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله ﷺ مأموراً بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا يزدريه نفوسهم وتحسين صورته في أعينهم كيلا يستصغروه أعينهم فينفرهم ذلك و يتعلّق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدّى لدعوة الخلق إلى الله تعالى ، وهو أن يراعي من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال مباحة في أنفسها تكتسب الأوصاف من القصود ، فالتزيين على هذا القصد محبوب ، وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور فتركه شغلاً بما هو أهم منه محبوب ، فهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى ، والناقد بصير والتلبّيس غير رائج عليه بحال ، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق وهو يلبّس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير فتري جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمخالفين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر

(١) راجع مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٢ . ومكارم الاخلاق ص ٣٤ والمدرى

نوع من المشط .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٣٤ . وقال العراقي : رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف .

(٣) في خبر هند بن أبي هالة راجع معاني الاخبار ص ٨٠ .

(٤) راجع المجلد التاسع من البحار ص ٧ و ٨ من طبع الكمباني .

(٥) مكارم الاخلاق ص ٦٣ . وقال العراقي : أخرجه ابن عدى وقال : حديث منكر .

و يوم يبعثر ما في القبور و يحصل ما في الصدور ، فعند ذلك يتميز السبيكة الخالصة من البهرج ، فتعوز بالله من الخزي يوم العرّض الأكبر .  
**أقول :** وقد وردعن أهل البيت عليهم السلام في الحث على التمشيط أخبار كثيرة وهي مروية في الكافي و الفقيه وغيرهما .

وروى في الكافي <sup>(١)</sup> بسند حسن « عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل :  
 « خذوا زينتكم عند كل مسجد » <sup>(٢)</sup> قال : من ذلك التمشيط عند كل صلاة .  
 و عن الكاظم عليه السلام قال : المشط يذهب بالوباء ، وكان لأبي عبد الله عليه السلام مشط في المسجد يتمشط به إذا فرغ من صلاته <sup>(٣)</sup> .  
 و عنه عليه السلام « تمشطوا بالعاج فإن العاج يذهب بالوباء » <sup>(٤)</sup> .  
 و عنه عليه السلام إذا سرت رأسك ولحيّتك فأمر المشط على صدرك ، فإنه يذهب بالهم والوباء <sup>(٤)</sup> .

و عن الصادق عليه السلام « الثوب النقي يكبت العدو ، والدّهن يذهب بالبؤس ، والمشط للرأس يذهب بالوباء ، قيل : وما الوباء ؟ قال : الحمى ، والمشط للحمية يشد الأضراس » <sup>(٥)</sup> .  
 و في رواية أخرى « بالونا » <sup>(٦)</sup> بالنون وهو الضعف .  
 و سئل عليه السلام « عن عظام الفيل مداهنها وأمشاطها ، قال : لا بأس به » <sup>(٧)</sup> .

(١) المصدر ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧ . و الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ١٠٦ .

(٢) الاعراف : ٣١ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٨٨ تحت رقم ٢ .

(٤) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٠ . الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣ .

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٣٨٨ تحت رقم ١ .

(٦) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٢ . وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - في المرأة

ج ٤ ص ١١٢ : قال في الذكرى : الوباء - بالوحدة تحت و الهزة - و روى البرقي «الونا» بالنون والقصر وهو الضعف .

(٧) الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ١١ .

و ينبغي أن يقول عند التسمية : « اللهم سرّح عني الهموم و الغموم ، ووحشة الصدور ، ووسوسة الشيطان » كذا عن الصادق عليه السلام (١) .

و إذا فرغ منه يقول : « سبحان من زين الرجال باللّحى ، والنساء بالذوائب » .  
و قد ورد في الحديث على الخضاب أيضاً عن أهل البيت عليه السلام أخبار كثيرة ، ففي كتاب من لا يحضره الفقيه : « دخل الحسن بن الجهم على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام و قد اختضب بالسواد ، فقال : إن في الخضاب أجراً ، والخضاب والتهبئة مما يزيد الله عزّ وجلّ به في عفة النساء ، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهنّ التهبئة ، فقال له : بلغنا أنّ الحناء يزيد في الشيب ؟ فقال : أي شيء يزيد في الشيب ؟ الشيب يزيد في كل يوم » .

و سأل محمد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام عن الخضاب فقال : كان رسول الله ﷺ يختضب و هذا شعره عندنا .

وروي أنّه كان في رأسه ولحيته عليه السلام سبع عشرة شبيّة .  
و « كان النبي ﷺ والحسين بن عليّ و أبو جعفر محمد بن عليّ عليه السلام يختضبون بالكتم » (٢) .

و « كان عليّ بن الحسين عليه السلام يختضب بالحناء والكتم » .  
وقال الصادق عليه السلام : « الخضاب بالسواد أنس للنساء ، و مهابة للعدو » .  
و قال عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٣) قال :  
منه الخضاب بالسواد ، و إنّ رجلاً دخل على رسول الله ﷺ و قد صفر لحيته ، فقال له رسول الله ﷺ : ما أحسن هذا ، ثمّ دخل عليه بعد ذلك و قد أقنى بالحناء ، فتبسّم رسول الله ﷺ و قال : هذا أحسن من ذاك ، ثمّ دخل عليه بعد ذلك و قد خضب بالسواد فضحك إليه ، فقال : هذا أحسن من ذاك و ذاك » .

قال : « و قد خضب الأئمة عليه السلام بالوسمة ، و الخضاب بالصفرة خضاب الإيمان »

(١) مكارم الاخلاق ص ٧٩ .

(٢) الكتم - بالفتح والتعريك - : نبات يخضب به الشعر و يصنع منه مداد للكتابة .

(٣) الانفال : ٦٠ .

و الإقناء خضاب الإسلام ، و بالسواد إسلام و إيمان و نور .

و قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : « يا عليّ درهم في الخضاب أفضل من ألف درهم في غيره في سبيل الله عزّ وجلّ » ، و فيه أربع عشرة خصلة : يطرد الريح من الأذنين ، و يجعلو البصر ، و يلبس الخياشيم ، و يطيب النكحة ، و يشدّ اللثة ، و يذهب بالضنى <sup>(١)</sup> و يقلّ و سوسة الشيطان ، و تفرح به الملائكة ، و يستبشر به المؤمن ، و يغيظ به الكافر ، و هوزينة ، و طيب ، و يستحي منه منكرو نكير ، و هو برائة له في القبر <sup>(٢)</sup> .  
و أكثر هذه الأخبار مروية في الكافي أيضاً بأسناد معتبرة <sup>(٣)</sup> .

و فيه بإسناده الصحيح عن عمر بن يزيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إياك ونصول الخضاب فإنّ ذلك يؤس <sup>(٤)</sup> .

و بإسناده عن حفص الأعور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خضاب اللحية و الرأس أمن السنّة ؟ فقال : نعم ، قلت : إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه لم يختضب ، قال : إنّما منعه قول رسول الله ﷺ : « إنّ هذه ستختضب من هذه » <sup>(٥)</sup> .

أقول : فلا تصغ إلى ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المبالغة في الزجر عن الخضاب و خصوصاً بالسواد فإنّ أهل البيت أدري بما في البيت .

قال : « السادس : وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغصون وسخ فأمرهم ﷺ بغسل البراجم .

السابع : تنظيف الرواجب أمر ﷺ به العرب و هي رؤوس الأنامل و ماتحت الأظفار من الوسخ لأنّها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت يجتمع فيها أوساخ

(١) الضنى : المرض و الهزال و سوء الحال .

(٢) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٢٨ و ٢٩ تحت رقم ٦٣ الى ٦٩ .

(٣) راجع المجلد السادس منه ص ٤٨٠ الى ٤٨٤ .

(٤) فصلت اللحية : خرجت عنه الخضاب (القاموس) ، و الخبر في الكافي ج ٦ ص

٤٨٢ تحت رقم ١١ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٤٨١ تحت رقم ٥ .

فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ، وتنف الإبط ، وخلق العانة كل أربعين يوماً لكنه أمر بتنظيف ما تحت الأظفار .

وجاء في الأثر « أن النبي ﷺ استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبرئيل عليه السلام قال له : كيف ينزل عليكم وأنتم لا تغسلون يراجمكم ، ولا تنظفون رواجبكم ، وقلعاً لا تستنكون ، مراأيتك بذلك » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي (٢) « عن الصادق عليه السلام قال : احتبس الوحي عن النبي ﷺ ف قيل له : احتبس الوحي عنك ، فقال : وكيف لا يحتبس وأنتم لا تغلّمون أظفاركم ، ولا تنظفون رواجبكم » .  
الثامن (٣) : الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام » .

أقول : ولنورد كيفية دخول الحمام وسننه وآدابه على طريقة أهل البيت عليه السلام .

### ﴿ بيان كيفية دخول الحمام وآدابه ﴾

روى في الكافي بالإسناد الصحيح عن الصادق عليه السلام و رواه في الفقيه أيضاً « قال : قال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر » (٤) .  
قال في الفقيه : وروى يحيى بن سعيد الأهوازي ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن محمد بن حمران قال : قال الصادق عليه السلام : « إذا دخلت الحمام فقل في الوقت الذي تنزع فيه ثيابك : « اللهم انزع عني ربة النفاق ، وثبتني على الإيمان » ، وإذا دخلت البيت الأول فقل : « اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وأستعيذ بك من أذاه » ، فإذا دخلت البيت الثاني فقل : « اللهم أذهب عني الرجس النجس وطهر جسدي وقلبي »

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٤٣ بلفظ آخر . ورواه جمع راجية وهي ما بين عقد الأصابع من داخل ، والبراجم جمع برجمة - بضم الباء والجيم - وهي مفاصل الأصابع .

(٢) المجلد السادس ٤٩٧ تحت رقم ١٧ .

(٣) تنمة كلام أبي حامد .

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٩٧ تحت رقم ٣ ، والفقيه ص ٢٥ تحت رقم ١ .

وخذ من الماء الحارّ وضعه على هامتك، وصبّ منه على رجليك وإن أمكن أن تبلع منه جرعة فافعل فإنّه ينقي المثانة<sup>(١)</sup>، والبث في البيت الثاني ساعة، فإذا دخلت البيت الثالث فقل: «نعوذ بالله من النار»، ونسأله الجنة، تردّها إلى وقت خروجك من البيت الحارّ، وإياك وشرب الماء البارد، والفقاع في الحمام<sup>(٢)</sup> فإنّه يفسد المعدة ولا تصبّ عليك الماء البارد فإنّه يضعف البدن، وصبّ الماء البارد على قدمك إذا خرجت فإنّه يسدّ الداء من جسديك، فإذا لبست ثيابك فقل: «اللهم ألبسني التقوى، وجنّبني الردى»، فإذا فعلت ذلك أمنت من كلّ داء، ولا بأس بقراءة القرآن في الحمام ما لم ترد به الصوت إذا كان عليك منظر<sup>(٣)</sup>.

وسأل محمد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام فقال: أكان أمير المؤمنين عليه السلام ينهى عن

(١) الذى يظهر من تتبع الاخبار أن الحمامات كانت فى عصرهم ذات بيوت أربعة، البيت الاول: بارد يابس - وفيه ينزعون ملابسهم -، والثاني: بارد رطب - فيه مخزن الماء البارد -، الثالث: حار رطب - فيه مخزن الماء الحار - الرابع: حار يابس - فيه يحمى المستحم بدنه فيذلك - راجع (الرسالة الذهبية - طب الرضا عليه السلام - ص ٩٤ ومستدرک النورى ج ١ ص ٥٤) وكان فى البيت الثالث الذى فيه مخزن الماء الحار بئراً وحوض يسيل فيه ماء الغسالة فقط، وكان ممنوعاً على المغتسل الارتماس فى مخزن الماء سواء كان حاراً او بارداً، وكان حول المخزن مواضع ومصطبات يقوم المغتسل عليها فيأخذ الماء من المخزن بالمشربة فيصب عليه ويخرج الغسالة منه الى البشر وكان فى بعض الحمامات حول المخزن حياض صفار يخرج الماء من المخزن فى انابيب خاصة الى تلك الحياض يأخذ كل مستحم الماء بقدر حاجته - والمراد فى حديث الصدوق - رحمه الله - من بيوت الحمام البيوت التى كان يدخل فيها المستحم بعد نزع ثيابه، والمراد من تجرع الماء المنقى للمثانة ان يغترف من ماء المخزن أو الحوض الخاص الممنوع وروده لأماء المخازن التى يغتسلون الناس فيه ويدلكون كما كان فى عصرنا هذا فى بعض البلاد، بل الظاهر كراهية الاغتسال والارتماس فيه فضلاً عن شربه كما فى الخبر الذى رواه الكليني فى الكافي ج ٦ ص ٥٠٣ عن ابي الحسن الرضا عليه السلام «من اغتسل فى الماء الذى يغتسل فيه فأصابه الجذام فلا يلومن الا نفسه».

(٢) الفقاع وان كان حراماً الا أنه عليه السلام أكد حرمة شربه فى الحمام.

(٣) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ١٢.

قراءة القرآن في الحمام؟ فقال: لا، إنما ينهى أن يقرأ الرجل وهو عريان، فأما إذا كان عليه إزار فلا بأس،<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن يقطين لموسى بن جعفر عليه السلام: «أقرأ في الحمام وأنكح فيه؟ قال: لا بأس»،<sup>(٢)</sup>.

قال الصدوق - رحمه الله - : وكذا النهي الوارد عن التسليم فيه إنما هو لمن لامنزر عليه<sup>(٣)</sup>.

قال عليه السلام: «ويجب على الرجل أن يغض بصره، ويستتر فرجه من أن ينظر إليه»<sup>(٤)</sup>. وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم»<sup>(٥)</sup> فقال: كل ما كان في كتاب الله تعالى من ذكر حفظ الفرج فهو من الزنى إلا في هذا الموضع فإنه الحفظ من أن ينظر إليه. وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال: إنما أكره النظر إلى عورة المسلم، فأما النظر إلى عورة النمسى ومن ليس بمسلم فهو مثل النظر إلى عورة الحمار<sup>(٦)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «الفخذ ليس من العورة»<sup>(٧)</sup> - انتهى كلام الصدوق - . والأولى أن يستتر من السرّة إلى الركبة كما فعله أبو جعفر عليه السلام حين يطليه غيره ثم قال: أخرج عني، ثم طلى هو ما تحته يده، ثم قال: هكذا فافعل. رواه في الكافي<sup>(٨)</sup>.

(١) و (٢) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٣ و ١٤. والكافي ج ٦ ص ٥٠٢ تحت رقم ٣٢ و ٣١.

(٣) الفقيه ص ٢٧ ذيل الخبر السادس و الثلاثين.

(٤) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٨ من أبي الحسن موسى عليه السلام.

(٥) النور: ٣١، والخبر في الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٩.

(٦) الكافي ج ٦ ص ٥٠١ تحت رقم ٢٧، والفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢٠. وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - في المرأة: يظهر من الكليني و الصدوق - رحمهما الله - القول بمدلول الخبر، و يظهر من الشهيد و جماعة عدم الخلاف في التحريم.

(٧) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ٣٨.

(٨) المصدر ص ٥٠١ تحت رقم ٢٢.

و ذلك لأن تلك المواضع بمنزلة حريم للعورة ، و قد قيل بوجود سترها أيضاً .  
قال الصدوق - رحمه الله - : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « نعم البيت الحمّام ، تذكر فيه النار و يذهب بالدرن »<sup>(١)</sup> .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « بس البيت الحمّام يهتك السترو يذهب بالحياء »<sup>(٢)</sup> .  
وقال الصادق عليه السلام : « بس البيت الحمّام يهتك السترو ويبدى العورة » ، و نعم البيت الحمّام يذكر حر النار »<sup>(٣)</sup> .

أقول : وقد ذكر أبو حامد في سنن الحمّام « أن يتذكّر حر النار بحرارته و يتذكّر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة و يقيسه إلى جهنّم ، فإنّه أشبه بيت جهنّم ، النار من تحت ، والظلام من فوق ، نعوذ بالله منها ، قال : بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنّها مصيره و مستقرّه فيكون له في كلّ ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة و موعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته ، فإذا دخل بزّاز و نجّار و بناء و حائك داراً معمورة مفروشة ، فإذا تفقّدتهم رأيت البزّاز ينظر إلى الفرش ، يتأمّل قيمتها ، و الحائك ينظر إلى الثياب ، يتأمّل نسجها ، و النجّار ينظر إلى السقف ، يتأمّل كيفية تركيبها<sup>(٤)</sup> ، و البناء ينظر إلى الحيطان ، يتأمّل كيفية إحكامها و استقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء إلّا ما يكون له موعظة من الآخرة ، بل لا ينظر إلى شيء إلّا و يفتح الله له فيه طريق عبرة ، فإن نظر إلى سواد يذكر ظلمة اللحد ، و إن نظر إلى حية يذكر أفاعي جهنّم ، و إن نظر إلى صورة قبيحة يذكر منكراً و نكيراً و الزبانية ، و إن سمع صوتاً هلالاً يذكر نفخة الصور ، و إن رأى شيئاً حسناً يذكر نعيم الجنة ، و إن سمع كلمة ردّ أو قبول في سوق أودار يذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الردّ أو القبول ، و ما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلّا مهمّات الدنيا ، فإذا نسب مدّة المقام في الدنيا إلى مدّة المقام

(١) و (٢) و (٣) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

(٤) أراد به السقوف التي كانت في زمانه حيث يزخرفون السقوف بأشكال هندسية

ولا يزال بعضها باقياً إلى عصرنا .



في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أقفل قلبه أو عميت بصيرته - انتهى كلامه .  
قال في الفقيه : « ومن الآداب أن لا يدخل الرجل ولده معه الحمام فينظر إلى عورته » .  
وقال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يبعث بحليلته إلى الحمام » .

وقال ﷺ : « من أطاع امرأته أكتبه الله على منخره في النار ، قيل : وما تلك الطاعة ؟ فقال : تدعوه إلى النياحات و العرسات و الحمامات و الثياب الرقاق فيجيبها » .  
و قال الصادق عليه السلام : « لا تنك في الحمام فإنه يذيب شحم الكليتين ، ولا تسرح في الحمام فإنه يرقق الشعر ، ولا تغسل رأسك بالطين فإنه يسمج الوجه - (١) و في حديث آخر يذهب بالغيرة - ، ولا تدلك بالغزف فإنه يورث البرص ، ولا تمسح وجهك بالإزار فإنه يذهب بماء الوجه ، وروي أن ذلك طين مصر ، و خزف الشام ؛ و السواك في الحمام يورث و باء الأسنان ، ولا يجوز التطهير و الغسل بغسالة الحمام » .  
وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : « لا تدخلوا الحمام على الريق و لا تدخلوا حتى تطعموا شيئاً » .

وقال عليه السلام : « الحمام يوم و يوم لا ، يكثر اللحم ، و إدمانه كل يوم يذيب شحم الكليتين » (٢) .  
و « دخل الصادق عليه السلام الحمام ، فقال له صاحب الحمام : نخليه لك ؟ قال : لا ، إن المؤمن خفيف المؤونة » (٣) .

و قال الصادق عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي ينفي الفقر و يزيد في الرزق » (٤) .  
وقال عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي في كل جمعة أمان من البرص و الجنون » .  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي يذهب بالدرن ، و ينقي الأقدار » .

(١) أي يقبح .

(٢) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٢٦ و ٢٧ فلتراجع .

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٧ .

(٤) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٩ ، و الكافي ج ٦ ص ٥٠٤ تحت رقم ١ ، و الخبران

بعده تحت رقم ٢ و ٣ .

و « إن رسول الله ﷺ اغتم فأمره جبرئيل عليه السلام بغسل رأسه بالسدر ، و كان ذلك سدرأ من سدرة المنتهى <sup>(١)</sup> .

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : « غسل الرأس بالسدر يجلب الرزق جلباً » .  
وقال الصادق عليه السلام : « اغسلوا رؤوسكم بورق السدر فإنه قدس كل ملك مقرب و كل نبي مرسل ، و من غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً ، و من صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً لم يعص ومن لم يعص دخل الجنة » .  
و « خرج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام من الحمام فقال له رجل : طاب استحمامك ، فقال : يا لكع و ماتصنع بالإست ههنا <sup>(٢)</sup> ؟ فقال : طاب حمامك ، قال : إذا طاب الحمام فمراحة البدن منه ؟ قال : فطاب حميمك ، فقال : ويحك أما علمت أن الحميم العرق ، قال له : فكيف أقول ؟ قال : قل طاب ما طهر منك و طهر ما طاب منك » . <sup>(٣)</sup>  
وقال الصادق عليه السلام : « إذا قال لك أخوك وقد خرجت من الحمام : طاب حمامك فقل له : أنعم الله بالك » <sup>(٤)</sup> .

أقول : و أمّا الكلام في غسل الجمعة و آدابه فسنورده في مباحث صلاة الجمعة كما فعله أبو حامد .

قال : « النوع الثاني ما يحذف من البدن من الأجزاء و هي ثمانية :  
الأول : شعر الرأس و لا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ، و لا يتركه لمن يدهن و

(١) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٨٠ ، و اللذان بعده تحت رقم ٨٢ و ٨٣ .

(٢) قال العلامة المجلسي - رحمه الله - في المرأة : أي لامناسبة لحروف الطلب

ههنا بعد الخروج من الحمام مع استهجان لفظ الاست بمعناه الآخر .

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٠٠ تحت رقم ٢١ . و قال الجوهري : الحميم : الحار ، و العرق ، و قد استحم أي عرق ، و قوله عليه السلام : « طهر » أي طهر الله من المعاصي « ما طاب منك » من نفسك و قلبك و طيب من العلل و الأمراض و عن المعاصي ما طهر منك بالغسل . ( كذا في المرأة ) .

(٤) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٨٦ .

يرجّل إلا إذا تركه قرعاً<sup>(١)</sup> قطعاً فهي دأب الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم ، فإنه إذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبساً .  
أقول : وقد ذكرنا أن حلق الرأس أفضل من تركه وأجل ، وأما القنزاع فقد ورد كراهته عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً .

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تحلقوا الصبيان القزح ، والقزح أن يحلق موضعاً ويدع موضعاً ،<sup>(٢)</sup> .

وعنه عليه السلام : أنه كره القزح في رؤوس الصبيان ، وذكر أن القزح أن يحلق الرأس إلا قليلاً وسط الرأس يسمى القزعة ،<sup>(٣)</sup> .

وعنه عليه السلام قال : أئمتي النبي ﷺ بصبي يدعو له وله قنزاع فأبى أن يدعو له وأمر أن يحلق رأسه ،<sup>(٤)</sup> .

الثاني : شعر الأنف ويستحب تنفّه أو فرضه ففي الكافي والفقيه عن الصادق عليه السلام : أنه قال : أخذ شعر الأنف يحسّن الوجه ،<sup>(٥)</sup> والقزح أولى من التنف كما ورد<sup>(٦)</sup> ، ولم يذكره أبو حامد وذكر بدله في السادس زيادة السرة ، قال : ويقطع في أول الولادة واقتصر عليه ، وأخر ما طال من اللحية إلى الثامن لمصلحة زعمها فيه فهي ساقطة عندنا ولذا ذكرناه في محله وما فعلناه أولى كما لا يخفى .

الثالث : شعر الشارب وقد قال عليه السلام : « قصوا الشوارب »<sup>(٧)</sup> وفي لفظ آخر

(١) القزح - بالتحريك - يأتي معناه وفي بعض النسخ [ قنزعا ] والقنزح - بضم القاف والزاي - هي النخلة من الشعر ترك على الرأس ، وأيضاً الشعر حول الرأس .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٠ تحت رقم ١ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٠ تحت رقم ٢ . وفيه « القنزعة » .

(٤) المصدر ج ٦ ص ٤٠ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٤٨٨ تحت رقم ١ ، والفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٨ .

(٦) راجع الكافي ج ٦ ص ٤٩٢ باب جز الشيب وتنفة ، وسنن النسائي ج ٨ ص ١٤٨ .

(٧) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٢٩ عن أبي هريرة .

« جزوا الشوارب »<sup>(١)</sup> و في لفظ آخر « حَفَّوا الشوارب ، وأَعَفُوا اللَّحَى »<sup>(٢)</sup> أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها ، و حفاف الشيء حوله ، ومنه قوله تعالى : « و ترى الملائكة حافّين من حول العرش »<sup>(٣)</sup> و في لفظ آخر « أَحَفُوا الشوارب »<sup>(٤)</sup> و هذا يشعر بالاستيصال ، وقوله : « حَفَّوا » يدل على ما ذون ذلك ، قال تعالى : « إن يسألكموها فيحلفنكم تبخلوا »<sup>(٥)</sup> أي يستقصي عليكم ، وأما الحلق فلم يرد ، والإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة ؛ نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا بأس بترك سباليه و هما طرفا الشارب ، فعل ذلك بعض الصحابة لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه ، وقوله : « أَعَفُوا اللَّحَى » أي كشروها ، و في الخبر أن اليهود يعفون شواربهم و يقصّون لحاهم فخالفوهم<sup>(٦)</sup> . و كره بعض العلماء الحلق و رآه بدعة .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الفقيه<sup>(٧)</sup> « عن النبي ﷺ قال : إن المجوس جزوا لحاهم و وفروا شواربهم وإنّا نحن نجز الشوارب و نعفي اللَّحَى وهي الفطرة . » و قال ﷺ : « أَحَفُوا الشوارب ، و أَعَفُوا اللَّحَى ، و لا تتشبهوا باليهود »<sup>(٨)</sup> . و روى في الكافي<sup>(٩)</sup> « عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لا يطولن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٥٣ عن أبي هريرة ، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ١٢٩ ، وأحمد في المسند ج ١ ص ٥٢ .

(٣) الزمر : ٧٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٥٣ ، والنسائي ج ١ ص ١٦ عن ابن عمر .

(٥) سورة محمد . ٣٧ .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٥٦ نحوه ، و أيضاً روى القاضي نعمان

في دعائم الاسلام مثله كما في المستدرك للنور ج ١ ص ٥٩ .

(٧) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٩ .

(٨) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨ .

(٩) المصدر ج ٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ١١ .

أحدكم شاربه فإنَّ الشيطان يتَّخذه مخبأً يستتر به (١) .  
وعن الباقر عليه السلام « من أخذ من أظفاره وشاربه كلَّ جمعة و قال حين يأخذه : « بسم الله وبالله وعلى سنة محمد رسول الله وآل محمد صلوات الله عليهم لم تسقط منه قلامة ولاجزاة إلا كتب الله عز وجل له بها عتق نسمة ، ولا يمرض إلا مرضه الذي يموت فيه » (٢) .  
وعن الصادق عليه السلام « أخذ الشارب من الجمعة إلى الجمعة أمان من الجذام » (٣) .  
وقال عبدالله بن أبي يعفور للصادق عليه السلام : « جعلت فداك يقال : ما استنزل الرزق بشيء مثل التعقيب فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فقال : أجل ولكن أخبرك بخير من ذلك أخذ الشارب وتقليم الأظفار يوم الجمعة » (٤) .  
وفي الكافي (٥) « عن عبدالله بن عثمان أنه رأى أبا عبدالله عليه السلام أحفى شاربه حتى ألصقه بالعسيب ، وهومنتب الشعر .  
وفيه عنه عليه السلام « قال : قال رسول الله ﷺ : إن من السنة أن يأخذ الشارب حتى يبلغ الإطار » (٦) .

الرابع : ما طال من اللحية قال في الفقيه : « نظر رسول الله ﷺ إلى رجل طويل اللحية فقال : ما كان على هذا لو هيأ من لحيته ؟ فبلغ الرجل ذلك فهيأ لحيته بين

(١) المخبأ : موضع الاختباء أى الاستتار . وفى بعض النسخ [مجنأ] بمعناه .

(٢) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩١ ونحوه فى الكافي ج ٣ ص ٤١٧ عن ابي عبدالله عليه السلام ، وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - : لعل التخلف فى بعض الموارد للاخلال بشرائطه و القصور فى النية اوالمراد أن هذا الفعل فى نفسه هذا ثمرته فلا ينافى أن ينفك هذا الاثر عنه بسبب ما ير تكبه العبد من المعاصي مما يوجب العقوبة كما أن الطبيب يقول : الفل فل يسخن ، فاذا أكله أحد وداواه بضده فلم يظهر فيه أثر التسخين لا يوجب تكذيب الطبيب . انتهى . والقلامة : ما سقط من الظفر ، و الجزاة : ما يسقط على الارض .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١٨ تحت رقم ٧ ، و فى الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٣ .

(٤) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٨ .

(٥) و (٦) الكافي ج ٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ٩ و ٦ ، و الاطار - ككتاب - : ما يفصل بين الشفة و شعرات الشارب . (القاموس)

اللحيّتين ثمّ دخل على النبي ﷺ ، فلمّا رآه قال : هكذا فافعلوا <sup>(١)</sup> .  
 وقال الصادق عليه السلام : « مازاد في اللحية عن القبضة فهو في النار » <sup>(٢)</sup> .  
 وقال محمد بن مسلم : « رأيت أبا جعفر الباقر عليه السلام والحجّام يأخذ من لحيته  
 فقال : دوّرها » <sup>(٣)</sup> .

وقال الصادق عليه السلام : « تقبض يديك على لحيّتك و تجزّ ما فضل » <sup>(٤)</sup> .  
 وقال رسول الله ﷺ : « الشيب في مقدّم الرأس يمن ، و في العارضين سخاء ،  
 و في الذوائب شجاعة ، و في القفا شوم » <sup>(٥)</sup> .  
 وقال الصادق عليه السلام : « أوّل من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام و أنّه هيأ لحيته  
 فرأى طاقة بيضاء ، فقال : يا جبرئيل ما هذا ؟ فقال : هذا و قار ، فقال إبراهيم عليه السلام :  
 « اللهم زدني وقاراً » <sup>(٦)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : من شاب شيبه في الإسلام كانت له نورٌ يوم القيامة » <sup>(٧)</sup> .  
 وقال رسول الله ﷺ : « الشيب نور فلا تنتفوه » <sup>(٨)</sup> .  
 وكان علي عليه السلام : « لا يرى بجزّ الشيب بأساً و يكره نتفه » <sup>(٩)</sup> .  
 فالنهي عن نتف الشيب نهي كراهية لا نهي تحريم لأنّ الصادق عليه السلام يقول <sup>(١٠)</sup> : « لا بأس  
 بجزّ الشمط و نتفه » <sup>(١١)</sup> و جزّ أحبُّ إليّ من نتفه ، فأخبارهم عليه السلام لا يختلف في حالة  
 واحدة لأنّ مخرجها من عند الله تعالى ذكره وإنّما يختلف بحسب اختلاف الأحوال <sup>(١٢)</sup> .  
 أقول : و أمّا حلق اللحية فقد قيل بتحريمه ، ولم يتعرّض له أبو حامد في هذا  
 الكتاب ولا من يوثق به من أصحابنا ، و لعل وجه حرّمته أنّه خلاف السنّة فيكون  
 بدعة و لمخالفته قول الرسول ﷺ : « أعفوا اللّحي » و لقوله تعالى - حكاية عن الشيطان  
 اللعين - : « ولا أمرتهم فليغيّرنّ خلق الله » <sup>(١٣)</sup> فإنّ إزالة الشعور الأخر ماؤذنة من الشارع

(١) الى (١٠) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨ الى ١٢٥ .  
 وبعضها في الكافي ج ٦ ص ٤٨٦ الى ٤٨٨ . (١١) الشمط : اختلاط الشيب بسواد الشباب .

(١٢) من كلام الصدوق - رحمه الله - كما في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١٢٥ .

(١٣) النساء : ١١٩ .

بخلاف اللحية بتمامها ، و لما رواه في الكافي عن حبابة الوالبيّة قالت : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاعي الجريّ و المارماهي والزّمار و يقول لهم : يا بيّاعي مسوخ بني إسرائيل و جند بني مروان ، فقام إليه فرات ابن أحنف فقال : يا أمير المؤمنين : وما جند بني مروان ؟ قال : فقال له : أقوام خلقوا اللّحي و قتلوا الشّوارب فمسخوا - الحديث - <sup>(١)</sup> و هو طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

قال أبو حامد : « و أمّا نتفها في أوّل النبات تشبّها بالمرء فمن المنكرات الكبار فإنّ اللّحية زينة الرجال فللّه ملائكة يقسمون : والذي زيّن بني آدم باللّحي . و هي من تمام الخلق و بها يتميّز الرجال عن النساء ، و قيل في غريب التّأويل : اللّحية هي المراد بقوله : « يزيد في الخلق ما يشاء » <sup>(٢)</sup> .

قال أصحاب الأحنف : و ددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفاً ، وقال شريح القاضي : و ددت أن يكون لي لحية بعشرة آلاف ؛ و كيف يكره اللّحية و فيها تعظيم الرجل ، و النظر إليه بعين العلم و الوقار ، و الرفع في المجالس ، و إقبال الوجوه إليه ، و التّقدّم على الجماعة ، و وقاية العرض ، فإنّ من يشتم يرمّض باللّحية إذا كان للمشتوم لحية . و قيل : إنّ أهل الجنّة مردّ إلا هارون أخو موسى عليه السلام فإنّ له لحية إلى سرّته تخصيصاً له و تفضيلاً .

الخامس والسادس : شعر الإبط و العانة ، ويلحق بهما شعر سائر الجسد ويستحبّ إزالتها إمّا بالخلق أو بالنّورة ، و أمّا النتف فإيلاّم و تعذيب و المقصود النظافة ، و أن لا يجتمع الوسخ في خللها و يحصل ذلك بالأسهل .

و في الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يطلون أحدكم شعر إبطيه فإنّ الشيطان يتخذُه مجنّاً <sup>(٣)</sup> يستتر به » <sup>(٤)</sup> .

(١) المصدر ج ١ ص ٣٤٦ ، و رواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في كمال الدين ص ٢٩٤ من حديث حبابة الوالبيّة . (٢) الفاطر : ١ .

(٣) المجنّ كل ما وقى من السلاح . و في بعض النسخ [مخبأ] والمخبأ موضع الاستتار .

(٤) المصدر ص ٢٨ تحت رقم ٥٠ .

و قال عليه السلام : « من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يترك عاتته فوق أربعين يوماً ، ولا يحل لامرأة تؤمن بالله و اليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً » (١) .  
و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أحبُّ للمؤمن أن يطلي في كل خمسة عشر يوماً » (٢) .  
و قال الصادق عليه السلام : « السنة في النورة في كل خمسة عشر يوماً ، فإن أتت عليك عشرون يوماً و ليس عندك فاستقرض على الله عز وجل » (٣) .

و كان الصادق عليه السلام يطلي إبطيه في الحمام و يقول : « تنف الإبط يضعف المنكبين و يوهي ، و يضعف البصر » (٤) .

و قال عليه السلام : « حلقه أفضل من نتفه ، و طليه أفضل من حلقه » (٥) .  
و قال علي عليه السلام : « تنف الإبط ينفي الرائحة المكروهة ، و هو طهور و سنة مما أمر به الطيب عليه و آله السلام » (٦) . و قال عليه السلام : « أيضاً النورة طهور » (٧) .  
و قال الصادق عليه السلام : « من أراد أن يتنور فليأخذ من النورة و يجعله على طرف أنفه و يقول : « اللهم أرحم سليمان بن داود كما أمر بالنورة ، فإنه لا تحرقه إن شاء الله تعالى » (٨) .

و روي « أن من جلس و هو متنور خيف عليه الفتق » (٩) و الجنب لا بأس بأن يطلي فإن النورة تزيد نفاقة » (١٠) .

و قال الصادق عليه السلام : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ينبغي للرجل أن يتوقى النورة يوم الأربعاء فإنه يوم نحس مستمر و يجوز النورة في سائر الأيام » (١١) .  
و روي « أنها في يوم الجمعة تورث البرص » (١٢) .

و روى الريان بن الصلت عمّن أخبره ، عن أبي الحسن عليه السلام « قال : من تنور يوم الجمعة فأصابه البرص فلا يلومن إلا نفسه » (١٣) .

أقول : و قد روى في الكافي عن البرقي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام « قال : قيل له يزعم بعض الناس أن النورة يوم الجمعة مكروهة ، فقال : ليس حيث ذهب أي طهور أطهر

(١) الى (١٣) جميع تلك الروايات في الفقيه باب غسل يوم الجمعة تحت رقم ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ على الترتيب .



من النورة يوم الجمعة ، (١).

و فيه عن الصادق عليه السلام قال : طلية في الصيف خير من عشر في الشتاء ، (٢) .

و عنه عليه السلام قال : كان رسول الله ﷺ يطلي العانة و ما تحت الألتين في كل جمعة ، (٣) .

و عن « سدير أنه سمع علي بن الحسين عليه السلام يقول : من قال إذا أطلى بالنورة :  
« اللهم طيب ما طهر مني ، و طهر ما طاب مني ، و أبدلني شعراً طاهراً لا يعصيك  
اللهم إني تطهرت ابتغاء سنة المرسلين ، و ابتغاء رضوانك و مغفرتك ، فحرم شعري  
و بشري على النار ، و طهر خلقي ، و طيب خلقي ، و زك عملي ، و اجعلني ممن يلقاك  
على الحنيفية السمحة ، ملّة إبراهيم خليلك ، و دين محمد ﷺ حبيبك و رسولك ، عاملاً  
بشرائعك ، تابعاً لسنة نبيك ، آخذاً به متأدّياً بحسن تأديبك و تأديب رسولك ﷺ  
و تأديب أوليائك ، الذين غذوهم بأدبك ، و زرعت الحكمة في صدورهم ، و جعلتهم معادن  
لعلمك صلواتك عليهم » من قال ذلك طهره الله من الأدناس في الدنيا ، و من الذنوب ،  
و أبدله شعراً لا يعصي ، و خلق الله بكل شعرة من جسده ملكاً يسبح له إلى أن تقوم  
الساعة ، و أن تسبيحه من تسبيحهم تعدل بألف تسبيحة من تسبيح أهل الأرض » (٤) .

و عن الحكم بن عتيبة قال : رأيت أبا جعفر عليه السلام و قد أخذ الحنّاء و جعله  
على أظافيره ، فقال : يا حكم ما تقول في هذا ؟ فقلت : ما عسيت أن أقول فيه و أنت تفعله ،  
و إن عندنا يفعله الشبان ، فقال : يا حكم إن الأظافر إذا أصابتها النورة غيرتها حتى  
تشبه أظافر الموتى فغيرها بالحنّاء ، (٥) .

و عن أحمد بن عبدوس قال : رأيت أبا جعفر عليه السلام و قد خرج من الحمام و هو  
من قرنه إلى قدمه مثل الورد من أثر الحنّاء ، (٦) .

وفي الفقيه قال رسول الله ﷺ : من أطلى و اختضب بالحنّاء آمنه الله تعالى

(١) إلى (٦) راجع الكافي ٦ ص ٥٠٥ باب النورة ، ٥٠٧ باب الابط ، و ص ٥٠٩ باب

الحناء بعد النورة.

من ثلاث خصال : الجذام ، و البرص ، و الآكلة إلى طلية مثلها ، <sup>(١)</sup> .  
و قال الصادق عليه السلام : « الحناء على أثر النورة أمان من الجذام والبرص » <sup>(٢)</sup> .  
و روي « أن من أطلى فتدلك بالحناء من قرنه إلى قدمه نفى الله عنه الفقر » <sup>(٣)</sup> .  
و قال رسول الله ﷺ : « اختضبوا بالحناء فإنه يجلو البصر ، و ينبت الشعر ،  
و يطيب الريح ، ويسكن الزوجة » <sup>(٤)</sup> .  
و قال الصادق عليه السلام : « الحناء يذهب بالسبك » <sup>(٥)</sup> ويزيد في ماء الوجه ، و يطيب  
النكحة ، و يحسن الولد ، <sup>(٥)</sup> .  
و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الخضاب هدى محمد ﷺ وهو من السنة » <sup>(٦)</sup> .  
و قال الصادق عليه السلام : « لا بأس بالخضاب كله » <sup>(٧)</sup> .  
و لا بأس أن يتدلك الرجل في الحمام بالسويق ، و الدقيق ، و النخالة ، و لا بأس  
بأن يتدلك بالدقيق الملتوث بالزيت ، و ليس فيما ينفع البدن إسراف ، إنما الإسراف  
فيما أتلّف المال و أضّرّ بالبدن .  
السابع : الأظفار و قلمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ، و لما يجتمع فيها من  
الوسخ ؛ روي في الكافي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنما قص الأظفار  
لأنها مقل الشيطان ، و منه يكون النسيان » <sup>(٨)</sup> .  
و عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن أستر و أخفى ما سَلَطَ  
الشيطان من ابن آدم أن صار يسكن تحت الأظافر » <sup>(٩)</sup> .  
و عن الحسن بن راشد « عن النبي ﷺ قال : تقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم  
و يدّر الرزق » <sup>(١٠)</sup> .  
و عن محمد بن طلحة « قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : تقليم الأظفار و قص الشارب ،

(٥) السبك - معركة - : ريح كريهة تجدها من عرق .

(١) إلى (٧) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٥٦ : إلى ٦٢ .

(٨) إلى (١٠) الكافي ج ٦ باب تقليم الأظفار ص ٤٩٠ رقم ٦ ، ٧ ، ١ ،

على الترتيب .

و غسل الرأس بالخطمي في كل جمعة ينفي الفقر ، و يزيد في الرزق ، <sup>(١)</sup> .  
و عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما ثواب من أخذ من شاربته ،  
و قلم أظفاره في كل جمعة ؟ قال : لا يزال مطهراً إلى الجمعة الأخرى ، <sup>(٢)</sup> .  
و عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : تقليم الأظفار يوم الجمعة يؤمن  
من الجنون و الجذام و البرص و العمى و إن لم تحتج فتحكها حكاً ، <sup>(٣)</sup> .  
قال في الفقيه : و في خبر آخر « فان لم تحتج فأمر عليها السكين أو المقراض » <sup>(٤)</sup> .  
قال : « و تقليم الأظفار يوم الخميس يرفع الرمء » <sup>(٥)</sup> .  
و قال أبو جعفر عليه السلام : « من أخذ من أظفاره كل خميس لم يرمد ولده » <sup>(٦)</sup> .  
و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام « من أدمن أخذ أظفاره كل خميس لم يرمد  
عينه » <sup>(٧)</sup> .  
و في الفقيه « قال الصادق عليه السلام : من قلم أظفاره يوم الجمعة لم تشعث أنامله » <sup>(٨)</sup> .  
وقال : « من قص أظفاره يوم الخميس ، وترك واحداً ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر » <sup>(٩)</sup> .  
و قال رسول الله ﷺ : « من قلم أظفاره يوم السبت و يوم الخميس ، وأخذ من  
شاربه عوفي من وجع الضرس ، و وجع العين » <sup>(١٠)</sup> .  
و قال موسى بن بكر للصادق عليه السلام : « إن أصحابنا يقولون : إنما أخذ الشارب  
و الأظفار يوم الجمعة ، فقال : سبحان الله خذها إن شئت في يوم الجمعة و إن شئت في  
سائر الأيام ، و قال : قصها إذا طالت » <sup>(١١)</sup> .  
و قال رسول الله ﷺ « للرجال : قصوا أظفاركم ، و للنساء : اتركن من  
أظفاركن فإِنَّه أزين لكن » <sup>(١٢)</sup> .

( ١ ) و ( ٢ ) الكافي ج ٦ باب تقليم الاظفار ص ٤٩٠ تحت رقم ١٠ ، ٨ ،

على الترتيب .

( ٣ ) الى ( ٦ ) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ٩٩ .

( ٧ ) المصدر ج ٦ ص ٤٩١ رقم ١٤ .

( ٨ ) الى ( ١٢ ) في الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

على الترتيب .

وقال الصادق عليه السلام: «يدفن الرجل أظافيره وشعره إذا أخذ منها وهي سنة» (١).  
وروي «أن من السنة دفن الشعر، و الظفر، و الدّم» (٢).

**أقول** وقد ذكرنا دعاء القلم في أخذ الشارب، وأمّا ترتيبه ففي الكتابين (٣) رواية أنه يبدأ بخنصره اليسرى و يختم بخنصره اليمنى، و قد روي بالعكس وغيرهما.  
**قال** أبو حامد ولم أر في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه روي أنه عليه السلام بدأ بمسبحة اليمنى و ختم بإبهام اليمنى فابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام وفي اليمنى من المسبحة إلى الخنصر و الختم بإبهام اليمنى (٤). ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة و أمّا العالم ذو البصيرة فغايبته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه، و الذي لاح لي فيه - و العلم عند الله - أنه لا بد من قلم أظفار اليد و الرجل، و اليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها، ثم على اليمنى خمسة أصابع و المسبحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدأ بما على يمينها إذا الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين، و إن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هو اليمين و إن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمين، و اليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلاً إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار و استتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عالياً فما يقتضيه الطبع أولى، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى و الختم بإبهامها، و يبقى إبهام اليمنى، و إنما قدّرت الكف موضوعاً على الكف حتى يصير الأصابع كالأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها و تقدير ذلك أولى

(١) و (٢) في الفقيه باب غسل الجمعة رقم ١٠٤، ١٠٥ على الترتيب.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٩٢ رقم ١٦، الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٢.

(٤) قال العراقي: لم أجد له أصلاً و قد أنكره أبو عبدالله المازري في الرد على الغزالي و شنع عليه.

من تقدير وضع الكفّ على ظهر الكفّ ، فإنّ ذلك لا يقتضيه الطبع ، وأمّا أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ثمّ يختم بخنصر اليسرى كما في التخليل <sup>(١)</sup> ، فإنّ المعاني التي ذكرناها لا يتّجه ههنا إذ لا مسبّحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صفّ واحد ثابت على الأرض ، فيبدأ من جانب اليمين فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليمين .

أقول : وهذا هو الوجه في الرواية الثانية من طريقتنا في اليد ، فإنّه لم ينظر فيها إلى المعاني المذكورة بل اكتفى بما يرى بالنظر الجليل <sup>(٢)</sup> مع ترك اليد بطبعها ، وأمّا الرواية الأولى فلعلّ السرّ فيها تحصيل التيامن في كلّ أصبع أصبع ، بعد الأولى مع الترتيب فيها و وضع اليمين على ما يقتضيه الطبع .

قال أبو حامد : « وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنّما يطول التعب علينا ثمّ لو سلّنا ابتداء ربّما لم يخطر لنا ، وإذا ذكر لنا فعله ﷺ وترتيبه ربّما يتيسّر لنا بإعانه ﷺ - بشهادة الحكم وتنبهه على المعنى - استنباط المعنى ، ولا تظنّ أنّ أفعاله ﷺ في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردّد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معيّن بالاتّفاق ، بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم ، فإنّ الاسترسال مهملاً كما يتّفق سجيّة البهائم . وضبط الحركات بموازين المعاني سجيّة أولياء الله تعالى ، وكلّما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب ، وعن الإهمال وتركه سدى أبعد ، كان قربه إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر ، وكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبيّ ﷺ - وهو قريب من الله - لا بدّ وأن يكون قريباً فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره ، فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى ، واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله ﷺ فإنّه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنتين <sup>(٣)</sup> فبدأيته باليمنى لشرفها

(١) أشار إلى ما قاله في غسل الرجلين في الوضوء على مذهبه . (٢) كذا .

(٣) ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٩٥ . وفي الكافي ج ٦ ص ٤٩٥ رقم ١٢ « كان صلى الله

عليه وآله يكتحل قبل أن ينام أربعاً في اليمنى وثلاثاً في اليسرى » .

و تفاوته بين العينين ليكون الجملة وقرأ ، فإن للوتر فضلاً على الزوج ، فإن الله و تريحب الوتر ، فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب ، ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار ، وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خصص اليمين بالزيادة لأن التفضيل لابد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق (١).

و إن قلت : لم اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج ؟ فذلك ضرورة إذ لجعل لكل واحدة وقرأ كان المجموع زوجاً إذ الوتر مع الوتر زوج و رعاية الإيتار في مجموع الفعل هو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ، و لذلك أيضاً وجه و هو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثاً ولو ذهبت أستقصي دقائق ماراعاه والتفصيل في حر كاته لطال الأمر فقس على ما سمعته مالم تسمعه ، و اعلم أن العالم لا يكون وارثاً (٢) إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه و بين النبي ﷺ إلا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث و المورث ، إذ المورث هو الذي حصل المال له و استقل بتحصيله و اقتدر عليه ، والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه و تلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار و الأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء عليهم السلام ولا يستقل باستنباطها تلقياً بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم .

(١) العجب من أبي حامد حيث تفوه بأمثال هذه الكلمات التي لا طائل تحتها و لا ينبغي للمؤمن أن يضيع عمره في اصغاء أمثال هذه الترهات . لان الخبر الذي ورد «أنه صلى الله عليه وآله يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنين» رواه الطبراني في الكبير واللاوسط والبرزاز في مسنده عن عقبة بن علي وهو ضعيف وأيضاً معارض للخبر الذي رواه الكليني كما مر و كذا الخبر الذي رواه أحمد ج ١ من المسند ص ٣٥٤ بالاستاد الحسن عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وآله كان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال . وعلى فرض صحة الخبر لعل وجهه تفاوت العينين من جهة القوة والضعف لا مانسجه أبو حامد من الباطيل .

(٢) أي للنبي صلى الله عليه وآله كما في الاحياء .

الثامن : غلفة الحشفة قال النبي ﷺ : « الختان سنة في الرجال ومكرمة في النساء » رواه الخاصة والعامة (١) ، وكذلك روي عن الصادق عليه السلام .

و في الفقيه « روى غياث بن إبراهيم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال علي عليه السلام : لا بأس أن تختتن المرأة فأما الرجل فلا بد منه » (٢) .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام « قال : ختان الغلام من السنة ، و خفض الجارية ليس من السنة » (٣) .

و في رواية أخرى « خفض النساء مكرمة ، وليس من السنة ، ولا شيئاً واجباً ، و أي شيء أفضل من المكرمة » (٤) .

قال أبو حامد : « عادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشغل الولد أحب وأبعد عن الخطر » .

أقول : بل الأولى اليوم السابع فقد ورد بالإسناد الصحيح في الكتابين (٥) « أنه كتب عبد الله بن جعفر الحميري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام أنه روي عن الصالحين عليه السلام أن اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا ، فإن الأرض تضج إلى الله تعالى من بول الأغلف ، وليس جعلني الله فداك لحجامي بلدنا حذق بذلك ، ولا يحسنونه يوم السابع وعندنا حجام من اليهود فهل يجوز لليهود أن يختنوا أولاد المسلمين أم لا ؟ فوقع عليه السلام السنة يوم السابع فلا تخالفوا السنن إن شاء الله » .

و في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام « قال : قال رسول الله ﷺ : طهروا أولادكم يوم السابع ، فإنه أطهر وأطيب وأسرع لنبات اللحم ، وإن الأرض تنفجس من بول الأغلف أربعين صباحاً » (٦) . و في معناه غيره من الأخبار .

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٧٥ وفيه « مكرمة للنساء » ، و الكافي ج ٦ ص ٣٧

تحت رقم ٤ .

(٢) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٤ .

(٣) و (٤) الكافي ج ٦ ص ٣٧ تحت رقم ٢ و ٣ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٣ ، الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ١٥ .

(٦) الكافي ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٢ .

و بإسناده الصحيح عن علي بن يقطين قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن ختان الصبي لسبعة أيام من السنة هو أو يؤخر فأيهما أفضل ؟ قال : لسبعة أيام من السنة ، وإن أخر فلا بأس ، (١) .

و بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا أسلم الرجل اختن ولو بلغ ثمانين سنة ، (٢) .

و في الفقيه روي عن مرازم بن حكيم عن أبي عبدالله عليه السلام في الصبي إذا ختن قال : يقول : « اللهم إن هذه سنتك وسنة نبيك صلواتك عليه وآله ، واتباع منّا لك ولنبيك بمشيئتك وبإرادتك وقضائك لأمر أردته ، وقضاء حتمته ، وأمر أنفذته ، فأزفته حرّ الحديد في ختانه و حجامته لأمرأت أعرف به منّي ، اللهم فطهره من الذنوب ، وزد في عمره ، و ادفع الآفات من بدنه ، والأوجاع عن جسمه ، وزده من الغنى ، وادفع عنه الفقر ، فأنت تعلم ولا نعلم » (٣) .

و قال أبو عبدالله عليه السلام : « أي رجل لم يقلها عند ختان ولده فليقلها عليه من قبل أن يحتمل فإن قالها كفي حرّ الحديد من قتل أو غيره » (٤) .

قال أبو حامد : « وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال عليه السلام لا تم عطية - وكانت تنخفض - : « يا أم عطية أشمي ولا تنهكي ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » (٥) أي أكثر ماء الوجه ، وأحسن في جماعها .

أقول : و في الكافي وغيره من كتبنا هكذا « إذا أنت خفضت فأشمي ولا تعجفي ، فإنه أصفى للون ، وأحظى عند البعل » (٦) .

و في رواية أخرى « أنه قال عليه السلام لا تم حبيب - وكانت خافضة تنخفض الجواري - : « يا أم حبيب العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم ؟ قالت : نعم يا رسول الله إلا

(١) و (٢) الكافي ج ٦ ص ٣٦ تحت رقم ٧ و ١٠ .

(٣) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٦ .

(٤) الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ٢٠ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٥٧ ، وفيه « أنور للوجه » .

(٦) المصدر ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٥ .



أَنْ يَكُونَ حَرَاماً فَتَنْهَانِي عَنْهُ ، قَالَ : لَا بَلْ حَلَالٌ فَادْنِي مِنِّي حَتَّى أُعَلِّمَكَ ، فَدَنَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ حَبِيبٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ فَلَا تَنْهَكِي - أَيِ لَا تَسْتَأْصِلِي - وَأَشْبِمِي فَأَنْتَ أَشْرَقُ لِلْوَجْهِ ، وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ <sup>(١)</sup> .

قال أبو حامد : « فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أُمِّي من هذا الأمر النازل قدره ماله وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته <sup>(٢)</sup> مصالح الدنيا والدين <sup>(٣)</sup> » .

قال : فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزيين والنظافة ، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد ثلثا عشرة : خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس ، والمضمضة والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ؛ وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم ، وغسل البراجم ، وتنظيف الرواجب ، وأربعة في الجسد : وهي تنف الإبط ، والاستحداد ، والختان ، والاستنجاء بالماء ، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك » .

**أقول :** وقد ذكر في القفيه « أن الحنيفة عشر سنن : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد <sup>(٤)</sup> » ، ثم ذكر ما ذكره أبو حامد سوى غسل البراجم وتنظيف الرواجب .

قال : « و الفرق لمن طال شعر رأسه ، ومن لم يفرق شعر رأسه فرقه الله يوم القيامة بمنشار من نار ، و ذكر بدل الاستحداد حلق العانة وهما بمعنى واحد .

قال في النهاية : وفيه : السنة عشر وعد فيها الاستحداد وهو حلق شعر العانة بالحديد ومنه الحديث الآخر أمهلوا كي تمتشط الشعنة ، وتستحد المغيبة ، وهو استعمال من الحديد ذكر على سبيل الكناية والتورية .

قال أبو حامد : « وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرُّض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها

(١) الكافي ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٦ .

(٢) في بعض النسخ [ بيمن تقنيه ] وهو ليس بصواب لأن النبي عليه الصلاة والسلام

ليس بمقنن بل الشارح هو سبحانه وتعالى كما هو المذهب الحق .

(٣) المصدر ص ١٣ تحت رقم ١٠ .

أكثر من أن تحصى ، وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في إزالتها و تطهير القلب منها إن شاء الله .  
 هذا آخر كتاب أسرار الطهارة و مهماتها من المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه كتاب أسرار الصلاة و مهماتها و الحمد لله أولاً و آخرأ و ظاهراً و باطناً .

## ﴿ كتاب أسرار الصلاة ﴾

﴿ ومهماتها ﴾

( وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء )

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين و وظائفه ، الذي فارق الملوك مع التفرد بالجلال و الكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء ، فقال : « هل من داع فاستجيب له ، وهل من مستغفر فأغفر له » و باين السلاطين بفتح الباب و رفع الحجاب ، فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات في الجماعات و الخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة ، بل تلطّف بالترغيب و الدعوة ، و غيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية و الرشوة ، فسبحان ما أعظم شأنه ، و أقوى سلطانه ، و أتم لطفه ، و أعم إحسانه ، و الصلاة على محمد نبيه المصطفى و وليه المجتبى ، وعلى آله و أصحابه ، مفاتيح الهدى ، و مصابيح الدجى و سلم .  
 أما بعد فإن الصلاة عماد الدين ، و عصام اليقين ، و سيد القربات ، و غرة الطاعات و قد استقصينا في فنّ الفقه أصولها و فروعها و مسائلها و أحكامها ، و نحن الآن في هذا الكتاب مقتصرين على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة ، و أسرارها الباطنة ، و كاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع و الإخلاص و النية ما لم تجري العادة بذكرها في الفقه ، و مرتّبون الكتاب على سبعة أبواب :

الباب الأول في فضائل الصلوات ومتعلقاتها ، الباب الثاني في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلاة ، الباب الثالث في تفصيل الأعمال الباطنة منها ، الباب الرابع في الإمامة و القدوة ، الباب الخامس في صلاة الجمعة و آدابها ، الباب السادس في مسائل متفرقة يعمُّ بها البلوى ، الباب السابع في سائر الصلوات .

### ( الباب الاول )

( في فضائل الصلوات ، والسجود ، والجماعة ، والأذان ، وغيرها )

أقول : ما أورده أبو حامد في هذا الباب من الروايات أكثر مما رواه أصحابنا أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصة بأدنى تفاوت في الألفاظ ، فنحن نرويه عنهم عليهم السلام برواية أصحابنا إلا قليلاً مما فيه زيادة فائدة من رواية العامة ، وما لم يروه أصحابنا مما له فائدة معتد بها ، ونذكر ما قاله أبو حامد من تحقیقاته و فوائده كلاً في محله فاسين إليه ، وكذلك في كل باب إن شاء الله ، وننقل أكثر ما نرويه عن أهل البيت عليهم السلام من كتابي الكافي و الفقيه لأن جميع ما روي في الكتابين قد صح عنهم عليهم السلام كما شهد به مصنفاهما في أوليهما .

### ❖ ( فضيلة الاذان ) ❖

روى في الفقيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من أذن في مصر من أمصار المسلمين سنة و جبت له الجنة » (١) .

وعن الباقر عليه السلام « المؤذن يغفر الله له مدَّ بصره ، ومدَّ صوته في السماء ، ويصدقه كل رطب وياابس يسمعه ، وله من كل من يصلي معه في مسجده سهم ، وله بكل من يصلي بصوته حسنة » (٢) .

و قال عليه السلام : « من أذن سبع سنين محتسباً جاء يوم القيامة ولا ذنب عليه » (٣) .  
و روي « أن الملائكة إذا سمعت الأذان من أهل الأرض قالت : هذه أصوات أمة محمد صلى الله عليه وآله بتوحيد الله ، فيستغفرون الله لأمة محمد صلى الله عليه وآله حتى يفرغوا من تلك الصلاة » (٤) .

(١) الى (٤) الفقيه باب الاذان والاقامة ص ٧٧ رقم ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ على الترتيب .

وروي « أن من صلى بأذان وإقامة صلى خلفه صفّان من الملائكة ، ومن صلى بإقامة بغير أذان صلى خلفه صف واحد ، وحدث الصف ما بين المشرق والمغرب <sup>(١)</sup> » .  
وفي رواية العباس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام « أنه قال : من أذّن وأقام صلى وراء صفّان من الملائكة ، وإن أقام بغير أذان صلى عن يمينه واحد وعن شماله واحد ، ثم قال : اغتنم الصّفين <sup>(٢)</sup> » .

وفي رواية ابن أبي ليلى عن علي عليه السلام أنه قال : « من صلى بأذان وإقامة صلى خلفه صفّان من الملائكة لا يرى طرفاهما ، ومن صلى بإقامة صلى خلفه ملك <sup>(٣)</sup> » .

وروى الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « من سمع المؤذّن يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » فقال مصدّقاً محتسباً : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، أكتفي بهما عن كل من أبى وجحد ، وأعين بهما من أقرّ وشهد » كان له من الأجر عدد من أنكر وجحد ، وعدد من أقرّ وشهد <sup>(٤)</sup> » .

وقال أبو جعفر عليه السلام لمحمد بن مسلم يا ابن مسلم : « لاتدعن ذكر الله على كل حال ، ولو سمعت المنادي ينادي بالأذان وأنت على الخلاء فاذكر الله عز وجلّ وقل كما يقول المؤذّن <sup>(٥)</sup> » .

أقول : وفي بعض الأخبار أنه يحولق <sup>(٦)</sup> عند سماع الحيلة <sup>(٧)</sup> « وأن من فعل ذلك من قلبه دخل الجنة » وهو حسن .

### ❖ فضيلة المكتوبة ❖

قال الله سبحانه : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً <sup>(٨)</sup> » .

(١) الى (٥) الفقيه ص ٧٦ باب الاذان رقم ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ على الترتيب .

(٦) أى قال : « لاحول ولا قوة الا بالله » .

(٧) أى « حى على الصلاة ، وحى على الفلاح » وهو مصدر جملى وراجع مكارم الاخلاق

ص ٣٤٧ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣١ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٤ .

(٨) النساء : ١٠٣ .

و في الفقيه قال النبي ﷺ : « ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس : أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم ، فاطفئوها بصلاتكم (١) » .

و دخل رسول الله ﷺ المسجد و فيه ناس من أصحابه فقال : « تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم ، فقال : إن ربكم يقول : إن هذه الصلوات الخمس المفروضات من صلاتهم لوقتهم ، و حافظ عليهن لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنة ، و من لم يصلهن لوقتهم و لم يحافظ عليهن فذاك إلي إن شئت عذبت به و إن شئت غفرت له (٢) » .

و قال الصادق عليه السلام : « أول ما يحاسب به العبد عن الصلاة فإذا قبلت منه قبل سائر عمله ، و إذا ردت عليه رد عليه سائر عمله (٣) » .

و قال عليه السلام : « صلاة فريضة خير من عشرين حجة ، و حجة خير من بيت مملو ذهباً يتصدق منه حتى يفنى (٤) » .

و سأله معاوية بن وهب عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم و أحب ذلك إلى الله عز وجل ماهو ؟ فقال : « ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال : « و أوصاني بالصلاة (٥) » . و قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : « الصلاة قربان كل تقى (٦) » .

و قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبت الأطناب والأوتاد والغشاء ، و إذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء (٧) » . و قال عليه السلام : « إنما مثل الصلاة فيكم كمثال السري - و هو النهر - على باب أحدكم ، يخرج إليه في اليوم و الليلة ، يغتسل منه خمس مرّات ، فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرّات ، ولم يبق الذنوب على الصلاة خمس مرّات (٨) » .

و قال الصادق عليه السلام : « من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذب به ، و من قبل الله له حسنة لم يعذب به (٩) » .

وقال ﷺ : « كان رسول الله ﷺ يقول : من حبس نفسه على صلاة فريضة ينتظر وقتها ، فصلاها في أول وقتها ، فأتى ركوعها وسجودها وخشوعها ، ثم مجّد الله عز وجل وعظمه وحده حتى يدخل وقت صلاة أخرى لم يبلغ بينهما كتب الله له كأجر الحاج المعتبر ، وكان من أهل عليين (١) .

أقول : وفي الصحيح عن الباقر ﷺ قال : « قال رسول الله ﷺ : ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً ، أو يتهاون بها ، فلا يصليها » (٢) . وفي رواية أخرى « من ترك صلاة متعمداً فقد كفر » (٣) .

قال أبو حامد : « أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده ، كما يقال لمن قارب المدينة : إنه بلغها ودخلها » .

### ﴿ فضيلة الإمام الاركان ﴾

في الفقيه قال رسول الله ﷺ : « الصلاة ميزان من وفّى استوفى » (٤) . يعني بذلك أن يكون ركوعه مثل سجوده ، ولبثه في الأولى والثانية سواء ، من وفى بذلك استوفى الأجر .

وقال الصادق ﷺ : « إن العبد إذا صلى الصلاة في وقتها ، وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة ، تقول : حفظتني حفظك الله ، وإذا لم يصلها لوقتها ، ولم يحافظ عليها رجعت عليه سوداء مظلمة ، تقول : ضيعتني ضيعتك الله » (٥) .

أقول : وفي الحسن عن الباقر ﷺ قال : « بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلّى فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال ﷺ : نفر كنفر الغراب لئن

(١) في الفقيه ص ٥٦ باب فضل الصلاة تحت رقم ٢١ .

(٢) معاصن البرقى ص ٨٠ ، وعقاب الاعمال للصدوق - رحمه الله - ص ٢٢٣ .

(٣) رواء الطبراني في الاوسط كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٤) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ١ ، الكافي ج ٣ ص ٢٦٦ تحت رقم ١٣ . وأخرجه البيهقي

في شعب الايمان كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٥) الكافي ج ٣ ص ٢٦٨ تحت رقم ٤ .

مات هذا وهكذا صلاته ليموتن<sup>(١)</sup> على غير ديني ، رواه في الكافي والتهذيب<sup>(٢)</sup> .  
 وعن النبي ﷺ « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما و  
 سجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »<sup>(٣)</sup> وأشار إلى الخشوع .  
 وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « والله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة  
 ما قبل الله منه صلاة واحدة ، فأى شيء أشد من هذا ، والله إنكم لتعرفون من جيرانكم  
 وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها ، إن الله لا يقبل إلا الحسن  
 فكيف يقبل ما استخف به »<sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيح عنه عليه السلام قال : « إذا قام العبد في الصلاة فخفف صلاته قال الله تعالى  
 ملائكتي : أما ترون إلى عبدي كأنه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري ، أما يعلم أن قضاء  
 حوائجه بيدي ، رواهما في التهذيب<sup>(٥)</sup> .

### ❖ ( فضيلة الجماعة ) ❖

في الفقيه<sup>(٦)</sup> قال الله تبارك وتعالى : « و اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة و اركعوا مع  
 الراكعين »<sup>(٧)</sup> فأمر بالجماعة كما أمر بالصلاة ، وفرض الله تبارك وتعالى على الناس من  
 الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة ، منها صلاة واحدة فرضها الله تعالى في جماعة  
 وهي الجمعة ، وأما سائر الصلوات فليس الاجتماع عليها بمفروض ولكته سنة ، من تركها  
 رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علة فلا صلاة له ، و من ترك ثلاث جمعات متواليات  
 من غير علة فهو منافق ، وصلاة الرجل في جماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بخمس  
 وعشرين صلاة .

أقول : هذا كله مروى عن مولينا الصادق عليه السلام في الصحيح وغيره .

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٦٨ تحت رقم ٦ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) قال العراقي : أخرجه ابن المحبر في العقل من حديث أبو أيوب الانصاري  
 بنحوه ، وهو موضوع و رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحبر .

(٣) و (٤) التهذيب ج ١ ص ٢٠٤ .

(٦) البقرة : ٤٣ .

(٥) الفقيه ص ١٠٢ تحت رقم ١ .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : لا صلاة لمن لا يصلي في المسجد مع المسلمين إلا من علة (١) » .

و قال رسول الله ﷺ : « لا غيبة إلا لمن صلى في بيته ، ورغب عن جماعتنا ، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته ، وسقطت بينهم عدالته ، ووجب هجرانه ، وإذا رفع إلى إمام المسلمين أنذره وحذّره ، فإن حضر جماعة المسلمين وإلا أحرق عليه بيته » (٢) .

و روى شيخنا الشهيد - رحمه الله - عن النبي ﷺ أنه قال : « إن سئلت عمن لم يشهد الجماعة فقل : لا أعرفه » (٣) .

قال : وعن الصادق عليه السلام « الصلاة خلف العالم بألف ركعة ، وخلف المولى خمس وعشرون » (٤) .

قال في الفقيه : و روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « لا صلاة لمن لا يشهد الصلاة من جيران المسجد إلا مريض أو مشغول » (٥) .

وقال رسول الله ﷺ لقوم : « لتحضرن المسجد أو لأحرقن عليكم منازلكم » (٦) .  
و قال ﷺ : « من صلى الصلاة الخمس جماعة فظنوا به كل خير » (٧) .

وقال ﷺ : « الاثنان جماعة » (٨) .

و سأل الحسن الصيقل أبا عبد الله عليه السلام « عن أقل ما يكون الجماعة قال : رجل وامرأة ، وإذا لم يحضر المسجد أحد فالمؤمن وحده جماعة ، لأنه متى أذن وأقام صلى خلفه صفان من الملائكة ، ومتى أقام ولم يؤذن صلى خلفه صف واحد ، و قد قال رسول الله ﷺ : المؤمن وحده حجة ، والمؤمن وحده جماعة » (٩) .

(١) علل الشرايع ج ٢ باب ١٨ ، وفي الكافي ج ٣ ص ٣٧٢ تحت رقم ٦ نحوه .

(٢) أوردته الشهيد - رحمه الله - في النغلة كما في البعارج ١٨ ص ٦١٢ .

(٣) النغلة كما في مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٨٩ .

(٤) النغلة كما في البعارج ج ١٨ ص ٦١١ و تمام الخبر هكذا « الصلاة خلف

العالم بألف ركعة ، وخلف القرشي بمائة ، وخلف العربي خمسون ، وخلف المولى خمس

و عشرون » . (٥) إلى (٩) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ٢ إلى ٧ .



و صَلَّى رسول الله ﷺ الفجر ذات يوم فلما انصرف أقبل بوجهه على أصحابه، فسأل عن أناس يسميهم بأسمائهم هل حضروا الصلاة؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: غيبٌ هم؟ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: أما إنَّه ليس من صلاة أثقل على المنافقين من هذه الصلاة، وصلاة العشاء الآخرة، ولو علموا الفضل الذي فيهما لأتوهما ولو حبواً<sup>(١)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «من صَلَّى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة فهو في ذمة الله عز وجل، ومن ظلمه فإِثْمًا يظلم الله، ومن حقره فإِثْمًا يحقر الله عز وجل، وإذا كان مطر أو برد شديد فجائز للرجل أن يصلي في رحله، ولا يحضر المسجد لقول النبي ﷺ: «إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال»<sup>(٢)</sup>.

أقول: ويستحب حضور جماعه أهل الخلاف استحباباً مؤكداً، ولكنه لا يعتد بقراءتهم بل يقرء لنفسه ولو مثل حديث النفس<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام: «من صَلَّى معهم في الصف الأول كان كمن صَلَّى خلف رسول الله ﷺ في الصف الأول»<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيح عنه عليه السلام: «يحسبك إذا دخلت معهم وإن كنت لا تقتدي بهم مثل ما يحسبك لك إذا كنت مع من تقتدي به»<sup>(٥)</sup>.

وفي الصحيح عنه عليه السلام ما من عبد يصلي في الوقت ويفرغ، ثم يأتيهم ويصلي معهم وهو على وضوء إلا كتب الله له خمساً وعشرين درجة»<sup>(٦)</sup>.

قال أبو حامد: «وقال رسول الله ﷺ: من صَلَّى أربعين يوماً الصلوات في جماعة

(١) و (٢) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ١٠٨ و ١٠٩، وحجى الصبى إذا مشى على استه. وقوله:

«حقره فإنما يحقر الله عز وجل» في روايات العامة «ومن خفره فإنما يخفر الله عز وجل» والخفر نقض العهد.

(٣) كما في التهذيب ج ١ ص ١٦٢، والكافي ج ٣ ص ٣١٥ رقم ١٦.

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في الهداية باب التقيّة ص ١٠.

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٢٩، والفقيه ص ١٠٥ رقم ٣٩.

(٦) الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٥.

لا يفوته تكبيرة الإحرام كتب له برأتان براءة من النفاق و براءة من النار ،<sup>(١)</sup> .  
 وقال ابن عباس : من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيراً ولم يرد به .  
 ويقال : إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرّي فيقول لهم  
 الملائكة : ما أعمالكم ؟ فيقولون : كنّا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة ، لا يشغلنا  
 غيرها ، ثم يحشر طائفة وجوههم كالأقمار ، فيقولون بعد السؤال : كنّا نتوضأ قبل الوقت ،  
 ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس ، فيقولون : كنّا نسمع الأذان في المسجد .  
 وقال حاتم الأصم : فامتنني الجماعة فعزّاني البخاريّ وحده ، ولو مات لي ولد  
 لعزّاني أكثر من عشرة آلاف لأنّ مصيبة الدّين أهون عند الناس من مصيبة الدّنيا .  
 وروي أنّ السلف كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيّام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ،  
 و يعزّون سبعا إذا فاتتهم الجماعة ، وقد كانوا يبالبغون في ذلك حتّى كان بعضهم يحمل  
 الجنازة إلى باب دار من تخلف عن الجماعة ، إشارة إلى أنّ الميّت هو الذي يتأخّر عن  
 الجماعة دون الحيّ .  
 أقول : فانظر كيف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات حتّى  
 آل الحال إلى ما آل .

### ﴿ فضيلة السجود والقول فيه ﴾

في الفقيه « قال الصادق عليه السلام : أقرب ما يكون العبد إلى الله عزّ وجلّ وهو ساجد  
 قال الله تعالى و اسجد و اقترب »<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه الترمذي ج ٢ ص ٤٠ . وقال : لأعلم أحد رفعه إلا ما روى مسلم بن قتيبة  
 عن طعمة بن حبيب بن أبي حبيب البجلي عن أنس بن مالك . أقول : ونقله الشهيد - رحمه الله -  
 في الذكري .

(٢) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ٧ . والاية في العلق : ١٩ . قال الرضی - رضی الله  
 عنه - : ان كانت الحال جملة اسمية فنمذ غير الكسائي يجب معها واول الحال ، قال صلى الله  
 عليه وآله : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » اذ الحال فضلة و قد وقعت  
 موقع العمدة فيجب معها علامة الحالية لان كل واقع غير موقعه ينكر ، وجوز الكسائي  
 تجردها من الواو بوقوعها موقع الخبر فتقول : ضربى زيدا أبوه قائم .

وقال عليه السلام: «إنَّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس : يا ويلاه أطاع وعصيت و سجد وأبيت » (١).

وفي الكافي بإسناده الصحيح « عن الصادق عليه السلام قال : مرَّ بالنبي ﷺ رجلٌ وهو يعالج بعض حجراته ، فقال : يا رسول الله ألا أكفيك ؟ فقال : شأنك ، فلما فرغ قال له رسول الله ﷺ : حاجتك ؟ قال : الجنة ، فأطرق رسول الله ، ثم قال : نعم ، فلما ولى قال له : يا عبد الله أعنّا بطول السجود » (٢).

قال أبو حامد : « و روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ، و يرزقني مرافقتك في الجنة ، قال : أعنّي بكثرة السجود » (٣).  
قال رسول الله ﷺ : « ما تقرّب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » (٤).  
وقال : « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه بها درجة ، و حطّ بها عنه خطيئة » (٥).

وقال عزّ وجلّ : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » (٦) ف قيل : هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، وقيل : هو نور الخشوع فأنه يشرق من الباطن على الظاهر و هو الأصح ، وقيل : هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء .

أقول : و في الفقيه « كان أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يسجد بعد ما يصلي فلا يرفع رأسه حتّى يتعالى النهار » (٧).

(١) الفقيه ص ٥٦ تحت رقم ١٧ ، والكافي ج ٣ ص ٢٦٤ تحت رقم ٢ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٢٦٦ تحت رقم ٨ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ، ونحوه مسلم وأبوداود ، راجع الترغيب والترهيب

ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤) أخرجه ابن المبارك عن حمزة بن حبيب مرسل كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٦ من حديث ثوبان مولى رسول الله (ص) .

(٦) الفتح : ٢٩ .

(٧) المصدر ص ٩١ تحت رقم ٥ .

وروى عبد الرحمن بن الحجاج « عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من سجد سجدة الشكر لنعمة و هو متوضي كتب الله له بها عشر صلوات ، وعفى عنه عشر خطايا عظام » (١) .  
وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام « أن رسول الله ﷺ كان في سفر يسير على ناقه له إذ نزل فسجد خمس سجديات ، فلما ركب قالوا : يا رسول الله إنا رأينا صنعت شيئاً لم تمنعه ؟ فقال : نعم استقبلني جبرئيل فبشّرني ببشارات من الله ، فسجدت لله شكراً ، لكل بشري سجدة » (٢) .

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا ذكر أحدكم نعمة الله تعالى فليضع خدّه على التراب ، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خدّه على قبر بوسه ، فإن لم يقدر فليضع خدّه على كفه ، ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه » (٣) .

و بإسناده عن هشام بن أحمد قال : « كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابته فخرّ ساجداً فأطال وأطال ، ثم رفع رأسه وركب دابته ، فقلت : جعلت فداك قد أطلت السجود ؟ فقال : إني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببت أن أشكر ربّي » (٤) .

وفي الفقيه روى إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « كان موسى ابن عمران عليه السلام إذا صلى لم ينقل حتى يلمص خدّه الأيمن بالأرض ، و خدّه الأيسر بالأرض » (٥) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي ؟ قال موسى : لا يا ربّ ، قال : يا موسى ، إنني قلبت عبادي ظهراً وبطناً ، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك ، يا موسى إذا صليت وضعت خديك على التراب » (٦) .

وقال الصادق عليه السلام : « إن العبد إذا سجد وقال : يا ربّ يا ربّ يا ربّ ، حتى

(١) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٦ .

(٢) و (٣) و (٤) الكافي ج ٢ ص ٩٨ رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ .

(٥) و (٦) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٨ و ٩ .

ينقطع نفسه ، قال له الرب تبارك و تعالى : لبيك ما حاجتك ؟ (١) .

و كان علي بن الحسين عليه السلام يقول في سجوده : « اللهم إن كنت قد عصيتك فإني أضعك في أحب الأشياء إليك و هو الإيمان بك ، منّا منك علي ، لا منّا منّي عليك ، و تركت معصيتك في أبغض الأشياء إليك و هو أن أدعوك شريكاً ، منّا منك علي ، لا منّا منّي عليك ، و عصيتك في أشياء على غير وجه مكابرة ولا معاندة ، و لا استكبار عن عبادتك ، و لا جحود لربوبيك ، ولكن اتبعت هواي و استرلني الشيطان بعد الحجة علي و البيان ، فإن تعدّ بني فبذنوبي ، غير ظالم لي ، و إن تغفر لي و ترحمني فبجودك وكرمك يا أرحم الراحمين » (٢) .

و في الكافي في الصحيح « عن الصادق عليه السلام أنه قال : قل فيه : « يارب الأرباب ، و يا ملك الملوك ، و يا سيد السادات ، و يا جبار الجبابرة ، و يا إله الآلهة صلّ على محمد و آل محمد ، و افعل بي كذا و كذا » ثم قل : « إني عبدك ، ناصيتي في قبضتك » ، ثم ادع بما شئت و سلّه ، فإنّه جواد لا يتعاضمه شيء » (٣) .

و في رواية أخرى « ادع فيه للدنيا والآخرة فإنّه ربّ الدنيا والآخرة » (٤) .  
و عن محمد بن سليمان ، عن أبيه عن الكاظم عليه السلام : قال : « خرجت معه في بعض أمواله فقام إلى صلاة الظهر ، فلما فرغ خرّ لله ساجداً ، فسمعتة يقول بصوت حزين و يغرغر دموعه : (٥) « ربّ عصيتك بلساني ، و لو شئت و عزّتك لأخرستني ، و عصيتك ببصري ، و لو شئت و عزّتك لأكهمتني (٦) ، و عصيتك بسمعي ، و لو شئت و عزّتك لأصممتني ، و عصيتك بيدي ، و لو شئت و عزّتك لكنتني (٧) ، و عصيتك برجلي ، و لو شئت و عزّتك لجدمتني (٨) ، و عصيتك بفرجي ، و لو شئت و عزّتك لعقمتني ، و عصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ و ليس هذا جزاؤك منّي » ، قال : ثمّ أحصيت له

(١) و (٢) الفقيه ص ٩١ رقم ١٠ و ١١ .

(٣) و (٤) الكافي ج ٣ ص ٣٢٣ رقم ٧ و ٦ .

(٥) الغرغرة : ترديد الماء في الحلق . (القاموس) .

(٦) الكمه : العسى . (٧) الأكثم : الاشل .

(٨) « لجدمتني » أي لقطعتني ، و الاجذم المقطوع اليد .

ألف مرة وهو يقول : العفو ، العفو ، ثم ألصق خدّه الأيمن بالأرض وسمعته وهو يقول بصوت حزين : « بؤث إليك بذنبي ، عملت سوءاً ، وظلمت نفسي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب غيرك ، مولاي ! » ثلاث مرّات ، ثم ألصق خدّه الأيسر بالأرض فسمعته يقول : « ارحم من أساء واقترب ، واستكان واعترف » ثلاث مرّات ، ثم رفع رأسه ، (١) .

قال في الفقيه (٢) : « وينبغي لمن يسجد سجدة الشكر أن يضع ذراعيه على الأرض ويلحق جؤجؤه بالأرض » ، (٣) .

وفي رواية أبي الحسن الأسدي أن الصادق عليه السلام قال : « إنما يسجد المصلّي سجدة بعد الفريضة ليشكر الله تعالى ذكره فيها على مامن به عليه من أداء فرضه ، وأدنى ما يجزىء فيها شكر الله ثلاث مرّات » ، (٤) .

وروى أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن حريز ، عن مرازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سجدة الشكر واجبة على كل مسلم ، تتم بها صلواتك ، وترضي بها ربك ، ومعجب الملائكة منك ، وإن العبد إذا صلى ثم سجد سجدة الشكر فتحت الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة ، فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي ، وأتمّ عهدي ، ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه ، ملائكتي ما ذا له عندي ؟ قال : فتقول الملائكة : يا ربنا رحمتك ، ثم يقول الرب تبارك وتعالى : ثم ما ذاله ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا جنتك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : ثم ما ذاله ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا كفاية مهمته ، فيقول الله تبارك وتعالى : ثم ما ذاله ؟ قال : ولا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ثم ما ذا ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا لا علم لنا ، قال : فيقول الله تبارك وتعالى : أشكر له كما شكر لي وأقبل إليه بفضلي وأربه وجهي ، (٥) .

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٢٦ رقم ١٩ .

(٢) المصدر ص ٩١ تحت رقم ١٢ .

(٣) الجؤجؤ - بضم الجيم - : لصدا .

(٤) و (٥) الفقيه ص ٩١ رقم ١٤١٣ وللصدوق - رحمه الله - بيان في معنى الوجه .

## ﴿ فضيلة الخشوع ومعناه ﴾

قال الله تعالى : « الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » <sup>(١)</sup> وقال عز وجل : « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » <sup>(٢)</sup> ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لأنهم سهوا عنها وتركوها .

قال أبو حامد : « قال الله عز وجل : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي » <sup>(٣)</sup> ؛ وقال تعالى : « وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » <sup>(٤)</sup> ؛ وقال تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » <sup>(٥)</sup> . قيل : سكرى من كثرة الهم ؛ وقيل : من حب الدنيا ، وهب <sup>(٦)</sup> أن المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال تعالى : « حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته .  
وقال النبي ﷺ : « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يَحْدَثْ فِيهِمَا نَفْسُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » <sup>(٧)</sup> .

وقال ﷺ : « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تُمْسِكُن <sup>(٨)</sup> وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعُ وَتَبَاسٌ <sup>(٩)</sup> وَتَنْدَمٌ ؛ وَتَقْنَعُ بَمَدِّ يَدَيْكَ فَتَقُولُ : « اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ » فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ » <sup>(١٠)</sup> .  
وروي عن الله <sup>(١١)</sup> في الكتب السالفة « أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ ، إِنَّمَا

(١) المؤمنون : ٣ . (٢) الماعون : ٤ و ٥ .

(٣) طه : ١٤ . (٤) الاعراف : ٢٠٥ .

(٥) النساء : ٤٣ . (٦) في الاحياء « قال وهب » .

(٧) مر سابقاً عن أحمد أخرجه في مسنده .

(٨) تمفعل من سكن . بمعنى الدل وال فقر والخضوع .

(٩) تبأس أى تفاقر وأرى تخشع الفقراء اخباتاً وتضرعاً .

(١٠) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٦٧ ونحوه الترمذى في السنن ج ٢ ص ١٧٥

والنسائي وابن خزيمة . كما في الترغيب ج ١ ص ٣٤٨ و ٣٤٩ . و لفظه « الصلاة مثني

مثني ، تشهد في كل ركعتين و تخشع و تضرع وتمسكن » كلها بصيغة الامر . والخداج

- بكسر الخاء المعجمة - ههنا بمعنى الناقص .

(١١) كذا في النسخ في بعض نسخ الاحياء « قال وهب » .

أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، و لم يتكبر عليّ ، و أطعم الفقير الجائع لوجهي .  
و قال رسول الله ﷺ : « إنما فرضت الصلاة و أمر بالحج و الطواف و أشعرت  
المناسك لإقامة ذكر الله ، <sup>(١)</sup> فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى  
عظمته و هيئته فما قيمة ذكرك .

و قال ﷺ : « و إذا صليت صلاة فصل صلاة مودّع ، <sup>(٢)</sup> أي مودّع لنفسه ،  
مودّع لهواه ، مودّع لعمره ، سائر إلى مولاه كما قال تعالى : « يا أيها الإنسان إنك  
كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه » <sup>(٣)</sup> .

و قال تعالى : « و اتقوا الله و اعلموا أنكم ملاقوه » <sup>(٤)</sup> .

أقول : و من طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام « إذا صليت صلاة فريضة فصل  
لوقتها صلاة مودّع تخاف ألا تعود إليها » <sup>(٥)</sup> و مثله عن النبي ﷺ بطرين حسن .  
قال أبو حامد : « و قال ﷺ : من لم تنه صلته عن الفحشاء و المنكر لم يزد  
من الله إلا بعداً » <sup>(٦)</sup> ، و الصلاة مناجاة فكيف يكون مع الغفلة .

قيل : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت ، قيل : كيف  
ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك و تدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن  
و كلمته بغير ترجمان .

و عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحدثنا و يحدثه فإذا حضرت الصلاة

(١) أخرجه أبو داود والترمذي بنحو آخر عن عائشة دون قوله ذكر الصلاة و قال  
الترمذي حسن صحيح . (المعنى)

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب و الحاكم في المستدرک كما في المعنى .

(٣) الانشقاق : ٧ . وقوله : « كادح » أى عامل أوسع في عملك .

(٤) البقرة : ٢٢٣ .

(٥) رواه الصدوق في الامالي ص ١٥٥ . وفي النخبال عن أمير المؤمنين عليه السلام

ج ٢ ص ١٦٥ . وفي دعائم الاسلام عن النبي صلى الله عليه و آله مثله كما في مستدرک الوسائل .

(٦) أخرجه ابن جرير عن الحسن و أخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن

عباس أيضاً كما في الدر المنثور ج ٥ ص ١٤٦ . و رواه علي بن ابراهيم في تفسيره أيضاً .



فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه إشتغلاً بعظمة الله (١) .

وقال عليه السلام : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه » (٢) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا قام إلى الصلاة سمع وجيب قلبه على ميلين .  
وكان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون ، فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، (٣) .

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام : « أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتارك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ، (٤) .  
أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في عدة الداعي (٥) أن إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل حتّى مدحه الله تعالى بقوله : « إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب ، (٦) وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل (٧) وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله ، وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله (٨) ؛ وكان الحسن عليه السلام إذا فرغ من وضوئه يتغيّر لونه فقيل له في ذلك ، فقال : حقّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه ؛ و يروى مثل هذا عن زين العابدين عليه السلام .

(١) عدة الداعي آخر الفصل الاول من الباب الرابع ص ١٠٩ .

(٢) رواه الراوندى - رحمه الله - في لب اللباب كما في مستدرک الوسائل ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) رواه ابن شهر آشوب في التنزيل عن تفسير القشيري كما في البحار ج ١٨

باب آداب الصلاة ، ورواه أيضاً جعفر بن أحمد القمي في كتاب زهد النبي صلى الله عليه وآله كما في المستدرک ج ١ ص ٢٦٦ .

(٤) علل الشرايع ص ٨٨ عن أبان بن تغلب .

(٥) الباب الرابع من الكتاب ص ١٠٨ . (٦) هود : ٧٥ .

(٧) قال الجوهري : الأزيز : صوت الرعد وصوت غليان القدر ، وقد أزت القدر

تؤز أزيزاً : غلت وفي الحديث « أنه يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء » .

(٨) النهج - بالتحريك - : البهر و تنابع النفس .

وفي التهذيب عن أبي حمزة الثمالي قال : رأيت علي بن الحسين عليه السلام يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته ، قال : فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك أتدري بين يدي من كنت ، إن العبد لا تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها ، فقلت : جعلت فداك هلكننا ، قال : كلا إن الله يتم ذلك بالنوافل ، (١) .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة تغير لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرض عرقاً ، (٢) .  
وعنه عليه السلام قال : « كان أبي يقول : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حرّكت الريح منه ، (٣) .

وعنه عليه السلام « أنه سئل عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فلمّا أفاق قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت أردّ هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ، (٤) . قيل : وكان لسان الإمام في تلك الحال كشجرة تلور حين قالت : إني أنا الله .

وعنه عليه السلام قال : « لا يجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة ، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده مع مودّتهم إياه بالجنة ، (٥) .

وعنه عليه السلام بسند حسن « إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشع والإقبال على صلاتك فإن الله تعالى يقول : « الذين هم في صلاتهم خاشعون ، (٦) .

(١) المصدر ج ١ ص ٢٣٣ ، و رواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في العلل ص ٨٨ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٥ ، وارفضاؤا الدموع : ترشيشها .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٤ .

(٤) نقله المجلسي - رحمه الله - في البحار ج ١٨ ص ١٩٧ من فلاح السائل للسيد ابن طاووس ، والظاهر المراد بالآية «مالك يوم الدين» كما في فلاح السائل أيضاً رواه عن الكليني - رحمه الله - .

(٥) رواه المفيد - رحمه الله - بنحو أبسط في أماليه كما في المستدرک ج ١ ص ٢٦٥ .

(٦) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٣ ، والآية في المؤمنون : ٣ .

وقيل في تفسير قوله تعالى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » (١) أي بجدة واجتهاد ، وأخذه بالجد أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشتغلات والهموم عنه .  
وعن الرضا عليه السلام « أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشتغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره » (٢) .

قال أبو حامد : « و يروى عن ابن عباس أنه قال : قال داود عليه السلام : إلهي من يسكن بيتك ؟ ومن تقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وقطع نهاره بذكر كربي ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي ، يطعم الجائع ، ويؤوي الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك يضيء نوره في السماء كالشمس ، إذا دعاني لبيته ، وإن سألتني أعطيته ، أجعل له في الجهل حليماً ، وفي الغفلة ذكراً ، وفي الظلمة نوراً ، وإنما مثله في الناس كالفرديوس في الجنان لا يبس أنهارها ولا يتغير ثمارها » (٣) .  
و يروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته ، فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ، ثم أقوم إلى صلاتي فأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن يساري ، وملك الموت ورائي ، وأظنّها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبّر تكبيراً بتحسّن ، وأقرأ القرآن بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشّع ، وأقعد على الورك اليسرى ، وأفرش ظهر قدمي ، وأنصب قدم اليمنى على الإبهام ، وأتبعها بالإخلاص ، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا .  
وقال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه .

أقول : الخشوع في الصلاة خشوعان : خشوع بالقلب وهو أن يتفرغ لجمع الهمة لها والإعراض عما سواها بحيث لا يكون فيه غير المعبود ، قال الصادق عليه السلام : « إنما أريد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة » (٤) و خشوع بالجوارح وهو أن يفيض بصره

(١) مريم : ١٢ .

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٢ ص ١٦ رقم ٣ .

(٣) رواه البرقي في المعاشن ص ١٥ دون ذكر داود عليه السلام عن الصادق عليه السلام .

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٦ تحت رقم ٥ .

و يقبل عليها ولا يلتفت ولا يعبت ، <sup>(١)</sup> و بالجملة لا يتحرّك لغير الصلاة ، ولا يفعل من المكروهات شيئاً .

روى في الكافي بإسناده الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنما يحسب لك منها ما أقبلت عليه ، ولا تعبت فيها يديك ولا برأسك ولا بليحتك ، ولا تحدث نفسك ولا تمتأب ولا تمتط <sup>(٢)</sup> ولا تكفر فإنما يفعل ذلك المجوس ، ولا تلتثم <sup>(٣)</sup> ، ولا تحتفز ، وتفرّج كما يفرّج البعير ، ولا تقع على قدميك ، ولا تقترش ذراعيك ، ولا تفرقع أصابعك فإن ذلك كله نقصان في الصلاة ، ولا تقم إلى الصلاة متكسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلال النفاق ، فإن الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني سكر النوم ، وقال للمنافقين : « و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالي يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً » <sup>(٤)</sup> .

قوله عليه السلام : « ولا تكفر » التفكير هو وضع اليمين على الشمال كما يفعله العامة ، والاختفاز - بالحاء المهملة والزاي - أن يتضام في سجوده و جلوسه ، والإقعاء عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ، وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثياً وليس على الأرض إلا رؤوس أصابع الرجلين والركبتين .

و في الصحيح عن الباقر عليه السلام : « إياك والقعود على قدميك فتتأذى بذلك ولا تكون قاعداً على الأرض وإنما قعد بعضك على بعض فلا تصبر للشهد والدعاء » <sup>(٥)</sup> .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « لا صلاة لحاقن ولا حاقب » <sup>(٥)</sup> وهو بمنزلة من هو في ثيابه ، و الحقن حبس البول ، و الحقب حبس الغائط .

و رواه أبو حامد عن النبي ﷺ و زاد « الحاذق » و هو صاحب الخف الضيق .

(١) روى الصدوق في النصال ج ٢ ص ١٦٥ نحوه .

(٢) الثوباء : فتح الغم ، و التمتطي : مد اليدين .

(٣) التلتثم : التثقب .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٢٩٩ . والاية في سورة النساء : ١٤٢ .

(٥) رواه الصنوق - رحمه الله - في المجالس ص ٢٤٨ ، والمعاني ص ٢٣٧ .

و «الصفن» وهو رفع إحدى الرجلين . و «الصفد» وهو اقتران القدمين . و «الاختصار» و هو وضع يديه على خاصرته . و «الصلب» وهو ذلك مع التجافي بين عضديه . و «السدل» و هو إدخال اليدين تحت الثوب في الركوع و السجود ، و عقص شعر الرأس للرجال وهو الكف . و وضع إحدى الكفين على الأخرى ، وإدخالهما بين الفخذين في الركوع و هو التطبيق . و نفخ موضع السجود .

و زاد أصحابنا على ذلك كله تحديد النظر في شيء و الامتخاط والتنخيم و البصاق و التبسم أما القهوة فمبطله ، والتصفيق إلا لضرورة ، و العجن باليدين أو إحديهما في النهوض و التباخر في الركوع - بالتاء المثناة الفوقانية و الباء الموحدة و الزاي و الخاء المعجمة - وهو تقويس الظهر إلى فوق مع إخراج الصدر ، والتدبيخ - بالتاء المثناة الفوقانية و الدال المهملة و الباء الموحدة و الياء المثناة التحتانية و الخاء المعجمة - و يروى - بالحاء - أيضاً و هو تقويس الظهر إلى فوق مع طأطأة الرأس ، و خشوع القلب يستلزم خشوع الجوارح و لهذا لما رأى النبي ﷺ و آله العابد في الصلاة قال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (١) بخلاف العكس لأن القلب هو الأصل و عليه المدار .

### ﴿ فضيلة المساجد و مواضع الصلاة ﴾

قال الله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » (٢) .  
و في الفقيه « روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : من صلى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة قبل الله بها منه كل صلاة صلاها منذ يوم وجبت عليه الصلاة و كل صلاة يصلّيها إلى أن يموت » (٣) .  
و قال رسول الله ﷺ : « الصلاة في مسجدي كألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام فإن صلاة في المسجد الحرام كألف صلاة في مسجدي » (٤) .  
و قال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي : « المساجد أربعة : المسجد الحرام ،

(١) الجعفریات ص ٣٦ . (٢) التوبة : ١٨ .

(٣) و (٤) الفقيه باب فضل المساجد رقم ٢ و ٣ .

و مسجد رسول الله ﷺ ، و مسجد بيت المقدس ، و مسجد الكوفة - يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجة ، و النافلة تعدل عمرة « (١) .

و قال علي عليه السلام : « صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة ، و صلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة [ألف] صلاة ، و صلاة في مسجد القبيلة تعدل خمساً و عشرين صلاة ؛ و صلاة في مسجد السوق تعدل اثنتي عشرة صلاة ، و صلاة الرّجل في بيته صلاة واحدة » (٢) .

و قال أبو جعفر عليه السلام : « من بنى مسجداً كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » (٣) .

و قال أبو عبيدة الحذاء و مرّ عليه السلام بي و أنا بين مكة و المدينة أضع الأحجار ، فقلت : هذا من ذاك ؟ فقال : نعم ، « (٤) .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان : أخاً مستفاداً في الله عزّ وجلّ أو علماً مستطرفاً ، أو آية محكمة ، أو رحمة منتظرة ، أو كلمة تردّه عن ردى ، أو يسمع كلمة تدّله على هدى ، أو يترك ذنباً خشية أوحياه » (٥) .

و قال الصادق عليه السلام : « من مشى إلى المسجد لم يضع رجله على رطب ولا يابس إلا سبّح الله له إلى الأرضين السابعة » (٦) .

و قال عليه السلام : « من تنخّم في المسجد ثمّ ردّها في جوفه لم تمرّ بداء إلا أبرأته » (٧) .

و قال رسول الله ﷺ : « من كنس المسجد يوم الخميس فأخرج منه من التراب ما يذرّ في العين غفر الله له » (٨) .

و قال عليه السلام : « من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة و جملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوء من السراج » (٩) .

و روي : « أن في التوراة مكتوباً أن يوتي في الأرض المساجد ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثمّ زارني في بيتي ، ألا إن علي المزور كرامة الزائر ، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة » (١٠) .

(١) الى (١٠) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٥

و ٢٥ و ٢٣ و ٢٤ و ٣٩ و ٤٤ .

وروي أن البيوت التي يصلّي فيها بالليل يضيء نورها لأهل السماء كما يضيء نور الكواكب لأهل الأرض،<sup>(١)</sup>.

ومن أراد دخول المسجد فليدخله على سكون وقار، فإن المساجد بيوت الله وأحب البقاع إليه. وأحبهم إلى الله عز وجل رجلاً أو لهم دخلاً وآخرهم خروجاً ومن دخل المسجد فليدخل رجله اليمنى قبل اليسرى وليقل « بسم الله وبالله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على محمد وآل محمد وافتح لنا أبواب رحمتك واجعلنا من عمارة مساجدك، جل ثناء وجهك » وإذا خرج فليخرج رجله اليسرى قبل اليمنى وليقل « اللهم صل على محمد وآل محمد وافتح لنا باب فضلك »<sup>(٢)</sup> هذا كله من الفقيه.

وفي الصحيح، عن ابن سنان عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: إن أناساً كانوا على عهد رسول الله ﷺ أبطأوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله ﷺ: ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن تأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فيوقد عليهم نار فيحرق عليهم بيوتهم،<sup>(٣)</sup>.

وعنه عن أبيه، عن علي عليه السلام: قال: لا صلاة لمن لم يشهد الصلوات المكتوبات من جيران المسجد إذا كان فارغاً صحيحاً،<sup>(٤)</sup>.

وعن النبي ﷺ: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع وليدع الله عقيبهما وليصل على النبي ﷺ ودعا الله وسأله حاجته،<sup>(٥)</sup>.

وعنه عليه السلام: الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة مالم يحدث، فقيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتيا ب<sup>(٦)</sup>.

(١) و (٢) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٤٥ و ٤٧ و ٤٨.

(٣) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٢٥٢.

(٤) رواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج ١ ص ٣٢٧.

(٥) أخرجه صدره البخاري ج ١ ص ١١٤، ومسلم ج ٢ ص ١٥٥، والترمذي ج ٢ ص ١١٢، وغيره كلهم عن أبي قتادة، وراجع أيضاً البحار ج ١٨ باب صلاة التحية والدعاء عند الخروج إلى الصلاة ص ١٤١.

(٦) رواه الصدوق في الامالي كما في البحار ج ١٨ ص ١٣٦.

قال أبو حامد : « قال النبي ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه : اللهم اغفر له اللهم ارحمه . ما لم يحدث أو يخرج من المسجد »<sup>(١)</sup> .  
وقال ﷺ : « من ألف المسجد ألفه الله »<sup>(٢)</sup> .  
وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالآيمان »<sup>(٣)</sup> .  
وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان [أ]ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعّدون فيها حلقات ، ذكّروهم الدنيا وحب الدنيا ، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة »<sup>(٤)</sup> .  
وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : « إذ أمانت العبد بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ « فمابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »<sup>(٥)</sup> » .  
وقال ابن عباس : « تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً »<sup>(٦)</sup> .  
وقيل : إنها تشهد له بها يوم القيامة ، ويقال : ما من منزل ينزله قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

## ﴿ الباب الثاني ﴾

### ﴿ في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة ﴾

أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليه السلام فنقول : ينبغي للمصلي إذا فرغ

- (١) أخرجه البغوي في المصابيح ج ١ ص ٤٨ ، والنسائي في السنن ج ٢ ص ٥٥ .
- (٢) أخرجه الطبراني في الاوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٣ .
- (٣) أخرجه الترمذي ج ١١ ص ٢٣٧ . وأحمد في المسند ج ٣ ص ٧٦ .
- (٤) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه بزيح أبو الغليل ونسب الى الوضع كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٤ .
- (٥) أخرجه ابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر من طريق السيب بن رافع كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٣١ ، والاية في سورة الدخان : ٢٣ .
- (٦) أخرجه الحاكم وابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٣١ .



من الطهارة وإزالة الخبث عن البدن والثوب ومحل السجود بل كل المكان ومن ستر العورة بل من السرّة إلى الركبة بما يجوز لبسه في الصلاة أعني غير الحرير المحض ، ولا جلد الميتة ، ولا ما لا يؤكل لحمه ، ولا شعره ووبره سوى ما استثنى أن ينتصب<sup>(١)</sup> قائماً متوجّهاً إلى القبلة عينا أو جهتها بوقار وخشوع ، واصفاً يديه على فخذه بإزاء ركبتيه مفرّجاً بين قدميه بقدر ثلاث أصابع مفرّجات إلى شبر ، مستقبلاً بأصابع رجله جميعاً القبلة ، مسدلاً منكبيه ، مقيماً صلبه ، ناظراً إلى موضع سجوده ، غير مجاوز بصره عن مصلاه ، ولا رافع له إلى السماء ، فإن لم يكن مصلياً فليقرب من جدار ، أو يضع بين يديه شيئاً ، أو يخطّ خطاً ليستتر بذلك ممن يمرّ بين يديه ، ويقصر مسافة البصر ، ويمنع تفرّق الفكر ، قال الصادق عليه السلام : « لا يقطع الصلاة شيء لا كلب ولا حمار ولا امرأة ولكن استتر وابتشيء<sup>(٢)</sup> » ، فإذا استوى قيامه واستقبله وإقباله على الصلاة فليحضر النية بأن يقصد بقلبه أنه يؤدي فريضة الظهر مثلاً لله ليميزه بقوله أوّدي عن القضاء ، وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ويقارن بها إحدى التكبيرات السبع الافتتاحية ويجعلها تحرّيمه ، ويرفع بكلّ منها يديه فاتّته زينة الصلاة والعبودية ويتأكّد للإمام ، ويستقبل بكفيه القبلة ، ضامّاً أصابعه سوى الإبهامين ، غير متجاوز بكفيه أذنيه ، مبتدئاً بالتكبير حال ابتداء الرّفع ، منتهياً بانتهاؤه ، وكذلك في كلّ تكبير في الصلاة ، ويقطع همزتي الجلالة وأكبر من غير مدّ ، ويضمّ الهاء من الجلالة ضمة خفيفة من غير مبالغة ، ولا يمدّ بين اللّام والهاء زيادة على العادة ، ويجزم راء التكبير ولا يضمّه ، ويأتي بالتكبيرات السبع بأدعيتها فعند الثالثة « اللهم أنت الملك الحقّ ، لا إله إلا أنت ، سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي » إنّه لا يغفر الذّنوب إلا أنت ، وبعد الخامسة « لبّيك وسعديك ، والخير في يديك والشرّ ليس إليك ، والمهديّ من هديت لاملجأ منك إلا إليك ، سبحانك وحنانيك تباركت وتعاليت سبحانك ربّ البيت<sup>(٣)</sup> » وفي بعض الأخبار بعد قوله : « والمهديّ من هديت »

(١) قوله : « أن ينتصب » مربوط بقوله « ينبغي » .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٩٧ ، التهذيب ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) قوله : « لبّيك وسعديك » أي إقامة على طاعتك بعد إقامة ومساعدة على ←

« منك وبك ولك وإليك » وبعد السابعة « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، خنيقاً مسلماً و ما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » وفي بعض الأخبار يدل «عالم الغيب والشهادة» على دين محمد ومنهاج علي ثم يقول : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» متخافتاً بها ، ثم يقرأ الحمد على الوجه المنقول بالتواتر، مخرجاً للحروف من مخارجها ، مراعيّاً للوقوف في مواضعها ، مرتلاً موالياً لأجزائها عرفاً ، آتياً بالبسملة لأنها جزء منها ويجهر بها في الصبح وأوليي العشائين والجمعة ، ويخافت في غيرها فيما عدا البسملة ، ويسكت بعدها بقدر نفس ، ثم يقرأ سورة كذلك مع بسملتها ، وينبغي أن تكون مثل الأعلى والشمس في الظهر والعشاء ، ومثل الفتح والتكاثر في العصر والمغرب ، ومثل النبأ والدھر في الصبح ، وفي الجمعة والجمعتين<sup>(١)</sup> وفي ليلتها وعاتها الجمعة وفي غداة الخميس والإثنين الدھر ، وفي بعض الأخبار القدر في جميع الفرائض وفي الثانية التوحيد وفي بعضها بالعكس ، ويسكت بعدها كما سكت قبلها ، ثم يرفع يديه كرفعه في السبع ، آتياً بالتكبير وهو قائم ، ثم يركع واضعاً يمينه على ركبتة اليمنى قبل يسراه على اليسرى ، مائلاً كفيه بركبتيه ، ملقماً لهما بأطراف أصابعه مفرجات ، راداً لهما إلى خلف ، مستويّاً ظهره بحيث لو صب عليه قطرة من ماء أودهن لم تنزل ، ماداً عنقه مغمضاً عينيه أو ناظراً إلى ما بين قدميه ، ثم يقول : « اللهم لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وأنت ربي خشع لك سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعصبي وعظامي وما أفلته قد ماي ، غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر<sup>(٢)</sup> ،

← امتثال أمرك بعد مساعدة . « والشر ليس إليك » أي ليس منسوباً إليك ولا صادر أعنك .

والحنان - بتخفيف النون :- الرحمة وبشديدها ذوالرحمة : وقوله : « سبعمائة وحنانيك »

أي انزهك عما لا يليق بك تنزيهاً والحال أنني أسألك رحمة بعد رحمة .

(١) كذا في النسخ .

(٢) قوله « أفلته قد ماي » أي ما حملته قدماي . والاستنكاف معناه بالفارسية تنك

داشتن . والاستحسار - بالحاء المهملة والسين - التعب والبراداني لا أجدي في الركوع تعباً ولا

كلالاً ولا مشقة بل أجذلنة وراحة . وقوله : « سبعمائة ربي العظيم وبحمده » يعني انزه ربي ←

ثم يقول : « سبحان ربّي العظيم وبحمده » مرةً أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعمائة إلى ما يتسع له الصدر فقد عُدَّ للصادق عليه السلام في الركوع والسجود تسعون تسبيحة ، ثم ينتصب ويقول : « سمع الله لمن حمده » رافعاً يديده ، ثم يقول : « والحمد لله رب العالمين أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت » ، ثم يكبر على قياس ما ذكر وهو قائم ويهوي للسجود بخضوع وخشوع ، متلقياً الأرض بكفيه قبل ركبتيه ، مجتهداً يديه ، باسطاً كفيه ، مضمومتي الأصابع حيال منكبيه ووجهه ، ولا يلزقهما بركبتيه ، ولا يدهنهما من وجهه ، ولا يضع شيئاً من جسده على شيء منه في ركوع ولا سجود ، ويسجد على الأرض أو ما نبت منها غير ما كول ولا ملبوس عادة ، ولا معدن لأن أبناء الدنيا عبيد لما يأكلون ويلبسون - كذا عن الصادق عليه السلام - (١) .

وقال عليه السلام : « وإن تسجد على الأرض أحب إليّ فإن رسول الله ﷺ كان يحب أن يمكن جبهته من الأرض فأنا أحب لك ما كان رسول الله ﷺ يحبه » (٢) .  
وقال عليه السلام : « وإن أفضيت يديك إلى الأرض فهو أفضل » (٣) ، وأفضل المساجد التربة الحسينية على مشرفها السلام ، فإنها تنور إلى الأرضين السبع وتخرق العجب . كذا عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم (٤) . ويضع مع الجبهة الكفين والركبتين وإبهامي

العظيم عما لا يليق به شأنه تنزيهاً وأنامتلبس بحمده على ما وفقني له من تنزيهه وعبادته . كان المصلي لما أسند التنزيه إلى نفسه خاف أن يكون في هذا الاسناد نوع تبجح بأنه مصدر لهذا الفعل العظيم فتدارك ذلك بقوله : وأنامتلبس بحمده على أن صيرني أهلاً لتسبيحه وقابلاً لعبادته ، فسبحان مصدر - كنفران - ومعناه التنزيه ونصبه على أنه مفعول مطلق وعامله محذوف ساعاً ، والواو في « وبحمده » وأو الحال و بعض النحاة يجعلها عاطفة وهو من قبيل عطف الجملة الاسمية على الفعلية ( كذا قال الشيخ البهائي في مفتاح الفلاح ) .

(١) الفقيه ص ٧٣ رقم ١ ، والمعلل ج ٢ باب ٤٢ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) التهذيب ج ١ ص ١٥٧ .

(٤) راجع الفقيه ص ٧٢ تحت رقم ٢ ، والاحتجاج للطبرسي ص ٢٧٤ و مصباح

المنهج ص ٥١١ .

الرجلين ويجعل الأنف ثامنيتها ويرغم به ويقول ناظراً إلى طرفه : « اللهم لك سجدت وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، وأنت ربي سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره ، الحمد لله رب العالمين تبارك الله أحسن الخالقين » ثم يقول : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً إلى ما يتسع له الصدر ، ثم يرفع رأسه ويكبر جالساً على فخذه الأيسر وقد وضع ظهر قدمه اليمنى على بطن اليسرى ويقول : « أستغفر الله ربي وأتوب إليه » ، ثم يقول : « اللهم اغفر لي وارحمني وأجرني وادفع عني إني لما أنزلت إلي من خير فقير تبارك الله رب العالمين » ثم يكبر ويسجد السجدة الثانية كالأولى ثم يرفع رأسه ويجلس متوراً كما ذكره نيئة وهي جلسة الاستراحة ثم يقوم رافعاً ركبتيه قبل كفيته معتمداً عليهما قائلاً « بحولك اللهم وقوتك أقوم وأقعد » وإن شاء يقول : « وأركع وأسجد » فإذا انتصب قائماً فيأتي بالبسملة والحمد وسورة وأفضلها التوحيد في جميع الفرائض ، ثم يسكت بقدر نفس ، ثم يكبر للفنوت ويرفع كفيته تلقاء وجهه ، مستقبلاً ببطنيهما السماء ، ضامناً أصابعهما ماعدا الإبهامين ، وينظر إليهما يأتي بكلمات الفرج ، ثم يدعو بما شاء وأفضله المأثورات ويجهر به ويطيل فيه ، ففي الحديث « أطولكم فنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة »<sup>(١)</sup> ثم يرفع يديه بالتكبير ويركع ويسجد السجدة كمامراً ، ثم يجلس للتشهد متوراً كما ، لاصقاً ركبتيه على الأرض ، مغزجاً بينهما شيئاً ويقول : ناظراً إلى حجره : « بسم الله وبالله وخير الأسماء الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ، وأشهد أن ربي نعم الرب وأن محمداً نعم الرسول ، اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل شفاعته في أمته وارفع درجته » ، ثم يحمد الله مرتين أو ثلاثاً إن كانت غير ثنائية ، ويقوم إلى الثالثة آتياً بما قاله عند نهوضه إلى الثانية فإذا انتصب قائماً قرأ الحمد أو سبح التسيحات الأربع فإن ثلثها وأضاف إليها الاستغفار فهو أفضل ، ثم يركع ويسجد آتياً بالتكبيرات والأذكار ، ثم يأتي بالربابعة كذلك إن كانت رباعية ، ثم يتشهد ثانياً كما مر ويضيف إليه ما في رواية أبي بصير المشهورة عن الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup> إلى آخر التسليمات

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في الامالي ص ٣٠٤ .

(٢) راجع التهذيب ج ١ ص ١٦٢ .

المستحبة ، ثم يشير بمؤخر عينه إلى يمينه ويقول : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ناوياً به الخروج عن صلاته ، قاصداً بالخطاب الأنبياء والأئمة والحفظة عليهم السلام فهذه هيئة صلاة المنفرد .

ثم يشرع في التعقيب متوركاً مستقبلاً القبلة ، ملازماً لمصلاً ، مستديماً طهارته ، مجتنباً كل ما يبطل الصلاة أو ينقص ثوابها ، فقد روي «أن كل ما يضر بالصلاة يضر بالتعقيب ، وهو أفضل من الصلاة تنفلاً ، وأبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد» <sup>(١)</sup> ، والأذكر الواردة فيه عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة ويأتي بعضها في كتاب ترتيب الأوراد ، وأفضلها تسبيح الزهراء عليها السلام وهو أفضل من صلاة ألف ركعة في كل يوم . - كذا عن الصادق عليه السلام - <sup>(٢)</sup> .

فاذا فرغ من التعقيب سجد سجدة الشكر ويطيلهما ما استطاع ، ويفترش ذراعيه فيهما ، ويلصق صدره وبطنه بالأرض ويعفر حيينيه وخصيه أي يضعهما على العفر - بفتحين وهو التراب - وبوضع الخدين يتحقق الفصل بينهما ويدعوفيهما بالماثور وقد مرّ نبذ منه .

#### ﴿ بيان تمييز الفرائض والسنن وتفاوت بعضها عن بعض ﴾

أقول : جملة ما ذكرناه اشتملت على السنن والهيئات والآداب التي ينبغي أن يراعي مريد طريق الآخرة جميعها والفرض منها القيام ، والنية ، وتكبير الاحرام ، وقراءة القائمة على الوجه المنقول بالتواتر والجهربها أو الإخفات ؛ والاحتناء في الركوع إلى أن ينال راحتاه ركبتيه ، والذكر فيه والطمأنينة بقدره ، ورفع الرأس منه مطمئناً فيه والسجدة على الأعضاء السبعة ، والذكر فيهما ، مطمئناً بقدره ، ورفع الرأس عنهما والجلوس بينهما مطمئناً ، والشهادتان في موضعيهما مع الصلاة على النبي وآله عليهم السلام ، والجلوس لهما ، والتسليم على خلاف فيه وهو تحليل الصلاة كما أن التكبير تحريرهما والطهور ومفتاحها . وفي وجوب السورة بعد الحمد والقنوت أو استحبابهما خلاف ، وكذا

(١) راجع مفتاح الفلاح ص ٤٩ ، والكافي ج ٣ ص ٣٤٢ ، والتهديب ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ تحت رقم ١٤ و ١٥ .

في وجوب الجهر بالبسملة في مواضع الإخفات أو استحبابه .

وما عدا هذه فليس بواجب بل هي سنن وهيئات وآداب فيها وفي الفرائض ، وللكل درجات متفاوتة في الفضل والإهتمام به فأهمها النية ، وأفضل الأفعال الأركان السجود ، ثم الركوع ، ثم القيام وهذه الأربعة أركان تبطل الصلاة بتركها عمداً وسهواً ونظيرها من الشروط الطهور قال الصادق عليه السلام : « الصلاة ثلاثة أثلاث : ثلث طهور ، وثلث ركوع ، وثلث سجود <sup>(١)</sup> » ثم الجلوس للتشهد وفيما بين السجدين ، ثم رفع اليدين في التكبيرات ثم سائر الهيئات وهي تابعة لذي الفضل في الفضل وما هو منها أدل على الخشوع فهو أفضل ، وأفضل الأذكار تكبيرة الإحرام ، وهو من الأركان ، ثم الفاتحة ، ثم التشهد ، ثم أذكار الركوع والسجود ، ثم التسليم ، ثم السورة وسائر التكبيرات ، ثم القنوت ، ثم التعوذ ، ثم دعاء الافتتاح الأخير ، ثم الأولان ، ثم سائر الأذكار ، هذا ما يناسب طريقتنا في التفاوت والتفضيل مما فهمته من فحاوي الأخبار ، ولم أر من أصحابنا من تعرض لذلك <sup>(٢)</sup> .

قال أبو حامد بعد تمييز الفرائض والسنن وتفضيل بعض السنن على بعض على طريقة العامة : « فإن قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل فما معناه ؟ »

فاعلم أن اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها ، ولنكشف لك ذلك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه ، ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدهم وتفوت الحياة بفواته ؛ كالقلب والكبد والدماغ ، وبعضها لا يفوت به الحياة ولكن يفوت به مقاصد الحياة ؛ كالعين واليد والرجل واللسان ،

(١) الكافي ج ٣ من ٢٧٣ تحت رقم ٨ .

(٢) في هامش بعض النسخ منه - رحمه الله - كذا : « لم يتعرض أبو حامد لتفضيل

بعض الفرائض على بعض و تفاوتها في الدرجة ولا غيره من أصحابنا وإنما ذلك من خواص هذا الكتاب » .

و بعضها لا يفوت به الحياة و لا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن ؛ كالحاجبين و اللحية و الأهداب و حسن اللون ، و بعضها لا يفوت به أصل الجمال ولكن كماله ؛ كاستقواس الحاجبين ، و سواد شعر اللحية و تناسب خلقة الأعضاء ، و امتزاج الحمرة بالبياض في اللون ، فهذه درجات متفاوتة ، فكذلك العبادة صورة صورها الشرع و تعبدنا باكتسابها فروحها و حياتها الباطنة الخشوع و النية و حضور القلب و الإخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع و السجود و القيام و سائر الأركان يجري منها مجرى القلب و الرأس و الكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها ، و السنن التي ذكرناها من رفع اليدين و دعاء الاستفتاح وغيرهما يجري منها مجرى اليدين و العينين و الرجلين لا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً مقطوع الأطراف ، و أمّا الهيئات وهي ما وراء السنن فيجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين و اللحية و الأهداب و حسن اللون ، و أمّا لطائف الآداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين و استدارة اللحية و غيرها و الصلاة عندك قريبة و محفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم و هذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الأكبر فالإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقيحها فإن أحسنت فلنفسك و إن أسأت فعليها ، ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الغرض فلا يعقب بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب : إن فقياً العينين لا يبطل وجود الإنسان و لكن يخرج عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية ، فهكذا ينبغي أن يفهم مراتب السنن والهيئات والآداب ، و كل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها و سجودها فهي النقص الأول على صاحبها تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، فطالع الأخبار التي أوردناها في إكمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

## ﴿الباب الثالث﴾

### ﴿في الشروط الباطنة من أعمال القلب﴾

قال أبو حامد : « ولذا ذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ، ثمّ لئلا ذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ، ثمّ لئلا ذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كلّ ركن من الصلاة لتكون صالحة لئلا زاد الآخرة .

### ﴿بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب﴾

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى : « أقم الصلاة لذكري » و ظاهر الأمر للواجب والغفلة تضادّ الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره ؛ وقوله : « ولا تكن من الغافلين » نهي و ظاهره للتحريم ؛ وقوله تعالى : « حتّى تعلموا ما تقولون » تعليل لنهي السكران وهو مطّرد في الغافل المستغرق الهمّ بالوساوس وأفكار الدنيا ، وقوله ﷺ : « إنّما الصلاة تمسكٌ وتواضعٌ » <sup>(١)</sup> حصر بالألف واللام وكلمة إنّما للتحقيق والتمحيق <sup>(٢)</sup> ، وقد فهم الفقهاء من قوله ﷺ : « إنّما » الشفعة فيما لم يقسم الحصر والإثبات والنفي ، وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله إلاّ بعداً » <sup>(٣)</sup> وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء ؛ وقال ﷺ : « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » <sup>(٤)</sup> وما أراد به إلاّ الغافل . وقال ﷺ أيضاً : « ليس للعبد من صلاته إلاّ ما عقل » <sup>(٥)</sup> .

و التحقيق فيه أن المسلمي مناج ربّه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتّة ، ويانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة

(١) و (٢) مر سابقاً . (٣) كذا في النسخ وفي الإحياء « والتوكيد » .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي بالفاظ مختلفة وفي لفظ الطبراني

« رب قائم حظه من قيامه السهر » راجع الجامع الصغير باب الرأ .

(٤) نقله النوري - رحمه الله - في المستدرک ج ١ ص ٢٦٤ من كتاب غوالي اللثالي .



للشهوة ، شديدة على النفس ، وكذا الصوم قاهر للقوى ، كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة الشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة ، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة ، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء ، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن ، أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ، أما الذكر فإنه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فأمّا أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة ، أو المقصود الحروف والأصوات إمتحاناً للسان بالعمل كما يمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاقّ الحج و يمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ، ولا شك في أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفّه على العاقل فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ، ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأبي سؤال في قوله : «اهدنا الصراط المستقيم» إذا كان القلب غافلاً ، وإن لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأبي مشقة في حركة اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتقاد ؟ هذا حكم الأذكار بل أقول : لو حلف الإنسان وقال : لأشكرن فلاناً وأثني عليه وأسألته حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه ، إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق بهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصير باراً في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطبة هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه ، فلا يراه ولا يشاهده ، بل هو غافل عن المخاطبة ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصفيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان بها ، هذا حكم القراءة والذكر وبالجمله فهذه الخاصية لاسبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل ، وأما الركوع والسجود فالمقصود

التعظيم بهما قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه ، أو يكون معظماً للحائط الذي بين يديه وهو غافل ، وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ، ثم يجعل عماد الدين ، والفاصل بين الكفر والإسلام و يقدم على الحج وسائر العبادات ، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيرها بل الضحايا والقرايين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » <sup>(١)</sup> أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملت على امتثال الأوامر وهي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة والأدب في أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على الاشتراط حضور القلب .

### ﴿ فصل ﴾

فإن قلت : إن حكمت ببطالان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت به إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير ، فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا في الطريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح و ظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل أو تعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه ، على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فيه فقد نقل عن بعض السلف أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته ، وقال آخر : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ، وروي أيضاً مسنداً عن النبي ﷺ أنه قال : « أن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » <sup>(٢)</sup> وهذا لو نقل

(١) الحج : ٣٧ .

(٢) مر عن غوالي اللثالي لابن أبي جمهور الاحسامي .

من غيره لجعل مذهباً فكيف لا يتمسك به ؟ وقال عبد الرحمن بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعاً ، وما نقل من هذا الجنس من الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى .

أقول : وقد ورد مضمون هذا الحديث عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم في ألفاظ متعددة وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق .

قال : « و الحق الرجوع إلى أدلة الشرع ؛ والآيات والأخبار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم و لو في اللحظة الواحدة و أولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ، ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكليّة ، فإنّه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً ، و أحضر القلب لحظة ، وكيف لا ؟ والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله ، ولكن له أجر ما بحسب فعله و على قدر قصوره و عذره و مع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا ؟ والذي يحضر الخدمة و يتهاون بالحضرة و يتكلم بكلام الغافل المستحق أشد حالاً من الذي يعرض عن الخدمة ، وإذا تعارض أسباب الخوف و الرجاء و صار الأمر مخطرأ في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط و التساهل ، و مع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة و إن ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ، و من عرف سر الصلاة علم أن الغفلة ، تضادها و لكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن و الظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع ، فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعاً للمريد الطالب لطريق الآخرة ، و أما المجالد المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن ، و حاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة و أن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير

فالنقصان منه هلاك ، و بقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في أجزاء الصلاة ، و كم من حي لا حراك به قريب من ميت ، فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير حي لا حراك به .

### ﴿ بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة ﴾

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جعل و هي حضور القلب ، و التفهم ، و التعظيم ، و الهيبة ، و الرجاء ، و الحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها .

**أما التفاصيل :** أولاً ول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما ولا يكون الفكر جارياً في غيرهما ، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ، و لكن التفهم لمعنى الكلام أمر و راه حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات و كم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ، و من هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع من الفحشاء لا محالة .

وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه و متفهم لمعناه ولا يكون معظماً له فالتعظيم [له] زائد عليهما .

وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمي هائباً ، و المخافة من العقرب و سوء خلق العبد و ما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا يسمي مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمي مهابة فالهيبة خوف مصدرها الإجلال .

وأما الرجاء فلا شك في أنه زائد فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته ، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل .

وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرّجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب .

### وأما أسباب هذه المعاني الستة

فأعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهماك فلا يحضر إلا فيما يهيمك ، ومهما أهيمك أمر حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل كان حاضراً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلاحيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملوك والنفع والضر فلا تظن أن له سبباً سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان ، وطريقه مستقصى في غير هذا الموضع .

وأما التفهم فسيببه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ومالم تنقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى أن من أحب غير الله لا يصفوله صلاة عن الخواطر .

وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين : إحداهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخسستها وكونها عبداً مسخراً أمر بوباً حتى تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره ، الآمن على

نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ، ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه .

وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وإنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة ، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجمله كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربيع المنجيات .

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه و لطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعدته والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ، ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ، والعلم بأنه مطلع على السيرة وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء .

فهذه أسباب هذه الصفات ، وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج و رابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعنى به هذه المعارف التي ذكرناها ، ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم ، وبقدرة اليقين يخشع القلب ، ولذلك قالت عائشة : كان النبي ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه . (١)

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ يا موسى إذا ذكرتني فاذكري وأنت تلتغض أعضائك ، وكن عند ذكرى خاشعاً مطمئناً ، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان

صادق ، (١) .

وروي أنه أوحى إليه « قل لعصاة أمتك : لا يذكرني فأنسي آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته وإذا ذكرني بالغفلة ذكرتهم باللعة » (٢) هذا في عام غير غافل فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان ؛ وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته و لم يحضر قلبه في لحظة و إلى من يتمم و لم يغيب قلبه في لحظة ، بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ، و لذلك لم يحس بعضهم بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها و بعضهم حضر الجماعة مدة و لم يعرف قط من على يمينه و يساره ، و وجب قلب إبراهيم الخليل صلوات الله عليه كان يسمع على ميلين ، و جماعة كانت تصفر وجوههم و ترتعد فرائصهم و كل ذلك غير مستبعد ، فإن أضعافه مشاهدة في هم الدنيا و خوف ملوك الدنيا مع ضعفهم و عجزهم و خساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بهم و يخرج و لو سئل ممن حو اليه و عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه و الحاضرين حوله ، و لكل درجات مما عملوا ، فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه و خشوعه و تعظيمه ، فإن موضع نظر الله القلوب دون ظاهرها الحركات و لذلك قال بعض الصحابة : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة و الهدوء ، و من وجود النعيم بها واللذة . و لقد صدق فإنه يحشر على ما مات عليه و يموت على ما عاش عليه و يراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه ، فمن صفات القلوب يصاغ الصور في الدار الآخرة و لا ينجو إلا من أتمى الله بقلب سليم .

### ❦ بيان الدواء النافع في حضور القلب ❦

اعلم أن المؤمن لابد وأن يكون معظماً لله ، و خائفاً منه ، و راجياً و مستحيياً من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكها عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر و تقسيم الخاطر و غيبة القلب عن المناجاة

(١) و (٢) ما عثرت عليهما في أصل .

و الغفلة عن الصلاة ولا تلهي عن الصلاة إلا الخواطر الرديئة الشاغلة ، فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فليعلم سببه ، وسبب توارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً .

أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهمة حتى يتبعه و يتصرف فيه ، ثم ينجر منه الفكر إلى غيره و يتسلسل و يكون الأبصار سبباً للافتكار ، ثم يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض و من قويت رتبته و علت همته لم يلهمه ما يجري على حواسه ، ولكن الضعيف لا بد أن يتفرق به فكره ، فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلي في بيت مظلم ، و لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ، و يقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ، و يحترز من الصلاة على الشوارع و في المواضع المنقوشة المصبوغة و على الفرش المصبوغة و لذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم ، سعته بقدر السجود ليكون ذلك أجمع لله ، و الأقوياء كانوا يحضرون المساجد و يغضون البصر و لا يجاوزونه موضع السجود و يرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم و شمالهم .

١ قول : قال الشهيد الثاني - رحمه الله <sup>(١)</sup> - : ينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر و هي جملة قائماً إلى موضع سجوده و غيره من الأمور المعلومة شرعاً ، فإن تعدد القيام بها مع فتحهما فالغمض أولى لأن الفائق من وظيفة الصلاة و صفتها بتقسيم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر انتهى كلامه ، و يمكن أن يقال : إن الغض الذي هو من خشوع الجوارح المأمور به يغني عن الغمض فلا حاجة إلى ترك السنة من وظيفة النظر ، اللهم إلا أن يشتغل بالتأمل في موضع سجوده و ما بين قدميه و نحوهما فيحذرن لا يبعد ما قاله رحمه الله .

قال أبو حامد : د و أما الأسباب الباطنة فهي أشد فإن من تشعبت الهموم به في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب و غش البصر لا يغنيه فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً



إلى فهم ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره و يعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة و خطر المقام بين يدي الله تعالى و هول المطلق ، و يفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيمه ، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره ، قال النبي ﷺ لعثمان بن أبي شيبة : « إنني نسيت أن أقول لك : تخمّر القدير الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم » <sup>(١)</sup> فهذا طريق تسكين الأفكار أن لا يسكن هائج أفكاره بهذه الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق و هو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شك في أنها تعود إلى مهماته و أنها إنما صارت مهماً بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات و قطع تلك العلائق ، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه و جند إبليس عدوه ، فامسكه أضرب عليه من إخراجهِ فيتخلص عنه بإخراجه .

كما روي « أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاها بها أبو جهم و عليها علم و صلى فيها نزع بعد صلاته وقال : اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهمتني آناً عن صلاتي و اتتوني بأنبجانية أبي جهم و أمر بتجديد شرك نعله ، ثم نظر إليه في الصلاة إذ كان جديداً فأمر أن ينزع منها و يرد الشراك الخلق <sup>(٢)</sup> » .

وكان ﷺ قد احتذى نعلأ فأعجبه حسنهما فسجد فقال : تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر علياً عليه السلام أن يشتري له نعلين سبتيين

(١) قال العراقي : الحديث أخرجه أبو داود من حديث عثمان العجبي و هو عثمان ابن طلحة كما في مسند أحمد و وقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم .

(٢) قال القيومي في المصباح : الخميصة : كساء أسود معلم الطرفين و يكون من خز أو صوف و إن لم يكن معلماً فليس بخميصة . و ظاهر النووي في شرحه على صحيح مسلم أن الكساء إذا كان له علم فهو خميصة وإذا لم يكن له علم فهو أنبجانية اهـ و هي - بالباء المفتوحة - كما في القاموس في مادة ن ب ج و منبج - كجلس - موضع ، و كساء منبجاني و أنبجاني بفتح بائهما نسبة على غير قياس . و الخبر رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٨ ونحوه النسائي في السنن ج ٢ ص ٧٢ . و ابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٠ .

جرداوين فلبسهما<sup>(١)</sup>.

وكان في يده عليه السلام خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال :  
«شغلني هذا نظرة إليه و نظرة إليكم»<sup>(٢)</sup>.

أقول : و نسبة أمثال هذه إلى رسول الله عليه السلام لا يليق بجلالة قدره و يشبه أن يكون من اختلافات العامة ذباً عن الطعن في أئمتهم بما يشبهها كما هو دأبهم و العلم عند الله .

قال أبو حامد : « و قيل : إن بعضهم صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فجعل حائطه صدقة ندماً و رجاءً للعوض عما فات ، و هكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادة الفكر ، و كفارة لما جرى من نقصان الصلاة و هذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فإن ما ذكرناه من التلطف بالتسكين و الرد إلى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة ، و الهمم التي لا تشغل إلا حواسي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال مجاذبها و مجاذبك ثم تغلبك و ينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة ، و مثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفوله فكره و كانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده و يعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة ف قيل له : إن هذا سير السواني<sup>(٣)</sup> ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقلع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت و تفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار و انجذاب الذباب إلى الأقدار ، و الشغل يطول في دفعها فإن الذباب كلما ذبّ أب و لأجله سمى ذباباً فكذلك الخواطر و هذه الشهوات كثيرة و قلما يخلو العبد عنها ، و يجمعها أصل واحد و هو حب الدنيا و ذلك رأس كل خطيئة ، و أساس كل نقصان و منبع كل فساد ، و من اطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها و يستعين

(١) أخرجه ابن حقيق في شرف الفقراء بسند ضعيف . (المغني)

(٢) أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ١٩٥ عن ابن عباس .

(٣) السانية : الناقة التي يستقى عليه من البئر ، جمعها سوان .

بها على الآخرة فلا يطمئن في أن يصفوله لذّة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدينا فلا يفرح بالله و بمناجاته و همّة الرّجل مع قرّة عينه فإن كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همّة ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة وردّ القلب إلى الصلاة و تقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدّواء و لمرارته استبشعه أكثر الطباع ، و بقيت العلة مزمنة و صار الداء عضالاً حتّى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عنه فأذن لامطعم فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس لنكون ممّن خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً ، و على الجملة فهمة الدنيا و همّة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج النخل لا محالة ولا يجتمعان .

﴿ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن و شرط ﴾

﴿ من أعمال الصلاة ﴾

« فنقول : حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تنغل أوّلاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة و أركانها ، أمّا الشروط و السوابق فهي الأذان و الطهارة و ستر العورة و استقبال القبلة و الانتصاب قائماً و النية .  
أقول : و كان ينبغي أن يذكر الوقت و المكان و التوجّه بالتكبيرات أيضاً و نحن نذكرها في التفصيل إن شاء الله .

قال : « فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة و تسمّر بظاهرك و باطنك للإجابة و المسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوّاً بالفرح و الاستبشار ، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى و الفوز يوم القضاء و لذلك قال ﷺ : « أرحنا يا بلال »<sup>(١)</sup> أي أرحنا بها و بالنداء إليها إذ كانت قرّة عينه فيها .

(١) قال العراقي : حديث أرحنا يا بلال أخرجه الدار قطني في العلل من حديث

بلال و لابي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بأسناد صحيح .

أقول : قال بعض علمائنا - رحمهم الله -<sup>(١)</sup> واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك أن الله جلّ جلاله هو الأول والآخِر والظاهر والباطن : ووطن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذباً في تكبيرك ، وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل وأحضر النبي ﷺ وتأدّب بين يديه وأشهد له بالرسالة مخلصاً وصلّى عليه وآله ، وحرّك نفسك ، واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة وما يوجب الفلاح وما هو خير الأعمال وأفضلها ، وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختمه بذكره كما افتتحت به واجعل مبدأك منه وعودك إليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فإنّه لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

### ﴿فصل﴾

أقول : وأما الوقت فقد قال بعض علمائنا<sup>(١)</sup> - رحمهم الله جميعاً - : استحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله الله تعالى لك لتقوم فيه بخدمته ، وتأنّهل للمثول في حضرته و الفوز بطاعته ، وليظهر على قلبك السرور وعلى وجهك البهجة عند دخوله لكونه سبباً لقرئك وسيلة إلى فوزك ، فاستعدّ له بالطهارة والنظافة ولبس الثياب الصالحة للمناجاة كما تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا ، وتلقّاه بالوقار والسكينة والخوف والرجاء ، قال : واستحضر عظمة الله وجلاله وتقصان قدرك وكماله .

وقد روي عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء ، وكان عليّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتملّص ويتزلزل فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا حضر الوضوء اصفرّ لونه إلى غير ذلك .

(١) راجع اسرار الصلاة ص ١٨٦ و ١٨٥ .

### ﴿فصل﴾

قال أبو حامد: «وَأَمَّا الطهارة فإِذَا أُتيتَ بها في مكانك و هو ظرفك الأبعد ، ثم في ثيابك و هو غلافك الأقرب ، ثم في بشرتك و هي قشرك الأدنى فلا تنفعل عن لبسك الذي هو ذاتك و هو قلبك ، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرط ، وتصميم العزم على الترك في المستقبل ، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك» .

أقول : و قد ذكرنا في كتاب أسرار الطهارة كلاماً عن مولانا الصادق عليه السلام وآخر عن بعض علمائنا فتذكر .

### ﴿فصل﴾

قال أبو حامد: «وَأَمَّا ستر العورة فاعلم ، أن معناه تغطية مقابح بدنك من أبصار الخلق ، فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك و فضائح سرّك التي لا يطلع عليها إلا ربك ، فاخطر تلك الفضائح ببالك ، و طالب نفسك بسترها و تحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر ، وإنما يكفرها الندم و الحياء و الخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف و الحياء من مكانهما فتندلّ به نفسك و تستكين تحت الخجلة قلبك و تقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء و الخوف» .

أقول : وفي مصباح الشريعة قال مولانا الصادق عليه السلام : «أزبن اللباس للمؤمنين لباس التقوى ، وأنعمه الإيمان قال الله عز وجل : «ولباس التقوى ذلك خير»<sup>(١)</sup> و أمّا اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم ، و هي كرامة أكرم الله بها عباده ذرية آدم عليه السلام ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم ، و خير لباسك ما لا يشغلك عن الله تعالى بل يقرّبك من شكره و ذكره و طاعته ولا يحملك إلى العجب و الرياء و التزيّن و المفاخرة و الخيلاء فإنّها من آفات الدّين و مورثة القسوة في

القلب ، وإذ لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته ، وألبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والإجابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء ، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك ، واصفح عما لا يعينك حاله وأمره واحذر أن يفني عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك ، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وأو فر أسباب العقوبة في الآجل ، وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل على الآفات ، غائص في بحر رحمة الله تعالى يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان ومادام ناسياً لذنوبه جاهلاً لعيوبه راجعاً إلى حوله وقوته لا يفلح إذا أبدأ<sup>(١)</sup>.

### ﴿فصل﴾

أقول : وأما المكان فقد قال بعض علمائنا<sup>(٢)</sup> - رحمهم الله - : استحضر فيه أنك كائن بين يدي ملك الملوك تريد مناجاته والتضرع إليه والتماس رضاه ونظره إليك بعين الرحمة ، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة والمشاهد المطهرة مع الإمكان فإنه تعالى جعل تلك المواضع محلاً لاجابته ومظنة لقبوله ورحمته ، ومعدناً لرضائه ومغفرته على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك فادخلها ملازماً للسكينة والوقار ومراقباً للخشوع والانكسار ، سائلاً أن يجعلك من خالص عباده وأن يلحقك بالماضين منهم ، وراقب الله كأنك على الصراط جائر ، وكن متردداً بين الخوف والرجاء وبين القبول والطرء ، فيخشع حينئذ قلبك ويخضع لربك وتاهل لأن يفيض عليك الرحمة وتناك يد العاطفة ، وترعك عين العناية ، قال الصادق عليه السلام : « إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً لا يطاء بساطه إلا المطهرون ، ولا يؤذن لمجالسته إلا

(١) إلى هنا منقول من مصباح الشريعة الباب السابع - (٢) أسرار الصلاة ص ١٨٤.

الصدقون ، وهب القدم إلى بساط خدمته هيبة الملك فإِنَّكَ على خطر عظيم إن غفلت ، واعلم أَنَّهُ قادر على ما يشاء من العدل و الفضل معك و بك ، فَإِنْ عطف عليك بفضله و رحمته قبل منك يسير الطاعة و أجزل عليها ثواباً كثيراً ، و إن طالبك باستحقاقه الصدق و الاخلاص عدلاً بك حببك و ردَّ طاعتك و إن كثرت و هو فعَّال لما يريد ، و اعترف بعجزك و تقصيرك و فقرك بين يديه فَإِنَّكَ قد توجهت للعبادة له و المؤانسة به و اعرض أسراركَ عليه و ليعلم أَنَّهُ لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين و علانيتهم ، و كن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كل شغل يحجبك عن ربِّكَ فَإِنَّهُ لا يقبل إلا الأظهر و الأخلص ، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فَإِنْ ذقت من حلاوة مناجاته و لذيق مخاطباته و شربت بكأس رحمته و كراماته من حسن إقباله عليك و اجاباته ، و قد صلحت لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان وإلا فقف وقوف مضطرب قد انقطع عنه الحيل و فسر عنه الأمل و قضى الأجل ، و إذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة و الرحمة و العطف ، و وفقك لما يحبُّ و يرضى فَإِنَّهُ كريمٌ يحبُّ الكرامة لعباده المضطربين إليه المحدثين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى : « أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » (١) .

### ﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أمَّا الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ، أفترى أَنَّ صرف القلب من سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك هيئات فلا مطلوب سواء و إنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتَّى لا تبغي على القلب فَإِنَّهَا إذا بغت و ظلمت في حركاتها إلى جهاتها استتبعت القلب و انقلبت به عن وجه الله ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، و اعلم أَنَّهُ كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب

إلى الله تعالى إلا بالتفرُّغ عما سوى الله تعالى ، وقد قال النبي ﷺ : « إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه » (١) .

**أقول :** ومما روي في هذا الباب عن النبي ﷺ أنه قال : « أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار » (٢) ، قيل : هذا نهى عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمتة في حال الصلاة ، فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه و من كان كذلك فيوشك أن يدوم تلك الغفلة عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقله للأُمور العلوية وعدم فهمه للعلوم ، وعن مولانا الصادق عليه السلام : « إذا استقبلت القبلة فأيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه ، واستفرغ قلبك من كلّ شاغل يشغلك عن الله تعالى ، وعابن بسرك عظمت الله ، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق ، وقف على قدم الخوف والرجاء » (٣) .

## ﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أمّا الاعتدال قائماً فهو مثول بالشخص و القلب بين يدي الله ، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً متطأطأ متنكساً ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرّي عن التّراُس والتكبر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلق (٤) عند التعرّض للسؤال ، واعلم في الحال أنّك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك

(١) و (٢) نقلهما الشهيد الثاني - رحمه الله - في أسرار الصلاة .

(٣) مصباح الشريعة الباب الثالث عشر .

(٤) المطلق - بفتح اللام - قال الجزري هو مكان الاطّلاع من موضع عال ، يقال :

مطلع هذا الجبل من مكان كذا أي مأتاه و مصعده .



أنتك ملحوظ و مرقوب بعين كائلة<sup>(١)</sup> من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح ، فإنه يهدأ عند ذلك أطرافك و يخشع جوارحك و يسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع ، و إذا أحسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعائب نفسك و قل لها : إنك تدعين معرفة الله و حبه أفلا تستحين من اجترائك عليه مع توفيرك عبداً من عبادة أو تخشين الناس ولا تخشينه و هو أحق أن يخشى ، ولذلك لما قيل للنبي ﷺ : كيف الحياء من الله فقال : تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك ،<sup>(٢)</sup> .

### ﴿فصل﴾

أقول : وأما التوجه فقد قال بعض علمائنا<sup>(٣)</sup> : إذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه و صغر نفسك و خسة عبادتك في جنب عظمته و انحطاط هممتك عن القيام بوظائف خدمته و استتمام حقائق عبادته ، و تفكر عند قولك : « اللهم أنت الملك الحق » في عظيم ملكه و عموم قدرته و استيلائه على جميع العوالم ثم ارجع على نفسك بالذل و الانكسار و الاعتراف بالذنوب و الاستغفار عند قولك : « عملت سوءاً و ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » و احضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ، و مثل نفسك بين يديه و أنه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، و يسمع نداءه ، و أن يده خير الدنيا و الآخرة لا يد غيره عند قولك : « ليك و سعديك و الخير في يديك » و نزهه من الأعمال السيئة و أفعال الشر و أبدله بها محض الهداية و الإرشاد عند قولك : « و الشر ليس إليك ، و المهدي من هديت » و اعترف له بالعبودية و أن قوام وجودك و بدمه و معاده منه بقولك : « عبدك وابن عبدك ، منك و بك ولك وإليك » أي

(١) أكله بصره في الشيء : رددته فيه مصوباً و مصعداً .

(٢) قال العرافي : أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابي هريرة ، و روى البيهقي في شعب الایمان من حديث سعيد بن زيد نحوه مرسل .

(٣) يعني به الشهيد الثاني - رحمه الله - في اسرار الصلاة ص ١٨٧ .

منك وجوده ، و بك قوامه ، و لك ملكه ، و إليك معاده ، و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، و هو أهون عليه ، وله المثل الأعلى ، فاحضر في ذهنك هذه الحقائق و ترق منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار و الدقائق و تلقى الفيض من العالم الأعلى .

### ﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أما النية فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة و إتمامها ، والكف عن نواقضها و مفسداتها ، و إخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه و خوفاً من عقابه ، و طلباً للقربة منه ، متقلداً للمنة بإيائك في المناجاة مع سوء أدبك و كثرة عصيانك ، و عظم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي و كيف تناجي ، و بما ذا تناجي ، و عند هذا ينبغي أن تعرق جبينك من الخجلة ، و ترتعد فرائصك من الهيبة و يعفر وجهك من الخوف » .

أقول : روي عن مولانا الصادق عليه السلام : « أن الإخلاص بجميع حواصل الأعمال وهو معنى مفتاحه القبول » <sup>(١)</sup> و أدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته ، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافاته بعمله لعله أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز ، و أدنى مقام المخلص لله في الدنيا السلامة من جميع الآثام و في الآخرة النجاة من النار ، و الفوز بالجنة ، و قال عليه السلام : صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية لله في الأمور كلها ، قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » <sup>(٢)</sup> ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة و تختلف على حسب اختلاف الأوقات في معني قوته و ضعفه و صاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله و الحياء منه .

- (١) نقله المحدث النوري عن مصباح الشريعة وفيه « الإخلاص يجمع فواضل الاعمال » .  
وهو معنى مفتاحه القبول راجع المستدرک ج ١ ص ١٠ لكن في أسرار الصلاة مثل ما في المتن .  
(٢) مصباح الشريعة الباب الرابع ، والاية في الشعراء : ٨٩ .

## ﴿فصل﴾

أقول : و أما التكبير فمعناه أن الله سبحانه أكبر من كل شيء ، أو أكبر من أن يوصف ، أو أن يدرك بالحواس ، أو يقاس بالناس .

قال أبو حامد : « فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذب به قلبك وإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنك كاذب وإن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم إنه ﷺ رسول الله ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته و ما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه » .

أقول : و في مصباح الشريعة <sup>(١)</sup> عن الصادق عليه السلام ، إذا كبرت فاستصغر ما بين السماوات والعلی و الثرى دون كبريائه ، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد و هو يكبر و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : يا كاذب أنتخذني وعزتي و جلالتي لأحرمتك حلالة ذكري و لأحجبك عن قربي و المسرة بمناجاتي » .

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلالاتها و في نفسك سرورها و بهجتها و قلبك مسروراً بمناجاته ملتذاً بمخاطباته فاعلم أنه قد صدقك في تكبيرك له و إلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة و حرمان حلالة العبادة أنه دليل على تكذيب الله لك و طردك عن بابه .

## ﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً مسلماً » و ليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما

وجّهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدّس عن أن يحدّه الجهات حتّى تقبل بوجهه  
بدنك عليه ، و إنّما وجه القلب هو الذي يتوجّه به إلى فاطر السماوات والأرض  
فانظر إليه أمتوجّه هو إلى أمانيه وهممه في البيت والسوق ، ومتّبع للشهوات أم مقبل  
على فاطر السماوات والأرض وإياك وأن يكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب  
والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله إلّا بانصرافه عمّا سواه فاجتهد في الحال في صرفه  
إليه وإن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقاً وإذا قلت : « حنيفاً مسلماً »  
فينبغي أن يخطر ببالك أنّ المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن  
كذلك كنت كاذباً فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال ،  
وإذا قلت : « وما أنا من المشركين » فاخطر ببالك الشرك الخفي فإنّ قوله تعالى : « فمن  
كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً » <sup>(١)</sup> نزل فيمن  
يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن منفياً من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة في قلبك  
أن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براعة من هذا الشرك فإنّ اسم الشرك  
يقع على القليل والكثير منه ، وإذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم أنّ هذا حال عبد موقود  
لنفسه موجود لسيّده وأنّه إن صدر ممّن رضاء وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة  
ورهبته من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملائماً للحال ، وإذا قلت : « أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم » فاعلم أنّه عدوك ومترصّد لصرف قلبك عن الله ، حسداً لك على  
مناجاتك مع الله وسجودك له مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها  
وإنّ استعاذك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحبّ الله لا بمجرّد قولك وإنّ من  
قصده سبعٌ أو عدوٌ ليقترسه أو يقتله فقال : « أعوذ منك بذلك الحصن الحصين » وهو ثابت  
على مكانه إنّ ذلك لا ينفعه بل لا يعينه إلّا بتبديل المكان فكذلك من يتّبع الشهوات التي  
هي محابّ الشيطان ومكاره الرّحم فلا يغنيه مجرد القول فليقرن قوله بالعزم على التّعوذ  
بحصن الله عزّ وجلّ عن شرّ الشيطان وحصنه لا إله إلّا الله إذ قال تعالى فيما أخبر عنه

نبينا ﷺ « لا إله إلا الله حصني » (١) والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله ، و اعلم أن من مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة و تدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها ، وأما القراءة فالتناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، و رجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع و يفهم منه كأنه يسمعه من غيره و هو درجة أصحاب اليمين ، و رجل يسبق قلبه إلى المعاني أو لا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلّم القلب ، و المقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

### ﴿ تفصيل ترجمان المعاني ﴾

« إنك إذا قلت : « بسم الله الرحمن الرحيم » فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله ، و افهم أن معناه أن الأمور كلها بالله و أن المراد بالاسم ههنا هو المسمى و إذا كانت الأمور بالله فلا جرم كان « الحمد لله » و معناه أن الشكر لله إذ النعم من الله و من يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنه مستخر من الله ففي تسميته و تحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله ، فإذا قلت : « الرحمن الرحيم » فأحضر في قلبك أنواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ، ثم أستثر من قلبك له التعظيم و الخوف بقولك : « مالك يوم الدين » أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له و أما الخوف فلهول يوم الجزاء و الحساب الذي هو مالكه ، ثم جدّد الإخلاص بقولك : « إياك نعبد » و جدّد العجز و الاحتياج و التبرّي عن الحول و القوة بقولك : « إياك نستعين » و تحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانتته و أن له المنّة إذ وفقك لطاعته ، و استخدمك لعبادته ، و جعلك أهلاً لمناجاته و لو حرمتك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ، ثم إذا فرغت من التعوذ و من قولك : « بسم الله » و عن التحميد و عن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك و قل : « اهدنا الصراط المستقيم »

(١) في الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب راجع عيون اخبار الرضا ص ٢٧٥ .

الَّذِي يسوقنا إلى جوارك و يفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحاً و تفصيلاً و تأكيداً  
 واستشهاداً بالَّذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ،  
 دون الّذين غضب عليهم من الكفّار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ، فإذا  
 تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ  
 « قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي و نصفها لعبدي ، يقول العبد :  
 « الحمد لله ربّ العالمين » فيقول الله : حمدني عبدي و أثنت عليّ و هو معنى قوله : « سمع  
 الله لمن حمده » - الحديث إلى آخره - ،<sup>(١)</sup> فإن لم يكن لك من صلواتك حظٌ سوى ذكر  
 الله في جلاله وعظمته فنأهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه و فضله وكذلك  
 ينبغي أن تفهم ما تقرأ من السورة كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره  
 و نهيه و وعده و وعيده و مواعظه و أخبار أنبيائه و ذكر مننه و إحسانه فلكل واحد  
 حقٌّ فالرجاء حقُّ الوعد ، و الخوف حقُّ الوعيد ، و العزم حقُّ الأمر والنهي ، و الاتعاض  
 حقُّ الموعظة ، و الشكر حقُّ ذكر المنّة ، و الاعتبار حقُّ أخبار الأنبياء ، و تكون هذه  
 المعاني بحسب درجات الفهم و يكون الفهم بحسب وفور العلم و صفاء القلب ، و درجات  
 ذلك لا تنحصر و الصلاة مفتاح القلوب فيها ينكشف أسرار الكلمات فهذا حقُّ القراءة  
 و هو حقُّ الأذكار و التسيّحات أيضاً ، ثمّ يراعي الهيئة في القراءة فيرتل و لا يسرد  
 و لا يعجل فإنّ ذلك أيسر للتأمّل و يفرّق بين نعماته في آية الرّحمة و العذاب ، و الوعد  
 و الوعيد ، و التّحميد و التّعظيم ، و التّقدّيس و التّسبيح و التّمجيد ، كان بعضهم إذا مرّ  
 بمثل قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله » يفضّ صوته كالمستحي

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٩ عن أبي هريرة في حديث قال : اني سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وآله يقول : قال الله تعالى قسّمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين و لعبدي  
 ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي ، و اذا قال :  
 الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنت علي عبدي ، و اذا قال : مالك يوم الدين ، قال  
 مجدني عبدي ، و اذا قال : اياك نعبد و اياك نستعين ، قال : هذا بيني و بين عبدي ، و لعبدي  
 ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب  
 عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل . و أخرجه أيضاً النسائي ج ٢ ص ١٣٦ .

عن أن يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن : « اقرء وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » (١).

أقول : ومثله ورد عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصة أيضاً وسند كوفي كتاب تلاوة القرآن كلاماً عن الصادق عليه السلام في هذا الباب إن شاء الله .

### ﴿فصل﴾

« وأما دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعمت واحد من الحضور قال عليه السلام : « إن الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت » (٢) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله عليك و قبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه ، و ألزم الخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر ، قال عليه السلام : وقد رأى مصلياً يبعث بلحيته : « أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » (٣) فإن الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعي والرعية » (٤) وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ، ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعاً وتضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن إطلاعه على سره و ضميره وتدبر قوله تعالى : « الذي يراك حين تقوم \* وتقلبك في الساجدين » (٥).

(١) أخرجه النسائي ج ١ ص ٣٣٨ . والترمذي ج ١١ ص ٣٦ . ورواه الصدوق في

ثواب الاعمال ص ١٢٤ .

(٢) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٢٠٩ ، وأخرجه النسائي والدارمي أيضاً كما في مشكاة

المصابيح ج ١ ص ٩١ . (٣) مر سابقاً .

(٤) ما عثرت على أصل له في كتب الفريقين .

(٥) الشعراء : ٢١٨ و ٢١٩ .

## ﴿فصل﴾

« وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً بعمفو الله من عقابه ، ومتبعا سنة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك عز مولاك واتضاعك وعلو ربك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد به التكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم ذلك وتؤكد الرّجاء في نفسك بقولك : « سمع الله لمن حمده » أي أجاب الله لمن شكره ، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : « الحمد لله رب العالمين » .

أقول : ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول : أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت .

و في الفقيه<sup>(١)</sup> « عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن معنى مدّ العنق في الركوع فقال : تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي » .

و في مصباح الشريعة<sup>(٢)</sup> عن الصادق عليه السلام « لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة إلا زينّه الله تعالى بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفائه ، والركوع أول والسجود ثان ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني ، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب ، فاركع ركوع خاضع لله عز وجل بقلبه مستذلل وجل تحت سلطانه ، خافض له ببجوارحه خائف خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين ، وحكي أن ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح يزفر وقال : آه سبق المخلصون وقطع بنا . واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلا بعونه ، وفرّ بالقلب من وساوس



الشیطان و خدائعه و مکائده ، فإنَّ الله تعالى یرفع عباده بقدر تواضعهم له ، و یرہدہم إلى أصول التواضع و الخضوع و الخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم .

قال أبو حامد : « ثمَّ تهوي إلى السجود و هو أعلى درجات الاستكانة ، فمکِّن أعزَّ أعضائك و هو الوجه من أذلَّ الأشياء و هو التراب ، و إن أمکنک أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنَّه أجلب للخضوع و أدلُّ على الذلِّ ، و إذا وضعت نفسك موضع الذلِّ فاعلم أنَّک وضعتها موضعها و رددت الفرع إلى أصله ، فإنَّک من التراب خلقت و إليه رددت ، فعند هذا جدَّ على قلبک عظمة الله و قل : « سبحان ربِّي الأعلى » و أكده بالتکرار فإنَّ المرَّة الواحدة ضعيفة الآثار ، فإذا رقت قلبک و طهر لبک فليصدق رجاءک في رحمة ربک ، فإنَّ رحمته تتسارع إلى الضعف و الذلِّ لا إلى التکبر و البطر فارع رأسک مکبراً و سائلاً حاجتک و مستغفراً من ذنوبک ، ثمَّ أكد التواضع بالتکرار و عد إلى السجود ثانياً كذلك .

أقول : و في الفقيه <sup>(١)</sup> عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل ما معنى السجدة الأولى ؟ قال : « تأويلها اللهمَّ إنَّک منها خلقتنا » يعني من الأرض ، و تأویل رفع رأسک « وحنها أخرجتنا » و السجدة الثانية « وإليها تعيدنا » ، و رفع رأسک « ومنها نخرجنا تارة أخرى » .

و في مصباح الشریعة <sup>(٢)</sup> عن الصادق عليه السلام « ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرَّة واحدة ، و ما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شيئاً بمخادع نفسه غافل لاه عما أعدَّ الله للمساجدين من أنس العاجل و راحة الآجل ، ولا بعد عن الله أبداً من أحسن تقرُّبه في السجود ، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه و ضيَّع حرمة بتعليق قلبه بسواء في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل علم أنه خلق من تراب تطام الخلق ، و أنه ركب من نطفة يستقنرها كلُّ أحد [ و کون ولم یکن ] و قد جعل الله معنى السجود سبب التقرُّب إليه بالقلب و السر و الروح ، فمن قرب منه بعد من غيره ، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء و الاحتجاب عن کلِّ ما تراه العیون كذلك [ أراد الله ] أمر الباطن فمن كان قلبه متعلِّقاً في

صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيدٌ عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته ، قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وقال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : لا أطلع على قلب عبد فأعلم فيه حبَّ الإخلاص لطاعة وجهي ، وابتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته [ومقرَّبَت منه] ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين » .

### ﴿ فصل ﴾

قال بعض علمائنا <sup>(١)</sup> : إذا جلست للتشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة والأحوال العظيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ماسلف منك غير واقع على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه ، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين ، فاجعل يدك صفراً من فوائدها ، إلا أن يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله وارجع إلى عبده الأبرأصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحسن الله تعالى الذي من دخله كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره واشهد له بالوحدانية وأحضر رسوله الكريم وبيته العظيم ﷺ بيالك واشهد له بالعبودية والرسالة وصلِّ عليه وعلى آله ، مجدداً عهد الله بأعادة كلمتي الشهادة متعزضاً بهما لتأسيس مراتب العبادة فإِنَّهُمَا أوَّل الوسائل وأساس الفواضل وجماع أمر الفضائل ، مترقباً لإجابته ﷺ لك بصلواتك عشراً من صلاته إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً .

وقال الصادق عليه السلام : « التشهد ثناء على الله فكن عبداً له في السر ، خاضعاً له في الفعل كما أنك له عبدٌ بالقول والدعوى ، وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرِّك ، فاتِّه خلقك عبداً وأمرَك أن تعبدَه بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقِّق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيتته وهم

(١) يعني به الشهيد - رحمه الله - في أسرار الصلاة .

عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلا بإذنه وإرادته ، قال الله عز وجل : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (من أمرهم) سبحان الله وتعالى عما يشركون » (١) فكن لله عبداً ذا كراً بالقول والدعوى ، وصل صدق لسانك بصفاء سرِّك ، فإِنَّهُ خَلَقَكَ فَعَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةً وَمَشِيَّةً لِأَحَدٍ إِلَّا بِسَابِقِ إِرَادَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ فَاسْتَعْمَلِ الْعِبُودِيَّةَ فِي الرِّضَاءِ بِحُكْمَتِهِ وَبِالْعِبَادَةِ فِي أَدَاءِ أَمْرِهِ وَقَدْ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ وَأَوْصَلَ صَلَاتِهِ بِصَلَاتِهِ ، وَطَاعَتِهِ بِطَاعَتِهِ ، وَشَهَادَتِهِ بِشَهَادَتِهِ ، وَانْظُرْ إِلَّا تَفُوتَكَ بِرَكَاتِ مَعْرِفَةِ حَرَمَتِهِ فَتَحْرَمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلَاتِهِ وَأَمْرِهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ وَالشَّفَاعَةِ فِيكَ إِنْ أَتَيْتَ بِالْوَاجِبِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالسَّنَنِ وَالْآدَابِ وَتَعَلَّمَ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢) .

### ﴿ فصل ﴾

قال بعض علمائنا : و إذا فرغت من التشهد فأحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقرَّبين و قل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إلى آخر التسليم المستحب ، ثم أحضر في بالك النبي ﷺ وبقية أنبياء الله و أئمة آلِهِ و الحفظة لك من الملائكة المقرَّبين المحصنين لأعمالك و قل : السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللّاعبين ، وكيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله تعالى و رحمته الشاملة ورافته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب و إن كان بعيداً عن درجات القبول ، منحطاً عن أوج القرب والوصول ، وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدهم الرّد عليك أيضاً ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثان ، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتهم وظيفة السلام و استحققتهم من الله عز وجلّ مزيد الإكرام ، و أصل السلام مشترك بين التحيّة الخاصّة و بين الاسم المقدّس من أسماء الله تعالى و المعني هنا على الأوّل ظاهر

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) مصباح الشريعة الباب السابع عشر .

و على الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله تعالى للتفأل بالسلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده .

قال الصادق عليه السلام : « معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان ، أي من أدى أمر الله وسنة نبيه ﷺ خاضعاً له خاشعاً منه فله الأمان من بلاء الدنيا و براءة من عذاب الآخرة . و السلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات و الأمانات و الانصافات ، و تصديق مصابحتهم و مجالستهم فيما بينهم ، وصحة معاشرتهم و إن أردت أن تضع السلام موضعه و تؤدّي معناه فاتق الله و ليسلم منك دينك و قلبك و عقلك ألا تدنسها بظلمة المعاصي ، و لتسلم منك حفظتك أن لا تبرمهم و لا تملهم و توحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثم صديقك ثم عدوك فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى ، و من لا يضع السلام موضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه و إن أفشاء في الخلق <sup>(١)</sup> . »

### ﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « ثم ادع في آخر صلاتك يعني بعد التشهد بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع ، والضرعة والابتهاال ، وصدق الرّجاء بالاجابة وأشرك في دعائك أربابك وسائر المؤمنين ، و اقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، و انوختم الصلاة به ، واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودّع لصلاتك هذه وأنتك ربما لاتعيش لمثلها ، قال عليه السلام : « صل صلاة مودّع » ثم أشعر قلبك الوجع والحياء من التقصير في الصلاة و خف أن لا يقبل صلاتك و أن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فتردّ صلاتك في وجهك و ترجو مع ذلك أن يقبلها بفضله و كرمه ، فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلواتهم يحافظون ، و الذين هم على صلواتهم دائمون ، و الذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي تيسر له منها ينبغي أن يفرح و على ما يفوته ينبغي أن

يتحسّر ، و في مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد ، وأمّا صلاة الغافلين فإنّها خطيرة إلّا أن يتغمّده الله برحمته والرحمة واسعة و الكرم فائض ، فنسأل الله تعالى أن يغمرنا برحمته و يتغمّدنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته ، و اعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات و إخلاصها لوجه الله وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب ، تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة ، فأولياء الله المكشفون بملكوت السماوات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكشفون في الصلاة لاسيما في السجود إذ يتقرّب العبد بالسجود و لذلك قال تعالى : « واسجدواقترب » ويكون مكاشفة كلّ مصلّ على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوّة والضعف والقلة والكثرة والجلال والخفاء حتّى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه و ينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جائم عليها يدعو إليها ، و يختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من أفعاله و لبعضهم من دقائق علوم المعاملة وتكون لتعين تلك المعاني في كلّ وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدّها ما من سبب الهمة فإنّها إذا كانت مصروفة إلى شيء معيّن كان ذلك أولى بالانكشاف ، ولما كانت هذه الأمور لا تتراعى إلّا في المراتي الصّغيرة ، وكانت المراتي كلّها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا يخل من جهة المنعم بالهداية بل بخبث متراكم الصدء على مصبّ الهداية وتسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ، ولو كان للجنين عقل مثلاً لا أنكر إمكان وجود إنسان في متنسج الهواء ، ولو كان للطفل تمييزاً ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السماوات والأرض وهكذا الإنسان في كلّ طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة ، و قد خُلِق الخلق أطواراً فلا ينبغي أن ينكر كلّ واحد ما وراء درجته نعم لمّا طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوه من تصفية القلب ممّا سوى الله فقدوه فأنكروه ، ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقلّ من أن يؤمن بالغيب و يصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر « إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده و واجهه بوجهه وقامت الملائكة من

لن منكببه إلى الهواء يصلون بصلاته و يؤمنون على دعائه ، وإن المصلي لينثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لوعلم المصلي من يناجي ما التفت ، وإن أبواب السماء تفتح للمصلين وإن الله يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح أبواب السماء<sup>(١)</sup> ومواجهة الله إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه ، وفي التوراة مكتوب : يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصلياً بكياً فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال : فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والشرح والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دعو الرب تعالى من القلب وإذالم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلامعنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال : إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وبها هي الله به مائة ألف ملك . وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة ، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون فإن مارزق الملائكة من الغربة والرتبة لازم لهم ، مستمر على حالة واحدة ، لا يزيد ولا ينقص ، ولذلك قالوا : « وما منّا إلا له مقام معلوم »<sup>(٢)</sup> وفارق الإنسان الملائكة في الترقى من درجة إلى درجة ، فإنه لا يزال يتقرب إلى الله فيستفيد مزيداً وباب المزيد معدود عليهم وليس لكل واحد إلا رتبته التي وقف عليها وعبادته التي هو مشغول بها ، لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتقر عنها ، فلا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ،<sup>(٣)</sup> ومقتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون » الذين هم في صلاتهم خاشعون ، فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ، ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال في آخرها : « والذين هم على صلواتهم يحافظون » ، ثم قال في ثمرات تلك الصفات : « أولئك هم الوارثون » الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون<sup>(٤)</sup> ، فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثه الفردوس آخرأ و ما عندي

(١) قال العراقي : لم أجده في أصل .

(٢) أشار الى قوله تعالى في الصفات : ١٦٤ .

(٣) إشارة الى قوله تعالى في سورة الانبياء : ١٩ و ٢٠ .

(٤) الايات في سورة المؤمنون .

أن هزيمة اللسان<sup>(١)</sup> مع ففلة القلب ينتهي درجتها إلى هذا الحد<sup>(٢)</sup> ولذلك قال في أضدادهم « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين<sup>(٣)</sup> » والمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم تسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزيت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم المنان القديم الإحسان .

### ﴿ حكايات واخبار في صلاة الخاشعين ﴾

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان و نتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه و من رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوصه وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد ؛ فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله وخشوعاً له وكان الربيع بن خثيم من شدة فضة للبصر وإطرافه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول : وبشر المخبتين ، أما والله لورأك محمد لفرح بك . وفي آخر لأحبك ، و مشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفتح و إلى النيران تلتهب صق وسقط مغشياً عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يبق فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشياً عليه إلى الساعة التي صعد فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول : هذا والله الخوف ، وكان الربيع يقول : ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي . ويروي عن بعضهم أنه كان يصلي يوماً في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وتأكل<sup>(٤)</sup> طرف من أطراف بعضهم واحتيج إلى القطع فلم يمكن منه ، فقيل : إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع و هو في الصلاة .

أقول : ومثل هذا ينسب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه وقع في رجله نصل فلم

(١) ان سرعة اللسان . (٢) المدثر : ٤٢ .

(٣) في القاموس : أكل العضو - كفرح - واتكل ، وتأكل من باب التفعيل - :

أكل بضمه بعضاً ، والاسم كغراب وكتاب . والأكلة - كفرحة - : داء في العضو .

يمكن من إخراجه فقالت فاطمة عليها السلام : أخرجه في حال صلاته فإنه لا يحس بما يجري عليه حينئذ ، فأخرج وهو عليه السلام في صلاته .

قال : « وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا . وكان أبو الدرداء يقول : من فقه الرجل أن يبدء بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ . وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس فروي أن عمّار بن ياسر صلى صلاة فأخفها ف قيل له : خففت يا أبا اليقظان فقال : هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : إنني بادرت سهو الشيطان ، إن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها <sup>(١)</sup> » .

و اعلم أن الصلاة قديحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت عليه الأخبار وإن كان الفقيه يقول : إن الصلاة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه و هذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل <sup>(٢)</sup> .

في الخبر قال عيسى عليه السلام : يقول الله تعالى : بالفرائض ينجومني عبدي وبالنوافل يتقرب إلي عبدي .

وقال النبي ﷺ : « قال الله تعالى : لا ينجومني عبدي إلا بأداء ما افترضت عليه » وقال بعضهم : إن العبد يسجد السجدة وعنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته هلكوا ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يكون ساجداً عند الله و قلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فتدل هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرّ الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد .

تم الجزء الأول و يليه الجزء الثاني أوله الباب الرابع في الإمامة والقعدة

(١) مر عن غوالي اللثالي وأخرجه أبو داود ج ١ ص ١٨٤ بأدنى اختلاف .

(٢) راجع مسند أحمد ج ٤ ص ٦٥ و ١٣٠ ، وسنن النسائي ج ١ ص ٢٣٢ .



## ﴿ الفهرست ﴾

| الموضوع                                                              | رقم الصفحة |
|----------------------------------------------------------------------|------------|
| مقدمة المؤلف .                                                       | ٢          |
| مقدمة الكتاب .                                                       | ٤          |
| كتاب العلم .                                                         | ٨          |
| فضل العلم و التعليم و التعلم و شواهدا من القرآن .                    | ٨          |
| قول بعض العلماء في ذلك .                                             | ١٠         |
| نبويات في فضائل العلم من طريق العامة .                               | ١٣         |
| أحاديث في فضل العلم من طريق الخاصة .                                 | ٢٤         |
| شواهد من الكتب السالفة في فضل العلم و العلماء .                      | ٣٣         |
| شواهد فضل العلم و العلماء من الآثار و فيه تحقيقات لبعض العلماء .     | ٣٣         |
| الشواهد العقلية التي ذكرها أبو حامد في فضل العلم .                   | ٣٧         |
| الشواهد العقلية التي ذكرها المؤلف في فضل العلم .                     | ٤١         |
| في المحمود و المذموم من العلوم .                                     | ٤٣         |
| العلم الذي هو فرض عين .                                              | ٤٣         |
| بيان العلم الذي هو فرض كفاية .                                       | ٤٧         |
| انحصار علم القرآن بما روي عن المعصومين <small>عليهم السلام</small> . | ٤٩         |
| قول أبي حامد في أن الفقه من علوم الدنيا .                            | ٥٤         |
| رد شديد للمؤلف على أبي حامد في معنى علم الفقه .                      | ٥٩         |
| تفصيل علم الآخرة و نقل الأخبار في ذلك .                              | ٦١         |

| رقم الصفحة | الموضوع                                            |
|------------|----------------------------------------------------|
| ٦٦         | علم أحوال القلب .                                  |
| ٦٩         | وجه عدم ذكر علم الكلام و الفلسفة في أقسام العلوم . |
| ٧١         | إشكال المؤلف على أبي حامد .                        |
| ٧٤         | فيما يعدّه العامة من العلوم المحموده وليس منها .   |
| ٧٥         | بيان علّة ذمّ العلم المنموم .                      |
| ٨١         | بيان ما بدّل من ألفاظ العلوم .                     |
| ٨١         | تبديل لفظ الفقه .                                  |
| ٨٣         | تبديل لفظ العلم .                                  |
| ٨٤         | تبديل لفظ التوحيد .                                |
| ٨٦         | تبديل لفظ الذكر و التذكير .                        |
| ٨٩         | ذم تكثير الأشعار في المواضع .                      |
| ٩٠         | الشمطح الذي أحدثه بعض الصوفيّة .                   |
| ٩٢         | الطامات .                                          |
| ٩٤         | تبديل لفظ الحكمة .                                 |
| ٩٥         | بيان القدر المحمود من العلوم المحموده .            |
| ٩٨         | سبب إقبال الخلق على المناظرة .                     |
| ٩٩         | بيان شروط المناظرة وآدابها .                       |
| ١٠٢        | بيان آفات المناظرة و ما يتبعها .                   |
| ١٠٧        | ما ورد من طريق الخاصّة في منمّة المناظرة .         |
| ١٠٨        | آفة بعض أنواع الوعظ و التذكير .                    |
| ١٠٩        | آداب المتعلّم و المعلم .                           |
| ١١٨        | بيان وظائف المرشد المعلم .                         |

| الموضوع                                                                      | رقم الصفحة |
|------------------------------------------------------------------------------|------------|
| آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة و العلماء السوء .                      | ١٢٥        |
| أخبار من طريق الخاصة في ذلك .                                                | ١٢٦        |
| عقاب العالم مضاعف .                                                          | ١٣٠        |
| أخبار ذلك من طريق الخاصة و علامة علماء الآخرة .                              | ١٣٥        |
| في العقل و شرفه و حقيقته و أقسامه .                                          | ١٦٩        |
| ما ورد في ذلك من طريق الخاصة .                                               | ١٧٢        |
| بيان حقيقة العقل و أقسامه .                                                  | ١٧٧        |
| نقل بعض روايات الخاصة في ذلك .                                               | ١٨٠        |
| بيان تفاوت الناس في العقل .                                                  | ١٨٢        |
| كتاب قواعد العقائد                                                           | ١٨٦        |
| طريق التخلص عن مضائق بدع أهل الأهواء .                                       | ١٨٧        |
| أعقل العقلاء نبينا وآله و خير الشرائع شرعه .                                 | ١٨٩        |
| وصايا سيدي بن طاووس .                                                        | ١٩٠        |
| تحقيق للمؤلف .                                                               | ١٩٣        |
| بيان أمر أهل البيت <small>عليهم السلام</small> إنما هو في كتاب الله عز وجل . | ١٩٧        |
| كلام منقول من صاحب كشف الغمة .                                               | ٢٠٢        |
| دلائل التوحيد .                                                              | ٢٠٦        |
| من دلائل التوحيد .                                                           | ٢٠٨        |
| التصديق بوجوده سبحانه أمر فطري .                                             | ٢١١        |
| إن الله سبحانه واحد لا شريك له .                                             | ٢١٣        |
| إنه سبحانه فرد لا ند له .                                                    | ٢١٤        |
| إنه سبحانه متكلم بما يشاء كيف يشاء .                                         | ٢١٦        |
| إنه سبحانه أحدي المعنى .                                                     | ٢١٨        |

| رقم الصفحة | الموضوع                                                         |
|------------|-----------------------------------------------------------------|
| ٢١٩        | إنه سبحانه قديم لم يزل ولا يزال .                               |
| ٢٢٠        | إنه سبحانه عادل لا يفعل القبيح .                                |
| ٢٢١        | إنه سبحانه أرحم بخلقه .                                         |
| ٢٢٢        | إنه تعالى لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح .                       |
| ٢٢٣        | إنه تعالى لم يفرغ من الأمر كما زعمته اليهود .                   |
| ٢٢٤        | النبوة وأدلتها .                                                |
| ٢٢٥        | وجوب عصمة الأنبياء .                                            |
| ٢٢٦        | الأنبياء أفضل من الملائكة .                                     |
| ٢٢٩        | القرآن كلام الله ووحيه وقوله وكتابه .                           |
| ٢٣٠        | الإمامة و بيان الاضطراب إلى الإمام .                            |
| ٢٣٢        | من أدلة وجوب عصمة الإمام .                                      |
| ٢٤٣        | بيان عدد الأئمة وذكر النصوص عليهم <small>عليهم السلام</small> . |
| ٢٤٧        | حب أولياء الله واجب وكذا بغض أعداء الله والبراءة منهم .         |
| ٢٤٨        | المعاد - الموت .                                                |
| ٢٤٨        | المساءلة في القبر .                                             |
| ٢٤٩        | البعث بعد الموت .                                               |
| ٢٤٩        | الصراط .                                                        |
| ٢٥١        | الميزان والحساب .                                               |
| ٢٥٢        | ما ورد في الشرع من أهوال يوم القيامة وطوله وحرته .              |
| ٢٥٣        | الشفاعة والحوض .                                                |
| ٢٥٤        | الجنة والنار .                                                  |
| ٢٥٥        | الجنة لأهل الإيمان .                                            |
| ٢٥٥        | في وجه التدرج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد .               |

| الموضوع                                           | رقم الصفحة |
|---------------------------------------------------|------------|
| نقل قول الخواجه نصير الدين الطوسي - رحمه الله - . | ٢٥٧        |
| في ذم الكلام ، وحده .                             | ٢٥٩        |
| مقدار ما يحمد أو يذم من علم الكلام .              | ٢٦٣        |
| رد إشكال .                                        | ٢٦٦        |
| رد إشكال أيضاً .                                  | ٢٦٨        |
| كيفية اختلاف الظاهر والباطن .                     | ٢٦٩        |
| انكشاف الأسرار بقدر قدرة الإيمان .                | ٢٧٦        |
| الإيمان درجات وطبقات ومنازل .                     | ٢٧٧        |
| أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوك .       | ٢٧٩        |
| كتاب أسرار الطهارة ومهماتهما                      | ٢٨٠        |
| الطهارة له أربع مراتب .                           | ٢٨١        |
| رد إشكال .                                        | ٢٨٢        |
| في طهارة الغيب .                                  | ٢٨٥        |
| في المزال به وهو إما ماء أو غيره .                | ٢٨٦        |
| في طهارة الحدث .                                  | ٢٩١        |
| آداب قضاء الحاجة .                                | ٢٩١        |
| كيفية الاستنجاء و آدابه .                         | ٢٩٣        |
| فضيلة السواك و آدابه .                            | ٢٩٦        |
| كيفية الوضوء و آدابه وسننه .                      | ٢٩٩        |
| بيان فضيلة الوضوء .                               | ٣٠٢        |
| في الغسل و أسبابه الموجبة له .                    | ٣٠٣        |
| في التيمم و أسبابه .                              | ٣٠٥        |

| رقم الصفحة | الموضوع                                                        |
|------------|----------------------------------------------------------------|
| ٣٠٥        | أسرار الطهارة .                                                |
| ٣٠٨        | النظافة والتنظيف عن الفضلات الطاهرة .                          |
| ٣١٥        | بيان كيفية دخول الحمام و آدابه .                               |
| ٣١٨        | قول أبي حامد في سنن الحمام .                                   |
| ٣٣٦        | كتاب أسرار الصلاة و مهماتها .                                  |
| ٣٣٧        | في فضائل الصلوات ، و السجود ، و الجماعة ، و الأذان ، و غيرها . |
| ٣٣٧        | فضيلة الأذان .                                                 |
| ٣٣٨        | فضيلة المكتوبة .                                               |
| ٣٤٠        | فضيلة إتمام الأركان .                                          |
| ٣٤١        | فضيلة الجماعة                                                  |
| ٣٤٤        | فضيلة السجود و القول فيه .                                     |
| ٣٤٩        | فضيلة الخشوع و معناه .                                         |
| ٣٥٥        | فضيلة المساجد و مواضع الصلاة .                                 |
| ٣٥٨        | كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة .                              |
| ٣٦٣        | تمييز الفرائض و السنن و تفاوت بعضها عن بعض .                   |
| ٣٦٦        | الشروط الباطنة من أعمال القلب .                                |
| ٣٦٦        | اشتراط الخشوع و حضور القلب .                                   |
| ٣٦٨        | ردُّ إشكال .                                                   |
| ٣٧١        | أسباب هذه المعاني الستة .                                      |
| ٣٧٣        | بيان الدواء النافع في حضور القلب .                             |
| ٣٧٧        | بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عنده من أعمال الصلاة .    |
| ٣٧٨        | الوقت و استحضار القلب فيه .                                    |













